

جامع الخشبة والرقعة والبال

دار الكتاب الحديث

ملا محمد العبدى

جامع الخشية والرقعة والبكاء

{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ {

{ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ {

ذكر نبأ من بكوا من خشية الله

وما أعد الله لهم من الأجر والثواب

هلال محمد العيسى

العيسى ، هلال محمد عبدالله	
جامع الخشبية والرقعة والبكاء/ تأليف: هلال محمد عبدالله العيسى .	
ط 1 . - القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2019	
666 ص؛ 24 سم.	
تدمك 978 977 350 854 8	
1 - القرآن - تفسير .	2 - القرآن - إعجاز .
أ - العنوان.	
227	

رقم الإيداع 2019 / 4758

حقوق الطبع محفوظة

1440 هـ / 2019 م



www.dkhbooks.com

94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة ص.ب 7579 البريدى 11762 هاتف رقم: 22752990 (00 202) فاكس رقم: 22752992 (00 202) بريد إلكترونى: dkh.cairo.22@gmail.com	القاهرة
شارع الهلالى، برج الصديق ص.ب: 22754 - 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (00 965) فاكس رقم: 2460628 (00 965) بريد إلكترونى: dkhkuwait@gmail.com	الكويت
B. P. No 061 - Draria Wilaya d'Alger - Lot C no 34 - Draria Tel & Fax: (21) 353055 Tel: (21) 354105 E-mail: dk.hadith@yahoo.fr	الجزائر

إهداء:

إلى كل غافل ولاه عن طاعة الرحمن جل وعلا..

إلى كل من أسرف على نفسه بالمعاصي..

إلى كل من أراد أن يلين قلبه بذكر الله..

إلى كل محب لله تائب عن ماضيه..

أهدى هذا الكتاب ،،،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين.

هذا كتاب تهيأت وتجهزت له بما تيسر لي بفضل الله تعالى، مما جاء في القرآن الكريم وبالمراجع المنتقاة، من كتب الحديث والتفسير والسير والمغازي والتاريخ والتراجم والزهد والرفائق والمعاجم، وما أتيح لي الاطلاع عليه بفضل من الله، عن ما قيل في الخشوع والرقعة والبكاء، وما ورد فيها من أخبار بشكل مباشر لأنها أجلب لدموع العين. أما موضوع هذا الكتاب فهو عن الخشية والرقعة والبكاء، وما أنزل الله تعالى فيها من الآيات في القرآن الكريم. وما روى عن الملائكة وعن الأنبياء والرسل والصحابة وأقوال الحكماء على مر العصور، وما جاء فيها وما قيل عنها. وقد أثبت في هذا الكتاب الأصوب والأكمل إن شاء الله مما وقفت عليه واقتنعت به.

وعندما توكلت على الله وشرعت في العمل في هذا الكتاب، جعلت همتي في تتبع أقوالهم وأفعالهم ومحاوراتهم وما جاء عنهم، وكنت أعجب بالقول فأسعى في البحث عن قائله إن لم يكن اسمه معلوماً، فكنت أوفق في ذلك أحياناً فأثبت اسمه، وأحياناً أخرى لا أوفق في العثور على القائل فأكتفى بذكر قوله، حيث إن المغزى كان هو الاستفادة. واشتمل الكتاب أقوالاً لأناس مشهورين وآخرين مغمورين، أخذت من أقوالهم ما وقر في العقل والقلب، ما لو قدر له أن يوزن بالنفيس لرجح به عند من يعلم مقداره، لما حواه من أقوال وأفعال يقف العقل أمامها حائراً.

ولقد بدأت هذا الكتاب بذكر آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن ذلك ثم قمت بذكر تفسير لها، ليكون ذلك أشمل للإلمام بها وبمعانيها والمقصود منها، وتوخيت

الاختصار فيه ليقول اللفظ ويسهل الفهم. وتفسيري لتلك الآيات يشمل معنى ما تضمنه سياق النص القرآني الذي يتواءم مع الهدف من ذكر الآية مركزاً فقط قدر الإمكان على ما يتعلق بالخشية والرقعة والبكاء.

والتزمت بالتحقيق الدقيق للنصوص وسبر أغوارها وذلك بمراجعتها على أكثر من مصدر عند الضرورة، وقمت بجمع نصوص الموضوع الواحد المتفرقة في المصادر، بقدر الإمكان بتصرف لا يخل بالنص الأساسي والجوهري لمضمون النص نفسه مع الإشارة للمصادر الأساسية المستقى منها النص، ووجدت أن بعض المواد المذكورة قد تكون بها بعض الكلمات الناقصة أو الساقطة من الطباعة في الأصل أو لم تضاف، فأضفت من عندي عند الضرورة ما يساعد على زيادة التوضيح دون الخروج عن الإطار العام للموضوع، ولم أتدخل بحذف أو إضافة إلا إذا استدعى السياق العام ذلك، فما جاء بين [] فهو إضافة مني عند الضرورة إذا اقتضى سياق النص ذلك أو أحسبت أن أضيف جديداً على رأى غيرى مع تقديرى له، و [] فهو للانتباه إلى أن بينهما نصاً قد أدخلته بمرجع مستقل عن المرجع الأصلي.

وخرّجت الآيات القرآنية فأعدتها إلى سورها وأرقامها، وخرّجت الأحاديث النبوية، وقمت بشرح لبعض معانى الكلمات التى وردت. وعلقت وأضفت على بعض القصص عند الضرورة لذلك. ووثقت نصوص الكتاب قدر الإمكان بذكر من رواها أو رويت عنه أو أشار إليها، وكنت أتحرى اختلاف كلمات الحديث ولو بكلمة واحدة فأذكر الحديثين. لذا فقد تجد تكراراً لبعض الآيات أو الأحاديث أو الأقوال المتشابهة وليس هذا من باب السهو إنما هو من أجل التأكيد والإيضاح أو الاستشهاد بها فى ذلك الموضع، وستجد معنى جديداً بإذن الله فى كل تفسير.

ولقد جاء الكتاب بفضل الله تعالى في تمهيد وتسعة أبواب وعدة فصول لتتمة المقصود:

الباب الأول: في بعض ما جاء عن عظمة القرآن وفضائله وهو مكون من اثني عشر فصلاً.

الباب الثاني: ما جاء في الخشوع لله وهو مكون من أربعة فصول.

الباب الثالث: ما جاء من الآيات التي ذكر فيها الخشية والخشوع والبكاء والوجل وهو مكون من اثني عشر فصلاً.

الباب الرابع: ما جاء من الأحاديث القدسية والنبوية في البكاء والخشية ورقة القلب.

الباب الخامس: ما جاء في الخوف من الله.

الباب السادس: ما جاء في بكاء الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام وهو مكون من فصلين.

الباب السابع: ما جاء في من قرأ أو تذكر أو استمع للقرآن الكريم ففاضت عيناه وهو مكون من ثلاثة فصول.

الباب الثامن: ما جاء في قتلى القرآن وهو مكون من ثلاثة فصول.

الباب التاسع: ما جاء عن القلب القاسى والرحيم وهو مكون من سبعة فصول.

وجعلت للكتاب فهرسين: الأول للمراجع والثاني فهرس الكتاب.

إن ما أوردت في هذا الكتاب، ما هو إلا نماذج لأناس شرفوا أنفسهم بتقربهم إلى الله من خلال قول قالوه أو فعل فعلوه حفظته لهم سجلات التاريخ على مر العصور والأعوام.

والله من وراء القصد...

هَلَاكُ مُحَمَّدٍ الْعِيسَى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، رب الخلق والعرش العظيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي ﷺ. على حب الله فليتنافس المتنافسون، فهو قوت القلب وغذاء الروح وقرّة العين، ففي القلب فاقة لا يسدها إلا محبته والإقبال عليه والإنابة إليه، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وآخرته غموم وكلوم، والله در القائل:

أروحُ وقد ختمت على فؤادي	بحبك أن يحلّ به سواكا
فلو أنى استطعتُ غَضَضْتُ طرفي	فلم أنظر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي	وإن لم يُبق حبُّك لي حراكا
وفى الأحباب مختصُّ بوجد	وآخر يدعى معه اشتراكا
وكلُّ يدعى حبًّا لربي	وربى لا يقرُّ لهم بذاكا
إذا اشتبكتُ دموعٌ في خدودٍ	تبين من بكى ممن تباكا
فأما من بكى فيدوبُ وجدا	وينطقُ بالهوى من قد تباكا

نظرت حولي فإذا كل شيء يدعو إلى الحزن والبكاء وخبو الأمل، على ما آلت إليه أحوال المسلمين وتكالب كلاب الأمم عليهم، في زمان قل به الزاهدون الصالحون، زمان لا يقال به للمحق صدقت ولا للمبطل كذبت! أصبح النفاق به سلعة رائجة. وتغيرت واختلت وفقدت قيم ومفاهيم وانقلبت موازين، فإذا الحق تابع للقوة، ولم تعد القوة تابعة للحق! واختلفت معانى الكلمات، فأصبحت الألقاب تطلق جزافا لا رابط ولا ضابط ولا معيار لمن يوصف بها.

فمن امتلك مالا أصبح يسمى شيخا، وهو لقب إن لم يكن من أهله فهو يبعد عنه قولا وفعلا بعد الثرى عن الثريا. وأصبحت كلمة الطيب مثلا، تطلق على الضعيف المسالم الذى لا يستطيع حيلة ولا حول له ولا قوة! وقد كانت فى الماضى تدل على الصلاح ويتمنى أناس أن يوصفوا بها ولو بانفاقهم الأموال. وإذا ببعض من يظن بهم أنهم أهل العلم

والصلاح، ممن أطلق عليهم جزافا مشايخ وعلماء، ممن يتحدثون عن الله باسم الدين، وتظن أنهم قد أهلكوا أنفسهم في تعلم شرع الله، إذا هم أصحاب الفتيا الغربية المريبة المحيرة، التي تشتت وتفرق المسلمين ولا تجمعهم.

وإن أحدهم ليفتى في دقائق في مسألة لو وردت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر . غفلة فشت وسكرة طغت ومحارم انتهكت وقلوب قست ونفاق ظهر .

وفي خضم هذا البحر المتلاطم من الإثارة الجنسية، لم يعد يقتصر ظهور الفساد في البر والبحر عبر شاشات التلفزيون والمسلسلات المدبلجة والسينما وأفلام الفيديو والمحادثات الهاتفية الداعرة فقط، بل تعداه ليشمل طبقات الجو العليا! عبر الفضائيات والاستالايت وشبكات الإنترنت والتشاتينج. هذا بجانب مشاهدة النساء الكاسيات العاريات في الشوارع والأسواق والإعلانات، فزادت حدة الغريزة الجنسية اشتعالا.

وبدأت فجوة البعد عن الدين بما فيه من قيم ومثل تزداد في بلاد المسلمين، حتى جاء يوم رأينا به كتباً تؤلف ضد الدين وتستهزئ بالإسلام ورسوله، لن أتحدث عن ما يحدث من غير المسلمين وتخصيصهم محطات فضائية لذلك بجانب غرف البالتوك، فهذا لا يستغرب منهم ولا يستبعد عنهم، والحال على ما تعلمون. فقد صاح الناقوس وتكلم أهل العجل والخنزير والمجوس. لكن أتحدث عن شخصيات محسوبة على الإسلام، عدت من صفوة المجتمع لمكانتها الدينية والعلمية والفكرية والأدبية، نال البعض منهم جوائز عالمية ومناصب دنيوية واشتهروا نتيجة هجومهم على الإسلام. فرأينا جوائزهم ونظرنا بحمد الله بعض جوائزهم. وإن من العجب العجيب، استدلالهم بعقولهم التي وهبها الله لهم، على عدم خشية الله تعالى وإظهارهم عصيانه!.

فأحببت أن أورد في هذا الكتاب، أخبار بعض صلحاء أمة الإسلام ممن سبقونا،
لعلنا نتعظ بهم وبأفعالهم وتقربهم إلى الله وخوفهم منه وحبهم ورغبتهم فيه سبحانه.
ولنحاول أن نقارن بيننا وبينهم، ثم لننظر أين نحن من الله ثم هؤلاء، وهل بعدت
المسافات بيننا أم ازدادت قرباً؟ ولننظر ما أعد الله تبارك وتعالى من ثواب وعقاب، فما
أنزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

ولننظر ما أعدنا لموتٍ لا ريب فيه، فما سعادة مؤبدة أو شقاوة مخلدة. فلعل
قلوبنا تهفو إلى القرب من المولى شوقاً إليه بما قرأنا عنهم من أخبار وما تركوا لنا من آثار،
ولنتساءل ما الذى جعلهم أولى بخشية الله منا والإله والمصير واحد؟ وقد نتجاوزهم
بالذنوب، فبالرجوع إلى الله وكتابه وسنة رسوله وبصالحى أمة الإسلام تحيا القلوب وترق
النفوس فتجلب الخشوع. فمن سعادة العبد إذا مات ماتت ذنوبه.

هذا المختصر ضمنت به ذكر مواعظ زاجرات وأردفتها بآثار عسى الله أن ينفعنى بها
والمسلمين وإن كنت أرى نفسى لست أهلاً لذلك، خاصة وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن
مريم عليهما السلام فقال: يا ابن مريم عظم نفسك فإن اتعظت فعظم الناس، وإلا فاستحي
منى⁽¹⁾ ..

جمعت في هذا الكتاب بفضل الله صفحات أنصح بها نفسى وأداوى بها قسوة قلبى
وأستجلب بها دموع عيني وغيرى، لأخبر عن أناس باعوا الدنيا وشروا الآخرة فربحت
تجارتهن. وأقسم بالله صادقاً أننى قد اكتويت بأخبارهم وعشت معهم بخيالى من خلال
جمعى لأخبارهم على مدار ما يزيد عن ثلاث سنوات كأنهم أحياء معى، فإذا البؤن بيننا
شاسع والمسافة بعيدة بُعد السماوات الطباق عن الأرض. فعلمت من خلال ما جمعت
عيوب نفسى وبها بى من عجز وتقصير، فبكت العين وفاضت ويشهد الله على ذلك.
وتحسرتُ على ما مر وضاع من أيام عمر لا تعوض، خاصة وقد كان القلب محتاجاً إلى

(1) كتاب الروض الفائق في المواعظ والرفائق ص 11 .

دواء بعدما أصابه من داء، ليعود للفطرة التي خلقه الله تعالى عليها. فما كان جمعى لأخبار صفوة من عباد الله، من ملاك أو رسول أو نبي أو عابد زاهد أو عالم بحق خاشع طائع أو شيخ غير منافق، إلا لاستجلاب دمع العين وترقيق القلب، فإذا تم ذلك، خشع العبد وسعى للتقرب إلى الله طمعا في عفوه وحبا في رضاه، ورحل إلى الله قبل أن يرحل به.

فاعلم يا من اطلعت على كتابي هذا: بأن الموت لم يمت، وأنت لا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة، ولعل هذا اليوم هو اليوم الأخير واللييلة الأخيرة لك، فكم من مستقبل يوماً لا يستكمل، وكم من مؤمل لغد لا يُدرُكه، وكم من منتظر لغد قد يكون به أجله، فاليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، فانظر بين يدي من غداً أنت قائم. فلتكن صادقا مع الله ولا تكن دموعك كدموع الأيتام واللثام على أبواب الحكام، ولا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت. فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل ولا يشفق على من غره طول الأمل. ومن كانت الدنيا أكبر همه طال في القيام غدا غمه. فلقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله. ومن كتب عليه الشقاء فلن يسعد أبداً.

أدعوا الله أن يرقق بهذا العمل قلوبا وينفع به نفوسا، فتزرف الدموع، فهي الدليل على الخشية. فخشية الله بالغيب أساس عمل المسلم كله ومعاملاته، لأنه بإيمانه بالغيب سيعمل كل خير طمعا في ثواب الله، وبمخافة الله بالغيب سيتجنب كل سوء فيسلم. فلا تكن كمن يغسل وجهه مرات في اليوم ولا يغسل قلبه ولو مرة. واعلم بأن خليفة المسلمين بحق عمر بن عبد العزيز ؓ الذي ضرب به المثل في العدل واشتهر به، كان يخاف الله مع عدله، وأنت تأمنه مع ظلمك وجورك !! فإن من ترعاه اليوم هو خصمك غدا بين يدي الله تعالى.

فاعتبروا بمن مضى واجتهدوا ولا تغفلوا فإن الله لا يغفل عنكم. ولا تنظروا إلى قصور أبناء الدنيا ومناصبهم، ولا تتمنوا أن تكونوا مثلهم وارضوا بما قسم الله لكم.

انظروا إلى قبورهم للعظة، ثم انظروا موقفهم يوم القيامة بين يدي رب العالمين. { أَفَرَأَيْتَ
إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ } (1)..
ولله در القائل:

باتوا على قُللِ الأَجْبَالِ تحرُّسُهُمْ غلبَ الرجالِ فلم تنفعُهُم القُللُ
واستنزَلُوا من أعالي عِزِّ مَعْقِلِهِمْ وأسكنوا حضراً يا بئسَ ما سكَنُوا
أين الوجوهُ التي كانتَ محجَّبةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ عنهم حينَ ساءَ لَهُمْ تلكَ الوجوهُ عليها الدودُ يقتَتِلُ
قد طالَ ما أَكلُوا دَهراً وما نَعِمُوا فأصبحوا بعدَ طولِ الأكلِ قد أُكِلُوا (2)

أسأل من رفع السماء بغير عمد، ألا يحرمني ووالديَّ أجر هذا العمل، وأن يضاعف
في الثواب وأن يحشرنا مع الأتقياء والصالحين الخاشعين، إنه رب رحيم قريب سميع
مجيب..

هَلاكَ مُحَمَّدُ الْعِيسَى

* * *

(1) سورة الشعراء الآيات 205 / 207.

(2) بستان الواعظين ورياض السامعين ج 1 ص 194.

الباب الأول

فى بعض ما جاء عن عظمة القرآن الكريم وفضائله

وهو مكون من اثنى عشر فصلا:

- الفصل الأول: ما جاء فى تنزيل وإعجاز القرآن الكريم واعتراف المشركين على مر العصور بإعجازه.
- الفصل الثانى: بعض ما جاء فى عظمة القرآن الكريم.
- الفصل الثالث: بعض ما جاء فى فضائل القرآن الكريم.
- الفصل الرابع: ما جاء فى فضل تفسير القرآن الكريم وأهله.
- الفصل الخامس: ما جاء فى ما يلزم قارئه من تعظيمه وحرمة.
- الفصل السادس: ما جاء فى آداب تلاوة القرآن الكريم.
- الفصل السابع: ما جاء فى فضائل تلاوة القرآن الكريم وحامله.
- الفصل الثامن: ما جاء فى من تعلم القرآن الكريم.
- الفصل التاسع: ما جاء فى فضل إعراب القرآن الكريم وثواب من قرأه معربا.
- الفصل العاشر: ما جاء فى القرآن الكريم من المرض والشفاء.
- الفصل الحادى عشر: بعض ما جاء فى جزاء من استخف بالقرآن الكريم أو كفر به أو بإحدى آياته أو جحد به أو زاد حرفا فيه متعمدا.
- الفصل الثانى عشر: ما جاء فى من يلعنه القرآن..

* * *

الفصل الأول

ما جاء فى تنزيل وإعجاز القرآن الكريم

واعتراف المشركين على مر العصور بإعجازه

1- قال الله سبحانه وتعالى { قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ⁽¹⁾ } .. وأرباب البيان وتفانوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن من بلاغته وحسن نظمته { لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } ⁽²⁾ ..
جواب قسم محذوف { وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً } ⁽³⁾ .. معينا على الإتيان بمثله.
ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم أيضا عنه، لأنها هما المتحديان، ومن ثم تعجبت الجن من حسن نظمته وبلاغته البالغة أقصى درجاتها فقالوا { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ } ⁽⁴⁾ ..

وقال النبي ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله عز وجل، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"، رواه الشيخان.
قال الحافظ: هذا دال على أن [كل نبي أو رسول] لا بد له من معجزة تقتضى إيمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة، وأن كل نبي من الأنبياء قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته، الشئ الذى من صفته، أنه إذا شوهده اضطر الشاهد إلى الإيمان به. وأن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خوارق العادات لحال قومه حسب زمانه، كقلب العصا ثعبانا وإخراج اليد بيضاء فى زمن موسى عليه السلام، وإنما كان كذلك لأنه [كان] الغالب فى زمانه السحر، فأتاهم بما هو فوقه فاضطرهم إلى الإيمان به ولم يقع ذلك لغيره.

(1) سورة الإسراء آية 88.

(2) سورة الإسراء آية 88.

(3) سورة الإسراء آية 88.

(4) سورة الجن آية 1 / 2.

وفي زمن عيسى عليه السلام [كان الغالب في زمانه] الطب، فجاءهم بما هو أعلى منه من {وَأُبرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} ⁽¹⁾.. بما ليس في قدرة بشر.

وأما النبي [محمد] صلى الله عليه وسلم فأرسله في العرب العرباء، أصل الفصاحة والبلاغة وتأليف الكلام على أعلى طبقاتها ومحاسن بداياتها، بقرآن عربى مبين، يشتمل على مذاهب لغة العرب، فتلا عليهم كلاما متشابه الرصف، متجانس الوصف، سهل الموضوع، عذب المسموع، خارجا عن موضوع القريض مستعذبا لأفهام الأسماع. [مرققا للقلوب، ولما كانوا] أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء، تحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين. [وهذا الإمهال قائم لكل الخلق من الجن والإنس إلى يوم القيامة]، فلم يقدرُوا. ثم تحداهم بعشر سور منه، [فلم يقدرُوا]. ثم تحداهم بسورة [أى بأصغر سورة في القرآن الكريم، وهى المكونة من ثلاث آيات فقط، فلم يقدرُوا]. فلما عجزوا عن معارضته على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، عدلوا إلى العناد وإلى الاستهزاء فتارة قالوا: سحر، لطافته وحسن نظمه وفصاحته. وقال آخرون: إنه أساطير الأولين [وهذا] قول الكهنة لاستغرابهم معانيه ولتحيرهم فيه، كل ذلك من التحير والانتقطاع. وقيل: جملة معارف العرب وعلومها أربعة:

البلاغة: وهى ملكة يبلغ بها المتكلم من تأدية المعانى، حدا يوزن بتوفيته خاصية كل تركيب حقها. والشعر: وهو كلام موزون مقفى مراد به الوزن. والخبر والكهانة: الخبر عن الكائنات وادعاء معرفة الأسرار كان متفشيا، فأنزل الله سبحانه القرآن الخارق لهذه الفصول الأربعة، من أجل الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة، الخارجة عن نوعه وطريقته. [أما قوله] صلى الله عليه وسلم: ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله عز وجل فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا، [فمعناه] المراد [هو] القرآن، وقد تقدم أنه المعجزة الباقية على وجه الدوام إلى يوم القيامة، لبلوغه

(1) سورة آل عمران آية 49.

أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الإعجاز، فلا يتأتى لأحد أن يأتي بأقصر سورة منه لجزالة تركيبه، وفخامة ترتيبه الخارج عن طوق البشر، وليس المراد حصر معجزاته ﷺ فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، [إنها] المراد [أن القرآن الكريم هو] المعجزة العظمى التي اختصه بها [الله] دون غيره، لأن كل نبي أعطى معجزة خاصة به، لم يعطها بعينها غيره، تحدى بها قومه، ولذلك رتب على قوله: وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة يريد لا اضطرار الناس إلى الإيمان به إلى يوم القيامة، و ذكر ذلك على وجه الرجاء لعدم العلم بما في الأقدار السابقة.

وقيل: المعنى أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعمارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها. ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون يدل على صحة دعواه، ولهذا قال ﷺ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار، كناقاة صالح وعصا موسى [وما أتى به عيسى بأمر الله تعالى]، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة مرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا.

فالقرآن الكريم أفضل المعجزات لبقائه بعد وفاة النبي ولم يبق معجز غيره بعد وفاته [ولحفظ الله تعالى له]، ولأن الأحكام الشرعية مستنبطة منه ولم تستنبط من معجز سواه، فالقرآن بحر لا تنفنى عجائبه، ولا تنقضى غرائب، لا شتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما [كان وما] سيكون، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد.

[يروى أن خالد بن عقبة: جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: اقرأ على القرآن؟ فقرأ عليه { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ⁽¹⁾.. فقال له: أعد، فأعاد. فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفل له لورق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر ⁽²⁾.

وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية وهى تقول: أستغفر الله من ذنوبى، فقلت: لم تستغفرين ولم يجز عليك القلم؟ فقالت:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا لَغَيْرِ حَالِهِ

مِثْلَ غَزَالٍ نَائِمٍ فِي دَلِّهِ انْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصِلْهُ

فقلت لها: ما أفصحك، فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقَاهِ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } ⁽³⁾.. فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

إن هذا القرآن إنما صار معجزاً، لأنه [كلام الله أولاً، ثم لأنه] جاء بأفصح الألفاظ في أحسن النظم مضمناً أصح المعاني، من توحيد الله تعالى، وتنزيهه له في صفاته، ودعوة إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته، في تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها في موضعه الذى لا يرى شيئاً أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أليق به منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثالات الله تعالى بمن مضى وعاند منهم، منبهاً عن الكوائن المستقبلية في العصور الآتية، جامعاً في ذلك بين الحجة والدليل والمدلول

(1) سورة النحل آية 90.

(2) المعجم الأوسط ج 9 ص 274، [ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال: الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة، وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة بنحوه].

(3) سورة القصص آية 7.

عليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به وحرمة ما نهى عنه. ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدراتهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله..

2- قال أبو عبيدة: يحكى أن بعض العرب سمع قارئاً يقرأ { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }⁽¹⁾.. فسجد! فقليل له في ذلك.

فقال: سجدت لبلاغة هذا الكلام..

3- وسمع رجلاً آخر يقرأ { فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا }⁽²⁾.. فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام..

4- وقيل: لما سمع كلامه ﷺ الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكراً عليه، قال: والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا. وفي خبره الآخر حين جمع قريشاً عند حضور الموسم، وقال: إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: نقول كاهن. قال: والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعته.

قالوا: مجنون: قال: ما هو بمجنون، ولا بخنقه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر. قد عرفنا الشعر كله، رجزه، وهزجه، وقريضه ومبسوطه، ومقبوضه، ما هو بشاعر.

قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، ولا نفثه ولا عقده.

قالوا: فما نقول؟

(1) سورة الحجر آية 94.

(2) سورة يوسف آية 80.

قال: ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول أنه ساحر، فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته. فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس. فأنزل الله تعالى في الوليد { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَيَّنْتُ شُهُوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأَرْهُقُهُ صُعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَكَانَ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ } (1) ..

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن: يا قوم، قد علمتم أني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته، والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة. وقال النضر بن الحارث: نحوه.

وفي حديث إسلام أبي ذر وصف أخاه أنيساً، فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية، أنا أحدهم، وإنه انطلق إلى مكة، وجاء إلى بخبر النبي ﷺ. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر، وإنه لصادق، وإنهم لكاذبون..

5- وفي قول آخر عن أنيس: أنه سمع القرآن فقال: لقد وضعت هذا الكلام على ألسنة البلغاء وألسنة الشعراء، فلم أجده يوافق ذلك أو كلاماً هذا معناه. فصح بهذا ما قلناه من أن القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين، وأنه على رتبة قد [عجز] جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله (2) ..

(1) سورة المدثر الآيات 11 / 24.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج 1 ص 87.

6. قال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }⁽¹⁾.. دل استقراء القرآن العظيم على أن الله جل وعلا إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنی المتضمنة صفاته العليا وأنَّ مبدأ تنزيله كائن منه جل وعلا، وذكر اسمه الله، واسمه العزيز، واسمه الحكيم.

وذكر مثل ذلك في أول سورة الجاثية في قوله تعالى { حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ }⁽²⁾..

وفي أول سورة الأحقاف في قوله تعالى { حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ }⁽³⁾..

وقد تكرر في القرآن، ذكره بعض أسمائه وصفاته بعد ذكر تنزيل القرآن العظيم، كقوله في أول سورة [غافر]، { حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ }⁽⁴⁾..

وقوله تعالى في أول فصلت { حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }⁽⁵⁾..

وقوله تعالى في أول سورة هود { أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَى إِذْ أَنْشَأَ مِنْ نَارِهِ الْإِنْسَانَ أَطْمَاطًا مُسْتَوِيًّا }⁽⁶⁾..

(1) سورة الزمر آية 1.

(2) سورة الجاثية الآيات 1 / 3.

(3) سورة الأحقاف الآيات 1 / 3.

(4) سورة غافر الآيات 1 / 3.

(5) سورة فصلت الآيات 1 / 2.

(6) سورة هود آية 1.

وقوله في سورة فصلت { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }⁽¹⁾ ..

وقوله تعالى في صدر سورة يس { تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ }⁽²⁾ ..

وقوله تعالى [في سورة الشعراء] { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }⁽³⁾ ..

وقوله تعالى [في سورة الحاقة]: { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }⁽⁴⁾ ..

ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح على عظمة القرآن العظيم وجلالة شأنه وأهمية نزوله، والعلم عند الله تعالى ..

7- عن ابن مسعود قال: [نزلت الكتب] الأول من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجرا وآمرا وحلالا وحراما ومحكما ومتشابهة وأمثالا. فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كل من عند ربنا ..

8- وقيل: القرآن بحر لا نهاية له، ولا ترى [ولن ترى] في مشارق الأرض ومغاربها كتاباً يشتمل جملة علوم كما يشتمل القرآن [من التعريف بالله وعظمته ورحمته وعقابه وبدايه خلق الكون والمخلوقات ونهايتهم، من سماوات وأرض وملائكة وجن وإنس وحيوانات وطيور وبحار وما لا يحصى إلا هو سبحانه وتعالى، وما أنزل من كتب وما بعث من رسل وما جاء عن الجنة وقال عن النار، وما وعد به المحسن، وأعداه للمسيء].

(1) سورة فصلت الآيات 41 / 42.

(2) سورة ياسين الآيات 5 / 6.

(3) سورة الشعراء آية 192.

(4) سورة الحاقة آية 43.

فمن تأمل في هذا التفسير، علم أننا لم نذكر من بحار فضائل القرآن إلا قطرة [من
بحر ورملة من رمال]، ولما كان الأمر على هذه الجملة، لا جرم [أن] مدح الله عز وجل
القرآن فقال تعالى { الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ }⁽¹⁾ .. والله أعلم ..

* * *

(1) سورة الزمر آية 23.

الفصل الثانى

بعض ما جاء فى عظمة القرآن الكريم

اعلم أن هذا الباب واسع كبير، ألف فيه العلماء كتباً كثيرة، نذكر منها [بعض ما] دل على فضل القرآن، وما أعد الله لأهله إذا أخلصوا الطلب لوجهه وعملوا به:

9- قيل: القرآن حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظلُّه العميم، وصرَّاطه المستقيم وحجَّته الكبرى، ومحجَّته الوسطى، وهو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنه ضلَّ وهوى.

فضائل القرآن لا تُستقصى فى ألف قرن، حجة الله وعهده، ووعدُه ووعدُه، به يعلمُ الجاهل ويعملُ العاملُ، ويتنبَّه الساهى ويتذكَّرُ اللاهى، بشيرُ الثواب، ونذيرُ العقاب، وشفاءُ الصدور وجلاءُ الأمور، من فضائله أنه يُقرأ دائماً ويكتبُ ويُملى ولا يُمَلُّ. ما أهون الدنيا على مَنْ جعل القرآن إمامه، وتصورَ الموتَ أمامه، طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ومفتاح لُبه. من حقَّ القرآن حفظُ ترتيبه وحسنُ ترتيله..

10- يقول تعالى لرسوله ﷺ مينا له عظمة القرآن { كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ }⁽¹⁾.. [به]

كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية والمقاصد الشرعية، محكما مفصلا. { فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ }⁽²⁾.. أى: ضيق وشك واشتباه. بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد، وأنه أصدق الكلام، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلينشرح له صدرك ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامره ونواهيه ولا تخش لائها ومعارضها. { لَتُنذِرَ بِهِ }⁽³⁾..

(1) سورة الأعراف آية 2.

(2) سورة الأعراف آية 2.

(3) سورة الأعراف آية 2.

الخلق وتعظهم وتذكرهم فتقوم الحجة على المعاندين. وليكن { ذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ }⁽¹⁾.. كما قال تعالى { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }⁽²⁾.. يتذكرون به الصراط المستقيم وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد وبين سلوكه. ثم خاطب الله العباد ولفث [انتباههم] إلى الكتاب فقال { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ }⁽³⁾..

أى: الكتاب الذى أنزل لأجلكم، وهو: الذى إن اتبعتموه، تمت عليكم النعمة، وهديتهم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها، [وفرتهم فى الدنيا والآخرة] { وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ }⁽⁴⁾.. أى: تتولونهم وتتبعون أهواءهم وتتركون لأجلها الحق. { قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ }⁽⁵⁾.. فلو تذكركم وعرفتم المصلحة، لما أثرتم الضار على النافع. ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءهم به رسلهم، [حتى] لا يشابهونهم فقال تعالى { وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ }⁽⁶⁾.. أى: عذابنا الشديد فى حين غفلتهم، لم يخطر الهلاك على قلوبهم. فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التى كانوا يرجونهم، ولا أنكروا [عليهم] ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصى { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }⁽⁷⁾.. كما قال تعالى { وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْئَارِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * }

(1) سورة الأعراف آية 2.

(2) سورة الذاريات آية 55.

(3) سورة الأعراف آية 3.

(4) سورة الأعراف آية 3.

(5) سورة الأعراف آية 3.

(6) سورة الأعراف آية 4.

(7) سورة الأعراف آية 5.

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِئِينَ⁽¹⁾ ..
 وقوله وتعالى { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ⁽²⁾ } .. أى لنسألن الأمم
 الذين أرسل الله إليهم المرسلين عما أجابوا رسلهم { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ
 الْمُرْسَلِينَ⁽³⁾ } .. الآيات. (وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به
 به أهمهم. { فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ⁽⁴⁾ } .. أى على الخلق كلهم، ما عملوا { بِعِلْمٍ } منه تعالى
 لأعمالهم { وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ⁽⁵⁾ } .. فى وقت من الأوقات. كما قال تعالى { أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ
 وَنَسُوهُ⁽⁶⁾ } .. وقال تعالى { وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ⁽⁷⁾ } .. وقال تعالى { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
 يُؤْتَىٰ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ⁽⁸⁾ } ..

11. يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن وجلالته وعمومه [وعلمومه] وأنه صَرف فيه
 من كل مثل، أى من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق
 يعصم من الشر والهلاك. ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب
 والترهيب والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقاداً وطمأنينة ونورا، وهذا مما يوجب
 التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له فى أمر من الأمور..

(1) سورة الأنبياء الآيات 11/15.

(2) سورة الأعراف آية 6.

(3) سورة القصص آية 65.

(4) سورة الأعراف آية 7.

(5) سورة الأعراف آية 7.

(6) سورة المجادلة آية 6.

(7) سورة المؤمنون آية 17.

(8) سورة الأعراف الآيات 8/9.

12. قوله تبارك وتعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ }⁽¹⁾ .. [أى] (مُهَيِّمًا) على كل كتاب قبله. وعن الحسن قال: مصدقا بهذه الكتب وأميناً عليها..

13. وقال ﷺ: إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا⁽²⁾..

14. وقال الحسن [البصرى ؓ]: والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة..

15. وعن أبي سعيد الخدري ؓ: أن النبي ﷺ قال: كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض..

16. وعنه ﷺ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو جبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيع به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء ولا يشعب منه العلماء، ولا يملأه الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا }⁽³⁾.. من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم⁽⁴⁾..

(1) سورة المائدة آية 48.

(2) أخرجه الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف.

(3) سورة الجن آية 1.

(4) أخرجه الترمذى.

17- وروى عنه ﷺ أنه قال في آخر خطبة خطبها وهو مريض: أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين، إنه لن تعمى أبصاركم، ولن تضل قلوبكم، ولن تنزل أقدامكم، ولن تقصر أيديكم. كتاب الله سبب بينكم وبينه، طرفه بيده وطرفه بأيديكم، فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه،... إلى آخر الحديث..

* * *

الفصل الثالث

بعض ما جاء فى فضائل القرآن الكريم

18- من فضل القرآن: أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق. كلام من ليس كمثله شىء وصفة من ليس له شبيه ولا ندُّ، فهو من نور ذاته جل وعز، ولولا أنه سبحانه جعل فى قلوب عباده من القوة على حمله، ليتدبروه وليعتبروا به وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته وأداء حقوقه وفرائضه لضعفت [العقول والقلوب والأجسام] ولاندكت بثقله ولتضعضعت له، وأنى تطيقه وهو يقول وقوله الحق { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }⁽¹⁾.. فأين قوة القلوب من قوة الجبال؟ ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله، ما شاء أن يرزقهم، فضلا منه ورحمة..

19- قال ﷺ: عليكم بالقرآن فاتخذوه إماما وقائدا، فإنه كلام رب العالمين، الذى هو منه وإليه يعود، فآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله⁽²⁾..

فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الرحمن على سائر خلقه⁽³⁾..

عن ابن مسعود ؓ: القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار⁽⁴⁾..

عن الحكم بن عمير: تبرك بالقرآن فهو كلام الله⁽⁵⁾..

(1) سورة الحشر آية 21.

(2) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2300 ابن شاهين فى السنة وابن مردويه.

(3) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2301 فى معجمه وهب عن أبى هريرة.

(4) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2306.

(5) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2326.

عن أنس رضي الله عنه: مع كل ختمة دعوة مستجابة⁽¹⁾..
عن أنس: القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه⁽²⁾..
من أعطاه الله حفظ كتابه، فظن أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد غمط أفضل
النعمة⁽³⁾..
من جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت⁽⁴⁾..
ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت
عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده⁽⁵⁾..
من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول لكم ألم
حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف⁽⁶⁾..
20. وقال عليه السلام: ما من شفيح أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن، لا نبي ولا ملك
ولا غيره⁽⁷⁾..
21. وكان مالك بن دينار يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن
ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض..
وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان. قال تعالى {هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} ⁽⁸⁾..

(1) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2314.

(2) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2307.

(3) عن رجاء الغنوي مرسلًا،، كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2317.

(4) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2318 عن أنس.

(5) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2320 عن أبي هريرة.

(6) كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2322 عن ابن مسعود.

(7) رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلًا وللطبراني من حديث ابن مسعود.

(8) سورة الإسراء آية 82.

الفصل الرابع

ما جاء فى فضل تفسير القرآن الكريم وأهله

معنى كلمة تفسير فى اللغة:

22- الفُسْرُ: البيان. فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ، فَسَّرًا، وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ، وَالتَّفْسِيرُ مثله. قال ابن الأعرابى: التَّفْسِيرُ والتَّأْوِيلُ بمعنى واحد. وقوله تعالى { وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا }⁽¹⁾.. [وقيل]: الفُسْرُ: كشف المَغْطَى، وَالتَّفْسِيرُ كشف المُرَادِ عن اللفظ المُشْكِل. وَاسْتَفْسَرْتُهُ كَذَا أَيْ سَأَلْتُهُ أَنْ يُفَسِّرَهُ لى. وكل شَيْءٍ يُعْرَفُ بِهِ تَفْسِيرُ الشَّيْءِ وَمَعْنَاهُ، فَهُوَ تَفْسِيرُهُ..

معنى كلمة تأويل فى اللغة:

التأويل: ردُّ أَحَدِ الْمُحْتَمَلِينَ إِلَى مَا يَطَابِقُ الظَّاهِرَ. الْأَوَّلُ: الرجوع. آلَ الشَّيْءِ يُوَوِّلُ أَوَّلًا وَمَآلًا: رَجَعَ. وَأَوَّلَ إِلَيْهِ الشَّيْءُ: رَجَعَهُ. وَأُلْتُ عَنْ الشَّيْءِ: ارْتَدَدْتُ. وَقِيلَ: وَأَوَّلَ الْكَلَامَ وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ، وَأَوَّلَهُ وَتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ. وقوله عز وجل { وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ }⁽²⁾.. أَيْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ عِلْمُ تَأْوِيلِهِ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ التَّأْوِيلِ يَنْبَغى أَنْ يَنْظَرَ فِيهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَمْ يَأْتِهِمْ مَا يُؤَوِّلُ إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ فِي التَّكْذِيبِ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَدَلِيلٌ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ }⁽³⁾..

وفى الحديث: اللهم فَقِّهْهُ فى الدين وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ، قال ابن الأثير: هو من آلَ الشَّيْءِ يُوَوِّلُ إِلَى كَذَا أَيْ رَجَعَ وَصَارَ إِلَيْهِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ نَقْلُ ظَاهِرِ الْفَلْظِ عَنْ وَضْعِهِ الْأَصْلِيِّ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لَوْلَاهُ مَا تُرِكَ ظَاهِرُ الْفَلْظِ. وَسُئِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ التَّأْوِيلِ فَقَالَ: التَّأْوِيلُ وَالتَّفْسِيرُ وَاحِدٌ. قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: يَقَالُ أُلْتُ الشَّيْءَ أَوَّلُهُ إِذَا جُمِعَتْهُ

(1) سورة الفرقان آية 33.

(2) سورة يونس آية 39.

(3) سورة يونس آية 39.

وأصلحته فكان التأويل جمع معانى ألفاظ أشككت بلفظ واضح لا إشكال فيه. وقال بعض العرب: أول الله عليك أمرَك أى جمعه، وإذا دَعَوْا عليه قالوا: لا أولَ الله عليك شَمَلَك. ويقال: تأوَلت في فلان الأَجَرَ إذا تَحَرَّيته وطلبتَه [قال] الليث: التأوُل والتأويل تفسير الكلام المختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه [يقول] عز وجل { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ } ⁽¹⁾.. قال أبو إسحاق: معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، وتأويل هو قوله تعالى { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } ⁽²⁾.. أى لا يعلم متى يكون أمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله. وقال غيره: أعلم الله جَلَّ ذكره أن في الكتاب الذى أنزله آيات محكمات هن أم الكتاب لا تشابه فيه فهو مفهوم معلوم، وأنزل آيات أخر متشابهات تكلم فيها العلماء مجتهدين وهم يعلمون أن اليقين الذى هو الصواب لا يعلمه إلا الله وذلك مثل المشكلات التى تختلف المتأولون فى تأويلها وتكلم فيها من تكلم ما أدّاه الاجتهاد إليه قال: وإلى هذا مال ابن الأنباري.

وقال أبو عبيد: التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أى صار إليه. [قال] الجوهري: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلاً و تأوَلته بمعنى، والتأويل: عبارة الرؤيا. وفي التنزيل العزيز { هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ } ⁽³⁾.. وآل ماله يؤوله إيالة إذا أصلحه وسأسه..

23. [وقيل أيضاً]: التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان تقول: فسرت الشيء بالتخفيف أفسره فسراً وفسرته بالتشديد أفسره تفسيراً إذا بينته، وأصل الفسر نظر الطبيب إلى الماء ليعرف العلة، واختلفوا فى التفسير والتأويل، قال أبو عبيدة وطائفة: هما بمعنى

(1) سورة الأعراف آية 53.

(2) سورة آل عمران آية 7.

(3) سورة يوسف آية 100.

[واحد] و فرق بينهما آخرون. فقال أبو عبيد الهروي: التأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.

وقيل: التأويل إبداء احتمال اللفظ معترض بدليل خارج عنه ومثل بعضهم بقوله تعالى { لَا رَيْبَ فِيهِ }⁽¹⁾.. قال: من قال: لا شك فيه فهو التفسير، ومن قال: لأنه حق في نفسه لا يقبل الشك فهو التأويل.

24. وقال البغوى والكواشى: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتملها الآية، غير مخالف للكتاب والسنة، غير محذور على العلماء بالتفسير كقوله تبارك وتعالى {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}⁽²⁾.. قيل: شبابا وشيوخا وقيل: أغنياء وفقراء. وقيل: نُشَاطا أو غير نُشَاط. وقيل: أصحاء ومرضى، وكل ذلك سائغ والآية تحتمله. وأما التأويل المخالف للآية والشرح فمحذور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض [الشيعية] قوله تعالى {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ}⁽³⁾.. أنهما على وفاطمة! {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}⁽⁴⁾..

يعنى الحسن والحسين!

وينقسم تفسير القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: علم ما لم يُطلع الله تعالى عليه أحدا من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه، من معرفة كُنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه.

[وما تطرق به تعالى من أمور الغيب، كعلم الساعة وما فى الأرحام والرزق والغيب والموت] والثانى: ما أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه عليه من أسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه، إلا له عليه الصلاة والسلام أو لمن أذن [الله] له. قيل: وأوائل السور من هذا القسم.

(1) سورة البقرة آية 2.

(2) سورة التوبة آية 41.

(3) سورة الرحمن آية 19.

(4) سورة الرحمن آية 22.

والثالث: علوم علّمها الله تعالى نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية، وأمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين: منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقرآن واللغات وقصص الأمم وأخبار ما هو كائن.

ومنه: ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ وهو قسمان:

قسم اختلفوا في جوازه: وهو تأويل الآيات المتشابهات. وقسم اتفقوا عليه: وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية، لأن مبناها على الأقيسة. وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك وما عدا هذه الأمور، ما هو كائن.

التفسير بالرأى الذى تُهى عنه وفيه خمسة أنواع:

الأول: التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها.

التفسير الثانى: تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

التفسير الثالث: المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له،

فيرد إليه بأى طريق أمكن وإن كان ضعيفاً.

التفسير الرابع: التفسير بأن مراد الله سبحانه وتعالى كذا على القطع من غير دليل.

التفسير الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى..

25. أخرج الدارمى فى مسنده ونصر المقدسى فى الحجة، عن سليمان بن يسار أن

رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن! فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد

أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر،

فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمی رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين

حسبك، قد ذهب الذى كنت أجد فى رأسى.

[وفى قول آخر]: أخرج الدارمى عن نافع: أن صبيغا العراقى جعل يسأل عن أشياء

من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر! فبعث به عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر بن

الخطاب ﷺ فلما أتاه، أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبره، ثم تركه حتى برئ ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود له، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلى فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد - والله - برأت. فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين..

وقيل: تفسير القرآن على أربعة وجوه:

تفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال أو حرام، وتفسير تعرفه العرب بلغتها، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله. من ادعى علمه فهو كاذب. وأخرج ابن جرير، قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب..

الاختلاف في من له الحق في التفسير:

26. اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي ﷺ في ذلك.

27. [ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن]: كملت فيه آلات التفسير، وهي خمسة عشر علما: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمرسح هل هو من السياحة أو المسح، والمعاني والبيان والبديع والقراءات الأصلية، وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم، وبعض هذه العلوم كان موجودا عند السلف بالفعل، وبعضها بالطبع من غير تعلم، فإنه مأجور بخوضه فيه وإن أخطأ لأنه لا تعدى منه، فكان مأجورا أجرين كما في رواية أو عشرة

أجور كما في أخرى إن أصاب، وأجرا إن أخطأ كالمجتهد في الأحكام، لأنه بذل وسعه في طلب الحق واضطره الدليل إلى ما رآه، فلم يكن منه تقصير بوجه الكتاب والسنة عن ظاهره من غير اعتصام فيه، بنقل من الشارع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل عقلي. ونقل الطيبي عن التوربشتي: أن المراد بالرأى ما لا يكون مؤسسا على علوم الكتاب والسنة، بل يكون قولاً تقوّله برأيه على ما يقتضيه عقله. وعلم التفسير يؤخذ من أفواه الرجال كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، ومن أقوال الأئمة وتأويلاتهم بالمقاييس العربية، كالحقيقة والمجاز والمجمل والمفصل والعام والخاص، ثم يتكلم على حسب ما تقتضيه أصول الدين، فيأول القسم المحتاج إلى التأويل على وجه يشهد بصحته ظاهر التنزيل، فمن لم يستجمع هذه الشرائط، كان قوله مهجورا وحسبه من الزاجر أنه مخطئ عند الإصابة، فما أبعد ما بين المجتهد والمتكلف، فالمجتهد مأجور على الخطأ [غير المتعمد]، والمتكلف مأخوذ بالصواب كذا في المرقاة..

28. عن زيد بن الحباب قال: سمعت الثوري يقول: خذوا تفسير القرآن عن أربعة: عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك..

29. عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أنه لا رأى لأحد في كتاب الله وإنما رأى الأئمة فيما [لم] ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله، ولا رأى لأحد في سنة سنّها رسول الله.

وحدثنا عبيد الله بن عمر رضي الله عنه، أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خطب فقال: يا أيها الناس، إن الله [لن] يبعث نبياً بعد نبيكم ولم [ولن] يُنزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتاباً، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة. ألا وإنني لست بقاضٍ ولكني منفّضٌ ⁽¹⁾ ولست بمبتدع ولكني متبع، ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملاً، وإنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله، ألا هل أسمعتم..

(1) [النَّفْضُ: أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِكَ شَيْئاً فَتَنْفُضَهُ تَرْعُزُهُ وَتُرْتِيْرُهُ وَتَنْفُضُ التَّرَابَ عَنْهُ وَالتَّنْفُضُ تَبْصُرُ الطَّرِيقَ].

30. عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤون القرآن ويجهلون في العبادة، يشتغلون بأهل البدع، يشركون من حيث لا يعلمون، يأخذون على قراءتهم، وعليهم الوزر، يأكلون الدنيا بالدين، هم أتباع الدجال الأعور.

قلت: يا رسول الله، كيف ذاك وعندهم القرآن؟! قال: يحرفون تفسير القرآن على ما يريدون كما فعلت اليهود، حرفوا التوراة، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون..

31. ما جاء في فضل التفسير عن بعض الصحابة والتابعين:

قال مجاهد: أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل. وقال الحسن [البصري]: والله ما أنزل الله آية، إلا أحب أن يعلم فيها أنزلت وما يعنى بها. وقال الشعبي: رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية، ف قيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها. وقال عكرمة في قوله عز وجل { وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ } ⁽¹⁾.. طلبت اسم هذا الرجل [الذي أنزل الله فيه قوله هذا] أربع عشرة سنة حتى وجدته. وقال ابن عبد البر: هو ضمرة بن حبيب..

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة:

32. فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير، ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وكسعيد بن جبر وعكرمة وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين

(1) سورة النساء آية 100.

في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً، فيحكيها أقوالاً، وليس [الأمر] كذلك. فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادي.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك..

33. عن مسلم قال: سمعت مسروقاً يقول: ما نسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن شيء، إلا وجدناه في كتاب الله، إلا أن رأينا يقصر عنه..

التحذير بالنار من التفسير بالرأى:

34. فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، لما رواه محمد بن جرير رحمه الله تعالى حيث قال: عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار⁽¹⁾.

35. قوله عليه الصلاة والسلام: من قال في القرآن بغير علم، أي بغير دليل يقيني أو ظني نقلي أو عقلي مطابق للشرع قاله القارئ. وقال المناوي: أي قولاً يعلم أن الحق غيره وقال: في مشكله بما لا يعرف..

36. عن جندب: قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ. قال البيهقي: وهذا أصح. فإنما أراد والله أعلم الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه فمثل هذا الرأي لا يجوز الحكم به في النوازل فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به.

(1) أخرجه الترمذي 2950 والنسائي قرآن 109 من طرق عن سفيان ورواه أبو داود تحفة 5543 عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى به وقال الترمذي هذا حديث حسن.

وأما الرأى الذى يسنده برهان فالحكم به فى النوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز وهذا هو المعنى أيضا فيما روى [عن خليفة رسول الله] أبى بكر الصديق رضي الله عنه فى ذلك..

37. [وفى قول آخر] قيل: من قال فى القرآن، أى فى لفظه أو معناه برأيه، أى بعقله المجرد فأصاب، أى ولو صار مصيبا بحسب الاتفاق، فقد أخطأ، أى فهو مخطئ بحسب الحكم الشرعي. قال ابن حجر: أى أخطأ طريق الاستقامة بخوضه فى كتاب الله بالتخمين والحدس، لتعديه بهذا الخوض مع عدم استجماعه لشروطه، فكان إثما به مطلقا ولم يُعتدّ بموافقته للصواب لأنها ليست عن قصد ولا تحرّ.

وقال النيسابورى: ذكر العلماء أن النهى عن تفسير القرآن بالرأى، لا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمر آخر. وباطل أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة رضى الله عنهم، قد فسروا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه. وإنما النهى يُحمل على وجهين:

أحدهما، أن يكون له فى الشئ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه، فيأوّل القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، ليلبس على خصمه.

الوجه الثانى، أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير..

الخوف من التفسير بالرأى:

38. عن عبد الله بن مسعود قال: القرآن كلام الله، فمن قال فليعلم ما يقول. فإنما

يقول على الله عز وجل..

39. قال مسلم بن يسار: إذا حدثت عن الله حديثا، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده..

40. عن معمر بن سليمان عن أبيه أنه قال: كانوا يكرهون تفسير حديث رسول الله ﷺ بأرائهم، كما يكرهون تفسير القرآن برأيهم..
41. عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يكرهون أن يتكلموا في تفسير القرآن ويهابونه..
42. حدثنا مروان الأصغر قال: كنت عند سعيد بن جبيرة رضي الله عنه جالسا، فسأله رجل عن آية من كتاب الله، فقال سعيد: الله أعلم. فقال الرجل: قل فيها أصلحك الله! فقال: أقول في كتاب [الله] برأى؟! فرددها مرتين أو ثلاثا ولم يجبه بشيء..
43. عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه..
- عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} (1) فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.. [هذا قول أبي بكر رضي الله عنه صديق الأمة وخليفة نبيها ورسولها، شهد التنزيل وعلم فيها أنزل، وعان وصاحب وصدق وصاهر الرسول ﷺ. توفي رضي الله عنه أن يقول في آية بالقرآن الكريم برأيه، مخافة أن لا يصيب ما عنى الله وأراد؛ فيهلك. فما بالكم بمن يفسرون السور كاملة في دقائق! أهم أعلم منه أم أكثر إيمانا وتقى ودينا؟!]..
44. عن هشام بن عروة عن أبيه، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن، إلا آيا تُعد، علمهن إياه جبريل عليه السلام..
45. وعن محمد بن سيرين قال: سألت عبدة السلماني عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيها أنزل من القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد.
- وعن عمرو بن مرة قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن آية من القرآن.
- وعن صالح بن مسلم قال: حدثني رجل عن الشعبي قال: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن، والروح، والرأى، وما أشبه ذلك من الأخبار..

(1) سورة عبس آية 31.

46. وقال الهيثم بن خارجة: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفة والرؤية والقرآن، [فقالوا]: امروها [أى مروها] كما جاءت بلا كيف..

47. عن الوليد بن مسلم قال: جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن، فقال: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا إِلَّا مَا قَمَتَ عَنِّي..

عن أنس قال: كنا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وفي ظهر قميصه أربع رقاع! فقرأ { وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } ⁽¹⁾.. فقال: ما الأبُّ؟ ثم قال: إن هذا هو التكلف فما عليك أن لا تدريه. وهذا كله محمول على أنه رضي الله عنه إنما أراد استكشاف علم كيفية الأبِّ، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله تعالى { فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا } ⁽²⁾.. وقال مالك: عن ابن المسيب، أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: إنا لا نقول في القرآن شيئا. وعن يحيى بن سعيد: عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقال يزيد بن أبي يزيد: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن، سكت كأن لم يسمع..
عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رجلا أتاه يسأله عن { أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا } ⁽³⁾.. قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فأخبرني بما قال لك، قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال: كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: صدق هكذا كانت..

(1) سورة عبس آية 31.

(2) سورة عبس الآيات 27 / 28.

(3) سورة الأنبياء آية 30.

وعن عبيد الله بن عمر رضي الله عنه قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع.

وعن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي تأوّل آية من كتاب الله قط.

وعن عبد الله بن أبي السفر، قال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل.

وعن الشعبي عن مسروق قال: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن (الله).

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، السكوت عما لا علم له به والقول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى { لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ لَا تَكْتُمُونَهُ }⁽¹⁾..

ولما جاء في الحديث الذي روى من طرق: من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار⁽²⁾..

* * *

(1) سورة آل عمران آية 187.

(2) [تفسير الطبري ج 2 ص 53].

الفصل الخامس

ما جاء فى ما يلزم قارئه من تعظيمه وحرمة

48. قال أبو عمر: عن النبى ﷺ أنه قال: من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط وذى الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه. وقال الترمذى: من حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهراً. ومن حرمة: أن لا يقرأه [إلا] وهو على طهارة. ومن حرمة: أن يستاك ويتخلل فيطيب فاه [قبل قراءته]، إذ هو طريقه. قال يزيد بن أبى مالك: إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم. ومن حرمة: أن يتلبس [له] كما يتلبس للدخول على الأمير لأنه مناج [ربه]. ومن حرمة: أن يستقبل القبلة لقراءته. وكان أبو العالية إذا قرأ، ارتدى واعتَمَّ واستقبل القبلة. ومن حرمة: أن يتمضمض كلما تنخع. ومن حرمة: إذا ثأب، أن يمسك [عن] القراءة، لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج، والثأب من الشيطان. قال مجاهد: إذا ثأبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القرآن تعظيماً حتى يذهب ثأؤبك. وقاله عكرمة: إن فى ذلك الفعل إجلالاً للقرآن. ومن حرمة: أن يستعيز بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرحيم، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ. ومن حرمة: إذا أخذ فى القراءة لم يقطعها ساعة بكلام الأدميين من غير ضرورة. ومن حرمة: أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذى استعاذ فى البدء. [لانشغال ذهنه]. ومن حرمة: أن يقرأه على تودة وترسيل وترتيل [بصوت جميل].

ومن حرمة: أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به.

ومن حرمة: أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله. وأن يقف على آية الوعيد فيستجير بالله منه.

ومن حرمة: أن يقف على أمثاله فيمتثلها.

ومن حرمة: أن يلتبس غرائب.

ومن حرمة: أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، فإن له بكل حرف عشر حسنات.

ومن حرمة: إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ثم يدعو بدعوات. [أو يقول: صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. ثم يدعو بجلب خير أو دفع ضرر].

ومن حرمة: إذا قرأه ألا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها، فإنه روى لنا عن رسول الله ﷺ: أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً، فأمره أن يقرأ السورة كلها.

ومن حرمة: إذا وضع المصحف ألا يتركه منشوراً، وألا يضع فوقه شيئاً حتى يكون أبداً عالياً.

ومن حرمة: أن يضعه في حجره إذا قرأ أو على شيء بين يديه [ولا يضعه على الأرض إجلالاً له بل يضعه أبداً في مكان مرتفع بعيداً عن عبث الأطفال].

ومن حرمة: ألا يمحوه من اللوح [بريقه] ولكن يغسله بالماء.

ومن حرمة: إذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من المواضع والمواقع التي توطأ فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته.

ومن حرمة: ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء. [أو يحرقها ويدفن رمادها في باطن الأرض].
ومن حرمة: ألا يخلى يوما من أيامه من النظر في المصحف مرة، وكان أبو موسى يقول: إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة.

ومن حرمة: أن يعطى عينيه حظها منه فإن العين تؤدي إلى النفس وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنها يسمع أذنه فتؤدي إلى النفس، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء وأخذت العين حظها كالأذن.

روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: أعطوا أعينكم حظها من العبادة، قالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه.

وعن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ: أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا.
ومن حرمة: ألا يتأوله عندما يعرض له شيء من أمر الدنيا، عن إبراهيم قال: يكره أن يتأول شيئا من القرآن عندما يعرض له شيء من أمر الدنيا، والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك: جئت على قدر يا موسى، ومثل قوله تعالى: كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية، هذا عند حضور الطعام وأشباه هذا.

ومن حرمة: ألا يتلى منكوسا، كفعل معلى الصبيان، يلتمس بذلك أحدهم أن يرى الخدق من نفسه والمهارة، فإن تلك مخالفة [وقلة عقل وبلاهة].

ومن حرمة: ألا يقعر في قراءته، كفعل هؤلاء المبتدعين المتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفا، فإن ذلك محدث ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه.

ومن حرمة: ألا يقرأه بالحن الغناء [كألحان] أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح [الرافضة] والرهبانية، فإن ذلك كله زيف.

ومن حرمة: أن يجلل تخطيطه إذا خطّه.

ومن حرمة: ألا يجهر بعض على بعض في القراءة.

ومن حرمة: ألا يقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغو واللغو ومجمع السفهاء، ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا { مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } ⁽¹⁾.. هذا لمروره بنفسه، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو ومجمع السفهاء!

ومن حرمة: ألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ولا يرمى به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله.

ومن حرمة: ألا يصغر المصحف، وروى عن رسول الله ﷺ: أنه نهى أن يقال: مُسَيِّجِدٌ أو مُصَيِّحِفٌ.

ومن حرمة: ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا، وروى مغيرة عن إبراهيم: أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رءوس الآي أو يصغر. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم، فالدبار عليكم.

ومن حرمة: ألا يخلط فيه ما ليس منه.

ومن حرمة: ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل به في المساجد المحدثّة. عن محمد بن الزبير قال: سمعت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يحدث قال: مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل: ما هذا؟ قال: من كتاب الله كتبه يهودي، فقال: لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه.

ومن حرمة: أنه إذا اغتسل بكتابته مستشفياً من سقم، ألا يصبه على كناسة ولا في موضع نجاسة ولا على موضع يوطأ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطؤه الناس أو

(1) سورة الفرقان آية 72.

يحفر حفيرة في موضع طاهر حتى ينصب [الماء] من جسده في تلك الحفيرة ثم يكبسها،
[أو يسقى به زرعاً] أو في نهر يختلط بمائه فيجرى.

ومن حرمة: أن يفتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور.
ومن حرمة: ألا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به في الخلاء إلا أن يكون في غلاف من
أدم أو فضة أو غيره، فيكون كأنه في صدرك.
ومن حرمة: إذا كتبه وشربه سمى الله على كل نفس وعظم النية فيه، فإن الله يؤتيه
على قدر نيته.

روى ليث عن مجاهد قال: لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض.
وعن أبي جعفر قال: من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم
يشربه.

قال هلال العيسى: [ومن حرمة: أن لا يزيد به حرفاً ولا ينقص منه حرفاً متعمداً].
[ومن حرمة: ألا يقرأ عند كافر أو فاسد أو ظالم أو مجاهر أو منافق أو مستهزئ، أو
يستشهد بآياته له، لتحسين تصرفاته أو أقواله أو أفعاله، أو لرفع خسيسته أمام الناس
ليروا منه ظاهر تدين يعلم الله منه عكس ذلك]..

49. عن أبي سعيد قال: مثل القرآن ومثل الناس، كمثل الأرض والغيث، بينما
الأرض ميتة هامة إذ أرسل الله عليها الغيث فاهتزت، ثم يرسل الواصل (المطر) فتتهز
وتربو، ثم لا يزال يرسل الأودية، حتى تبذر وتنبث ويزهو نباتها ويُخرج الله ما فيها من
زيبتها ومعاش الناس والبهائم، وكذلك فعل هذا القرآن بالناس..

50. أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى في ذكر منصور بن عمار، أنه أوتى الحكمة وقيل:
إن سبب ذلك، أنه وجد رقعة في الطريق مكتوبا عليها بسم الله الرحمن الرحيم فأخذها
فلم يجد لها موضعاً فأكلها، فأرى فيما يرى النائم، كأن قائلها يقول: قد فتح عليك باب
الحكمة، باحترامك لتلك الرقعة وكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة..

* * *

الفصل السادس

ما جاء فى آداب تلاوة قراءة القرآن الكريم

51. وهى عشرة:

الأول: فى حال القارئ: وهو أن يكون على الوضوء، واقعا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبلا القبلة مطرقا رأسه. فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك. قال الله تعالى { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }⁽¹⁾.. فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا.

فمن قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات. وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو ذر الغفارى رضي الله عنه: إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل.

الثانى: فى مقدار القرآن: وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار فمنهم من يجتم القرآن فى اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث. ومنهم من يجتم فى الشهر مرة، وأولى ما يرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه⁽²⁾...

(1) سورة آل عمران آية 191.

(2) الحديث أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل.

وقد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها، لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا: إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت. وأمر النبي ﷺ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع. حديث متفق عليه.

وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب. ففي الختم أربع درجات، الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة، والختم في كل شهر كل يوم جزءاً من ثلاثين جزءاً وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار، وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث.

والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته. فإن الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار..

الثالث: في وجه القسمة: أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب، فقد حَزَّب الصحابة رضى الله عنهم أحزابا، قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل⁽¹⁾.

وفي رواية للطبراني سألنا أصحاب رسول الله ﷺ: كيف كان رسول الله ﷺ يجزئ القرآن؟ فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا وإسناده حسن. فروى أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطله إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص،

(1) حديث تحزيب القرآن على سبعة أجزاء أخرجه ابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة.

وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، ويختتم ليلة الخميس. وابن مسعود كان يقسمه أقساماً لا على هذا الترتيب.

وقيل أحزاب القرآن سبعة: فالحزب الأول ثلاث سور. والحزب الثاني خمس سور. والحزب الثالث سبع سور. والرابع تسع سور. والخامس إحدى عشرة سورة. والسادس ثلاث عشرة سورة. والسابع المفصل من ق إلى آخره.

فهكذا حَزَبَه الصحابة رضى الله عنهم، وكانوا يقرءونه كذلك، وفيه خبر عن رسول الله ﷺ وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء، فما سوى هذا محدث. وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء.

الرابع: في الكتابة: يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها، فإنها تزيين وتبين وتصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه. وروى عن الشعبي وإبراهيم: كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك، وكانوا يقولون: جردوا القرآن. والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات، وحسماً وتشوقاً إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً، وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به، ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً، فكم من محدث حسن، كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضي الله عنه وأنها بدعة حسنة. إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها.

وبعضهم كان يقول: أقرأ من المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى، وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا: لا بأس به فإنه نور له. ثم أحدثوا بعده نقطا كباراً عند منتهى الآي فقالوا: لا بأس به يعرف به رأس الآية. ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح.

قال أبو بكر الهذلي: سألت الحسن [البصري] عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية، قال: أما إعراب القرآن فلا بأس به. وقال خالد

الحذاء: دخلت على ابن سيرين فرأيت يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط. وقيل: إن الحجاج [بن يوسف الثقفي، أمير العراق في عهد أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان] هو الذي أحدث ذلك، وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزائه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخرى.

الخامس: الترتيل: هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير، والترتيل معينٌ عليه. ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. أخرجه أبو داود والنسائي. حسن صحيح. وسئل مجاهد: عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً، إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله، فقال: هما في الأجر سواء.

واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن الأعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن، يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذمة والاستعجال.

السادس: البكاء: البكاء مستحب مع القراءة. قال رسول الله ﷺ: اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا⁽¹⁾.

وقال ﷺ: ليس منا من لم يتغن بالقرآن⁽²⁾.

وقال صالح المري: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: يا صالح هذه

القراءة فأين البكاء؟

وقال ﷺ: إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا⁽³⁾. ووجه إحضار الحزن، أن

يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل [مصيره و] تقصيره في

(1) الحديث أخرجه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد.

(2) الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة.

(3) الحديث أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

أوامره وزواجه فيحزن لا محالة ويبكى، فإن لم يحضره حزن وبكاء، فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب.

السابع: أن يراعى حق الآيات: فإذا مر بآية سجدة سجد، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد، إذا سجد التالي. ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة. وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي [سورة] الحج سجدتان، وليس في ص سجدة. وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض، وأكملة أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى {خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} ⁽¹⁾.. فيقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك. وإذا قرأ قوله تعالى {وَيَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} ⁽²⁾.. فيقول: اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك. وكذلك كل سجدة ويشترط في [السجود] شروط الصلاة، [من وضوء] وستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث. والمأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام، ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً.

الثامن: أن يقول في مبتدأ قراءته: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم {رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} ⁽³⁾.. وليقرأ قوله تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ⁽⁴⁾.. وسورة الحمد لله، وليقل عند فراغه من القراءة، صدق الله تعالى وبلغ رسول الله ﷺ اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم. وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر، وإذا مر بآية دعاء

(1) سورة السجدة آية 15.

(2) سورة الإسراء آية 109.

(3) سورة المؤمنون الآيات 97 / 98.

(4) سورة الناس آية 1.

واستغفار دعا واستغفر، وإن مر بمرجؤ سأل وإن مر بمخوف استعاذ. يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول: سبحان الله. نعوذ بالله. اللهم ارزقنا. اللهم ارحمنا.

قال حذيفة: صليت مع رسول الله ﷺ: فابتدأ سورة البقرة، فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية عذاب إلا استعاذ، ولا بآية تنزيه إلا سبح⁽¹⁾. فإذا فرغ قال ما كان يقول صلوات الله وسلامه عليه عند ختم القرآن: اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين⁽²⁾.

التاسع: في الجهر بالقراءة: ولا شك في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يُسمع نفسه، إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت، فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته. فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر، ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه ﷺ قال: فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية. وفي لفظ آخر: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة⁽³⁾.

وفي الخبر العام: يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفاً⁽⁴⁾.

وفي الخبر أيضاً: لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء⁽⁵⁾.

(1) الحديث أخرجه مسلم مع اختلاف لفظ.

(2) الحديث رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشئائل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلاً.

(3) الحديث أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر.

(4) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وكذلك قوله ﷺ: خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي.. الحديث أخرجه أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص.

(5) الحديث رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف.

وسمع سعيد بن المسيب ؓ ذات ليلة في مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز ؓ يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت، فقال لغلامه: اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: يا أيها المصلي، إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته، فلما سلم انصرف، وهو يومئذ أمير المدينة!

ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبي ﷺ سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك. الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله فلاناً... الحديث. ومن حديث أبي موسى قال رسول الله ﷺ: لو رأيته وأنا أسمع قراءتك البارحة... الحديث. ومن حديثه أيضاً: إنما أعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن.. الحديث (1).

وقد قال ﷺ: إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة، فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته (2).

ومر ﷺ بثلاثة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الأحوال، فمر على أبي بكر ؓ وهو يخافت، فسأله عن ذلك فقال: إن الذي أناجيهِ هو يسمعي.

ومر على عمر ؓ وهو يجهر، فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان. ومر على بلال ؓ وهو يقرأ آية من هذه السورة وآية من هذه السورة، فسأله عن ذلك فقال: أخلط الطيب بالطيب فقال ﷺ: كلكم قد أحسن وأصاب.. الحديث، فالوجه في

(1) الحديث في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) الحديث رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع.

الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش على مصلّ آخر فالجهر أفضل، لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره، فالخير المتعدى أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم، فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطالاً غافلاً فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة، فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل. وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور. ولهذا نقول: قراءة القرآن في المصاحف أفضل، إذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه. وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما، فكان كثير من الصحابة يقرؤون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف.

العاشر: تحسين القراءة وترتيلها: ترديد الصوت من غير تمطيط مفراط يغير النظم فذلك سنة، قال عليه السلام: زينوا القرآن بأصواتكم⁽¹⁾. وقال عليه السلام: ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن⁽²⁾. وقال عليه السلام: ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن. فقيل: أراد به الاستغناء، وقيل: أراد به الترجم وترديد الألفاظ به وهو أقرب عند أهل اللغة. [[والتغنّي بالقرآن بحسن الصوت، لا شك [في] أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترجم، أكثر من ميلها لمن

(1) الحديث أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب.

(2) الحديث من أبي هريرة بلفظ: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنّى بالقرآن. زاد مسلم لنبي حسن الصوت. وفي رواية له: كإذنه لنبي يتغنّى بالقرآن.

لا يترنم لأن [الترنم له] تأثير في رقة القلب وإجراء الدمع، وبين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك]]⁽¹⁾..

وروى أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه، فقال ﷺ: ما حبسك؟ قالت: يا رسول الله، كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال ﷺ: هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله⁽²⁾.

واستمع ﷺ أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، فوقفوا طويلا ثم قال ﷺ: من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد⁽³⁾.

وقال ﷺ لابن مسعود: اقرأ على، فقال: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال ﷺ: إني أحب أن أسمع من غيرى. فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان⁽⁴⁾.

واستمع ﷺ إلى قراءة أبى موسى فقال: لقد أوتى هذا من مزامير آل داود، فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبّرت لك تحييرا⁽⁵⁾.

ورأى هيثم القارئ رسول الله ﷺ فى المنام قال: فقال لى: أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله خيرا.

(1) انظر فتح الباري ج 9 ص 72.

(2) الحديث أخرجه أبو داود من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات.

(3) الحديث أخرجه أحمد والنسائي فى الكبرى من حديث عمر والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود: أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ قال: من أحب أن يقرأ القرآن... الحديث. قال الترمذى حسن صحيح.

(4) الحديث. متفق عليه من حديث ابن مسعود.

(5) الحديث متفق عليه من حديث أبى موسى.

وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى: ذكّرنا ربنا، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة، فيقول رضي الله عنه: أولسنا في صلاة؟ إشارة إلى قوله عز وجل { وَلَذِكُرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } (1) ..

وقال رضي الله عنه: من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل، كانت له نورا يوم القيامة. وفي الخبر كتب له عشر حسنات (2) .. ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه، كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع.

لذا: يجب التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التأثر. فعظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه، في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه، وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر. إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه، كما لم يطق الجبل مبادئ تجليه حيث صار دكا. ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرائيلي عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته، لا بقوته وطاقته.

فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وإن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال

(1) سورة العنكبوت آية 45.

(2) الحديث أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة: من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة، وفيه ضعف وانقطاع.

{ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ }⁽¹⁾.. وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا، فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب، إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس المصحف كل يد، فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب. وكان عكرمة بن أبي جهل ؓ إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربي هو كلام ربي.

فتعظيم كلام [القرآن] تعظيم المتكلم [أى: الله سبحانه]، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله، فإذا حضر بباله [الله وصفاته] والعرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم بفضله وإن عاقب فبعده وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى، وهذا غاية العظمة، فبالفكر في أمثال هذا، يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام [كلام رب العالمين].

ففى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر فى غيره؟ فقد قيل: إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيح ورياضا وخانات، فالميات ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصيره، والمسبحات عرائس القرآن، والحاميات ديباج القرآن، والمفصل رياضه، والخانات ما سوى ذلك. فإذا دخل القارئ الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس ولبس الديباج، وتنزه فى الرياض، وسكن غرف الخانات، استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره..

* * *

(1) سورة الواقعة آية 79.

الفصل السابع

ما جاء فى فضائل تلاوة القرآن الكريم وحامله

- 52- إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه، فليقرأ القرآن⁽¹⁾.
إذا ختم العبد القرآن، صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك⁽²⁾.
أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن⁽³⁾.
أفضل العبادة قراءة القرآن⁽⁴⁾.
تعلموا القرآن وافرؤوه وارقدوا، فإن مثل القرآن لمن تعلم فقرأه وقام به، كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه فى كل مكان، ومثل من تعلمه فیرقد وهو فى جوفه كمثل جراب أوكى (ملئ) بالمسك وشد فمه على مسك⁽⁵⁾.
اقرؤوا القرآن واعملوا به ولا تحفوا عنه ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به⁽⁶⁾.
إن عدد درج الجنة عدد آى القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن لم يكن فوقه أحد⁽⁷⁾.
أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمنى⁽⁸⁾.
إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين⁽⁹⁾.

-
- (1) عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2257.
(2) عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2257.
(3) عن أبى هريرة. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2260.
(4) عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2263.
(5) عن أبى هريرة. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2269.
(6) عن عبد الرحمن بن شبل. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2270.
(7) عن عائشة. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2272.
(8) عن ابن عمر. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2274.
(9) عن عمر. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2275.

إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب⁽¹⁾.
 إن ملكا موكل بالقرآن، فمن قرأ منه شيئا لم يقومه، قومه الملك ورفع⁽²⁾.
 إن لقارئ القرآن دعوة مستجابة، فإن شاء صاحبها عجلها فى الدنيا، وإن شاء أخرها
 إلى الآخرة⁽³⁾.
 إنكم لا ترجعون إلى الله بشىء أفضل مما خرج، يعنى القرآن⁽⁴⁾.
 أهل القرآن عرفاء أهل الجنة⁽⁵⁾.
 حملة القرآن أولياء الله، فمن عاداهم فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله⁽⁶⁾.
 خياركم من قرأ القرآن وأقرأ⁽⁷⁾.
 طوبى لمن يبعث يوم القيامة وجوفه محشو بالقرآن والفرائض والعلم⁽⁸⁾..
 53- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور⁽⁹⁾ القرآن،
 وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا
 أمورا لا ثقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها..

(1) عن ابن عباس. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2276.

(2) أبو سعيد السمان فى مشيخته والرافعى فى تاريخه عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2282.

(3) ابن مردويه عن جابر. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2281.

(4) فى المنتخب عن أبى ذر. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2287.

(5) الحكيم عن أبى أمامة. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2288.

(6) عن ابن عمر. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2295.

(7) عن ابن مسعود. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2297.

(8) عن أبى هريرة. كنز العمال ج 1 ص 257 رقم 2298.

(9) فليثور: أى لينقر عنه وليفكر فيه.

54. اعلّموا أنه من قرأ خمسين آية في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ بمائة آية في ليلة كتب من القانتين، ومن قرأ بمائتي آية في ليلة لم يحاجه القرآن تلك الليلة ومن قرأ بخمسة مائة آية في ليلة إلى ألف آية، أصبح وله قنطار من الجنة⁽¹⁾.

من قرأ القرآن فليسأل الله به. فإنه سيأتى أقوام يقرءون القرآن ويسألون به الناس⁽²⁾.

من قرأ القرآن كان حقا على الله أن لا يطعمه النار، ما لم يغفل به، ما لم يأكل به، ما لم يراء به، ما لم يدعه إلى غيره⁽³⁾.

من قرأ القرآن ظاهرا أو ناظرا حتى يختمه، غرس الله له به شجرة في الجنة، ولو أن غرابا أفرخ في ورقة منها ثم نهض يطير لأدركه الهرم قبل أن يقطع تلك الورقة من تلك الشجرة⁽⁴⁾.

من قرأ القرآن في سبعة، كتبه الله من المحسنين، ولا تقرؤوا في أقل من ثلاثة، فمن وجد منكم نشاطا فليجعله في حسن تلاوته⁽⁵⁾.

من قرأ القرآن في صلاة قائما كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه قاعدا كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة⁽⁶⁾.

(1) عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 266 رقم 2374.

(2) عن عمران بن حصين. كنز العمال ج 1 ص 267 رقم 2380.

(3) الديلمي عن أبي عتبة. كنز العمال ج 1 ص 268 رقم 2399.

(4) عن حذيفة عن ابن الزبير. كنز العمال ج 1 ص 269 رقم 2415.

(5) عن أبي الدرداء. كنز العمال ج 1 ص 269 رقم 2416.

(6) الديلمي عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 271 رقم 2427.

من شهد فاتحة الكتاب حين يستفتح كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله، ومن شهد خاتمته حين يختمه كان كمن شهد الغنائم حين تقسم⁽¹⁾.
إن الله تعالى لينصت للقرآن ويسمعه من أهله⁽²⁾.

إن بيوتات المؤمنين لمصابيح إلى العرش، يعرفها مقربو السموات السبع يقولون: هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن⁽³⁾..

55- عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه. يعنى اقرؤوه على نشاط منكم وخواطركم مجموعة، فإذا حصل لكم ملالة فاركوه، فإنه أعظم من أن يقرؤه أحد من غير حضور القلب⁽⁴⁾..
56- من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتى أفضل مما أوتى، فقد استصغر ما عظمه الله⁽⁵⁾..

57- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ: من قرأ آية من القرآن كان له درجة في الجنة ومصباح من نور.
عن زاذان أبي عثمان قال: سمعت أبا سعيد وأبا هريرة يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة على كتيب من مسك أسود يوم القيامة، لا يهولهم الفزع ولا ينالهم الحساب:

-
- (1) عن أبي قلابة مرسلاً. كنز العمال ج 1 ص 271 رقم 2430.
(2) الديلمي عن ابن عمر. كنز العمال ج 1 ص 277 رقم 2485.
(3) الحكيم عن أبي الدرداء معاً. كنز العمال ج 1 ص 277 رقم 2481.
(4) أخرجه البخاري في الاعتصام عن إسحاق ومسلم في القدر عن يحيى بن يحيى وغيره والنسائي في فضائل القرآن عن عمرو بن علي وغيره.
(5) 1/ 273 الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف.

رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون. ورجل أذن في مسجد دعا إلى الله ابتغاء وجه الله. ورجل ابتلى بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن طلب الآخرة..

58. وقال ﷺ: خيركم من تعلم القرآن وعلمه⁽¹⁾.

وقال ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين⁽²⁾.

وقال ﷺ: أهل القرآن أهل الله وخاصته⁽³⁾.

وقال ﷺ: لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته⁽⁴⁾.

قال أبو أمامة الباهلي: اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه.

وقال أبو هريرة: إن البيت الذي يتلى فيه القرآن، اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين. وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

وقال أحمد بن حنبل: رأيت الله عز وجل في المنام فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

(1) أخرجه البخاري من حديث عثمان.

(2) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن غريب.

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس بإسناد حسن.

(4) أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه.

وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية، رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا.

وقال الفضيل [بن عياض]: من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه، ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته، ختم له بطابع الشهداء.

وقال رحمه الله: اقرأ القرآن ما نهاك، فإن لم ينهك فلست تقرأه⁽¹⁾..

59. وقال النبي ﷺ: من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره، أتاه ملك فعلمه في قبره، ويلقى الله تعالى وقد استظهره⁽²⁾..

60. من قرأ القرآن وحمد الرب وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير مكانه. ألا من اشتاق إلى الله، فليستمع كلام الله، فإن مثل القرآن كمثل جراب مسك أى وقت فتحه فاح ريحه⁽³⁾..

61. وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: مثل صاحب القرآن مثل جراب مملوء مسكا يفوح به كل مكان فأى جليس أفضل منه⁽⁴⁾..

62. إن أصغر البيوت بيت ليس فيه من كتاب الله شىء، فاقرؤوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول ألم ولكن ألف ولام وميم⁽⁵⁾..

(1) أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف.

(2) أبو الحسن بن بشران في فوائده وابن النجار عن أبي سعيد.

(3) الديلمي عن أبي هريرة.

(4) إبراز المعاني من حرز الأمان ج 1 ص 17.

(5) وهب عن ابن مسعود.

63. إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن⁽¹⁾.

ليس القرآن بالتلاوة ولا العلم بالرواية، ولكن القرآن بالهداية والعلم بالدراية⁽²⁾.
عن عائشة [أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وأرضاها]: الماهر بالقرآن مع السفرة البررة والذي يقرأه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران⁽³⁾..

64. عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قيل له: أى الناس أحسن قراءة؟ قال: الذى إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله..

65. وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن..

66. عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: أشرف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل⁽⁴⁾..

67. قال الفضيل بن عياض: بلغنى أن صاحب القرآن إذا وقف على معصية، خرج

القرآن من جوفه فاعتزل ناحية وقال: ألهذا حملتني؟ وهذا القول على سبيل المثل والتخويف من مواقعة المعاصي لمن يحفظ القرآن.

وعن أنس رضي الله عنه قال لى رسول الله ﷺ: يا ابن أم سليم، لا تغفل عن قراءة القرآن

صباحاً ومساءً، فإن القرآن يحى القلب الميت، وينهى عن الفحشاء والمنكر..

68. قال ابن عباس: أجير صاحب القرآن من الضلالة فى الدنيا والشقاء يوم

الحساب، ثم تلا {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} ⁽⁵⁾..

(1) عن ابن عمر. كنز العمال ج 1 ص 273 رقم 2441.

(2) الديلمى عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 275 رقم 2462.

(3) كنز العمال ج 1 ص 258 رقم 2266.

(4) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى. الترغيب والترهيب ج 1 ص 17 رقم 930.

(5) سورة طه آية 123.

69. وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: من أحب الله عز وجل أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبني [إلى آخر الحديث] ⁽¹⁾..

70. عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي ⁽²⁾..

71. حدثنا موسى بن أبي حبيب قال: سمعت الحكم بن عمير الثمالي، وكانت له صحبة يقول: قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه يسير لمن تبعه وطلبه. وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم، فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن. ومن تهاون بالقرآن وبحديثي خسر الدنيا والآخرة. وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمرى وتتبعوا سنتي، فمن رضى بقولي فقد رضى بالقرآن ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن. قال الله سبحانه { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ⁽³⁾..

72. وقال ابن الرماح: ندمت على استظهارى القرآن، لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة.

وقال القاسم بن عبد الرحمن: قلت لبعض النساء ما هاهنا أحد نستأنس به؟ فمد يده إلى المصحف ووضع على حجره، وقال: هذا..

73. وقال الحسن [البصري] رحمه الله: قُرَّاء القرآن ثلاثة: رجل اتخذ بضاعة فنقله من مصر إلى مصر، يطلب به ما عند الناس. ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدّر به الولاية واستطال به على أهل بلاده وقد كثر والله هذا الضرب من حملة القرآن (لا أكثرهم الله). [هذا كلام الحسن البصري رضي الله عنه الذى ولد فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا

(1) الأُمالي ج 1 ص 115.

(2) تفسير القرطبي ج 1 ص 275.

(3) سورة الحشر آية 7. تفسير الثعالبي ج 9 ص 277.

هو قائل عنهم لو بعثه الله في زماننا هذا؟!]. ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن، فوضعه على داء قلبه فسهر ليله وانهملت عيناه وتسربل بالخشوع وارتدى بالحزن، فبذاك وأمثاله يسقى الناس الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء. والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز وأقل من الكبريت الأحمر..

74- وقال عبد الله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لأن في جوفه كلام الله تعالى. وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاوت عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار. وينبغي له: أن يتواضع للفقراء ويتجنب التكبر والإعجاب ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء ويأخذ نفسه بالرفق والأدب. وينبغي له: أن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نمّ عنده ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويزينه ولا يشينه.

وينبغي له: أن يتعلم أحكام القرآن يفهم عن الله مراده وما فرض عليه فيتتبع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو فكيف يعمل بما لا يفهم معناه. وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلو ولا يدره، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا.

وينبغي له: أن يعرف المكي من المدني ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أول الإسلام وما زاد عليه من الفرائض في آخره، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل النسخ له.

ومن كماله: أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسهل عليه معرفة ما يقرأ ويزيل عنه الشك فيما يتلو.

وقال الضحاك في قوله تعالى {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ} (1).. قال: حقُّ على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيها.

قال ابن أبي الحواري: أتينا فضيل بن عياض، سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إن كان خارجا لشيء فسيخرج [لسماع] تلاوة القرآن فأمرنا قارئاً فقرأ، فاطلع علينا من كوة فقلنا: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السلام، فقلنا: كيف أنت يا أبا علي وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله في عافية ومنكم في أذى، إن ما أنتم فيه حدث في الإسلام فإننا لله وإننا إليه راجعون ما هكذا كنا نطلب العلم كنا نأتى المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم فنجلس ونسترق السمع، فإذا مر الحديث سألناهم إعادته وقيدناه وأنتم تطلبون العلم بالجهل وقد ضيعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون.

قلنا: قد تعلمنا القرآن، قال: إن في تعلمكم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم، قلنا: كيف يا أبا علي؟ قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه، إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (2).. قلت: فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهراً بالقرآن وعالماً بالفرقان، وهو قريب على من قربه عليه، ولا يتتفع

(1) سورة آل عمران آية 79.

(2) سورة يونس الآيات 57 / 58.

بشيء مما ذكرنا حتى يخلص النية فيه الله جل ذكره، عند طلبه أو بعد طلبه، فقد يبتدئ الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين أنه على خطأ في اعتقاده، فيتوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فينتفع بذلك ويحسن حاله.

قال الحسن [البصري]: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة.

وقال سفيان الثوري، وحبيب بن أبي ثابت: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية، ثم

جاءت النية [بفضل الله] بعد..

75. لحامل القرآن إذا عمل به فأحلَّ حلاله وحرم حرامه، شُفِّع في عشرة من أهل

بيته يوم القيامة كلهم قد وجبت له النار⁽¹⁾..

76. عن أبي الدرداء وإسناده حسن: فضل حملة القرآن على الذي لم يحمله كفضل

الخالق على المخلوق، فأفهم الناس من وهبه الله فهم كلامه ووعدى كتابه، ففى علمه يندرج كل علم من أصناف العلوم فيه تفصيل كل شيء. قال الحكيم: هذا فيمن حمل القرآن فأقامه على ما أنزل من ربه وعمل بأمره ونهيه ووعدده ووعدده، فإذا مر في تلاوته بذكر الجنة [دعى و] حنَّ إليها وعمل عليها للقاءه في داره والنظر إليه، وإذا مر بذكر النار التي هي سجنه [استعاذ بالله منها] وأشفى صدره من أعدائه لما أعد لهم، وإذا مر بذكر القرون فرأى نصرة الأولياء ونقمة الأعداء، فرح بنصرة الأولياء وشممت بنقمة الأعداء، وإذا مر بضرب الأمثال صار قلبه مرآة قد عاينت ما وصف له فكأنه مشاهده بقلبه فزاده إيماناً، وإذا مر بحججه الدامغة للباطل قوى بها وازدادت بصيرته، وإذا مر باللطائف وعلائم الرقة والرحمة ازداد علماً بالله وبمنازل العباد منه، وإذا مر بمحض التوحيد والفردية لهُم عن كل ما سواه وانفرد به تعلقاً بفرديته. فمن هذا شأنه فهو المراد هنا..

77. قال أبو عمر: حملة القرآن هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه، العاملون بها فيه..

(1) عن جابر كنز العمال ج 1 ص 260 رقم 2327.

78- عن أبي أمامة: لحامل القرآن دعوة مستجابة..

79- وقال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يخالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لنا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد الخلفاء فمن دونهم حاجة، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه، حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو، تعظيما لحق القرآن..

80- يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة⁽¹⁾.

يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها⁽²⁾.

يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه منه⁽³⁾.

مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل

(1) عن أبي هريرة. كنز العمال ج 1 ص 254 رقم 2329.

(2) عن ابن عمرو. كنز العمال ج 1 ص 254 رقم 2330.

(3) عن أبي سعيد كنز العمال ج 1 ص 254 رقم 2331.

الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها. ومثل الجليس الصالح كممثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كممثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه⁽¹⁾.

لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جاره فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما عمل. ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل⁽²⁾.

من قرأ ثلث القرآن فقد أعطى النبوة، ومن قرأ نصف القرآن فقد أعطى نصف النبوة، ومن قرأ ثلثيه فقد أعطى ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه. ويقال له: يوم القيامة، اقرأ وارق فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى ينجز ما معه من القرآن ثم يقال له: اقبض، فيقبض، ثم يقال له: هل تدري ما في يدك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد وفي يده الأخرى النعيم⁽³⁾..

81. القرآن أفضل من كل شيء دون الله، فمن قرأ القرآن، فقد قرأ الله، ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحق الله. وحرمة القرآن عند الله [أشد من] حرمة الوالد على ولده. حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نور الله، المتعلمون كلام الله، يدفع عن مستمع القرآن سوء الدنيا، ويدفع عن تلى القرآن بلوى الآخرة، ولمستمع آية من كتاب الله خير له من صبير [جبل] ذهباً، وتلى آية من كتاب الله خير له مما تحت أديم السماء، وإن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله يدعى صاحبها الشريف عند الله

(1) عن أنس. كنز العمال ج 1 ص 263 رقم 2337.

(2) عن أبي هريرة كنز العمال ج 1 ص 263 رقم 2340.

(3) ابن الأنباري في المصاحف، وابن عساكر عن أبي أمامة وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب الخطيب عن ابن عمر. كنز العمال ج 1 ص 263 رقم 2348.

تشفع لصاحبها، كذا في المنتخب، يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر وهي يس⁽¹⁾..

82. يمثل القرآن يوم القيامة رجلا، فيؤتى بالرجل قد حمله فما نفذ أمره، فيتمثل له خصما فيقول: يا رب حملته إياي فبئس حاملي، تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: فشأنك به. فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار.

ويؤتى بالرجل الصالح، قد كان حمله وحفظ أمره، فيتمثل له خصما دونه فيقول: يارب حملته إياي، فحفظ حدودي وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي واتبعت طاعتي، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له: شأنك به. فيأخذ بيده، فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر [وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} ⁽²⁾.. أى لم تدنس ولم ترنفها الأيدي كخمر الدنيا، لا يتكرهها الشاربون فهي لذیذة الطعم طيبة الشراب بعكس خمر الدنيا، لذا فهي لا تتشابه معها في أى صفة من صفاتها لا في طعم أو رائحة أو آثار إلا في الاسم فقط والله أعلم وأجل ⁽³⁾..

83. عن أنس أن أبا بن كعب قال: ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أنى قرأت آية فقرأها رجل على غير قراءتى فقال: أقرأنيها رسول الله هكذا، فقلت: أقرأني النبي هكذا، فأتينا رسول الله ﷺ فقلت: أقرأني آية كذا وكذا؟ فقال رسول الله: نعم، فقال الرجل: أقرأني آية كذا وكذا؟ فقال رسول الله: نعم، فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني فعمد جبريل فقعد عن يميني وقعد ميكائيل عن شمالي

(1) أبو نصر السجزي في الإبانة عن عائشة وقال هذا من أحسن الحديث وأعذبه كنز العمال ج 1 ص 265 رقم 2362.

(2) سورة محمد آية 15.

(3) ابن الضريس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده. فقلت: زدني؟ فزادني فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين فقال ميكائيل: استزده. فقلت: زدني؟ فقال جبريل: اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف حتى بلغ على سبعة أحرف، فقال ميكائيل: استزده. فقال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف كل شافٍ كافٍ..

84- عن أبي هريرة أن رسول الله قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة⁽¹⁾..

85- كان رسول الله ﷺ: إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة المهجور.

وروى ابن عباس قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله أى العمل أفضل؟ قال: عليك بالحلّ المرتحل. قال: وما الحلّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله كلما حلّ ارتحل⁽²⁾..

86- اعلم أن الخاتمين للقرآن الكريم على ثلاثة أحوال:

فمنهم: من كان إذا ختم أمسك عن الدعاء وأقبل على الاستغفار، وهذا حال من غلب عليه الخوف من الله تعالى وشهود التقصير في العمل ولم يأمنوا من الآفات وخشوا مناقشة الحساب فأقبلوا على الاستغفار وقنعوا بأن يخرجوا من العمل كفافاً لا لهم ولا عليهم.

ومنهم قوم: كانوا [إذا] ختموا دعوا. وهو مروي عن ابن مسعود وأنس وغيرهما. وهؤلاء قوم غلب عليهم شهود الربوبية لله تعالى وشهدوا من أنفسهم العبودية له تعالى ووجدوا من أنفسهم الفقر والفاقة إلى ربهم، وعانوا منه سعة الرحمة وعموم الفضل للمحسن والمسيء وإسباغ النعم على المقبل وعلى المدبر فأطعمهم ذلك وقوى رجاءهم في

(1) فضائل القرآن ج 1 ص 90 رقم 40.

(2) تفسير القرطبي ج 1 ص 275.

الله تعالى، وعلموا أن القرآن الكريم شافع مشفع فلم يهلكهم أمر ذنوبهم وإن عظمت [لعلمهم وبقينهم وأملهم بسعة رحمة الله تعالى] فمدوا إلى الله تعالى يد المسألة وتضرعوا إليه وابتهلوا، وعلموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، مع ملاحظة قوله تعالى ادعوني أستجب لكم، وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب فكان دعاؤهم عبودية لله تعالى.

ومنهم قوم: كانوا [إذا ختموا] يصلون الخاتمة بالفاتحة عودا على بدء من غير فصل بينهما لا بدعاء ولا بغيره لوجهين:

أحدهما: ما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. وفصل كلام الله تعالى: على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

والثانى: ما فى ذلك من التحقق بمعنى الحلول والارتحال فى الحديث المروى من طريق أبى بن كعب رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان إذا قرأ: قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمد لله ثم قرأ من البقرة وأولئك هم المفلحون، ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام⁽¹⁾..

87. ذكر قتادة: أن أنس بن مالك رضي الله عنه، كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا. وعن الحكم قال: كان مجاهد وعبد بن قتادة بن أبى لبابة وقوم يعرضون المصاحف فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا: أحضرونا، فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن..

88. قال ﷺ: أغنى الناس حفظة القرآن، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: من جعله الله تعالى فى جوفه. أى رزقه حفظه مع العمل به⁽²⁾..

89. عن أبى أمامة: إن الذى يجهر بالقرآن كالذى يجهر بالصدقة، والذى يسر بالقرآن كالذى يسر بالصدقة⁽³⁾..

(1) قال الحافظ ابن الجزري وإسناده حسن ورواه أبو الشيخ .

(2) ابن عساكر فى تاريخه عن أبى ذر الغفاري بإسناد ضعيف. التيسير بشرح الجامع الصغير ج 1.

(3) كنز العمال ج 1 ص 276 رقم 2479.

90- إن هذا القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره، كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا. فيقولان: بما كسينا هذه؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ⁽¹⁾..

91- وروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: من صلى منكم من الليل فليجهر بقراءته، فإن الملائكة تصلى بصلاته، وتستمع لقراءته، وإن مؤمناً الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه في مسكنه يصلون بصلاته ويستمعون قراءته، وإنه يطرد بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين. وإن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يهتدى بها أهل السماء كما يهتدى بالكوكب الدري في لجج البحار وفي الأرض القفر. فإذا مات صاحب القرآن رفعت تلك الخيمة فتنظر الملائكة من السماء فلا يرون ذلك النور، فتلقاه الملائكة من سماء إلى سماء فتصلي الملائكة على روحه في الأرواح، ثم تستقبل الملائكة الحافظين الذين كانوا معه ثم تستغفر له الملائكة إلى يوم يبعث.

وما من رجل تعلم كتاب الله ثم صلى ساعة من ليل إلا أوصت به تلك الليلة الماضية الليلة المستأنفة، أن تنبهه لساعته وأن تكون عليه خفيفة، فإذا مات وكان أهله في جهازه جاء القرآن في صورة حسنة جميلة فوقف عند رأسه حتى يدرج في أكفانه فيكون القرآن على صدره دون الكفن، فإذا وضع في قبره وسوى وتفرق عنه أصحابه أتاه منكر ونكير عليهما السلام فيجلسانه في قبره، فيجىء القرآن حتى يكون بينه وبينهما فيقولان له: إليك حتى نسأله، فيقول: لا ورب الكعبة، إنه لصاحبى وخليلى ولست أخذله على حال، فإن

(1) محمد بن نصر وابن الضريس عن بريدة. كنز العمال ج 1 ص 276 رقم 2475.

كنتما أمرتما بشيء فامضيا لما أمرتما ودعاني مكاني، فإني لست أفارقه حتى أدخله الجنة. ثم ينظر القرآن إلى صاحبه فيقول: أنا القرآن الذي كنت تجهر بي وتخفيني وتحبني، فأنا حبيبك ومن أحببته أحبه الله ليس عليك بعد مسألة منكر ونكير هم ولا حزن. فيسأله منكر ونكير ويصعدان ويبقى هو والقرآن فيقول: لأفرشك فراشا لنا ولأدثرنك دثارا حسنا جميلا بما أسهرت ليلك وأنصبت نهارك. قال: فيصعد القرآن إلى السماء أسرع من الطرف، فيسأل الله ذلك له، فيعطيه ذلك، فيجيء القرآن فينزل به ألف ألف ملك من مقربى السماء السادسة، فيجيء القرآن فيحييه فيقول: هل استوحشت؟ ما زدت منذ فارقتك أن كلمت الله تبارك وتعالى حتى أخذت لك فراشا ودثارا ومصباحا، وقد جئتك به، فقم حتى تفرشك الملائكة عليهم السلام.

قال: فتنهضه الملائكة إنهاضا لطيفا، ثم يفسح له في قبره مسيرة أربعمئة عام، ثم يوضع له فراش بطانته من حرير أخضر حشوه المسك الأذفر، ويوضع له مرافق عند رجليه ورأسه من السندس والإستبرق، ويسرج له سراجان من نور الجنة عند رأسه ورجليه يزهران إلى يوم القيامة، ثم تضعه الملائكة على شقه الأيمن مستقبل القبلة، ثم يؤتى بياسمين الجنة وتصعد عنه، ويبقى هو والقرآن، فيأخذ القرآن الياسمين فيضعه على أنفه غضا فيستنشقه حتى يبعث ويرجع القرآن إلى أهله، فيخبرهم كل يوم وليلة ويتعاهدهم كما يتعاهد الوالد الشفيق ولده بالخير، فإن تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء دعا لهم بالصلاح والإقبال أو كما ذكر⁽¹⁾..

* * *

(1) رواه البزار. الترغيب والترهيب ج 1 ص 17 رقم 931.

الفصل الثامن

ما جاء فى من تعلم القرآن الكريم

92. قال ﷺ: تعلموا القرآن وأقرئوه واقرأوا منه ما تيسر، فوالذى نفس محمد بيده هو أشد تفصيلاً⁽¹⁾ من الإبل المعقلة عقل البعير⁽²⁾..

93. عن ابن عمر ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثّل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت.. زاد مسلم فى رواية، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقرأ به نسيه⁽³⁾..

94. تعلموا القرآن واسألوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا. فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهى به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه الله⁽⁴⁾..

95. عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ: فذكر حديثاً فيه: ومن تعلم القرآن ثم نسيه متعمداً، لقي الله عز وجل مجذوماً مغلولاً، وسلط الله تعالى عليه بكل آية حية تنهشه فى النار، ومن تعلم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حطام الدنيا وزينتها، استوجب سخط الله تعالى وكان فى درجة اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله عز وجل وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً. ومن تعلم القرآن ابتغاء وجه الله تعالى، وتفقهها فى دين الله عز وجل، كان له من الثواب مثل جميع ما أعطى الله تعالى الملائكة والأنبياء والرسل. ومن تعلم القرآن رياءً وسمعةً، ليبارى به السفهاء ويباهى به العلماء، ويطلب به الدنيا، بدد الله

(1) أَشَدَّ تَفْصِيلاً: أَي أَشَدَّ تَفَلُّتاً وَخُرُوجاً.

(2) كنز العمال ج 266 رقم 2374.

(3) تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد ج 3 ص 91.

(4) عن أبى سعيد. كنز العمال ج 266 رقم 2379.

تعالى عظامه يوم القيامة، وكان من أشد الناس عذابا ولا يبقى منها شيء من أنواع العذاب إلا عذب به لشدة عذاب الله تعالى وسخطه عليه⁽¹⁾..

96- قال السري ابن يحيى عن الحسن [البصري] أنه قال: والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل وإلا نصب وإلا ذاب وإلا تعب.

وقال حوشب: سمعت الحسن [البصري] يحلف بالله يقول: والله يا ابن آدم، لئن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك..

* * *

(1) المطالب العالية ج 14 ص 406 رقم 3501.

الفصل التاسع

ما جاء فى فضل إعراب القرآن الكريم وثواب من قرأه معرباً

97. [عنه عليه السلام قال]: يا معاذ، إن أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور والرى يوم العطش والوزن يوم الخفة والهدى يوم الضلالة، فادرس القرآن، فإنه ذكر الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان فى الميزان⁽¹⁾ ..

98. عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه.. عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن فلم يعربه، وكُل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه، وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه، وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة.

وعن ابن أبى ملكية قال: قدم أعرابى فى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرئنى مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؟

فأقرأه رجل براءة فقال: { أَنْ اللَّهَ بَرِيٌّ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ }⁽²⁾ .. بالجرّ. فقال الأعرابى: أو قد برئ الله من رسوله؟! فإن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه.

فبلغ عمر مقالة الأعرابى فدعاه فقال: يا أعرابى أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

(1) الديلمى عن غضيف بن الحارث. كنز العمال ج 1 ص 272 رقم 2439.

(2) سورة التوبة آية 3.

فقال: يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن، فسألت من يقرئنى، فأقرأنى هذا سورة براءة، فقال: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) فقلت: أو قد برئ الله من رسوله، إن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه.

فقال عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا اعرابى.

قال: فكيف هى يا أمير المؤمنين؟

قال: إن الله برىء من المشركين ورسوله.

فقال الأعرابى: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه.

فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود [الدؤلى] فوضع النحو.. [فأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه هو أول من أمر بذلك، وهى حسنة من حسناته رضي الله عنه وليس كما يدعى الرافضة] ⁽¹⁾..

* * *

(1) تفسير القرطبي ج 1 ص 275.

الفصل العاشر

ما جاء فى القرآن الكريم من المرض والشفاء

99- المرض نوعان مذكوران فى القرآن: مرض القلوب، ومرض الأبدان. ومرض

القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغى.

قال تعالى فى مرض الشبهة: { فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا }⁽¹⁾ ..

وقال تعالى { وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا }⁽²⁾ ..

وقال تعالى فى حق من دعى إلى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض { وَإِذَا دُعُوا إِلَى

اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ

* أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ }⁽³⁾ .. فهذا مرض الشبهات والشك.

وأما مرض الشهوة [والغى] فقال تعالى: { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ

اتَّقِيْنَ فَلََّا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ }⁽⁴⁾ .. فهذا مرض شهوة الزنى ..

وأما مرض الأبدان: فقال تعالى: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ

وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ }⁽⁵⁾ .. وذكر مرض البدن فى الحج والصوم والوضوء لسر بديع

يبين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه.

(1) سورة البقرة آية 10 .

(2) سورة المدثر آية 31 .

(3) سورة النور الآيات 48 / 50 .

(4) سورة الأحزاب آية 32 .

(5) سورة النور آية 61 .

وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة والحمية عن [كل شيء] مؤذٍ واستفراغ المواد الفاسدة. فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة: فقال في آية الصوم { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ }⁽¹⁾.. فأباح الفطر للمريض لعذر المرض، وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء فتخور القوة وتضعف، فأباح للمسافر الفطر حفظاً لصحته وقوته عما يضعفها. وقال في آية الحج { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ }⁽²⁾.. فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه أن يخلق رأسه في الإحرام فإذا حلق رأسه تفتحت المسام في الرأس.

وأما الحمية: فقال تعالى في آية الوضوء { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا }⁽³⁾.. فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذٍ له من داخل أو خارج، فقد أرشد سبحانه عباده إلى أصول الطب ومجامع قواعده، ونحن نذكر هدى رسول الله ﷺ في ذلك ونبين أن هديه فيه أكمل هدى.

وجاء في شفاء الصدور والقلوب والأبدان:

100. ذكر مرض القلب وحقيقته قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }⁽⁴⁾.. فهو شفاء لما فى الصدور من مرض الجهل والغى، فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى، والغى مرض شفاؤه

(1) سورة البقرة آية 184.

(2) سورة البقرة آية 196.

(3) سورة النساء آية 43.

(4) سورة يونس آية 57.

الرشد. وجعل كلامه سبحانه، موعظة للناس عامة، وهدى ورحمة لمن آمن به خاصة وشفاء تاماً لما في الصدور فمن استشفى به صح وبرئ من مرضه.
قال وتعالى { وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }⁽¹⁾..

101. عن قتادة رضي الله عنه قال: جعل الله تعالى هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه⁽²⁾..

102. وقيل أيضاً في معنى قوله تبارك وتعالى (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ) من هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء. وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال: أحدها: شفاء من الضلال لما فيه من الهدى. والثاني: شفاء من السقم لما فيه من البركة. والثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام..

قوله تبارك وتعالى { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ }⁽³⁾..

103. المرض والشفاء من الله عز وجل جميعاً. ولقوله (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) وجهان أحدهما: إذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته. والثاني: إذا مرضت بمقاساة الخلق، شفاني بمشاهدة الحق.

وقيل: إذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة.

ويقول الطبري في تفسيره: إذا سقم جسمي واعتل فهو يبرئه ويعافيه.

أما ابن كثير في تفسيره فيقول: أسند [إبراهيم عليه السلام] المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباً. أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه..

(1) سورة الإسراء آية 82.

(2) الدر المنثور ج 5 ص 330.

(3) سورة الشعراء آية 80.

قوله تعالى { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ }⁽¹⁾ .. أى أعلم الله أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به، من الشك والريب والأوجاع ..

قوله تبارك وتعالى { يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ }⁽²⁾ ..

104. اختلف العلماء فى قوله تعالى (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) هل هو على عمومه أم لا.

فقال طائفة: هو على العموم فى كل حال ولكل أحد، أى فى العسل شفاء للناس،

وأن أكثر الأشربة والمعجنات التى يتعالج بها أصلها من العسل.

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا، حتى

الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلا.

وروى أن عوف بن مالك الأشجعى مرض، فقيل له: ألا نعالجك؟ فقال: اتئونى

بالماء فإن الله تعالى يقول { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا }⁽³⁾ .. ثم قال: اتئونى بعسل، فإن

الله تعالى يقول { فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ }⁽⁴⁾ .. واتئونى بزيت، فإن الله تعالى يقول { مِنْ شَجَرَةٍ

مُبَارَكَةٍ }⁽⁵⁾ .. فجاءوه بذلك كله، فخلطه جميعا ثم شربه [جازما فى نفسه إيمانا بقدرة الله

تعالى على شفائه مما به] فبرئ.

وقالت طائفة: إن ذلك على الخصوص ولا يقتضى العموم فى كل علة وفى كل إنسان،

بل إنه خبر عن أنه يشفى كما يشفى غيره من الأدوية، وإن قال قائل: قد رأينا من ينفعه

العسل ومن يضره، فكيف يكون شفاء للناس؟ قيل له: الماء حياة كل شيء وقد رأينا من

يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة فى البدن، وقد رأينا شفاء العسل فى أكثر هذه

الأشربة.

(1) سورة فصلت آية 44.

(2) سورة النحل آية 69.

(3) سورة ق آية 9.

(4) سورة النحل آية 69.

(5) سورة التور آية 35.

على أن النبي ﷺ قد حسم داء الإشكال وأزاح وجه الاحتمال، حين أمر الذي يشتكى بطنه بشرب العسل، فلما أخبره أخوه بأنه لم يزد إلا استطلافاً أمره بعود الشراب له فبرئ؛ وقال: صدق الله وكذب بطن أخيك.

وروى أبو داود والترمذي، عن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب: ألا نتداوى يا رسول الله؟ قال: نعم. يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء، إلا داء واحد، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم⁽¹⁾..

قال ابن عطية: وذهب قوم من أهل الجهالة [الرافضة] إلى أن هذه الآية يراد بها أهل البيت وبنو هاشم وأنهم النحل! وأن الشراب القرآن والحكمة، وقد ذكر هذا بعضهم في مجلس المنصور أبي جعفر العباسي، فقال له رجل ممن حضر: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين وبهت الآخر وظهرت سخافة قوله..
105. من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله⁽²⁾..

106. قالت أم المؤمنين عائشة [رضي الله تعالى عنها وأرضاها]: كان النبي ﷺ إذا مرض يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث..
ومن أقواله ﷺ:

107. عليكم بالشفاءين العسل والقرآن⁽³⁾..
خير الدواء القرآن⁽⁴⁾..

(1) الترمذي قال حديث حسن صحيح.

(2) في الأفراد عن أبي هريرة. كشف الخفاء ج 2 ص 304 رقم 28106.

(3) أخرجه ابن ماجه كتاب الطب باب العسل. كنز العمال ج 10 ص 5 رقم 28102.

(4) كنز العمال ج 10 ص 5 رقم 28103.

استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمد خلقه، وبما مدح الله به نفسه: الحمد لله
وقل هو الله أحد، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله⁽¹⁾..
عاجيها بكتاب الله⁽²⁾..

108. وجد ابن أسقع يشكو حلقه، فقال له النبي ﷺ: عليك بقراءة القرآن.
ووجد بعض الصحابة شكوى في بعض بدنه، فقال ﷺ: ضع يدك اليمنى عليه وقل:
بسم الله أعوذ بالله وبقدرته من شر ما أجده سبع مرات..
109. وعن ابن مسعود: أن العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور.
110. وأخرج البيهقي عن طلحة بن مصرف كان يقال: إن المريض إذا قرئ عنده
القرآن وجد له خفة. فدخلت على خيثة وهو مريض فقلت: إني أراك اليوم صالحاً، قال:
إنه قرئ عندي القرآن..
111. قال جعفر: القرآن شفاء لمن كان في طلب العصمة، وعمى على من كان في
ظلمة الخذلان.

وقال بعضهم: شفاء القرآن إذا دخل الصدور أعتقها من سر الطباع ورعونات
الهوى وأدخلها في فسحة التفويض والتسليم..
112. القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب بما يلقيه الشيطان فيها من الوسوس
والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء يطرد مادة الداء..
113. القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال، فأيات الرحمة شفاء الخائف،
وأيات العذاب شفاء المغرور الآمن..

(1) ابن قانع عن رجاء الغنوي. قال المناوي في فيض القدير 1 / 491 رجاء الغنوي اسمه منبه بن سعد
وقد أشار الذهبي في تاريخ الصحابة إلى عدم صحة هذا الخبر. كنز العمال ج 10 ص 5 رقم
28104.

(2) أورده الهيثمي في موارد الظمآن كتاب الطب في الرقي رقم 1419 ص عن عائشة. كنز العمال
ج 10 ص 5 رقم 28105.

114. فصل في بيان اشتغال الفاتحة على الشفاءين شفاء القلوب وشفاء الأبدان:
فأما اشتغالها على شفاء القلوب: فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصليين،
فساد العلم وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما الضلال والغضب،
فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك
أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال،
ولذلك كان سؤال هذه الهداية فرض دعاء على كل عبد، كل يوم وليلة في كل صلاة،
لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه..

* * *

الفصل الحادى عشر

بعض ما جاء فى جزاء من استخف بالقرآن الكريم أو كفر به أو بإحدى آياته أو جحد أو زاد حرفا فيه متعمدا

115. عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ: فذكر حديثاً وفيه: من قرأ القرآن رياء وسمعة أو يريد به الدنيا لقى الله ووجهه عظم ليس عليه لحم، ودع [أى دفعه] القرآن فى قفاه حتى يقذفه فى النار فيهبى فيها مع من هوى، ومن قرأه ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول {رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} ⁽¹⁾.. فيقول تعالى {كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} ⁽²⁾.. ثم يؤمر به إلى النار..

116. من استخف بالقرآن، أو بشيء منه، أو جحد، أو حرفاً منه، أو كذب شيئاً منه، أو أثبت ما نفاه [القرآن]، أو نفى ما أثبتته [القرآن] على علم منه بذلك، أو شك فى شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع.

[ومن] زعم أنه ليس بحجة النبى ﷺ أو ليس فيه حجة ولا معجزة، كقول هشام الفوطى ومعمّر الصيمرى: أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله، ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم، فلا محالة فى كفرهما بهذا القول.

وكذلك بكفرهما وإنكارهما أن يكون فى سائر معجزات الرسول ﷺ حجة له، أو فى خلق السموات والأرض دليل على الله سبحانه. لمخالفتها الإجماع والنقل المتواتر عن النبى ﷺ باحتجاجة بهذا كله وتصريح القرآن به.

وكذلك من غير شيئاً منه أو زاد فيه، كفعل الباطنية والإسماعيلية أو الرافضة.

(1) سورة طه آية 125.

(2) سورة طه آية 126.

قال هلال العيسى: [وزاد الشيعة في القرآن الكريم سوراً وآيات !! وتبحروا في أحاديث وأقوال نسبوها إلى رسول الله ﷺ !! ولم يكتفوا بذلك، فادعوا أن القرآن الموجود بين يدي المسلمين من أهل السنة والجماعة والذي يتلى في مشارق الأرض ومغاربها، الذي تعهد الله جل جلاله بحفظه، ناقص ما يقارب الثلث أى حوالى مئتي صفحة !! زعم هؤلاء الروافض، أنها سور وآيات نزلت بزعمهم فيما يسمى بالوصى والولى... إلخ.. استبعدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق، وأمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما، فهل لنا أن نتساءل وليجيبنا عاقل منهم، لماذا لم يظهره علىَّ عندما كان أميراً للمؤمنين على جزء من الدولة الإسلامية؟

وزعموا أيضاً: أن هناك قرآناً آخر، خص به الرسول ﷺ علياً وفاطمة ونسلهم غير الذى بين يدي المسلمين الآن، وأن النبى ﷺ خصهم بعلم دون المسلمين! جزاهم الله بما يستحقونه].

قال الله تبارك وتعالى:

{ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ بِهِ يُعَلِّمُونَ } (1) ..

{ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (2) ..

{ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا } (3) ..

{ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا } (4) ..

{ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (5) ..

(1) سورة آل عمران آية 78.

(2) سورة آل عمران آية 94.

(3) سورة المائدة آية 64.

(4) سورة النساء آية 50.

(5) سورة المائدة آية 103.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } (1)..
 { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ } (2)..
 { وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (3)..
 { إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } (4)..
 { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } (5)..
 { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ } (6)..
 { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (7)..
 وقال هلال العيسى: الحِفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة. وحِفظ الشيء

حراسته قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (8)..
 وقال جل شأنه { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } (9)..
 والحفيظ: صفة من صفات الله عز وجل، لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها وإن كانت مثقال ذرة في السموات أو في الأرض، وقد حفظ الله السموات والأرض بقدرته وإرادته ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم. وفي التنزيل { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا

(1) سورة الأنعام آية 21.

(2) سورة يونس آية 37.

(3) سورة يونس آية 60.

(4) سورة يونس آية 69.

(5) سورة النحل آية 105.

(6) سورة الزمر آية 60.

(7) سورة البقرة آية 74.

(8) سورة الحجر آية 9.

(9) سورة البروج الآيات 21 / 22.

مَحْفُوظًا} ⁽¹⁾.. أى حفظه الله من الوقوع على الأرض إلا بإذنه. أفمن يحفظ السماوات أن تقع يعجز عن حفظ كتابه؟! وهو القائل تبارك وتعالى عن نفسه { فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } ⁽²⁾.. الله يتعهد بحفظ القرآن الكريم وهم يدعون نقصان ما تعهد الله بحفظه؟!.. وهو يقول { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } ⁽³⁾.. ويقول: { وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } ⁽⁴⁾.. أفلا يعقل هؤلاء؟!

1. وهذا نص سورة الولاية المزعومة في قرآن الشيعة، تعالى الله عما يفترون:

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى والولى اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم. نبى وولى بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير. إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم. والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبون. إن لهم فى جهنم مقاماً عظيماً إذا نودى لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين. ما خلفتهم المرسلين إلا عنى وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب وسبح بحمد ربك وعلى من الشاهدين..

ويذكر فى كتاب (فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) للشيعة ميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى أحد كبار علماء النجف. أن سورة النورين حذفها أهل السنة من القرآن كى لا يحصل على بن أبى طالب على الخلافة بعد وفاة محمد!

2. وهذا نص سورة النورين المزعومة فى قرآن الرافضة. ألا لعنة الله على المكذبين:

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم. إن الذين يوفون الله ورسوله فى آيات لهم جنات النعيم. والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم

(1) سورة الأنبياء آية 32.

(2) سورة يوسف آية 64.

(3) سورة النساء آية 87.

(4) سورة النساء آية 122.

الرسول عليه يقذفون في الجحيم. ظلموا أنفسهم وعصوا الوصى الرسول أولئك يسقون من حميم. إن الله الذى نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك فى خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم. إن الله قد أهلك عادا وثمودا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون. وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين. ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون. إن الله يجمعهم فى يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون. إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم. يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون. قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون. مثل الذين يوفون بعهدك أتى جزيتهم جنات النعيم. إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم. و إن عليا من المتقين وإنا لنوفيه حقه يوم الدين. ما نحن عن ظلمه بغافلين وكرمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون وإن عدوهم إمام المجرمين قل للذين كفروا بعدما آمنوا أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون. يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يظهرون. فأعرض عنهم إنهم معرضون. إنا لهم محضرون. فى يوم لا يغنى عنهم شىء ولا هم يُرحمون. إن لهم جهنم مقاما عنه لا يعدلون. فسبح باسم ربك وكن من الساجدين. ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبعوا هارون. فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنناهم إلى يوم يبعثون فاصبر فسوف يبصرون. ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمرى فإنى مرجعه فليمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين. يا أيها الرسول قد جعلنا لك فى أعناق الذين آمنوا عهدا فخذوه وكن من الشاكرين. إن عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعبادى يعلمون. سنجعل الأغلال

فى أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون. إنا بشرناك بذريته الصالحين. وإلهم لأمرنا لا يخلفون. فعليهم منى صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون على الذين ييغون عليهم من بعدك غضبى إلهم قوم سوء خاسرين. وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الغرفات آمنون. والحمد لله رب العالمين..

أفلا يحدثننا من له عقل منهم إن وجد ويخبرنا، هل هذه السور المزعومة نزلت مرة واحدة أم نزلت مجزأة؟ وهل هى مكية أم مدنية؟ وما سبب التنزيل؟ ومتى أنزلت؟ وكم سنة كان المسلمين يقرؤونها؟!

ولقد تبسمت عند قولهم: (ما نحن عن ظلمه بغافلين) أو كان عليهم وقت نزول هذه الآية التى يدعونها قد ظلم بعد !!

هذا الكلام لا شك يثبت أن للشيعة قرآنا غير الذى لدينا نحن أهل السنة والجماعة. ولزيادة المعرفة ولمن يرغب فى الازدياد أو لديه شك، أنصح بالاطلاع على الكتب التالية:

- 1- كتاب (الشيعة والقرآن) إحسان الهى ظهير رحمه الله.
- 2- كتاب (الشيعة وتحريف القرآن) محمد مال الله.
- 3- كتاب (الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية) محب الدين الخطيب.

4- كتاب (إيران من الداخل) فهمى هويدى..
ومن كتب أئمة الشيعة التى تشهد بقولهم بتحريف القرآن ووضعهم الأحاديث، وننصح بالاطلاع عليها نورد الآتى:

- (1) كتاب: (الكافى) للكلينى.
- (2) كتاب: (الأنوار النعمانية) لإمامهم نعمة الله الجزائرى: الذى يقول: فى ج 1 ص 97 إن الصحابة بعد النبى قد غيروا وبدلوا فى الدين. وضرب لذلك مثلاً قائلاً: إن الصحابة قاموا بتغيير القرآن، وتحريف كلماته، وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول، وفصائح المنافقين، وإظهار مساوئهم.

(3) كتاب: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) لميرزا حسين بن

محمد تقى النورى الطبرسى، أحد كبار أئمة علماء النجف.

وهذه عناوين أبواب كتابه:

أ. الباب الأول: الأدلة على وقوع التغيير والنقصان في القرآن. وبه اثنا عشر دليلاً

على تحريف القرآن.

ب - وأورد تحت كل دليل من هذه الأدلة، حشداً هائلاً من الروايات المؤكدة بزعمه

على تحريف القرآن (انظر ص 3 من كتابه هذا).

(4) كتاب: (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)

لميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى. ومما استشهد به عالم النجف على

وقوع النقص بالقرآن إيرادُه في الصفحة 180 من كتابه، سورة تسميها الشيعة

(سورة الولاية) مذكور فيها ولاية على وهو ما يثبت تحريفهم للقرآن.

ونكتفى بشهادة إمامهم نعمة الله الجزائرى في كتابه: الأنوار النعمانية ج 1 ص 97:

حيث يقول: إن حرق عثمان الخليفة السنى للقراءات الستة، وعدم إبقائه إلا على مصحف

واحد بقراءة واحدة، هو تحريف للقرآن.

(5) وبأقوال إمامهم الباقر المجلسى في كتابه: (بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة

الأطهار مجلد 89) فقد ذكر عدة أبواب، وكل باب فيه عدد من الحقائق الدالة

لهم على التحريف في جمع القرآن:

1. ففي (المجلد 89 الذى خصصه للقرآن ص 40/60) باب بعنوان: ما جاء في

كيفية جمع القرآن وما يدل على تغييره. وذكر فيه (47 وجهاً) من أوجه التغيير في

القرآن.

2. وفي (نفس المجلد 89 ص 66/77) باب بعنوان تأليف القرآن، وأنه على غير ما

أنزل الله عز وجل! وذكر فيه (20 مثلاً) كأدلة قاطعة على ذلك.

3. أمثلة ذكرها إمامهم الباقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار مجلد 89 ص 41).
4. أنه قد جاءت شاة إلى صحيفة فأكلتها وذهب ما فيها [من قرآن] وهو هنا يتكلم عن آية رضاعة الكبير.
5. وفي (نفس الصفحة 41 من كتاب بحار الأنوار مجلد 89) قال طلحة: سمعت عمر وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون:
6. إن سورة الأحزاب وهي الآن (73 آية) كانت تعدل سورة البقرة (286 آية).
7. وإن سورة النور وهي الآن (64 آية) كانت (أكثر من مائة آية).
8. وسورة الحجر وهي الآن (99 آية) كانت (مائة وتسعين آية).

هذا بجانب تبديلهم ودهسهم لبعض الكلمات في آيات القرآن الكريم مثل:

قال تعالى في سورة الأعراف { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }⁽¹⁾. فزادوا في هذه الآية بعد قوله تعالى { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } . (ومحمد نبيكم وعلى إمامكم) قالوا بلى !!

ويقول الله تعالى في سورة البقرة { لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعُكُمْ نِعْمَتِي وَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }⁽²⁾. وفي كتاب علي بن إبراهيم القمي وهو من كتبهم الثانية المعتمدة لديهم. أبدل قوله تعالى { لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ } إلى { لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ } !!

وفي سورة آل عمران. يقول الله تعالى { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }⁽³⁾. فأبدلها

إلى (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) !!

(1) سورة الأعراف آية 172.

(2) سورة البقرة آية 150.

(3) سورة آل عمران آية 110.

وفي سورة النساء. يقول الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً }⁽¹⁾. فأبدلها إلى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً } !!

هذا بجانب زيادتهم في آية الكرسي وغيرها من الآيات والأحاديث.. { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَسْتَرْوَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ }⁽²⁾.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

117. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: أن رسول الله ﷺ قال: ستة لعنهم الله ولعنتهم وكل نبي مجاب. الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمسلط بالجبروت ليزل بذلك من أعزَّ الله، وليعز به من أذل الله، والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لستتي⁽³⁾..

118. قال جابر: سئل ابن عباس عن القرآن أيزداد فيه أو ينقص منه؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: لعن الله الزائد في كتاب الله. قال: ومن كفر بحرف، فقد كفر بالقرآن أجمع⁽⁴⁾..

119. قال أبو زكريا النواوي رحمه الله: أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق، وتنزيهه وصيانيته، وأجمعوا على أن من جحد حرفاً، أو زاد حرفاً [أو] لم يقرأ به [عمداً] وهو عالم بذلك فهو كافر. وأجمعوا: على أن القرآن المتلو في جميع الأقطار المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين ما جمعه الدفتان من أول (الحمد لله رب العالمين) إلى آخر (قل أعوذ برب الناس)

(1) سورة النساء آية 168.

(2) سورة البقرة آية 79.

(3) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج 13 ص 60 رقم 5749.

(4) مسند الربيع ج 1 ص 305 رقم 809.

كلام الله ووحيه، المنزل على نبيه محمد ﷺ. [تعهد الله تعالى بحفظه إلى يوم القيامة كاملاً ليس بنقص، ارتضاه الله لعباده] وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً، لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الإجماع وأجمع عليه عامداً. فهو كافر..

120. قال تعالى { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }⁽¹⁾.. عز أن يأتوا بمثله أو بشبهه أو بشيء فى معناه، ولم يكن الله ليتمكن أحداً من أن يزيد فيه أو ينقص منه [إلا فضحه]، وهو كلامه وحجته على عباده وإمام عباده، الذى يكون يوم القيامة عليهم شهيدا. لو نقص منه شيء أو زيد فيه لتبين ذلك فى تأليفه حتى يعلم أنه ليس بقرآن، لأن الخلق لا يستطيعون أن يأتوا بمثل وصفه ووضعه أبداً..

121. وقال القاضى عياض: اعلم أن من استخف بالقرآن أو بشيء منه، أو جحد التوراة أو الإنجيل أو كتب الله المنزلة أو كفر بها أو سبها أو استخف بها، فهو كافر..

122. روى أنس أن النبى ﷺ قال: القرآن أفضل من كل شيء، فمن قر القرآن فقد قر الله ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله تعالى⁽²⁾..

123. قال تعالى { وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ }⁽³⁾.. أى إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذته سخرياً وهزواً واستهان بالقرآن واستهزأ به فكل من اتصف بذلك، سيصير إلى [العذاب المهيّن] بجهنم يوم القيامة..
قال هلال العيسى: قال تعالى: { وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً }⁽⁴⁾..

(1) سورة فصلت آية 42.

(2) تفسير القرطبي ج 1 ص 26.

(3) سورة الجاثية آية 9.

(4) سورة البقرة آية 231.

{ لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا }⁽¹⁾ ..
 { وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوءًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا
 وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ }⁽²⁾ ..
 { ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا }⁽³⁾ ..
 { وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ
 فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا }⁽⁴⁾ ..
 { وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ
 أَلِيمٍ }⁽⁵⁾ ..
 { ذَلِكَمُ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا
 هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ }⁽⁶⁾ ..

124. وقال ابن بطال: [في إبطال دعوة] المنجمين في تعاطيهم علم الغيب، من ادعى علم ما أخبر الله ورسوله أن الله منفرد بعلمه فقد كذب الله ورسوله، وذلك كفر من قائله.

وقال الزجاج: من ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه الخمس [{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }⁽⁷⁾ ..] فقد كفر بالقرآن العظيم.

(1) سورة المائدة آية 57.

(2) سورة الكهف الآيات 56 / 57.

(3) سورة الكهف آية 106.

(4) سورة طه الآيات 99 / 101.

(5) سورة لقمان آية 7.

(6) سورة الجاثية آية 35.

(7) سورة لقمان آية 34.

قوله عز وجل في من أعرض عن القرآن الكريم:

125. { مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا }⁽¹⁾.. (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) يعنى من كفر بالقرآن (يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) حملا من الذنوب (خَالِدِينَ فِيهِ) دائمين في عقوبة الوزر (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) بئس الحمل الوزر وبئس ما يحملون من الذنوب [يوم القيامة، هذا قول الله تعالى في من أعرض عن القرآن الكريم فقط، فما بالكم بمن كفر به وأنكره، أو زاد فيه متعمدا أو ادعى بأنه ناقص أو بدل وعدل أو أنكر أنه من عند الله. كيف سيكون عقابه ؟!]..

126. وأما كون من كفر بالقرآن يحصل له بسبب ذلك العذاب الأليم، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تبارك تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ }⁽²⁾.. وقوله تعالى { الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا }⁽³⁾.. وقوله تعالى { وَيُلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٍ }⁽⁴⁾.. [المعنى أن لهم عذاباً من جنس العذاب الأليم، والأليم معناه المؤلم. أى أى الموصوف بشدة الألم وفظاعته]..

(1) سورة طه الآيات 100 / 101.

(2) سورة هود آية 17.

(3) سورة الكهف الآيات 105 / 106.

(4) سورة الجاثية الآيات 7 / 11.

وقال تعالى { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ } (1) ..

وقال تعالى { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (2) ..

قال تعالى { فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (3) ..

قال تعالى { فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ } (4) ..

قال تعالى { قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (5) .. والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة ..

127- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: المراء في القرآن كفر، تؤول بمعنى الشك

وبمعنى الجدال ..

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة، أو كفر بها، أو لعنها، أو سبها، أو استخف بها فهو كافر (6) ..

(1) سورة الروم آية 10 .

(2) سورة الاحقاف آية 26 .

(3) سورة الأنعام آية 5 .

(4) سورة الزخرف آية 47 .

(5) سورة النساء آية 140 .

(6) كتاب الشفا ج 2 ص 250 .

128. ولهذا رأى مالك رحمه الله قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية، لأنه خالف

القرآن ومن خالف القرآن قتل، لأنه كذب بما فيه⁽¹⁾..

129. وأفتى أبو محمد بن أبي زيد: [بأن] من لعن المصحف فإنه يقتل..

وقال مالك رحمه الله: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل. ومن شتم أصحابه أدب⁽²⁾..

* * *

(1) كتاب الشفا ج 2 ص 251.

(2) كتاب الشفا ج 2 ص 252.

الفصل الثانى عشر

ما جاء فى من يلعنه القرآن

فاحذروا أن يلعنكم القرآن

وَرُبَّ تَالٍ تَلَا الْقُرْآنَ مُجْتَهِدًا بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ

130. عن أبى الدرداء رضي الله عنه: من قرأ عند أمير كتاب الله، لعنه الله بكل حرف قرأ عنده لعنة ولعن عشر لعنات، ويحاجه القرآن يوم القيامة، فينادى هنالك ثبورا، فهو ممن يقال له { لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا }⁽¹⁾..

131. وروى البخارى فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لعن بكل حرف عشر لعنات⁽²⁾..

132. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه.

وقال ميسرة: الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر.

وقال أبو سليمان الداراني: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه.

وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرا، قيل له: مالك ولكلامى..

133. وعن بعض العلماء: أن العبد ليسجد السجدة عنده أنه يقرب بها إلى الله، ولو قسمت ذنوبه فى سجده على أهل الأرض هلكوا!

قيل: وكيف ذاك؟

(1) سورة الفرقان آية 14. رواه الديلمى عن أبى الدرداء وفيه عمرو بن بكر السكسكى. من المنتخب

والتقريب، وفي الأصل عمر (ع) عن ابن عمر، كنز العمال ج 1 ص 273 رقم 2445..

(2) الإتيان فى علوم القرآن ج 1 ص رقم 1470، البرهان فى علوم القرآن ج 1 ص 480.

قال: يكون ساجداً عند الله وقلبه مصبغ إلى هوى..

134. وروى في الحديث: من كان في قلبه آية من كتاب الله وصب عليها الخمر، يحيا كل حرف منها حتى يأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم. فالويل كل الويل لمن كان يقرأ القرآن وهو مصرّ على الزنا وشرب الخمر [والنفاق] والرياء وظلم العباد وأكل الحرام والربا⁽¹⁾..

135. وقال بعض العلماء: إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول: { أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }⁽²⁾.. وهو ظالم نفسه. { لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ }⁽³⁾.. وهو منهم. [فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ]⁽⁴⁾.. وهو مثلهم معجب بهم، يواليهم ويؤيدهم وينافقهم ويمكنهم بعلمه وينصرهم ويستعين بهم، فهو مطيع خاضع لهم يفعل بأفعالهم ويقتدى بهم]..

136. قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)، وهو ظالم..

137. وقال بعض السلف: إن العبد ليفتح السورة فتلعنه حتى يفرغ منها، فقليل له: وكيف ذلك؟! فقال: إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته..

وقال ابن مسعود: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به، فاتخذوا دراسته عملاً. إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به!

وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما: لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتتزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها.

(1) التذكرة في الوعظ ج 1 ص 81.

(2) سورة هود آية 18.

(3) سورة آل عمران آية 61.

(4) سورة البقرة آية 89.

ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان! فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينشره نثر الدقل⁽¹⁾.
وقد ورد في التوراة: يا عبدى: أما تستحي منى، يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشى، فتعدل عن الطريق وتقعّد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه. وهذا كتابى أنزلته إليك، انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه. أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك.
يا عبدى: يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك، وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مأت إليه أن كف، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني، أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك..
138. وقال ﷺ: ما آمن بالقرآن من استحل محارمه.. [محارمه) آمل من كل من اطلع على هذا القول أن يتفكر في عظيم معنى ما اشتملت عليه تلك الكلمة من حقوق وواجبات ومسؤوليات اللهم تب علينا واغفر لنا فلا راحم لنا سواك⁽²⁾..

* * *

(1) [الدقل قيل: هو أردأ أنواع التمر وبإيسه، فتراه ليئسبه ورداءته لا يجتمع ويكون منشوراً].

(2) أخرجه الترمذى من حديث صهيب وقال: ليس إسناده بالقوى. إحياء علوم الدين ج 1 ص 274.

الباب الثانى

ما جاء فى الخشوع لله

وهو مكون من أربعة فصول:

- الفصل الأول: تعريف الخشوع لله.
- الفصل الثانى: خشوع الإيمان وخشوع النفاق والفرق بينهما.
- الفصل الثالث: خشوع النفاق وما جاء به من أقوال.
- الفصل الرابع: ما جاء فى الخوف والخشوع والبكاء من أقوال.

* * *

الفصل الأول

تعريف الخشوع لله

139. قال سفيان الثوري: الخشوع الخوف الدائم في القلب..

140. قال سفيان الثوري: سألت الأعمش عن الخشوع فقال: يا ثوري أنت تريد أن

تكون إماما للناس ولا تعرف الخشوع؟!

فسألت إبراهيم النخعي عن الخشوع فقال: يا أعيمش تريد أن تكون إماما للناس ولا تعرف الخشوع. ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس، لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء، وتخضع لله في كل فرض افترض عليك..

141. الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل. وقيل: الانقياد للحق

وهذا من موجبات الخشوع، فمن علاماته أن العبد إذا خولف ورد عليه بالحق، استقبل ذلك بالقبول والانقياد. وقيل: خمود نيران الشهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب. وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح وهي تظهره.

وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن. وقال الفضيل بن

عياض: يكره أن [يظهر] الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه. وقال سهل: من خضع قلبه لم يقرب منه الشيطان. رأى النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خضع قلب هذا لخشعت جوارحه. وقال ﷺ: التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات (1)..
142. وعن مجاهد: الخاشعين المتواضعين. وقال الحسن [البصري] وقتادة والضحاك:

الخاشعين المتذللين لله عز وجل..

143. وقيل الخشوع هو: التذلل والسكون، ويظهر بغض البصر وخفض الصوت..

144. الخشوع هو: الاستسلام والانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله وقضائه..

145. وعن قتادة قال: الخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر..

(1) مدارج السالكين ج 1 ص 521.

146. وقال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب، وعن الحسن [البصري] قال: ذللاً لأمر الله تعالى..

147. وقيل الخشوع هو: الخوف الثابت [من الله تعالى] في القلب..

148. وقال الحسن [البصري]: الخشوع هو الخوف الدائم اللازم للقلب.

وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، قال الله تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} ⁽¹⁾.. أى خاشعين متواضعين..

149. قال أنس بن مالك: الخشوع خشوعان: خشوع يخشع له الجسد ولا يخشع له القلب بالخشية، فذلك النفاق. وخشوع على القلب يظهر في الجسد والقلب والسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج، فذلك خشوع الإيثار..

150. عن حذيفة رضي الله عنه قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع. وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة. ورب مصل لا خير فيه. [ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً] ⁽²⁾. ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليصلين النساء وهن حيض! ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، وحذو النعل بالنعل، لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكنكم، حتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة فتقول إحداهما: ما بال الصلوات الخمس؟ لقد ضل من كان قبلنا، إنما قال الله تبارك وتعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ} ⁽³⁾.. لا تصلوا إلا ثلاثاً!

وتقول الأخرى: إيمان المؤمنين بالله كإيمان الملائكة، ما فينا كافر ولا منافق! حق على الله أن يحشرهما مع الدجال. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ⁽⁴⁾..

* * *

(1) سورة الفرقان آية 63.

(2) مدارج السالكين ج 1 ص 521.

(3) سورة هود آية 114.

(4) المستدرک علی الصحیحین ج 4 ص 516 رقم 8448.

الفصل الثانى

خشوع الإيمان وخشوع النفاق والفرق بينهما

151. خشوع الإيمان هو: خشوع القلب لله بالإجلال والوقار والمهابة والحياء. وخشوع النفاق هو: أن يبدو على الجوارح تصنع وتكلف أمام الآخرين، والقلب غير معترف بذلك وغير خاشع..

152. وقيل أيضا: أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله، بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله، كسرة ملتئمة من الوجل والخجل، والحب والحياء، [والتمنى]، وشهود نعم الله، وجنایاته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح.

فالخاشع لله: عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره، فانجلى [العقل و] الصدر وأشرق فيهما نور العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذى حشى به، وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن [العقل] إلى الله وذكره، بالسكينة التى نزلت عليه من ربه فصار محبباً له، والمخبت المطمئن، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن، كالبقعة المطمئنة من الأرض التى يجرى إليها الماء فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالاً وذلاً وانكساراً بين يديه، سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه.

وأما خشوع النفاق: فيبدو على الجوارح تصنع وتكلف والقلب غير خاشع. متكبر قد اهتز بتكبره ورباً، فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء [فلا تنبت ولا يستفاد منها، فهى جرداء].

وأما التماوت وخشوع النفاق: فهو حال من تكلف إسكان الجوارح تصنعاً ومراءاةً،
ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يخشع في الظاهر وحية الوادي
بين جنبه ينتظر.

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ امْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ

* * *

الفصل الثالث

خشوع النفاق وما جاء به من أقوال

153. عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: خطب خليفة رسول الله أبو بكر الصديق فقال ﷺ: قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من خشوع النفاق، قالوا: يا رسول الله، وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب..
154. وكان السلف يقولون: استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل: وما هو؟ قال: أن تبكى العين والقلب قاس، فلأن يعطى الإنسان رقة القلب في جمود عين خير من أن يعطى دموع عين في قسوة قلب! ورقة القلب عند أهل القلوب هي خشوعه وخوفه وذله وانكساره وإخباته، فمن أعطى هذا في قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينه، فإن رجح [زاد] له بفيض العين فهو فضل، ومن أعطاه بكاء العين وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه وإخباته فهو [قد] مكر به..
155. عن زيد بن أرقم: أن رجلا قال: يا رسول الله، بما أتقى به النار؟ قال: بدموع عينيك فإن عينا بكت من خشية الله لا تمسها النار أبدا..
156. وقال سفیان الثوري ﷺ: سيأتى أقوام يتخشعون رياء وسمعة، هم كالذئاب الضواري غايتهم الدينار والدرهم من الحلال والحرام..
157. وعن أبي الدرداء قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح..
158. قال لقمان عليه السلام لابنه: لا ترى الناس أنك تخشى [الله] ليكرموك وقلبك فاجر. وقال بعضهم: [اللهم إني] أعوذ بك أن يرى الناس أنى أخشاك وأنت لى ماقت..
159. ويروى أن عمر رضي الله عنه رأى رجلا مظهرا للنسك متهاوتا، فخفقه بالدرة وقال: لا تمت علينا ديننا أمتك الله.
- ورأى رضي الله عنه رجلا يمشى وهو منحني الرأس فضربه بالدرة وقال: ارفع رأسك، الخشوع هاهنا وأشار إلى قلبه..

ورأى ﷺ رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب..

160. حدثني محمد بن زياد قال: رأيت أبا أمامة، أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبيكى في سجوده ويدعو ربه، فقال [له]: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك..

161. ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر منكسر الشاهد، قد زوى منكبيه، فقال: يا فلان الخشوع هاهنا وأشار إلى صدره، لا هاهنا وأشار إلى منكبيه..

162. وروى الحسن [البصري]: أن رجلاً تنفس عند عمر بن الخطاب ﷺ كأنه يتحازن، فلكرهه عمر. وكان عمر ﷺ، إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع، وكان ناسكا صدقا وخاشعا حقاً..

163. روى عن محمد بن كعب القرظي: أنه استنبط حديث آية المنافق ثلاث [بآيات] من القرآن، وقال: مصداق ذلك في كتاب الله تعالى { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } (1) ..

وقال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنُؤْنِنَهُمْ لِنُصَلِّيَهُمْ لِنُصَلِّدَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا مِنْ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (2) ..

وقال تعالى { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (3) ..

(1) سورة المنافقون آية 1.

(2) سورة التوبة الآيات 75 / 77.

(3) سورة الأحزاب الآيات 72 / 73.

وقال الحسن [البصرى]: وحاصل الأمر، أن النفاق كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، ومن النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج..

روى عن عمر رضي الله عنه: أنه قال على المنبر: إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم!

قالوا: كيف يكون المنافق عليمًا؟

قال: يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور أو المنكر..!

وسئل حذيفة عن المنافق فقال: الذي يصف الإيمان ولا يعمل به..

164. وروى البخارى فى صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي

أدق فى أعينكم من الشعرة، كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات!!

165. فقد الحسن [البصرى] بعض من يختلف إليه فسأل عنه، فقيل: استقصاه

الحجاج. فقال: أعوذ [بالله] من خشوع النفاق، من الناس من يتصنع للدنيا ويكمن

لفرصة منها كما يكمن الأسد لفريسته، فإذا تمكن منها وثب عليها. يوشك أن يثب الله

عليه وثبة يصطلم بها دنياه وآخرته. فلم تمض أيام حتى مات..

166. ذكر شداد بن أوس: عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: أول ما يرفع من الناس

الخشوع⁽¹⁾..

167. وقال شداد بن أوس: أول ما يرفع من هذه الأمة الأمانة والخشوع، حتى لا

يكاد يرى خاشع، وليكونن أقوام يتخشعون وهم ذئاب ضواري..

168. خشوع الإيمان هو روح العبادة، وهو الخوف أو السكون، أو [هو] معنى

يقوم فى النفس يظهر عنه سكون الأطراف يلائم مقصوده العبادة، قالت عائشة رضى الله

تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم

نعرفه..

(1) الدر المشورج 8 ص 57.

169. قال رسول الله ﷺ: إياكم وخشوع النفاق، قالت عائشة: وما خشوع النفاق؟

قال: يخشع البدن ولا يخشع القلب.

وقال ﷺ: مررت ليلة أسرى بى يقوم تقرض شفاههم بمقارض من نار، فقلت

لجبريل: من هؤلاء؟ فقال: خطباء أمتك، الذين يقولون الشيء ولا يعملون به.

وقال ﷺ: إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان..

وعن معاذ مرفوعاً: لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم

بشرارهم، ويعظم برهم فاجرهم، وتعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله. فإذا فعلوا ذلك

نزع الله يده عنهم⁽¹⁾..

وقال حذيفه ؓ: سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير والشر فلا يدرى

أيما يركب وقد ذكر عن رسول الله ﷺ قال: لا تزال يد الله عز وجل على هذه الأمة وفي كنفه

وفي جواره وجناحه ما لم يَمِلْ قراؤهم إلى أمرائهم، وما لم يبر خيارهم أشرارهم، وما لم

يعظم أبرارهم فجارهم، فإذا فعلوا ذلك رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب وأنزل بهم

الفاقة وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب.. وقال: إذا كان ذلك لا يأتهم أمر

يضجون منه إلا أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك فليكن الموت من شأنك ومن بالك وأقل

الأمل وأكثر ذكر الموت فإنك إن أكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دنياك⁽²⁾..

عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يغضب إذا مُدح

الفاسق في الأرض⁽³⁾..

(1) تفسير النسفي ج 3 ص 335.

(2) الجرح والتعديل ج 1 ص 88.

(3) [شعب الإيمان ج 4 ص 230 رقم 4885. جاء في لسان العرب: الفُسق: العصيان والخروج عن

الدين والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق. والميل إلى المعصية وقيل: أصل الفُسق

الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمي العاصي فاسقاً].

وقال ﷺ: إذا مدح الفاسق اهتز لذلك العرش وغضب له الرب تعالى⁽¹⁾..
ومما يروى عنه ﷺ: من أثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: هم لا يفارق قلبه
أبداً، وفقر لا يستغنى معه أبداً، وحرص لا يشبع [معه] أبداً⁽²⁾..

* * *

(1) [انظر الفردوس بمأثور الخطاب 13336 ج1 ص366، كنز العمال 7964 ج3 ص230، شعب
الإيمان 4886 ج4 ص230، الإصابة 9855 ج7 ص117].
(2) الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسناداً ج6 ص371.

الفصل الرابع

ما جاء فى الخوف والخشوع والبكاء من أقوال

170. عن الحسن [البصرى] قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمينين، إذا أمنتى فى الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافنى فى الدنيا أمنتته يوم القيامة⁽¹⁾..

عن كعب قال: لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا، لخشى أن لا ينجو من شر يوم القيامة.

عن الحسن [البصرى] قال: لقد مضى بين يديكم أقوام، لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى لخشى أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم.

عن عروة بن عامر قال: [إن العبد] تعرض عليه ذنوبه يوم القيامة، فيمر بالذنوب من ذنوبه فيقول: أما إني كنت منك مشفقا، فيغفر له.

عن الحسن [البصرى] قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة! قيل: كيف؟! قال: يكون نصب عينيه ثابتا قارا حتى يدخل الجنة⁽²⁾...

عن أبى أيوب الأنصارى: إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها، ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وقد أحطن به كذا، قال: وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها حتى يأتي الله آمنا⁽³⁾..

وقال ابن حيويه: إن الرجل ليذنب الذنب فما يزال به كئيبا حتى يدخل الجنة.

عن صفوان بن محرز عن عبدالله بن عمر ؓ قال: بينا أنا أمشى معه إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عمر، كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر فى النجوى؟ قال: سمعته يقول:

(1) أخرجه البزار. الزهد لابن المبارك ج 1 ص 51 رقم 157.

(2) أخرجه الطبرانى فى الأوسط.

(3) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 51 رقم 162.

يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فذكر صحيفته، قال: فيقرره ذنوبه هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: نعم رب أعرف، حتى يبلغ به ما شاء الله أن يبلغ ثم يقول: إني سترتها عليك وأنا أغفرها لك اليوم قال: فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر فينادى على رؤوس الأشهاد⁽¹⁾..

عن منصور عن مجاهد في قول الله عز وجل تبارك وتعالى { سَيَأْتُهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ }⁽²⁾.. قال: هو الخشوع..

171. وقال الأوزاعي: وسئل عن الخشوع في الصلاة فقال: غض البصر وخفض

الجناح ولين القلب وهو الحزن..

172. قيل: الخشوع في القلب، فإذا خشع القلب خشعت النفس، وإذا أشر القلب

أشرت النفس..

173. وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان..

174. كان بعض العلماء المشهورين له مجلس للوعظ، فجلس يوما فنظر إلى من

حوله وهم خلق كثير، وما منهم إلا من قد رق قلبه أو دمعت عينه، فقال لنفسه: كيف بك إن نجا هؤلاء وهلكت أنت..

175. عن سعيد بن المسيب: أنه رأى رجلا يعث بالحصا فقال: لو خشع قلب هذا

خشعت جوارحه..

176. وروى يونس عن الحسن [البصري] قال: لقي رجلا فقال له: أراك قد

تغير لونك ونحل جسمك فمم؟ فقال آخر: وإنى لأرى ذلك فمم هو؟ قال: أصبحت

صائما، فلما أتيت بعشائي عرضت لي هذه الآية { مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ

(1) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 51 رقم 166.

(2) سورة الفتح آية 29. الحديث أخرجه الطبري، الزهد لابن المبارك ج 1 ص 51.

غَلِيظٌ⁽¹⁾.. فلم أستطع أن أتعشاه فأصبحت صائماً، فلما أتيت بعشائي [في اليوم التالي] أيضاً عرضت لي [الآية] فلم أستطع أن أتعشاه. فلي ثلاث منذ أنا صائم..

ومن طريق خليلد بن حسان الهجري قال: أمسى الحسن [البصري] صائماً فأتى بعشائه فعرضت له هذه الآية {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا}⁽²⁾.. فقلصت يده وقال: ارفعوه، فأصبح صائماً، فلما أمسى أتى بإفطاره، فعرضت له الآية فقال: ارفعوه. فقلنا: يا أبا سعيد تهلك وتضعف، فأصبح اليوم الثالث صائماً، فذهب ابنه إلى يحيى البكاء وثابت البناني ويزيد الضبي فقال: أدركوا أبي فإنه هالك، فلم يزالوا به حتى سقوه شربة ماء من سويق..

177. قال أبو علي الدقاق: دخلت على أبي بكر بن فورك رحمه الله عائداً، فلما رأيته دمعت عيناه، فقلت له: إن الله يعافيك ويشفيك، فقال: أترى أني أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت..

178. قال علقمة بن مرثد: لما ولي عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن [البصري] وإلى الشعبي، ثم إن الخصى غدا عليهما فقال: إن الأمير داخل عليكم، فجاء عمر يتوكأ على عصاه، فسلم ثم جلس معظماً لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، ينفذ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله عز وجل، فهل ترياني في متابعتي إياه فرجاً؟

فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة!

فقال [ابن هبيرة]: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟

فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت.

قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟

(1) سورة إبراهيم الآيات 16 / 17.

(2) سورة المزمل الآيات 12 / 13.

فقال أقول: يا عمر بن هبيرة: يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى، فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك.

يا عمر بن هبيرة: إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد عبد الملك من الله عز وجل.

يا عمر بن هبيرة: لا تأمن أن ينظر الله إليك [نظرة وأنت] على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك، نظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة: لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة، كانوا والله على الدنيا وهى مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهى مدبرة!

يا عمر بن هبيرة: إن تك مع الله تعالى فى طاعته، كفالك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصى الله وكلك الله إليه.

يا عمر بن هبيرة: إني أخوفك مقاما خوفك الله تعالى فقال { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ }⁽¹⁾.. فبكى عمر وقام بعبثته. فخرج الشعبى إلى المسجد فقال: يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل، فوالذى نفسى بيده ما علم الحسن منه شيئا فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصانى الله منه..

179- وروى ابن عساكر عن أبى الحسين النورى: أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح فقال: ما هذا ولمن هذا؟ فقال له: هذه خمر [لأمر المؤمنين] المعتضد. فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود فى يده حتى كسرها كلها، إلا دنا واحدا تركه! واستغاث الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقفوه بين يدى المعتضد!

فقال له: ما أنت؟

فقال: أنا المحتسب.

فقال: ومن ولاك الحسبة؟

(1) سورة إبراهيم آية 14.

فقال: الذى ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين.

فأطرق رأسه ثم رفعها فقال: ما الذى حملك على ما فعلت؟

فقال: شفقة عليك لدفع الضرر عنك.

فأطرق رأسه ثم رفعه فقال: ولأى شىء تركت منها دنا واحدا لم تكسره؟

فقال: لأنى إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالا لله تعالى، فلم أبال أحدا [إذا] حتى

انتهيت إلى هذا الدن دخل نفسى إعجاب، من قبيل أنى قد أقدمت [وتجرات] على مثلك، فتركته.

فقال له المعتضد: اذهب فقد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر.

فقال له النورى: الآن انتقض عزمى عن التغير.

فقال: ولم؟!

فقال: لأنى كنت أغير عن الله وأنا الآن أغير عن شرطى.

فقال: سل حاجتك؟

فقال: أحب أن تخرجنى من بين يديك، فأمر فأخرج..

180. قام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن [البصرى] فقال: كيف نصنع

بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواما يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يلحقك الخوف.

فقال له بعض القوم: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ؟ فبكى وقال: ظهرت

منهم علامات الخير فى السيئات والسمات، والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشرهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا فى غضب، ولم يحيفوا فى جور ولم يجاوزوا حكم الله تعالى فى القرآن، شغلوا الألسن

بالذكر وبذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم..

181. عن سعيد بن الجرمي: على الحدود دموعهم، كلما مروا بآية من ذكر الجنة بكوا شوقا وكلما مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرقا. قد أكلت الأرض جباههم وركبهم وغير السهر والظمأ ألوانهم، صغرت الدنيا في أعينهم وأبغضتها أنفسهم، [فأصبحوا] لا تفارق الأحزان قلوبهم، ادخروا ما قدموا من الأعمال لما يخافون من عظيم الأهوال..

182. وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة النار عن زيد بن ربيع رفعه قال: إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمنا، ثم بكوا القيح زمنا، فتقول لهم الحزنة: يا معشر الأشقياء تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا، فهل تجدون اليوم من تستغيثون به؟! تستغيثون به؟!!

فيرفعون أصواتهم: يا أهل الجنة، يا معشر الآباء والأمهات والأولاد، خرجنا من القبور عطاشا وكنا طول الموقف عطاشا ونحن اليوم عطاشا { أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ }⁽¹⁾.. فيدعون أربعين سنة لا يجيبوهم. ثم يجيبوهم { إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ }⁽²⁾.. فيأسون من كل خير. [اللهم يا من وسعت رحمته البر والفاجر في الدنيا وعم فضله السماوات والأرض، رب لا تُئسنا من رحمتك في الدنيا والآخرة وتب علينا فلا طاقة لنا بغضبك وأنت أرحم الراحمين]..

183. عن الحسن [البصري] عن النبي ﷺ مرسلا، ورواه ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو قال: لو أن رجلا من أهل النار أخرج إلى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتين ريحه، ثم بكى عبد الله بكاء شديدا⁽³⁾.

(1) سورة الاعراف آية 50.

(2) سورة الزخرف آية 77.

(3) خرج ابن أبي الدنيا وخرج أيضا من طريق النضر بن إسماعيل.

مر الربيع بن أبي راشد: برجل به زمانه⁽¹⁾. فجلس يحمد الله ويبيكى، فمر به رجل فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ذكرت أهل الجنة وأهل النار فشبهت أهل الجنة بأهل العافية وأهل البلاء بأهل النار فذلك الذى أبكاني..

184. عن صالح قال: وقفت فى دار المورياني⁽²⁾ حين خربت، فعرضت لى فيها بضعة عشر [آية] { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُمْسِكْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ }⁽³⁾.. { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }⁽⁴⁾.. وما أشبه ذلك. فإنى أقرأ إذ خرج على أسود من ناحيتها فقال: يا عبدالله هذه سخطة مخلوق على مخلوق، فكيف بسخطة الخالق؟! ثم ذهب فاتبعته فلم أر أحدا!!

185. وقال الحسن البصرى: يحق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدى الله تعالى مشهده أن يطول حزنه..

وقال إبراهيم التيمى: ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ }⁽⁵⁾.. وينبغى لمن لم يُشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: { إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ }⁽⁶⁾..

(1) [به زمانه: أى مُبْتَلًى بعاهة].

(2) [[أبو أيوب المورياني تمكن منه المنصور الخليفة العباسي تمكنا لا مزيد عليه، فاستوزره ثم غضب عليه وعذبه وأخذ منه أموالا عظيمة، واستصفى أموال أهل بيته وأخيه خالد، وأمر بقطع أيدي بنى [أخيه] وأرجلهم وضرب أعناقهم جميعا وأباد خضرأهم !! وكان إذا ذكر أبو أيوب لعنه وسبه. وكذلك الدنيا الدنية قريبة الرزية. سير أعلام النبلاء ج 7 ص 23 تاريخ الطبري ج 4 ص 506 الباب فى تهذيب الأنساب ج 3 ص 268 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج 2 ص 414]].

(3) سورة القصص آية 58.

(4) سورة الدخان آية 25.

(5) سورة فاطر آية 34.

(6) سورة الطور آية 26.

186. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله إنى امرأة أغزل فى الليل على ضوء السراج، وربما طفئ السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل على أن أبين غزل السراج من غزل القمر؟ فقال لها أبى: إن كان عندك فرق بينهما فعليك أن تبينى. ثم انصرفت، فقال لى أبى: يا بنى، ما سمعت إنسانا قط يسألنى عن مثل ما سألت هذه المرأة اتبعها، فتبعها، إلى أن دخلت دار بشر الحافى، فعلمت أن المرأة أخت بشر الحافى وكانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع..

187. حكى أن بشراً كان فى زمن لهو فى داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين [فسمع لهوهم] فدخل الباب. فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حر أو عبد؟ فقالت: بل حر. فقال: صدقت، لو كان عبداً لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو والطرب. فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافياً حاسراً، وقد ولى الرجل، فقال للجارية: ويحك من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أى ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه فقال له: يا سيدى أنت الذى وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد على الكلام؟ فأعاده عليه.

فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد، عبد، ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء. فقليل له: لم لا تلبس نعلًا؟ قال: لأنى ما صالحنى مولاى إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات..

188. قال ثابت البنانى: دخلت المقابر لأزور وأعتبر بالموتى، وأتفكر فى البعث والنشور وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغى والفجور. فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون وفرادى لا يتزاوون، فأيست من مقالهم واعتبرت بأحوالهم، فلما أردت الخروج إذ بصوت يقول: يا ثابت، لا يغرنك صمت أهل [القبور] فكم من نفس معذبة فيها..

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله..

189. روى البخارى من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت (براءة) وقد نقل عن بعض العرب، أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن، قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهوداً تنبذ ووصايا تنفذ..

190. عن عمارة بن زاذان: أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنى أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلى، لأوصيت أهلى إذا أنا مت أن يقيدونى وأن يجمعوا يدى إلى عنقى، فينطلقوا بى على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق..

191. وكان عيسى عليه السلام: إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دماً..

192. وقال موسى بن مسعود: كنا إذا جلسنا إلى الثورى، كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه..

193. وقال بعضهم: صليت خلف ذى النون المصرى، فلما أراد أن يكبر رفع يديه فقال: الله ثم بهت. فبقى كأنه جسد لا روح فيه إعظماً لربه، ثم قال: الله أكبر، فظننت أن قلبى انخلع من هيبة تكبيره..

194. قال مطرف: لو أتانى آت من ربى، فخيرنى بين الجنة والنار، وبين أن أصير تراباً لاخترت أن أصير تراباً..

195. عن أبى عبيدة بن عقبة: أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك، فقال لها: ألا تخبرينى عن عمر؟ فقالت: ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه !! [يا سبحان الله، انظروا إلى من اتخذوا الملك وسيلة لنشر العدل فى رعيّتهم تقريباً إلى الله، فشغلهم خوفهم من الله ومحاسبته لهم يوم القيامة عن ملذات الدنيا. ثم انظر إلى من تولوا أمراً فى بلاد المسلمين، وكيف اتخذوا مناصبهم سلماً للملذاتهم تباعداً من الله]..

196. وقال وهب بن منبه: كان عابد فى بنى إسرائيل، قام فى الشمس يصلى حتى اسود وتغير لونه، فمر به إنسان فقال: كأن هذا حرق بالنار! قال: إن هذا من ذكرها فكيف بمعانيتها؟

قال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس، إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقل فىقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعنى أنام، فىقوم إلى مصلاه.
وقال أبو سليمان الدارانى: كان طاووس يفترش فراشه ثم يضطجع عليه فىقتل كما تلى الحبة على المقل ثم يثب فىدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح فىقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين.

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خيثم: يا أبت ما لك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام.
وكان صفوان بن محرز إذا جنه الليل يخور كما يخور الثور فىقول: منع خوف النار منى الرقاد.

وكان عامر بن عبد الله فىقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها فكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسى. وروى عنه أنه كان يتلوى كما يتلوى الحب فى المقل! ثم فىقوم فىنادى، اللهم إن النار قد منعتنى من النوم فاغفر لى. وروى عنه أنه قيل له: ما لك لا تنام؟ قال: إن ذكر جهنم لا يدعنى أنام.

وقال الحر بن حصين الفزارى: رأيت شيخا من بنى فزارة، أمر له خالد بن عبد الله بمائة ألف فأبى أن يقبلها! وقال: أذهب ذكر جهنم حلاوة الدنيا من قلبى. وكان فىقوم إذا نام الناس فىصيح: النار النار النار.

وعن أبى مهدى قال: ما كان سفیان الثورى ينام إلا أول الليل، ثم یتفرض فزعا مرعوبا فىنادى النار النار، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم یتوضأ فىقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتى غير معلم وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار.

وفى هذا المعنى يقول عبدالله بن المبارك:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
ومنهم من منعه خوف النار من الضحك:

197. قال الحجاج لسعيد بن جبير: بلغنى أنك لم تضحك قط، قال: كيف أضحك

وجهنم قد سعرت، والأغلال قد نصبت، والزبانية قد أعدت؟!!

وروى أن جماعة من السلف، قد عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبدا، حتى يعلموا أين مصيرهم إلى الجنة أم إلى النار! منهم حمزة الدوسي، والربيع بن خراش وأخوه ربيع، وأسلم العجلي ووهيب بن الورد وغيرهم.

وعن إبراهيم بن محمد البصرى قال: نظر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى رجل عنده متغير اللون فقال له: ما الذى أرى بك؟ قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله، فأعاد عليه عمر، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات. فقال: إذا أبيت إلا أن أخبرك، فإنى ذقت حلاوة الدنيا فصغر فى عيني زهرتها وملاعبها واستوى عندى حجارتها وذهبها، ورأيت كأن الناس يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار، فأسهرت لذلك ليلى وأظلمات له نهارى، وكل ذلك صغير حقير فى جنب عفو وثواب الله عز وجل وجنب عقابه.

وهذا الكلام يشبه حديث حارثة المشهور، وهو حديث روى من وجوه مرسلات وروى مسندا متصلا من رواية يوسف بن عطية الصفار، وفيه ضعف عن ثابت عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لشاب من الأنصار: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمنا بالله حقا، قال: انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة. قال: يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظلمات نهارى وكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاونون [أى يُعذبون] فيها. قال: أبصرت فالزم..

وكان سعيد الجرمي يقول في وصف الخائفين: إذا مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرقا كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة نصب أعينهم.

وقال الحسن: إن الله عبادة كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين. وقال: والله ما صدق عبد بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت. وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها..

198. عن قتادة قال: والله ما خشى الله عبد قط إلا ذكره..

199. قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله علماً. ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله، اشتد حيأؤه منه وخوفه وحببه له وكلما ازداد معرفة ازداد حيأء وخوفاً وحباً، فالخوف من أجل منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج وهو بهم أليق ولهم ألزم. فإن العبد إما أن يكون مستقيماً أو مائلاً عن الاستقامة، فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على [قدر] ميله، ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف. وهو ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: معرفته بالجناية وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

والثالث: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب. فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف، وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه، فإن الحامل على الذنب إما أن يكون عدم علمه بقبحه وإما عدم علمه بسوء عاقبته، وإما أن يجتمع له الأمران لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة وهو الغالب من ذنوب أهل الإيمان. فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته وخاف أن لا يفتح له باب التوبة بل يُمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه. هذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد. وبالجمله فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزائها، وذكر المعصية والتوعد عليها وعدم الوثوق بإتيانه

بالتوبة النصوح، هاج في قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو. وأما إن كان مستقيماً مع الله فخوفه يكون مع جريان الأنفاس..

200- عن مالك بن مغول عن رجل عن الحسن قال: ما عبد الله بمثل طول الحزن.
وقال سفيان: إنما الحزن على قدر البصر..

201- من علم عظمة الإله زاد وجله، ومن خاف نقم ربه حسن عمله، فالخوف هو نعم المؤدب للمؤمن.

قال الحسن [البصري]: صحبت أقواماً كانوا لحسناتهم أن تُردَّ عليهم أخوف منكم من سيئاتكم أن تعذبوا بها.

ووصف يوسف بن عبد المحسن فقال: كان إذا أقبل كأنه أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس كأنه أسير من يضرب عنقه، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له. وكان سميط إذا وصف الخائفون يقول: أتاها من الله وعيد وفدهم فناموا على خوف وأكلوا على تنغص. واعلم أن خوف القوم لو انفرد قتل، غير أن نسيم الرجاء يروح أرواحهم، وتذكر الإنعام يحيى أشباحهم.

ولذلك روى: لو وُزنَ خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا. فالخوف للنفس سائق والرجاء لها قائد..

202- حدثنا عمر بن الحكم فقال: سمعت وهب بن منبه يقول: لقي رجل رجلاً فوقه في العلم فقال: كم آكل؟

فقال: ما فوق الجوع ودون الشبع.

قال: فكم أضحك؟

قال: حتى يسفر وجهك على أن لا يسمع صوتك.

قال: فكم أبكى؟

قال: لا تمل أن تبكى من خشية الله.

قال: فكم أخفى من عملي؟

قال: حتى لا يراك الناس أنك تعمل بحسنة.

قال: فكم أظهر من عملي؟

قال: حتى يأت بك الحريص ويؤمن عليك قول الناس..

203- عن عكرمة عن محمد بن المنكدر، أنه جزع عند الموت ف قيل له: لم تجزع؟ قال:

أخشى آية من كتاب الله عز وجل قال تعالى { وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } (1) ..

204- وقيل الذكر خمسة أنواع: بالقلب واللسان تارة وذلك أفضل الذكر، وبالقلب

وحده تارة وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة وهي الدرجة الثالثة.

والذكر أفضل من الدعاء، فالذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه

وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته فأين هذا من هذا؟! ولهذا جاء في الحديث: من

شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. ولهذا كان المستحب في

الدعاء، أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدي حاجته ثم يسأل حاجته، كما

في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى

ولم يصل على النبي ﷺ فقال: رسول الله ﷺ: عجل هذا. ثم دعاه، فقال: إذا صلى أحدكم

فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه ثم يصل على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بها شاء (2).

وهكذا دعاء ذى النون عليه السلام قال فيه النبي ﷺ: دعوة أخى ذى النون ما دعا بها مكروب

إلا فرج الله كربته { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } (3) ..

205- قيل لكسرى: من أولى الناس بالسعادة؟ قال: أقلهم ذنوبا. قيل: فمن أقلهم

ذنوبا؟ قال: أتمهم عقلا..

(1) سورة الزمر آية 47.

(2) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه الحاكم في صحيحه.

(3) سورة الأنبياء آية 87.

206- وعن بكر بن عبدالله: أن أكثر الناس ذنباً أقلهم استغفاراً، وأكثرهم استغفاراً أقلهم ذنباً!!

207- مرَّ الحسن البصرى: بشاب وهو مستغرق في ضحكته، وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن: يا فتى هل مررت بالصراط؟! قال: لا! قال: فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار؟! قال: لا! قال: فما هذا الضحك؟! فما رؤى الفتى بعدها ضاحكاً..

208- عن الحسن البصرى قال عامر بن عبد قيس: لقيت أناساً من أصحاب محمد ﷺ فأخبروني أن أخلص الناس إيماناً يوم القيامة، أشدهم محاسبة في الدنيا لنفسه، وأن أشد الناس فرحاً يوم القيامة، أكثرهم حزناً في الدنيا، وأن أكثر الناس ضحكاً يوم القيامة، أكثرهم بكاء في الدنيا..

209- قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه، وقلَّ حسده!

210- عن يعقوب بن زيد وعمر بن عبد الله مولى غفرة قال: نظر أبو بكر ﷺ إلى طير وقع على شجرة فقال: ما أنعمك يا طير، تأكل وتشرب وليس عليك حساب وتطير، ليتنى كنت مثلك. وكان كثير البكاء وكان يمسك لسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد. وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله.

وهذا عمر، الرجل الثانى بعد أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قال لابنه عبد الله: وهو فى الموت: ضع خدى على الأرض عساه أن يرحمنى، ثم قال: ويل أمى إن لم يغفر لى ويل أمى إن لم يغفر لى.

وأخذ مرة تبة من الأرض فقال: ليتنى هذه التبة ليتنى لم أكن شيئاً. ليت أمى لم تلدنى، ليتنى كنت منسياً.

وكان يمر بالآية من ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أياماً يعاد يحسبونه مريضاً، وكان فى وجهه خيطان أسودان من البكاء..

وهذا عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبيل لحيته وقال: لو أننى بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير..

211. عن معمر عن أبان عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع ومن قول لا يسمع، اللهم إني أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع ⁽¹⁾..

212. عن معاوية بن قره قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه لا يدري أأرضى الله أم أسخطه. وأبكاني: فراق أحب الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية فلا يدري إلى الجنة أم إلى النار..

213. قال العباس بن الوليد عن أبيه: كان الأوزاعي إذا ذكر النار لم يقطع ذكرها ولم يقدر أحد يسأله عن شيء حتى يسكت، فأقول بينى وبين نفسي: ترى بقى أحد فى المجلس لم يتقطع قلبه حسرات..

وعن عطاء الخراساني قال: كان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير ويسمع صوت [حسيس] النار فيصرخ ثم يسقط..

214. حدثنا الأعمش عن حدثه: أن الربيع بن خثيم مر بالحدادين، فنظر إلى الكير وما فيه فخر..

215. قال مجاهد وغيره: إن نار الدنيا تذكر بنار الآخرة..

216. قال العلاء بن زياد: كان إخوان مطرف عنده فخاضوا فى ذكر الجنة، فقال

مطرف: لا أدري ما تقولون؟ حال ذكر النار بينى وبين الجنة..

(1) الجامع ج 10 ص 439 رقم 19635.

217- وقال عبد الله بن أبي الهذيل: لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة..

218- وقال علي بن خشرم سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت يوما في المسجد الحرام فذكرت شيئا من صفة النار، فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه وطرح نفسه..

وقال حماد بن سلمة عن ثابت: كان بشير بن كعب وقراء البصرة يأتون الحدادين فينظرون إلى شهيق النار فيتعودون بالله من النار.

وعن العلاء بن محمد قال: دخلت على عطاء السلمى فرأيت مغشيا عليه، فقلت لامرأته: ما شأنه؟ قالت: سجرت التنور فلما نظر إليه غشى عليه.

وعن معاوية الكندى قال: مر عطاء السلمى على صبي معه شعلة نار، فأصابته النار الريح فسمع ذلك منها فغشى عليه.

وقال الحسن [البصرى]: كان عمر رضي الله عنه ربما توقد له النار ثم يدنى يديه منها ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر؟

وكان الأحنف بن قيس: يجيء إلى المصباح بالليل فيضع أصبعه فيه ثم يقول: حس حس، ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

وقال البخترى بن حارثة: دخلت على عابد فإذا بين يديه نار قد أججها وهو يعاتب نفسه ولم يزل يعاتبها حتى مات.

وروى أبو نعيم بإسناده عن الفضيل قال: أشرفت ليلة على علي [بن الفضيل] وهو في صحن الدار وهو يقول: النار ومتى الخلاص من النار؟ وكان على يوما عند ابن عيينة، فحدث سفيان بحديث فيه ذكر النار، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط فشهو شهقة ووقع القرطاس من يده، فالتفت إليه سفيان فقال: لو علمت أنك ها هنا ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله..

219- حين سئل عطاء السلمي: ما هذا الحزن قال: ويحك، الموت في عنقي، والقبر

بيتي وفي القيامة موقفي، وعلى جسر جهنم طريقي، لا أدري ما يُصنع بي..

220- عن جابر عن الشعبي: مر رجل من مراد، على أويس القرني فقال: كيف

أصبحت؟

قال: أصبحت أحمد الله، قال: كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن

أصبح ظن أن لا يمسي، وإن أمسى ظن أن لا يصبح، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار، يا أخا

مراد، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له في ماله فضة

ولا ذهباً، وإن قيامه بالحق لم يترك له صديقاً..

221- عن عتبة بن عبد الله قال: قالوا لعون بن عبد الله: ما أنفع أيام المؤمن له؟ قال:

يوم يلقي ربه فيعلمه أنه راضٍ. قالوا: إنما أردنا من أيام الدنيا. قال: إن من أنفع أيامه له

في الدنيا ما ظن أنه لا يدرك آخره..

222- عن أبي غالب قال: كنت أختلف إلى الشام في تجارة وفيها رجل من قيس من

خيار الناس فكنت أنزل عليه، ومعنا ابن أخ له مخالف، يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه،

فمرض الفتى فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه، فأتيته أنا به فأدخلته عليه، فأقبل عليه يشتمه

ويقول: أي عدو الله الخبيث ألم تفعل كذا ألم تفعل كذا؟ قال: أفرغت ياعم؟ قال: نعم،

قال: أرأيت لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ قال: إذاً والله كانت تدخلك

الجنة. قال: فوالله، لله أرحم بي من والدتي. فقبض الفتى. فدخلت القبر مع عمه فخطوا

له خطأ ولم يلحدوا له، فقلنا باللبن فسوينا، فسقطت لبنة فوثب عمه فتأخر! فقلت: ما

شأنك؟! قال: ملئ قبره نورا وفسح فيه مثل مد البصر..

عن إدريس بن عبد الله المروزي قال: مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، قال: إلى

أين يذهب بي؟ قيل: إلى الله، قال: فما كراحتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه..

عن ابن دينار قال: سمعت أبا بن عثمان قال: دخلت على عمر بن الخطاب ؓ حين طعن ورأسه في التراب فذهبت أرفعه فقال: دعني ويل ويل أُمى إن لم يغفر لي، ويلى ويل أُمى إن لم يغفر لي..

عن يحيى بن أبي كثير قال: لما حضر عمر بن عبد العزيز ؓ الموت بكى، فقليل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، أبشر فإن الله قد أحيا بك سننا وأظهر بك عدلا، فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله، لو رأيت أنى عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقتها حجتها، ثم فاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيرا بعدها حتى مات رحمه الله..

حدثنا ليث بن أبي رقية عن عمر بن عبد العزيز ؓ قال: لما كان في مرضه الذى مات فيه أجلسونى، فأجلسوه فقال: [مخاطبا متضرعا إلى ربه عز وجل] أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ثلاث مرات، ولكن [أشهد أن] لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه فأحدَّ النظر فقليل له: إنك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين؟ قال: إني لأرى حضرة ما هم إنس ولا جن ثم قبض..

عن الحسن: أن معاذ بن جبل لما احتضر، دُخل عليه وهو يبكى، فقليل: ما يبكيك؟ فقد صحبت محمدا ﷺ، قال: ما أبكى جزعا من الموت إن حل بى، ولا على دنيا أتركها بعدى ولكن بكائى أن الله قبض قبضتين فجعل واحدة فى النار وواحدة فى الجنة، فلا أدري فى أى القبضتين أكون..

عن عمرو بن قيس: أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ فقليل: لم نصبح حتى أتى [الصبح] فقليل له: قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبا بالموت، مرحبا بزائر مغب حبيب جاء على فاقة، اللهم إنك تعلم أنى كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. إني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا

لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر..

حدثنا زهير بن أبي عطية قال: لما احتضر العلاء بن زياد العدوي بكى فقيلاً له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة، قيل: فافعل رحمك الله، فدعا بطهور فتطهر ثم دعا بثوب له جديد فلبسه، ثم استقبل القبلة فأوماً برأسه مرتين أو نحو ذلك ثم اضطجع فمات..

حدثنا ليث بن أبي سليم قال: لما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزعاً شديداً، فقيلاً له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى أسفاً على الدنيا بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدرى على ما أقدم على رضا أم على سخط..

عن أبي مسعود قال: أغمى على حذيفة، فأفاق في بعض الليل فقال: يا أبا مسعود، أي الليل هذا؟ قال: السحر، قال: عائد بالله من جهنم، مرتين..

عن جعفر بن زيد العبدي: أن أبا الدرداء لما نزل به الموت بكى، فقالت له أم الدرداء: أوتبكي يا صاحب رسول الله؟!

قال: نعم، وما لي لا أبكى ولا أدرى على ما أهجم من ذنوبي..

عن الحسن قال: لما حضر [الموت] سلمان رضي الله عنه بكى، فقالوا: ما يبكيك وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟! قال: ما أبكى أسفاً على الدنيا ولا رغبة فيها، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فتركناه، قال ﷺ: ليكن بلغة أحدكم مثل زاد الركب. [فلما مات ﷺ] بلغ ما ترك بضعا وعشرين درهما!!

حدثنا حوشب بن عقيل قال: سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ⁽¹⁾.. ألا إن الأعمال محظورة والأجور مكملّة ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت ثم بكى وقال: يا من القبر

(1) سورة آل عمران آية 185.

مسكنه وبين يدي الله موقفه والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟

حدثنا ذكوان: أن ابن عباس جاء يستأذن على عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها وهي في الموت قال: فجئت وعند رأسها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فقلت: ابن عباس يستأذن عليك؟ قالت: دعني من ابن عباس فلا حاجة لي به ولا تزكيتة.

فقال عبد الله: يا أمتاه إن عبد الله من صالح بنيك ويريد أن يسلم عليك، قالت: فأذن له إن شئت. قال: فجاء ابن عباس فقعده فقال: أبشرى فوالله ما بينك وبين أن تفارقني كل نصب وتلقين محمدا والأحبة إلا أن يفارق روحك جسدك، قالت: أيضا يا ابن عباس، قال: كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن يحب رسول الله ﷺ إلا طيبا، سقطت قلاذك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ يلتقطها، وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله أن تيمموا صعيدا طيبا، فكان ذاك من سبيك، وما أنزل الله لهذه الأمة من الرخص، ثم أنزل براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر الله فيه إلا براءتك تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار..

عن محمد بن قيس: أن رجلا من أهل المدينة، نزل به الموت فجزع، فقليل له: أنجزع؟ فقال: ولم لا أجزع! فوالله إن كان رسول أمير المدينة ليأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين؟!

عن الصلت قال: سمعت عطاء السلمي يقول عند الموت: اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم عند الموت صرعتي وارحم في القبر وحدتي وارحم مقامي بين يديك يوم النشور.

223- وعن سفيان الثوري قال عَزَّيْرُ النَّبِيِّ ﷺ يا رب ما علامات من صافيته في مودته؟ قال من قنعتة باليسير وحركته للخطر العظيم، قليل الطعم كثير البكاء، يستغفرني بالأسحار ويغض في الفجار..

224. يقول الله عز وجل: إني أتعجب من عبادي بثلاث: من آمن من النار وهو يعلم أنه واردها. ومن اطمأنت نفسه إلى الدنيا وهو يعلم أنه مفارقها. ومن غافل ليس بمغفول عنه..

225. إذا اشتغل العبد بالله عز وجل، استنار قلبه وامتلاً نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه، فتظهر عليه آثار الخشوع، فيحبه الناس ويشنون عليه، فتلك عاجل بشره بمحبة الله له ورضوانه عليه..

وقيل: الخشوع من أفعال القلب، كالخوف والرغبة. وقيل: هو من أفعال الجوارح، كالسكون وترك الالتفات وغيض البصر. وقيل: لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى..

226. ومن كلام الحجاج [ابن يوسف الثقفي] وهو من أوائل المعاني، ما أخبرنا به عن الشعبي قال: صعد الحجاج المنبر، فتكلم بكلام لم أسمعه من أحد قبله ولا بعده، قال: أيها الناس كتب الله على الدنيا الفناء، فلا بقاء لما كتب الله عليه الفناء. وكتب على الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقصروا الأمل لقصر الأجل، رأيت الصبر عن محارم الله، أيسر من الصبر على عذاب الله..

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف:

227. روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: لطائر، ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً.

وقالت عائشة رضي الله عنها: وددت أني كنت نسيا منسيا.

وقال عثمان رضي الله عنه: وددت أني إذا مت لم أبعث.

وروى أن عمر رضي الله عنه: كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان

يعاد أياماً. وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً

مذكوراً يا ليتني كنت نسيا منسيا، يا ليتني لم تلدني أُمي.

وقال عمران بن حصين: وددت أن أكون رمادا تنسفنى الرياح فى يوم عاصف..

228. وروى أن أبا ذر رضي الله عنه قال وددت أنى كنت شجرة تعضد..

229. حدثنا قبيصة بن عقبة قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قال رجل لمسلم بن

سيار: علّمنى كلمة تجمع لى موعظة نافعة؟

فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه فقال: لا تُردّ بعملك غير من يملك شرك ونفعك.

قال: زدنى؟

قال: احمل رجاءك ولا تستعمله، واستشعر الخوف ولا تغفله.

قال: زدنى؟

قال: يوم العرض على ربك لا تنسه. ثم سقط لوجهه مكفا..

* * *

الباب الثالث

ما جاء من الآيات التى ذكرت بها الخشية

والخشوع والبكاء والوجل

الآيات حسب تصنيفها بهذا الباب وقد قُسم إلى أحد عشر فصلاً.

- الفصل الأول: آيات الخشوع وما جاء بها تحت مسميات: خَشَعْتُ، تَخَشَعُ، خُشُوعاً، خَاشِعاً خَاشِعُونَ، خَاشِعِينَ، خُشَعاً، خَاشِعَةً.
- الفصل الثانى: الآيات التى ذكرت بها كلمة الخشية تحت مسميات: خَشَى، تَخَشَّاهُ، فَتَخَشَى، تَخْشَوْهُ، يَخْشَى، يَخْشَاهَا، يَخْشُونَ، يَخْشَوْنَهُ، وَاخْشَوْا وَاخْشَوْنِي، خَشِيَّةً، خَشِيَّتِهِ.
- الفصل الثالث: الآيات التى ذكرت بها كلمة البكاء والفيض والدمع فى القرآن الكريم: بَكَتْ، تَبْكُونَ، لَيَبْكُوا، يَبْكُونَ، أَبَكَى، بُكِياً.
- الفصل الرابع: آيات وأحاديث الفيض والدمع: فَاضَتْ، تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ.
- الفصل الخامس: الآيات التى ذكرت بها كلمة: أَحْبَبُوا، فَتُحِبُّ، الْمُحِبِّينَ.
- الفصل السادس: الآيات التى ذكرت بها كلمة: وَاجِفَةٌ.
- الفصل السابع: الآيات التى ذكرت بها كلمة: وَجِلْتُ، وَجِلَّةٌ.
- الفصل الثامن: الآيات التى ذكرت بها كلمة: خَرُّوا، تَخَرُّوا، يَخْرُونَ.
- الفصل التاسع: الآيات التى ذكرت بها كلمة: تَقَشَّعُ.
- الفصل العاشر: الآيات التى ذكرت بها كلمة: مُشْفِقُونَ، وَمُشْفِقِينَ.
- الفصل الحادى عشر: الآيات التى ذكرت بها كلمة: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ.

* * *

الفصل الأول

آيات الخشوع وما جاء بها تحت مسميات

خَشَعْتُ، تَخَشَعُ، خُشِعْتُ، خُشِعَ، خَاشِعًا، خَاشِعُونَ، خَاشِعِينَ، خُشَعًا، خَاشِعَةً

معنى الخشوع لغة:

230. خَشَعُ: خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوعًا، وَخَشَعَتْ وَتَخَشَعَتْ رَمَى بَبْصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ وَغَضَّهْ وَخَفَضَ صَوْتَهُ. وَقَوْمٌ خُشِعَ: مُتَخَشِعُونَ. وَخَشَعَ بَصْرُهُ: انْكَسَرَ، وَلَا يُقَالُ: انْخَشَعَ إِذَا طَاطَأَ صَدْرَهُ وَتَوَاضَعَ.

وقيل: الخشوع قريب من الخُضوع إِلَّا أَنَّ الخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِالِاسْتِخْذَاءِ وَالْخُشُوعُ فِي الْبَدَنِ وَالصَّوْتِ وَالْبَصَرِ. وَكُلُّ سَاكِنٍ خَاضِعٍ خَاشِعٌ، وَالتَّخَشُّعُ: نَحْوُ التَّضَرُّعِ. وَالْخَاشِعُ: الرَّائِعُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ. وَالتَّخَشُّعُ: تَكَلُّفُ الْخُشُوعِ. وَالتَّخَشُّعُ لِلَّهِ: الْإِخْبَاتُ وَالتَّذَلُّلُ.

قال ربى تعالى ذكره وأحق القول قوله، وأصدق الحديث حديثه، وأحسن الكلام كلامه: { وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا }⁽¹⁾ ..

231. أى ذلت وسكنت، فكل لسان ساكت هناك هيبة للرحمن، أى من أجله، فلا تسمع إلا همساً بالصوت الخفى. والمعنى أى لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت أقدام.. قوله تعالى { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ }⁽²⁾ ..

232. أى [ألم] يحين [الوقت بعد] أن تخشع وتذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق. عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية، إلا أربع سنين⁽³⁾ ..

(1) سورة طه آية 108 .

(2) سورة الحديد آية 16 .

(3) كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب وأخرجه النسائى فى الكبرى 11568 .

وقال قتادة: إن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال: إن أول ما يرفع من الناس الخشوع..

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا وَعَدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } (1) ..

233 مدح [الله تبارك وتعالى مرتين] هؤلاء وأثنى عليهم بخروورهم [للأذقان] سجداً، والثاني بخروورهم للأذقان [باكين].

- يقول القرطبي: هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجرى إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل. وفي مسند الدارمي أبي محمد عن التيمي قال: من أوتي من العلم ما لم يبيكه لخليق ألا يكون أوتي علماً. لأن الله تعالى نعت العلماء ثم تلا الآية.

وقال الحسن [البصري]: الأذقان عبارة عن اللحي، أى يضعونها على الأرض في حال السجود وهو غاية التواضع. الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان إذا يتلى عليهم القرآن يكون ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً وخضوعاً لأمر الله وطاعته واستكانة له.

وعن عبد الله بن الشخير قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. وفي كتاب أبي داود وفي صدره أزيز كأزيز الرحي من البكاء [وهو دليل على جواز واستحباب البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى].. (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) كرر الخروور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد، والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم بسماهم القرآن [واتباع ما جاء به رضى و] خشوعاً، كما يزيدهم علماً و يقيناً بالله تعالى.

(1) سورة الإسراء الآيات 107 / 109.

- ويقول الطبري: يقول تعالى ذكره ويخبر [أن] هؤلاء الذين أوتوا العلم، من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يتلى عليهم القرآن، يخرجون لأذقانهم يكون ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر، خشوعاً وخضوعاً لأمر الله وطاعته واستكانة له وشكراً لإنجاز ما وعد به فى تلك الكتب من بعثتك [يا محمد]، وتخصيص الأذقان بالذكر، للدلالة على كمال التذلل، إذ حيثئذ يتحقق الخرور عليها..

قال تعالى { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (1) ..

234. المعنى: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل وهو حجر [من الصخر القاسى الشديدة القوة والصلابة] لرأيتـه يا محمد خاشعاً متذللاً متصدعاً من خشية الله على قساوته وصلابته ورزاقته وأن الجبال لأشد تعظيماً لحق [الله] منهم، وأن الحجارة ليس فيها امتناع مما يحدث فيها بأمر الله تعالى وإن كانت قاسية، بل هى منصرفة على مراد الله غير ممتنعة من تسخيرـه. حذرا من أن لا تؤدى حق الله المفترض عليها فى تعظيم القرآن. وقيل: هو على وجه المثل للكفار لقوله تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) أى أنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون فى وعده، ولا ترهبون من وعيده! أى إذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد فكيف يليق بكم يا أيها البشر، أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟!

عن قتادة قوله: يعذر الله الجبل الأصم ولم يعذر شقى ابن آدم، هل رأيتم أحداً قط تصدعت جوانحه من خشية الله؟ إن الجبال أشد تعظيماً لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها [إن] الذى يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس، هو الذى تنبغى العبادة والألوهية له. وهذه الأشياء نشبهها للناس ليتفكروا فيها فينبوا وينقادوا للحق.

(1) سورة الحشر آية 21.

قال تعالى { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } (1) ..

235. الخاشعون جمع خاشع وهو المتواضع والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع. وقال قتادة: الخشوع في القلب وهو الخوف وغيض البصر في الصلاة، وقال الزجاج: الخاشع الذي يرى أثر الذل والخشوع عليه. وفي رواية هشيم: كان المسلمون يلتفتون في الصلاة وينظرون حتى أنزل الله تعالى (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) فأقبلوا على صلاتهم وجعلوا ينظرون أمامهم. والخشوع محله القلب، فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه إذ هو ملكها، وكان الرجل من العلماء إذا قام للصلاة يهاب الرحمن أن يمد بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا. وقال عطاء: هو ألا يعيث بشيء من جسده في الصلاة.

أبصر النبي ﷺ رجلاً يعيث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه. وقال أبو ذر: قال النبي ﷺ: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى (2) ..

.. وعن مجاهد قال: الخاشعون هم المؤمنون حقاً. وقال سفيان الثوري: سألت إبراهيم النخعي عن الخشوع؟ فقال: ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأ طؤ الرأس، لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك.

ونظر عمر رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال: يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب. فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه، فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

(1) سورة المؤمنون الآيات 1 / 2.

(2) رواه الترمذي.

قال سهل بن عبد الله: لا يكون [الخاشع] خاشعاً حتى تخشع كل شعرة على جسده، لقول الله تبارك وتعالى { تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ }⁽¹⁾.. هذا هو الخشوع المحمود، لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه، فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك، وأما المذموم فتكلفه والتباكى وطأطة الرأس، كما يفعله الجهال ليُرَوْا بعين البر والإجلال! وذلك خِدْعٌ من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان.

قال تعالى { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }⁽²⁾..

236- عن مجاهد قال: نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب. وقيل: [نزلت] في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام. فأسلموا. وقيل: في أصحمة النجاشي ملك الحبشة، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له. فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلى على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت..

قال تبارك وتعالى واصفاً المخلصين { يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }⁽³⁾..

(1) سورة الزمر آية 23.

(2) سورة آل عمران آية 199.

(3) سورة الأنبياء آية 90.

237. قيل: رغباً في ثوابنا ورهباً من عقابنا. أى متواضعين خاضعين لا يستكبرون

عن طاعتنا وعبادتنا..

قال تعالى { خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ } (1) ..

238. [أى ينظرون إلى جهنم لما رَأَوْا عَظَمَ وَهولَ ما يشاهدون] أى حال كونهم

خاشعين حقيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الذل.

قال تعالى { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } (2) ..

239. الصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها

ومنعها من تناولها وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين، قال يحيى بن اليمان: الصبر ألا

تتمنى حالاً سوى ما رزقك الله، والرضا بما قضى الله من أمر دنيائك وآخرتك. وقيل: الصبر

من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. قال الطبري: وذلك أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار

باللسان وعمل بالجوارح فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الإيمان بالإطلاق.

والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع. وقال الزجاج: الخاشع

الذى يرى أثر الذل والخشوع عليه كخشوع الدار بعد الإقوان..

قال تعالى { خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ } (3) ..

240. الخشوع في البصر الخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز

والذل يتبين في ناظر الإنسان..

قال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (4) ..

(1) سورة الشورى آية 45.

(2) سورة البقرة آية 45.

(3) سورة القمر آية 7.

(4) سورة الفلم الآيات 42 / 43.

241. أى هامة لا نبات فيها بل هى ميتة، وعن قتادة قال: غبراء. وعن السدى

قال: يابسة متهشمة..

قال تعالى { يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ } (1) ..

242. اعلم بأنهم لا يُدْعَوْنَ إلى السجود تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود فى الدنيا، ثم إنه تعالى حال ما يدعوهم إلى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا، حين دعوا إلى السجود وهم سالمو الأطراف والمفاصل [فعصوا]. قال الجبائى: لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دل ذلك على أنهم فى الدنيا كانوا يستطيعون. (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) [أى خاضعة أبصارهم لما هم فيه من الخزي والهوان] فهو حال من قوله (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يعنى يلحقهم ذل بسبب أنهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم. عن قتادة قال: بلغنى أنه يؤذن للمؤمنين يوم القيامة فى السجود، بين كل مؤمنين منافق فيسجد المؤمنون ولا يستطيع المنافق أن يسجد، قال:

تقسو ظهورهم ويكون سجود المؤمنين توبيخًا [شديدا للمنافقين]..

قوله تعالى { خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ } (2) ..

243. (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) أى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله. عن الحسن [البصرى] خاشعة أبصارهم [أى] خاضعة أبصارهم للذى هم فيه من الخزي والهوان ترهقهم وتغشاهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون. يقول عز وجل: هذا اليوم الذى وصفت صفته [أى فيما أنزلت من كتب وأرسلت من رسل وحذرتكم منه فهو يوم الثواب والعقاب]. وهو يوم القيامة، الذى كان المشركون يوعدون [به] فى الدنيا، أنهم لا قوه فى الآخرة فكانوا يكذبون به..

(1) سورة فصلت آية 39.

(2) سورة المعارج آية 44.

قال تعالى { قُلُوبٌ يَوْمِنَدٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ }⁽¹⁾ ..

244. أى أبصار خاشعة ذليلة [من الخوف] لهول ما ترى ..

قال تعالى { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهُ يَوْمِنَدٍ خَاشِعَةٌ }⁽²⁾ ..

245. أى ذليلة قد عراهم الخزي والهوان، فاعلم أنه وصف لأهل الشقاوة، وإنما

يظهر الذل فى الوجه لأنه ضد الكبر الذى محله الرأس والدماع. والمراد بالوجوه الكفار وذلك لأنها فى الدنيا تكبرت عن عبادة الله ..

قال تعالى { وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ }⁽³⁾ ..

246. أى المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة .. والخشوع السكون

والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث: اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..

* * *

(1) سورة النازعات الآيات 8 / 9.

(2) سورة الغاشية الآيات 1 / 2.

(3) سورة الأحزاب آية 35.

الفصل الثانى

الآيات التى ذكرت بها كلمة الخشية تحت مسميات

خَشِيَ، تَخَشَّاهُ، فَتَخَشَّى، تَخَشَّوْهُ، يَخْشَى، يَخْشَاهَا، يَخْشَوْنَ يَخْشَوْنَهُ،
وَاخْشَوْا، وَاخْشَوْنِي، خَشْيَةٍ، خَشِيَّتِهِ

معنى الخشية لغة:

247- خَشِيَ: الخَشْيَةُ: الخَوْفُ. خَشِيَ الرجلُ يَخْشَى خَشْيَةً أى خاف. قال ابن برى:
ويقال فى الخَشْيَةِ الخَشَاةُ؛ قال ابن سيده: خَشِيَهُ يَخْشَاهُ خَشْيًا وَخَشْيَةً وَخَشَاءً وَخَشَاءً
وَمَخْشِيَةً وَخَشِيَانًا وَتَخَشَّاهُ كِلَاهُمَا خَافَهُ، وَهُوَ خَاشٍ وَخَشٍ وَخَشِيَانٌ. وفى حديث خالد:
أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ الرَايَةَ يَوْمَ مُؤَتَةَ، دَافَعَ النَّاسَ وَخَاشَى بِهِمْ، أَى أَبْقَى عَلَيْهِمْ وَحَذَرَ فَاُنْحَازَ؛
خَاشَى: مِنَ الخَشْيَةِ. خَاشَيْتُ فَلَانًا: تَارَكْتَهُ. وقوله عز وجل { فَخَشِينَا }⁽¹⁾..
وقال الزجاج: فَخَشِينَا مِنْ كَلَامِ الخِضْرِ، وَمَعْنَاهُ كَرِهْنَا وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ
الخِضْرِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ { فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا }⁽²⁾.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَخَشِينَا عَنْ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ الخَشْيَةَ مِنَ اللَّهِ مَعْنَاهَا الكَرَاهَةُ، وَمِنَ الْآدَمِيِّينَ الخَوْفُ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ حِينَئِذٍ:
فَأَرَدْنَا بِمَعْنَى أَرَادَ اللَّهُ.

وفى حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قال له ابن عباس لقد أكَثَرْتَ مِنَ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ حَتَّى
خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَسْهَلَ لَكَ عِنْدَ نَزْوِلِهِ؛ خَشِيتُ هُنَا بِمَعْنَى: رَجَوْتُ. وَخَشَّاهُ بِالْأَمْرِ
تَخَشُّيَةً أَى خَوْفَهُ.

(1) سورة الكهف آية 80.

(2) سورة الكهف آية 81.

قوله تعالى { إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }⁽¹⁾ ..

248- وهو إنما (اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ) بعد أن أنذره الرسول، وقد لا يكونون متقين قبل سماع القرآن، بل به صاروا متقين [أى بعد سماعهم وإيمانهم بصدق ما جاء به من الإنذار] وهو الإنذار الذى يقبله المنذر ويتنفع به [قبل أن يحل عليه العقاب]..
قال تعالى { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ }⁽²⁾ ..

249- فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق الله عليهم، ومراقبته إياهم فى السر والعلن، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تستروا [لذا فمن] (خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ). وهذه أعلى درجات السلوك مع الله تعالى..
قوله تعالى { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }⁽³⁾ ..

250- (لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) دالة على أن الجنة لأهل الخشية، وكونها لأهل الخشية ينافى كونها لغيرهم. واعلم أن هذه الآية فيها تخويف شديد، وذلك لأنه ثبت أن الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه الدقيقة تنبهك على أن العلم [بالله جل وعلا] هو سبب القرب من الله تعالى وهو الذى يورث الخشية، وأن أنواع المجادلات وإن دقت وغمضت، إذا خلت عن إفادة الخشية كانت من العلم المذموم..

قوله تعالى { وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ }⁽⁴⁾ ..

(1) سورة يس آية 11 .

(2) سورة ق آية 33 .

(3) سورة البينة آية 8 .

(4) سورة الأحزاب آية 37 .

251. قال الحسن [البصري]: تستحييهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا: أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها [أي قول الناس: إنه نكح امرأة زيد، زينب بنت جحش].. قوله تعالى { وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى }⁽¹⁾..

252. القائلون بأن معرفة الله لا تستفاد إلا من الهادي تمسكوا بهذه الآية وقالوا: إنها صريحة في أنه يهديه إلى معرفة الله. ثم قالوا: إن المقصود من بعثة الرسل أمران، وأن معرفة الله مقدمة على طاعته، لأنه ذكر الهداية وجعل الخشية مؤخرة عنها ومفرعة عليها.. قوله تعالى { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁽²⁾..

253. يقول تعالى: لا تخشوهم واخشون، فأنا أهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي فيبدى الأمر وما شئت كان وما لم أشأ لم يكن.. قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }⁽³⁾.. إنما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته، العلماء بقدرته، من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه، وعن قتادة قال: كان يقال: كفى بالرهبة علما..

254. يعنى بالعلماء: الذين يخافون قدرته، فمن علم أنه عز وجل قدير، أيقن بمعاقبته على المعصية. وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم. قال مجاهد: إنما العالم من خشى الله عز وجل.

وعن ابن مسعود: كفى بخشية الله تعالى علماً وبالاغترار جهلاً.

(1) سورة النازعات آية 19.

(2) سورة التوبة آية 13.

(3) سورة فاطر آية 28.

وقيل لسعد بن إبراهيم: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه عز وجل. وعن مجاهد قال: إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل⁽¹⁾.

[وعلى نحو ما قالوا نقول وبالله التوفيق: العلماء هم العالمون العاملون بما علموا قبل أن يعلموا غيرهم، الحكماء الأبرار الصالحون الأتقياء الثقات الذين المتواضعون الذين يعلمون الناس الدين، يأمرهم وأنفسهم بالمعروف وينهون عن المنكر، المبرؤون من النفاق، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. الصابرون على ما يصيبهم في سبيل الله من قولهم كلمة الحق، الكارهون للعلو في الدنيا ومناصبها ولو سجنوا وجلدوا كما كان السلف الصالح من العلماء، الساعون للآخرة ونعيمها. والله تعالى أعلم⁽²⁾..

قوله تعالى { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى }⁽³⁾..

255- إن العقوبة التي عاقب الله بها فرعون في عاجل الدنيا وأخذه إياه نكال الآخرة والأولى عظة ومعتبرا لمن يخاف الله ويخشى عقابه. وقدم سبحانه ذكر الآخرة على الأولى ليعلم أن عذاب الغرق هو نكال الآخرة [فقد] مات غريقا عاصياً لا شهيداً وهذا هو الفضل العظيم..

تأويل قوله تعالى { طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى }⁽⁴⁾..

256- ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه، بأداء فرائضه واجتناب محارمه. عن قتادة: إن الله أنزل كتبه وبعث رسله، رحمة رحم الله بها العباد ليتذكر الذاكر ويتنتفع بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له، أنزل الله فيه حلاله وحرامه..

(1) تفسير القرطبي ج 14 ص 343.

(2) للتوسع والازدياد عن صفاتهم ينصح بالاطلاع على كتابنا، علماء تضيء بهم الجنان وآخرون تسعر بهم النيران.

(3) سورة النازعات الآيات 25 / 26.

(4) سورة طه الآيات 1 / 3.

القول فى تأويل قوله تعالى { فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا } (1) ..

257. أى سيتعظ بما تبليغه يا محمد، من قلبه يخشى الله [ويخاف عقابه] ويعلم أنه ملاقيه ويتجنب الذكرى أشقى الفريقين، الذى (يصلى النار الكبرى)، وهم الذين لم تنفعهم الذكرى، لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه. وقال آخرون: قيل ذلك لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع فى شدة شديدة، قالوا: لا هو حى ولا هو ميت [وهو قول سائد منذ القدم إلى يومنا هذا]. فخطبهم الله بالذى جرى به ذلك من كلامهم ..

قوله تعالى { وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى } (2) ..

258. أى: يطلب العلم لله (وهو يخشى) أى يخاف الله ..

قال تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } (3) ..

259. أى إنما يعمر مساجد الله المصدق بوحداية الله المخلص له العبادة [المؤمن] باليوم الآخر، الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتوبة وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله، (ولم يخش إلا الله) ولم يرهب سوى الله [فى قول كلمة الحق، ولم ينافق]، فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم، أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب ..

قوله تعالى { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (4) ..

(1) سورة الأعلى الآيات 9 / 13 .

(2) سورة عبس الآيات 8 / 9 .

(3) سورة التوبة آية 18 .

(4) سورة النور آية 52 .

260- أى فيما أمر به وحكم. ذكر أسلم: أن عمر رضي الله عنه بينما هو قائم في مسجد النبي ﷺ إذا رجل من دهاقين الروم قائم على رأسه وهو يقول: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال له عمر: ما شأنك؟ قال: أسلمت لله. قال: هل لهذا سبب؟ قال: نعم، إنى قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء [فاستمعت إلى] أسير يقرأ آية من القرآن جمع [الله] فيها كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت، قال: ما هذه الآية؟ قال: قوله تعالى (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ) في الفرائض، (وَرَسُولَهُ) في السنن، (وَيُحْشِ اللَّهَ) فيما مضى من عمره، (وَيَتَّقِيهِ) فيما بقى من عمره، (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ). والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: أوتيت جوامع الكلم..

يقول تعالى ذكره { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا } ⁽¹⁾..

261- أى مخوف، وخص الإنذار بمن يخشى لأنهم المنتفعون به، وإن كان منذراً لكل مكلف [أى] منذراً للجميع.. أى يا محمد، إنما أنت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيها على إجرامه..

قوله تبارك وتعالى { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ } ⁽²⁾..

262- والمعنى أنه وإن أتى بكل ما قدر عليه في تعظيم أمر الله وفي الشفقة على خلق الله، إلا أنه لا بد وأن تكون الخشية من الله والخوف منه مستولياً على قلبه. وهذه الخشية نوعان:

أحدهما أن يكون خائفاً من أن تقع زيادة أو نقصان أو خلل في عباداته وطاعاته، بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب نقصان ثوابها، والثانى وهو خوف مهابة الجلالة

(1) سورة النازعات آية 45.

(2) سورة الرعد آية 21.

والرفعة والعظمة. يقول الطبرى والقرطبي: يقول تعالى ذكره الذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها ويخشون ربهم ويخافون الله في قطعها أن يعاقبهم على خلافهم أمره فيها، ويخافون ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته محافظون على حدوده.

وقال إبراهيم: سوء الحساب أن يحاسب [الله العبد ثم] لا يغفر له.

وعن فرقد: قال لى إبراهيم: تدرى ما سوء الحساب؟

قلت: لا أدري.

قال: [أن] يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر [الله] له منه شيء.

وقال القرطبي: من نوقش الحساب عذب..

قوله تعالى { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ }⁽¹⁾..

263. أى يخافون ربهم يعنى فى الدنيا. أن يعاقبهم فى الآخرة إذا قدموا عليه

بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه. [فهم لم]

يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال [بالعقل والآثار] أن لهم رباً قادراً يجازى على

الأعمال، فهم يخشونه فى سرائرهم وخلواتهم التى يغيبون فيها عن الناس [لذا فهم

خائفون منه وجلون]..

قوله تعالى { إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ }⁽²⁾..

264. أى إنما يتعظ بما جئت به، أولو البصائر والنهى الخائفون من ربهم، الفاعلون

ما أمرهم به، فإليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزى كلاً بعمله، إن خيراً فخير

وإن شراً فشر..

(1) سورة الأنبياء آية 49.

(2) سورة فاطر آية 18.

قوله تبارك وتعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (1) ..

265. تقشعر أى تضطرب منه جلود الذين يخشون ربهم، والاقشعرار تغير فى جلد الإنسان عند الوجل والخوف وقيل: المراد من الجلود القلوب، أى قلوب الذين يخشون ربهم، (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين [من] الله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم. كما قال الله تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (2) .. وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند الرجاء. قال رسول الله ﷺ: إذا اقشعرت جلد العبد من خشية الله، تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها. [وهذا يدل على عظم أثر آيات الله تبارك وتعالى على عباده الصالحين وسعة رحمته بإسقاط ذنوبهم إذا اقشعرت جلودهم، فانظر إلى تشبيه رسولنا الكريم لذلك بقوله ﷺ (تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها) ..]

- وقيل: (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) عبارة عن وقف شعر [جلد] الإنسان عندما يداخله خوف ولين قلب، عند سماع موعظة أو زجر من قرآن ونحوه، وهذه علامة فزع قلب السامع. ويحتمل أن يشير القرآن [إلى من] صفته الخشية واقشعرار الجلود فذلك أمانة هدى الله [وبشرى]. وفى الحديث أن أبى بن كعب قرأ عند النبى ﷺ فرقت القلوب، فقال رسول الله ﷺ: اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة. وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما: كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن ..

(1) سورة الزمر آية 23.

(2) سورة الرعد آية 28.

قوله تبارك وتعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } (1) ..

266. (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) فيه وجهان: الوجه الأول: أن المراد الذين يخشون

ربهم وهم في دار التكليف [أى فى الدنيا، لهم عفوٌ من الله عن ذنوبهم وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب]. الوجه الثانى: أن هذا إشارة إلى كونه متقياً من جميع المعاصى، لأن من يتقى معاصى الله فى الخلوة اتقاها حيث يراه الناس لا محالة. قال النسفى: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) قبل معاينة العذاب، لهم مغفرة للذنوب وأجر كبير أى الجنة..

قال تعالى [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ] (2) ..

267. يقول تعالى ذكره: سنة الله فى الذين يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه

ويخافون الله فى تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحداً إلا الله، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. يقول [تبارك وتعالى] لنبيه محمد ﷺ: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم، فكنْ ولا تخشَ أحداً إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه ولا يمنعك أحد من خلقه منه إن أراد بك سوءاً..

قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ

هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } (3) ..

268. يقول تعالى ذكره: أيها المشركون اتقوا الله وخافوا أن يحل بكم سخطه فى يوم

لا يغنى (والد عن ولده ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً)، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب ولا تنفع عنده الشفاعة، إلا من صالح الأعمال التى أسلفها فى الدنيا، إن مجيء هذا اليوم حق، وذلك أن الله قد وعد ولا خُلفَ لوعده، (فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا) ولذاتها، فتميلوا إليها وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم..

(1) سورة الملك آية 12 .

(2) سورة الأحزاب آية 39 .

(3) سورة لقمان آية 33 .

قوله تعالى { فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي }⁽¹⁾ ..

269. يقول تعالى ذكره لعلماء اليهود وأخبارهم: لا تخشوا الناس في تنفيذ حكمي الذي حكمت به على عبادي وإمضائه عليهم على ما أمرت، فإنهم لا يقدرّون لكم على ضر ولا نفع إلا بإذني ولا تكتموا الرجم الذي جعلته حكماً في التوراة على الزانين المحصنين، ولكن اخشوني دون كل أحد من خلقي فإن النفع والضر بيدي، وخافوا عقابي في كتمانكم ما استحفظتم من كتابي. [إن الآية كما يتضح لنا من سياقها تختص بعلماء اليهود وأخبارهم، والأمر وإن كان موجهاً لعلماء اليهود والنصارى إلا أنني أجد أن قوله تعالى (فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي) دعوة تشمل كل من آمن من أمة نبينا محمد ﷺ، وحضراً لعموم خلقه، بوجوب خشية الله وبأن لا يخشون بحق إلا الله]..

قوله تعالى { وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي }⁽²⁾ ..

270. أي لا تخشوا من يتعنّت ويجادل ويحاج، ولا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم، فإنهم لا يضرّونكم، واخشوني واحذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما ألزمتكم وفرضت عليكم. وهذه الآية تدل على أن الواجب على المرء في كل أفعاله، أن ينصب بين عينيه خشية عقاب الله، وأن يعلم أنه ليس في يد الخلق شيء ألبتة، وأن لا يشغل القلب بهم ولا ملتفت الخاطر لهم..

قوله تعالى { الْيَوْمَ يَنصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي }⁽³⁾ ..

(1) سورة المائدة آية 44.

(2) سورة البقرة آية 150.

(3) سورة المائدة آية 3.

271. معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداينة الكفار، لأنكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم فى توهين أمركم، فقد يسؤوا أن ترجعوا عن دينكم، فلا تخافوا المشركين فى خلافكم إياهم فى الشرائع والأديان ولا تخافوهم أن يظهروا عليكم فيقهروكم ويردوكم عن دينكم، فإنى أنعمت عليكم بالقوة وصاروا مقهورين ذليلين عندكم وحصل لهم اليأس من أن يصيروا قاهرين لكم مستولين عليكم. فإذا صار الأمر كذلك فيجب عليكم أن لا تلتفتوا إليهم، وأن تُقبلوا على طاعة الله تعالى والعمل بشرائعه (وَاحْشَوْنِي) وخافونى إن أنتم خالفتم أمرى واجترأتم على معصيتى وتعديتم حدودى أن أحل بكم عقابى وأنزل بكم عذابى..

قوله تعالى { تُمْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } (1) ..

272. اعلم أن الهبوط من خشية الله صفة الأحياء العقلاء والحجر الجهاد.. قال مجاهد: كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل، فهو من خشية الله عز وجل، نزل بذلك القرآن. قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه، وإن من الحجارة لما يهبط أى يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف الله وخشيته. وإنما وصف الله تعالى ذكره الحجارة بما وصفها به، من أن منها المتفجر منه الأنهار وأن منها المتشقق بالماء وأن منها الهابط من خشية الله [دليلاً على رقتها واستكانتها وخضوعها وطاعتها لأمر الله، وليخبر تبارك وتعالى عن مدى] قسوة قلوب بنى إسرائيل [والكافرين] مثلاً، إذ كانوا بالصفة التى وصفهم الله بها من التكذيب برسله والحدود لآياته، بعد الذى أراهم من الآيات والعبر وعابنوا من عجائب الأدلة والحجج، مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحة العقول ومنَّ به عليهم من سلامة النفوس، التى لم يعطها الحجر والمدر [ول يخبر أيضاً عن مدى قسوة كل من بلغته رساله التوحيد فلم يؤمن بها أنزله على رسوله عليه السلام]..

(1) سورة البقرة آية 74.

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } (1) ..

273. يذكر [الله] المؤمنين المسارعين في الخيرات، بأبلغ صفاتهم [وبأنهم] مشفقون خائفون وجلون مما خوفهم الله تعالى. مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح. قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناء. والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف، فمنهم من قال: جمع بينهما للتأكيد. ومنهم من حمل الخشية على العذاب. والمعنى الذين هم من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل. ومنهم من حمل الإشفاق على أثره وهو الدوام في الطاعة. والمعنى: الذين هم من خشية ربهم دائمون في طاعته جادون في طلب مرضاته [والخلاصة] أن من بلغ في الخشية إلى حد الإشفاق، وهو كمال الخشية، كان في نهاية الخوف من سخط الله عاجلاً ومن عقابه آجلاً، فكان في نهاية الاحتراز عن المعاصي ..

قال تعالى { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (2) .. سبق تفسيره ..
قوله تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } (3) ..

274. [أي أن الملائكة] من خوف الله وحذار عقابه، أن يحل بهم، مشفقون حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه [رغم قوله تبارك وتعالى فيهم { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }] (4) ..

* * *

(1) سورة المؤمنون آية 57.

(2) سورة الحشر آية 21.

(3) سورة الأنبياء آية 28.

(4) سورة التحريم آية 6.

الفصل الثالث

الآيات التي ذكرت بها كلمة البكاء والفيض

والدمع في القرآن الكريم

بَكَتْ، تَبْكُونِ، لَيُبْكُوا، يَبْكُونَ، أَبْكَى، بُكِيًّا

قال تعالى { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ } (1) ..

275. فما بكّت على الذين غرقهم الله في البحر- وهم فرعون وقومه - السماء والأرض وقيل: إن بكاء السماء حمرة أطرافها. وقال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحا. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله فقال: أتعجب وما للأرض لا تبكى على عبد يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها كدوى النحل. وعن شريح بن عبيد الحضرمي: قال رسول الله ﷺ: إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ألا لا غربة على المؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكّت عليه السماء والأرض ثم قرأ رسول الله ﷺ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) ثم قال ﷺ: إنها لا يبكيان على الكافر. روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقداه وبكى عليه. وتلا الآية وقال: ولأنهم [أى الكفار] لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً ولم يصعد لهم إلى السماء كلام طيب فتبكى عليهم [وهذا من باب التهكم على الكافرين] وهذا قول أكثر المفسرين.

قوله تعالى { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ } (2) ..

276. يقول تعالى ذكره لمشركى قريش، أفمن هذا القرآن تعجبون أن نزل على محمد وتضحكون منه استهزاءً به ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل المعاصي وأنتم لاهون

(1) سورة الدخان آية 29.

(2) سورة النجم الآيات 59 / 60.

غافلون عما فيه من العبر والذكر مُعرضون عن آياته. يقول القرطبي: هذا استفهام توبيخ تعجبون تكذيباً به وتضحكون استهزاءً ولا تكون انزجاراً وخوفاً من الوعيد. وروى أن النبي ﷺ ما روى بعد نزول هذه الآية ضاحكاً إلا تبسماً..

القول فى تأويل قوله تعالى { فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (1) ..

277. هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعباً. فليضحكوا فرحين قليلاً [لا هين] عن طاعة ربهم فى الدنيا، فإنهم سيكون طويلاً فى جهنم جزاء على معصيتهم بما كانوا يجترحون من الذنوب..

قوله تعالى { وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشوعاً } (2) .. سبق تفسيرها..
قال تعالى { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى } (3) ..

278. عن عائشة رضى الله عنها قالت: مرَّ النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول لك (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) فرجع إليهم فقال: ما خطوط أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: انتِ هؤلاء فقل لهم إن الله تعالى يقول (هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) أى قضى أسباب الضحك والبكاء. قال عطاء بن أبى مسلم: يعنى أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء.

وقيل لعمر ؓ: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم. والإيمان والله أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسي.

(1) سورة التوبة آية 82.

(2) سورة الإسراء آية 109.

(3) سورة النجم آية 43.

قال الحسن [البصري]: أضحك الله أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سرّه، وأبكى من شاء بأن غمّه. قال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر. وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته. وقال محمد بن علي الترمذی: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم، وأنشد:

السنُّ تضحكُ والأحشاءُ تحترقُ وإنما ضحكها زور ومختلقُ
رُبَّ بانيٍّ بعينٍ لا دموعَ لها وربُّ ضاحكٍ سنَّ ما به رمقُ

وقيل: إن الله تعالى خصَّ الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكى غير الإنسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكى! وإن الإبل وحدها تبكى ولا تضحك! سئل طاهر المقدسي: أضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا منذ خلقت جهنم..

قوله تعالى: { إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا }⁽¹⁾..

279 هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشd بالله والعمل بطاعته: ويَنّ تعالى أنهم [من] نعم الله عليهم، قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة آيات الله يخرجون سجداً وبكياً [وهو كمال العبادة] خضوعاً وخشوعاً وحذراً وخوفاً. أى إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعاً واستكانة، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة. وأجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداءً بهم واتباعاً لمنوالهم. وهذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثيراً في القلوب..

(1) سورة مريم آية 58.

الفصل الرابع

آيات وأحاديث الفيض والدمع: فاضت، تفيض من الدمع

معنى الفيض لغة:

280. فاض الماء والدمع ونحوهما يَفِيضُ فَيْضاً وفُيُوضاً وفَيْضَاناً وفَيْضُوضَةً أى كثر حتى سأل على ضِفَةِ الوادي. وفاضت عينه تَفِيضُ فَيْضاً إذا سالت. ويقال: أفاضت العينُ الدمعَ تُفِيضُهُ إِفَاضَةً، وأفاض إناءه أى مَلَأَهُ حتى فاض، وأفاض دُمُوعَهُ وأفاض الماء على نفسه أى أَفْرَعَهُ. وفاض صدره بِسِرِّهِ إذا امْتَلَأَ وباح به، ولم يُطِقْ كَتْمَهُ، وكذلك النهرُ بهائه والإِناءُ بما فيه..

281. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقالت إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها [حتى] لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

هؤلاء السبعة: إذ كل منهم كَمَّلَ العبادة التي قام بها، فالإمام العادل كَمَّلَ ما يجب من الإمارة، والشاب الناشئ في عبادة الله كَمَّلَ ما يجب من عبادة الله، والذي قلبه معلق بالمساجد كَمَّلَ عمارة المساجد بالصلوات الخمس لقوله تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ }⁽¹⁾.. والعفيف كَمَّلَ الخوف من الله، والمتصدق كَمَّلَ الصدقة لله، والباكي كَمَّلَ الإخلاص لله..

(1) سورة التوبة آية 18.

قال تعالى { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }⁽¹⁾ ..

282. وقوله (تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) فيه وجهان: الأول: المراد أن أعينهم تمتلئ من الدمع حتى تفيض، والفيض أن يمتلئ الإناء حتى يطلع ما فيه من جوانبه. الثاني: أن يكون المراد المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها. قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما ينكشف له، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه..

قال تعالى { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ }⁽²⁾ ..

283. وقوله تعالى تفيض دمعاً هو أبلغ من يفيض دمعها، لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض.

قال مجاهد: هم ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن: سألوا النبي ﷺ أن يحملهم على الخفاف المدبوغة والنعال المخصوفة [ليجاهدوا معه]، فقال ﷺ: لا أجِدُ ما أحملكم عليه، فتولوا وهم يبيكون. لأن الشقة بعيدة والرجل يحتاج إلى بعيرين: بعير يركبه وبعير يحمل عليه ماء وزاده..

* * *

(1) سورة المائدة آية 83.

(2) سورة التوبة آية 92.

الفصل الخامس

الآيات التى ذكرت بها كلمة: اخْبِتُوا، فَتَخِبْتَ، الْمُخْبِتِينَ

معنى الخبت لغة:

284. الْحَبْتُ: مَا اتَّسَعَ مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ وَجَمْعُهُ: أَخْبَاتٌ وَخُبُوتٌ. قال ابن الأعرابي
الْحَبْتُ مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ؛ وَقِيلَ: الْحَبْتُ مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ وَعَمُضَ، فَإِذَا
خَرَجْتَ مِنْهُ أَفْضَيْتَ إِلَى سَعَةٍ. وَقِيلَ: الْحَبْتُ سَهْلٌ فِي الْحَرَّةِ. وَقِيلَ: الْوَادَى الْعَمِيقُ
الْوَطِيُّ وَقِيلَ: الْحَبْتُ الْحَفَى الْمَطْمِنُ مِنَ الْأَرْضِ، فِيهِ رَمْلٌ. وَخَبَتَ ذَكَرُهُ إِذَا خَفِيَ؛ قَالَ:
وَمِنْهُ الْمُخْبِتُ مِنَ النَّاسِ. وَأَخْبَتَ إِلَى رَبِّهِ أَى أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ.

وروى عن مجاهد فى قوله عز وجل { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } ⁽¹⁾.. قال: الْمُطْمَئِنِّينَ. وقيل:
هم المتواضعون وكذلك فى قوله عز وجل { وَأَخْبِتُوا إِلَى رَبِّهِمْ } ⁽²⁾.. أى تواضعوا. وقال
الفراء: أى تَخَشَّعُوا لِرَبِّهِمْ. وفى التنزيل العزيز { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } ⁽³⁾.. فسره ثعلب بأنه
التواضع. وفى حديث الدعاء: واجْعَلْنِي لَكَ مُخْبِتًا، أى خاشعاً مطيعاً والإخبات: الخشوع
والتواضع..

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبِتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ⁽⁴⁾..

285. أى صدقوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم (أنابوا). [قال] مجاهد:
أطاعوا. [وقال] قتادة: خشعوا وخضعوا. [وقال] مقاتل: أخلصوا. [وقال] الحسن
[البصرى]: الإخبات الخشوع للمخافة الثابتة فى القلب، وأصل الإخبات الاستواء، من

(1) سورة الحج آية 34.

(2) سورة هود آية 23.

(3) سورة الحج آية 54.

(4) سورة هود آية 23.

الخبث، وهو الأرض المستوية الواسعة: فالإخبات الخشوع والاطمئنان والإنابة المستمرة إلى الله عز وجل.

قال تعالى { وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }⁽¹⁾..

286. (فَتُخْبِتَ) [أى فتسكن لله و] تخضع للقرآن وتذل له قلوبهم.. وتدعن بالتصديق به والإقرار بما فيه. وفسرهُ ثعلب: بأنه التواضع.

287. وفي حديث الدعاء عن ابن عباس، كان النبي ﷺ يقول: رب أعنى ولا تعن على، وانصرنى ولا تنصر على، وامكرلى ولا تمكر على، واهدنى ويسر الهدى لى، وانصرنى على من بغى على، رب اجعلنى لك شاكرا لك ذاكرا لك أو اها لك مطوعا لك مخبئا أو اها منيا. رب تقبل توبتى واغسل حوبتى وأجب دعوتى وثبت حجتى واهد قلبى وسدد لسانى واسلل سخيمة قلبى..

قال تعالى { فَإِلْهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ }⁽²⁾..

288. والمخبت المتواضع الخاشع. وللمفسرين فيه عبارات أحدها المخبتين المتواضعين والمجتهدين فى العبادة والمخلصين المطمئنين إلى ذكر الله تعالى، الصالحين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا [أى عفوا]..

يقول الطبرى: (المُخْبِتِينَ): الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيين إليه بالتوبة، الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه..

* * *

(1) سورة الحج آية 54.

(2) سورة الحج آية 34.

الفصل السادس

الآيات التي ذكرت بها كلمة: واجفة

معنى كلمة واجفة لغة:

289- الوَجْفُ: سُرعة السير. الجوهري: الوجيفُ ضرب من سير الإبل والخيّل، وقد وجف البعير يحف وجفاً ووجيفاً. وأوجف دابته إذا حثّها، وأوجفّته أنا. وفي الحديث: ليس البرُّ بالإيجاف. وناقّة ميجاف: كثيرة الوجيف. قال الأزهرى: وَجَفَ الشَّيْءُ إِذَا اضطرب. وَوَجَفَ القلبَ وَجِيفاً: خَفَقَ.

وفي التنزيل العزيز { قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ }⁽¹⁾.. قال الزجاج: شديدة الاضطراب. قال قتادة: وَجَفَتْ عما عاينت، وقال ابن الكلبي: خائفة. والإيجاف: سُرعة السير؛ ويقال أوجف فأعجف.. [والتعجيف: سُوءُ الغذاء والهزال. والعَجَف: ذهاب السَّمْن والهزال]..

290- قال البغوي: (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) خائفة قلقة مضطربة، وسمى الوجيف في السير لشدة اضطرابه. وقال السدي: زائلة عن أماكنها. وقال القرطبي: أى خائفة وجلة وعليه عامة المفسرين. وقال السدي: زائلة عن أماكنها. نظيره { إذ القلوب لدى الحناجر }⁽²⁾.. وقال المؤرج: قلقة مستوفزة مرتكضة غير ساكنة. وقال المبرد: مضطربة. والمراد قلوب الكفار؛ يقال: وجف القلب يحف وجيفاً إذا خفق..

وفي التفسير الكبير: أنه تعالى قال (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) ولم يقل القلوب يومئذٍ واجفة فإنه ثبت بالدليل أن أهل الإيمان لا يخافون. بل المراد قلوب الكفار، ومما يؤكد ذلك أنه تعالى حكى عنهم [أى الكفار] أنهم { يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرُدُّونَ فِي الْحَافِرَةِ }⁽³⁾.. وهذا كلام [لا يقوله ولا ينطق به إلا] الكفار لا المؤمنين..

* * *

(1) سورة النازعات آية 8.

(2) سورة غافر آية 18.

(3) سورة النازعات آية 10.

الفصل السابع

الآيات التي ذكرت بها كلمة: وَجَلَّتْ، وَجَلَّ

معنى كلمة الوجل لغة:

291. الوجَل: الفزع والخوف، وَجَلَ وَجَلًا. وفي الحديث: وعظنا موعظة وجلت منها القلوب، وَجَلَّتْ تَوَجَّلَ وفي لغة تَيْجَل، ويقال: تَاجَلَ؛ ومنه: إِنِّي لَأَوْجَل، وَرَجَلُ أَوْجَلُ وَوَجَلُ..

قال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } (1) ..

292. روى سفيان عن السدي في قوله جل وعز (إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال: إذا أراد أن يظلم مظلماً، قيل له: اتق الله كف ووجل قلبه. أخبر الله تبارك وتعالى أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال [وذلك بصفات دلَّ على أنها من جوامع الإيمان فقد وصفهم] بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم [بالغيب] وكأنهم بين يديه. فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب. والوجل الفزع من عذاب الله، فهذه حالة الخائفين من سطوته.

قال تعالى { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } (2) ..

293. أى خافت وحذرت مخالفته، فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها. وهذه حالة العارفين بالله الخائفين من عقوبته..

(1) سورة الأنفال آية 2.

(2) سورة الحج آية 35.

معنى كلمة وَجَلَّةٌ لغة:

294. وقومٌ وَجِلونَ وَوَجَلٌ. ووَاجِلَةٌ فَوَجَلَه: كان أشدَّ وَجَلًا منه [خوفاً]..

قال تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } ⁽¹⁾..

295. قال الحسن [البصرى]: يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم.

سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: أهو الذى يزنى ويشرب الخمر

ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى؟

قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم

يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون فى الخيرات.

فاعلم أن ترتيب هذه الصفات فى نهاية الحسن لأن الصفة الأولى: دلَّت على حصول

الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغى. والصفة الثانية: دلَّت على ترك الرياء فى

الطاعات. والصفة الثالثة: دلَّت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاثة، يأتى بالطاعات

مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقامات الصديقين. رزقنا الله سبحانه

الوصول إليها..

* * *

(1) سورة المؤمنون آية 60.

الفصل الثامن

الآيات التي ذكرت بها كلمة: خَرُوا، تَخَرُّوا، يَخِرُّوا، وَيَخِرُّونَ

معنى الخرور في اللغة

296- يَخِرُّ خَرًّا وَخُرُورًا: خَرَّ لَوَجْهَهُ وَقَعَ سَاجِدًا أَى سَقَطَ. وَخَرَّ يَخِرُّ خَرًّا: هَوَى مِنْ

عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ..

قوله تعالى { إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا }⁽¹⁾ .. سبق تفسيرها..

قوله تعالى { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ }⁽²⁾ ..

297- إشارة إلى أن الإيذان بالآيات كالحاصل وإنما ينسأه البعض فإذا ذكر بها خَرَّ

ساجدًا له وانقادت أعضاؤه له وسبح بحمده، فيحرك لسانه بتنزيهه عن الشرك وقلبه

خاشع لا يتكبر ومن لا يستكبر عن عبادته فهو المؤمن حقًا.. المعنى: ما يصدق بحججنا

وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها وُعظوا وخروا لله سجدا لوجوههم تذللوا له

واستكانة لعظمته وإقرارا له بالعبودية وسبحوا بحمد ربهم، يقول: وسبحوا الله في

سجودهم بحمده فيبرءونه مما يصفه أهل الكفر به ويضيفون إليه، من الصاحبة والأولاد

والشركاء والأنداد وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، ولا يستنكفون عن

التذلل له والاستكانة..

قوله تعالى { تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا

لِلرَّحْمَنِ وَلَدًّا }⁽³⁾ ..

(1) سورة مريم آية 58.

(2) سورة السجدة آية 15.

(3) سورة مريم الآيات 90 / 91.

298. (يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) أى يتشققن، (وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ) أى تتصدع (وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا)

أى تسقط بصوت شديد. وفي الحديث (اللهم إني أعوذ بك من الهد والهداة)، قال أحسد ابن غياث المروزي: الهد الهدم، والهداة الخسوف. والهاد صوت يسمعه أهل الساحل يأتيهم من قبل البحر له دوى الأرض، وربما كانت منه الزلزلة. وعن عوف عن غالب بن عجرد قال: حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منى قال: إن الله تعالى لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر، لم تك في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا وكان لهم منها منفعة، فلم تزل الأرض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بنى آدم تلك الكلمة العظيمة قولهم { اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا }⁽¹⁾.. فلما قالوها اقشعرت الأرض وشاك الشجر.

وقال كعب: فزعت السموات والأرض والجبال وجميع المخلوقات إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة فاستعرت جهنم، وشاك الشجر واكفهرت الأرض وجذبت حين قالوا { اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }⁽²⁾..

وقال محمد بن كعب: لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة لقوله تعالى (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا).

قال ابن العربى: قول عظيم سبق به القضاء والقدر، ولولا البارى تبارك وتعالى [أنه] لا يضعه كفر الكافر ولا يرفعه إيمان المؤمن، ولا يزيد هذا فى ملكه كما لا ينقص ذلك من ملكه لما جرى شىء من هذا على الألسنة، ولكنه القدوس الحكيم الحليم [فلا] يبالى بما يقول المبطلون [ولكل حساب يوم الوعد]..

قال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا }⁽³⁾..

(1) سورة مريم آية 88.

(2) سورة البقرة آية 116.

(3) سورة الفرقان آية 73.

299- يعنى لم يَمروا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا، وأقبلوا على المذكر بها وهم سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية، مكين عليها مقبلين على من يذكر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، لا كالذين يذكرون [بآيات الله] فتراهم كالصم والعميان لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين..

قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} ⁽¹⁾.. سبق تفسيرها..

قال تعالى {وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} ⁽²⁾.. سبق تفسيرها..

* * *

(1) سورة الإسراء آية 107.

(2) سورة الإسراء آية 109.

الفصل التاسع

الآيات التي ذكرت بها كلمة: تَقْشَعِرُّ

معنى القشعررة لغة:

300. القَشْعِريرة: الرُّعْدَة واقْشَعِرَارُ الجلد؛ أَخَذَتْهُ قُشْعِريرة وقد اقْشَعَرَ جلدُ الرجل اقْشَعِرَاراً فهو مُقْشَعِرٌّ؛ ورجل مُتَقَشَعِرٌّ: مُقْشَعِرٌّ، والجمع قَشَاعِرٌ والقَشَاعِرُ: الحَشِينُ الْمَسَّ. الأزهرى: اقْشَعَرَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْمَحْلِ. وفي حديث كعب: إِنْ الْأَرْضُ إِذَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهَا الْمَطَرُ ازْبَدَتْ واقْشَعَرَتْ أَيْ تَقَبَّضَتْ وَتَجَمَّعَتْ. واقْشَعَرَ الْجِلْدُ مِنَ الْجَرَبِ وَالنَّبَاتُ إِذَا لَمْ يُصَبَّ رِيّاً فهو مُقْشَعِرٌّ؛ وقال ابن الأعرابي: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ }⁽¹⁾.. أَيْ اقْشَعَرَّتْ وَقَالَ غَيْرُهُ: نَفَرَتْ. واقْشَعَرَ جِلْدُهُ إِذَا وَقَفَ..

قوله تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }⁽²⁾.. سبق تفسيرها..

301. وأخرج أحمد في الزهد عن خالد الحذاء قال: كان عيسى بن مريم عليه السلام: إذا سرح رسله يحيون الموتى، يقول لهم: قولوا كذا، قولوا كذا، فإذا وجدتم قشعريرة ودمعة فادعوا عند ذلك..

* * *

(1) سورة الزمر آية 45.

(2) سورة الزمر آية 23.

الفصل العاشر

الآيات التي ذكرت بها كلمة: مُشْفِقُونَ، وَمُشْفِقِينَ

معنى كلمة شفق لغةً:

302- الشَّفَقُ والشَّفَقَةُ: اسم من الإِشْفَاق. والشَّفَقُ: الحِيفَةُ. شَفَقَ شَفَقًا، فهو شَفِيقٌ، والجمع شَفِيقُونَ؛ وأَشْفَقْتُ عليه وأنا مُشْفِقٌ وشَفِيقٌ، وإذا قلت: أَشْفَقْتُ منه، فإنما تعني حَذَرْتَهُ، وأصلهما واحد. اللَّيْثُ: الشَّفَقُ الخوف. تقول: أنا مُشْفِقٌ عليك أى أَخَافُ والشَّفَقُ أيضًا: الشَّفَقَةُ، وهو أن يكون الناصِحُ من بُلُوغِ النَّصْحِ خائفًا على المُنْصُوحِ. تقول: أَشْفَقْتُ عليه أن يناله مكروهه. وأشفق منه جَزَعٌ، وشَفَقَ لغة. والشَّفَقُ والشَّفَقَةُ الحِيفَةُ من شدة النصح. والشَفِيقُ: الناصِحُ الحريص على صلاح المنصوح، وقوله تعالى { إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ }⁽¹⁾.. أى كنا فى أهلنا خائفين لهذا اليوم..

قوله تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }⁽²⁾.. سبق تفسيرها..

قوله تعالى { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ }⁽³⁾.. سبق تفسيرها..

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ }⁽⁴⁾.. سبق تفسيرها..
قال تعالى { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ }⁽⁵⁾..

(1) سورة الطور آية 26.

(2) سورة الانبياء آية 28.

(3) سورة الأنبياء آية 49.

(4) سورة المؤمنون آية 57.

(5) سورة الشورى آية 18.

303- أى يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك، تكذيباً واستبعاداً وكفرًا وعنادًا، [أما الذين] آمنوا فمشفقون منها خائفون وجلون من وقوعها يعلمون أنها حق كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها..

قال القرطبي: قوله تعالى (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) يعنى على طريق الاستهزاء ظنا منهم أنها غير آتية أو أنها لا تكون (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) أى خائفون وجلون لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد فى الطاعة. (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) أى لا شك فيها فلا يشكون ويخاصمون فى قيام الساعة. لأن الذى أنشأهم من تراب ثم من نطفة إلى أن بلغوا ما بلغوا قادر على أن يبعثهم..

يقول ابن كثير: وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر فى الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفى بعض ألفاظه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ بصوت جهورى وهو فى بعض أسفاره فناداه فقال: يا محمد، فقال له رسول الله ﷺ نحا من صوته هاؤم، فقال: متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: ويحك إنها كائنة، فما أعددت لها؟ فقال: حب الله ورسوله. فقال ﷺ: أنت مع من أحببت. فقله فى الحديث: المرء مع من أحب، هذا متواتر لا محالة الغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها..

قوله تعالى { وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } (1) ..

304- والإشفاق يكون من أمرين [إما من] الواجبات أو الخوف من الإقدام على المحظورات ومن يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف، يكون حذراً من التقصير حريصاً على القيام بما كلف به من علم وعمل..

قوله تعالى { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } (2) ..

(1) سورة المعارج آية 27.

(2) سورة الكهف آية 49.

305- معنى: ووضع الكتاب فيه وجهان: أحدهما: أنها كتب الأعمال في أيدي العباد قاله مقاتل. الثاني: أنه وضع الحساب؛ قاله الكلبي، فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة. والقول الأول أظهر.

عن رجل من بنى أسد قال: قال عمر رضي الله عنه لكعب: يا كعب، حدثنا من حديث الآخرة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله، ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتشر حول العرش، وذلك قوله تعالى (لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا). قال الأسدى: الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك، قال كعب: ثم يدعى المؤمن فيعطى (كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ)، فينظر فيه فإذا حسناته باديات للناس وهو يقرأ سيئاته، لكيلا يقول: كانت لى حسنات فلم تذكر، فأحب الله أن يريه عمله كله، حتى إذا استنقص ما فى الكتاب وجد فى آخر ذلك كله أنه مغفور [له وأنه] من أهل الجنة؛ فعند ذلك يقبل إلى أصحابه فيقول: { هَآؤُمْ أَقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ * إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ } (1) ..

ثم يدعى بالكافر فيعطى كتابه بشماله، ثم يلف فيجعل من وراء ظهره ويلوى عنقه؛ فذلك قوله { وَأَمَّا مَنْ أُوتِى كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ } (2) .. فينظر فى كتابه فإذا سيئاته باديات للناس، وينظر فى حسناته لكيلا يقول أفأثاب على السيئات.

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: (يا ويلتاه) ضجوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر. وقال سعيد بن جبیر: الصغائر، اللمم كالمسيس والقبل والكبيرة [الشرك و] المواقعة والزنى. قال قتادة: اشتكى القوم الإحصاء [ولم يحسدوا أو ينكروا ما جاء به] وما اشتكى أحد ظلماً، فإياكم ومحقرات الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه. ومعنى (أَحْصَاهَا) عدها وأحاط بها. (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) ووجدوا

(1) سورة الحاقة الآيات 19 / 20.

(2) سورة الانشقاق آية 10.

إحصاء وجزاء ما عملوا حاضرا. (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) ولا يأخذ ربك أحدا بجرم أحد، ولا يأخذه بما لم يعمله. قال الضحاك: لا ينقص طائعا من ثوابه ولا يزيد عاصيا في عقابه [وذلك من عظم سعة رحمته بخلقه. إن الله بالناس لرؤوف رحيم]..

قوله تعالى { تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (1) ..

306- المعنى: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة مشفقين مما كسبوا وجلين خائفين من عقاب الله، على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة والظالمون هنا الكافرون بدليل التقسيم بين المؤمن والكافر. (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) أى نازل بهم عذاب الله وهم ذائقوه لا محالة، والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا، في روضات البساتين في الآخرة. عنى جل ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم في رياض الجنة ونعيمها. لهم عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم، وهذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم وهذه الكرامة في الآخرة، هو الفضل الكبير من الله عليهم..

قال تعالى { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } (2) ..

307- يقول تعالى ذكره وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض يسأل بعضهم بعضا وقد قيل: إن ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم. عن ابن عباس قال: إذا بعثوا في النفخة الثانية. يقول تعالى ذكره: قال بعضهم لبعض: إنا كنا في أهلنا في الدنيا مشفقين خائفين من عذاب الله وجلين [من] أن يعذبنا ربنا اليوم، فمن الله علينا بفضلِهِ ووقَّانَا عذاب السَّمُومِ فنجانا من النار وأدخلنا الجنة. إنه هو اللطيف الرحيم بخلقه أن يعذبهم بعد توبتهم..

(1) سورة الشورى آية 22.

(2) سورة الطور الآيات 25 / 28.

الفصل الحادى عشر

الآيات التى ذكرت بها كلمة الخوف من الله

(خَافَ، أَخَافُ، نَخَافُ يَخَافُ، فَلَا يَخَافُ، لَا يَخَافُ، أَلَّا تَخَافُوا، يَخَافُهُ، وَيَخَافُونَ
يَخَافُونَ، أَمْ يَخَافُونَ، لَا يَخَافُونَ، وَلَا يَخَافُونَ، يُخَوِّفُ، لَا خَوْفٌ، فَلَا خَوْفٌ وَلَا
خَوْفٌ، أَلَّا خَوْفٌ، خَوْفًا، خَوْفِهِمْ، وَخِيفَةً، خِيفَتِهِ)

معنى كلمة خوف لغة:

308. خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وَخِيفَةً وَمَخَافَةً فَهُوَ خَائِفٌ، وَقَوْمُ خَوْفٍ عَلَى الْأَصْلِ وَخُيْفٌ
عَلَى اللَّفْظِ وَالْأَمْرُ مِنْهُ خَفَ وَالْخِيفَةُ الْخَوْفُ، وَالْإِخَافَةُ التَّخْوِيفُ يُقَالُ: وَجَعَ مُخِيفٌ أَى
يُخِيفُ مَنْ رَأَاهُ، وَطَرِيقٌ مُخَوِّفٌ لِأَنَّهُ لَا يُخِيفُ وَإِنَّمَا يُخِيفُ فِيهِ قَاطِعُ الطَّرِيقِ، وَتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ
الشَّيْءَ أَى خِفْتُ وَتَخَوَّفَهُ أَى تَنَقَّصَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى { أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ } (1) ..

قوله تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } (2) ..

309. وأما من خاف مساءلة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء
فرائضه واجتناب معاصيه، ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها، فزجرها
عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه، فإن الجنة هى منزله يوم القيامة ..
قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ
يَوْمٌ مَّشْهُودٌ } (3) ..

310. أى عبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده، وحجة عليه
لربه وزاجرا يزجره عن أن يعصى الله ويخالفه فيما أمره ونهاه.

(1) سورة النحل آية 47.

(2) سورة النازعات آية 40.

(3) سورة هود آية 103.

وقيل: بل معنى ذلك أن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة [وعلم] بأن الله سيفي له بوعدته فيه للجزاء والثواب والعقاب..

قوله تعالى { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ } ⁽¹⁾..

311. قيل: هو الرجل يهتم بمعصية الله ثم يتركها مخافة الله. وعن مجاهد قال: يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه [أو يسارع بالاستغفار والتوبة منه]. عن قتادة يقول: إن الله مقاما قد خافه المؤمنون فعملوا له ودانوا له وتعبدوا بالليل والنهار.

وعن عطاء بن يسار قال: أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ) فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟

قال: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ).

فقلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟

قال: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ).

فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟

فقال: وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء.

[فانظر إلى سعة وعظم رحمة وشفقة الخالق بال مخلوق فهو أرحم بخلقه من الوالدة بولدها. جاء عن رسول الله ﷺ ⁽²⁾. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقى، إذا وجدت صبيا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار، وهي تقدر على أن لا تطرحه؟ قلنا: لا، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها. [وفي قول آخر] وقد رأى امرأة من السبي فرق بينها وبين ولدها فجعلت تدور على ولدها، فلما وجدته من السبي أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه، أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟

(1) سورة الرحمن آية 46.

(2) صحيح البخاري ج 5 ص 2235 رقم 5653.

قالوا: لا، يا رسول الله.

قال: فوالله أرحم بعباده من هذه بولدها⁽¹⁾..

قوله تعالى { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }⁽²⁾..

312. [هذا قول قاله: هابيل ابن آدم لأخيه قابيل، عندما همَّ به قابيل وأراد أن يقتله] أى لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة، إنى أخاف الله رب العالمين، من أن أصنع كما تريد أن تصنع، بل أصبر وأحتسب. قال عبد الله ابن عمرو: وأيم الله إن كان لأشد الرجلين ولكن منعه الورع. ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار!

قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟!

قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه⁽³⁾.

وقال الإمام أحمد عن بسر بن سعيد، أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشى، والماشى خير من الساعى.

[فقلت]: أفرأيت إن دخل على بيتى فبسط يده إلى ليقتلنى؟

فقال: كن كابن آدم⁽⁴⁾.

(1) جاء في تفسير ابن كثير ج 1 ص 459 رقم 5999 م 2754.

(2) سورة المائدة آية 28.

(3) في الصحيحين 31 م 2888.

(4) وكذا رواه الترمذى 2194 عن قتيبة بن سعيد وقال: هذا حديث حسن.

وقال أيوب السخيتاني: إن أول [من] أخذ بهذه الآية من هذه الأمة (لَيْتَن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا أَقْتُلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) لعثمان بن عفان رضي الله عنه..

قوله تعالى { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } ⁽¹⁾..

313- الخوف هنا هو على توقع المكروه، قال ابن عباس معنى أَخَافُ، عامّة في أنواع

المعاصي، ولكنها هنا إنما تشير إلى الشرك الذي نهى عنه، واليوم العظيم هو يوم القيامة..

قوله تعالى { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } ⁽²⁾..

314- [يقول الله تبارك وتعالى] إنه أرسل نوحا إلى قومه منذرهم بأسه ومخوفهم

سخطه على عبادتهم غيره، فقال: لمن كفر منهم: اعبدوا الله الذي له العباداة وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم، يعظم فيه بلاؤكم بسخط ربكم [أي عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به، وعلى هذا فهو قد خوفهم بيوم القيامة إن كفروا وأصروا على ذلك]..

قوله تعالى { وَإِذْ زَيْنُ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ⁽³⁾..

315- عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه، رأيته في

صورة سراقه بن مالك بن جعشم رجل من بني مدلج، فقال للمشركين: لا غالب لكم

(1) سورة الأنعام آية 15.

(2) سورة الأعراف آية 59.

(3) سورة الأنفال آية 48.

اليوم من الناس وإنى جار لكم! فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده وولى مدبراً هو وشيعته! فقال الرجل: يا سراقه تزعم أنك لنا جار؟ فقال: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وذلك حين رأى الملائكة. قال ابن إسحاق: وصدق عدو الله أنه رأى ما لا يرون. فأوردتهم ثم أسلمهم. قال: كان الذي رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحي. عن طلحة بن عبيد الله بن كريز: أن رسول الله ﷺ قال: ما رئى إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب، إلا ما رأى يوم بدر قالوا: يا رسول الله: وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة..

قوله تعالى { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنِّي بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتُ قُلُوبَكُمْ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (1) ..

316- إذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذي أنزلناه إليك يا محمد، بينات واضحات على الحق دالات، قال الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالمعاد إلينا ولا يصدقون بالبعث لك: ائت بقرآن غير هذا أو بدله! قل لهم: ما يكون لي أن أبدله من عندى. والتبديل الذى سألوه فيما ذكر، أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدا، والحرام حلالا، والحلال حراما! فأمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يرد حكمه ولا يتعقب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلغ ومأمور متبع ما ينزله إلى ربي ويأمرنى به، إنى أخشى من الله إن خالفت أمره وغيّرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيته بذلك، عذاب يوم عظيم هو له..

(1) سورة يونس آية 15.

قوله تعالى { أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ }⁽¹⁾..

317. عن أبي العالية قال: الأليم، الموجه في القرآن كله، وكذلك فسرهُ سعيد بن

جبير والضحاك وقتادة وأبو مالك وأبو عمران النحوي ومقاتل بن حيان..

قوله تعالى { يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ

وَلِيًّا }⁽²⁾..

318. أى إن مت على كفرك فيمسك العذاب على شركك وعصيانك لما أمرك به

فتكون للشيطان وليا وقرينا في النار، فلا يكون لك مولى ولا نصيرا ولا مغيثا [من الله،

إن] إبليس ليس له ولا إلى غيره من الأمر شيء. بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب

بك [وبه] كما قال تعالى..

قوله تعالى { إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }⁽³⁾..

319. هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام أنه دعا قومه عادا وكان

قومه يسكنون الأحقاف، وهى جبال الرمل [قرب] حضرموت متاخمة بلاد اليمن، وكان

زمانهم بعد قوم نوح، كما قال فى سورة الأعراف { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ

نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }⁽⁴⁾.. وكانوا فى غاية من

قوة التركيب والبطش الشديد والطول المديد والأرزاق الدارة والأموال والجنات والأنهار

والأبناء، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله! فبعث الله هوداً إليهم رسولا وبشيرا ونذيرا،

فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نقمته وعذابه فى مخالفته وبطشه..

(1) سورة هود آية 26.

(2) سورة مريم آية 45.

(3) سورة الشعراء آية 135.

(4) سورة الأعراف آية 69.

قوله تعالى { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }⁽¹⁾ ..

320. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لمشركي قومك إني أخاف إن عصيت ربي فيما

أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة ومفرده بالربوبية، عذاب يوم القيامة..

القول في تأويل قوله تعالى { وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّجُورُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }⁽²⁾ ..

321. الأحقاف الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف، يقول تعالى

ذكره واذكر يا محمد لقومك الرادين عليك ما جئتهم به من الحق، هود أخا عاد وخوفهم

أن يحل بهم من نقمة الله على كفرهم، ما حل [بمن] كذبوا رسولنا هوداً إليهم، وقد مضت

الرسول بإنذار أممها من بين يديه، يعني من قبل ومن بعد هود، إني أخاف عليكم أيها القوم

بعبادتكم غير الله، عذاب الله في يوم عظيم يعظم هوله وهو يوم القيامة..

قوله تعالى { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالِمِينَ }⁽³⁾ ..

322. هذا مثل ضرب للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم. وقد

روى عن النبي ﷺ: أن الإنسان الذي قال له الشيطان اكفر، راهب تركت عنده امرأة

أصابها لم ليدعو لها، فزين له الشيطان فوطئها فحملت، ثم قتلها خوفاً أن يفتضح، فدل

الشيطان قومها على موضعها، فجاؤوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه، فجاء الشيطان فوعده

أنه إن سجد له أنجاه منهم فسجد له! فتبرأ منه فأسلمه.

(1) سورة الزمر آية 13.

(2) سورة الأحقاف آية 21.

(3) سورة الحشر الآيات 16/17.

[وفي قول عن]: وهب بن منبه: إن عابدا كان في بنى إسرائيل من أعبد أهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا عند من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها. فاجتمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل وكان ثقة في أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم فأبى ذلك عليهم وتعود بالله منهم ومن أختهم. فلم يزالوا به حتى قال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها. قال: فلبث بذلك زمانا.

ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والأجر وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك؛ قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، قال: فلبث بذلك زمانا.

ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، وقال: لو كنت تكلمها وتحديثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة. قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحديثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها، وتخرج الجارية من بيتها، فلبثا زمانا يتحدثان.

ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل. قال: فلبثا زمانا.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها، ففعل. فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها. فلبثا بذلك حيناً.

ثم جاءه إبليس فقال: لو دخلت البيت معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهاره كله !! فإذا أمسى صعد في صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذهما وقبلها. فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبها فولدت غلاماً. فجاءه إبليس فقال له: أرأيت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟! لا آمن عليك أن تفتضح فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم عليك مخافة إختوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل. فقال له: أتراها تكتم إختوتها ما صنعت بها [وقد] قتلت ابنها؟! خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها. فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في حفيرة مع ابنها وسوى عليها التراب، وصعد في صومعته يتعبد فيها؛ فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث؛ حتى قفل إختوتها من الغزو فجأؤوه فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكى لهم وقال: كانت خير أمة وهذا قبرها. فأتى إختوتها القبر فبكوا على قبرها وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا.

فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها؛ فكذبه الشيطان وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن يمين من دخله. فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونها هنالك جميعاً كما أخبرتكم.

قال: وأتى الأوسط في منامه وقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك. فلما استيقظوا متعجبين لما رأى كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم: لقد رأيت عجبا، فأخبر بعضهم بعضا بما رأى. قال أكبرهم: هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا. قال أصغرهم: لا أمض حتى أتى ذلك المكان فأنظر فيه.

فانطلقوا جميعا حتى دخلوا البيت الذى كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبحين في الحفرة كما قيل لهم فسألوا العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما.

فاستعدوا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته فقدموه ليصلب. فلما أوقفوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أنى صاحبك الذى فتنتك فى المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وذبحت ابنها، فإن أنت أطعنتى اليوم وكفرت بالله الذى خلقتك خلصتك مما أنت فيه. قال: فكفر العابد بالله؛ فلما كفر خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه. قال: ففيه نزلت هذه الآية { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } (1) ..

فضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود. وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يجلى بنى النضير من المدينة، فدرس إليهم المنافقون ألا تخرجوا من دياركم فإن قاتلوكم كنا معكم وإن أخرجوكم كنا معكم، فحاربوا النبی ﷺ فخذلهم المنافقون وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا العابد، فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون إلا بالتقية والكتمان. وطمع أهل الفسوق والفجور فى الأخبار فرموهم بالبهتان والقبیح، حتى كان أمر جريج الراهب وبرأه الله فانبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس.

وقال مجاهد: المراد بالإنسان هاهنا، جميع الناس فى غرور الشيطان إياهم. ومعنى قوله تعالى (إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ) أى أغواه حتى قال: إنى كافر وليس قول الشيطان

(1) سورة الحشر الآيات 16 / 17.

(إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) حقيقة، إنما هو على وجه التبرؤ من الإنسان [وفعله]، فهو تأكيد لقوله تعالى (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ)، (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا) أى عاقبة الشيطان وذلك الإنسان (أَمَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ)..

قوله تعالى { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } (1) ..

323- هذا قول مؤمن آل فرعون، وفي قوله: (يا قوم) ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه، لكم الملك فاشكروا الله على ذلك ظاهرين في الأرض غالبين (أى فى أرض مصر) فمن ينصرنا من عذاب الله تحذيرا لهم من نقمه إن كان موسى صادقا [وقتلتموه؟] فذكر وحذر أيام العذاب التى عذب فيها المتحزبون على الأنبياء المذكورين [مثل قوم نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرئهم عليه وعلى أنبيائه، فيهلككم كما أهلكهم]..

قوله تعالى { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } (2) ..

324- يقول تعالى ذكره مخبرا عن [قول] هذا المؤمن لفرعون وقومه: يا قوم إنى

أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه عقاب الله يوم التناد. عن قتادة: (يوم التناد) يوم ينادى أهل الجنة أهل النار { أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } (3) .. وينادى أهل النار أهل الجنة { وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ } (4) ..

وقد روى عن رسول الله ﷺ عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يأمر الله إسرائيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء

(1) سورة غافر آية 30.

(2) سورة غافر آية 32.

(3) سورة الأعراف آية 44.

(4) سورة الأعراف آية 50.

الله، ويأمره الله أن يديمها ويطولها فلا يفتر، وهى التى يقول الله تعالى { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ }⁽¹⁾.. فيسير الله الجبال فتكون سرايا فتخرج الأرض بأهلها رجاً، وهى التى يقول الله تبارك وتعالى [فيها] { تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ }⁽²⁾.. فتكون كالسفينة المرتعة فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار، فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها، فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً، وهو الذى يقول الله تعالى { وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }⁽³⁾.. وقال آخرون: ويوم التناد وذلك إذا هربوا فندوا فى الأرض، كما تند الإبل: إذا شردت على أربابها. عن الضحاك بن مزاحم: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، فصفوا صفواً دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه، فذلك قول الله تعالى (وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). وذلك قوله تعالى { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمِيذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمِيذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى }⁽⁴⁾.. وقوله تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ

(1) سورة ص آية 16.

(2) سورة النازعات الآيات 7 / 9.

(3) سورة غافر الآيات 32 / 33، تفسير الطبرى.

(4) سورة الفجر الآيات 22 / 23.

تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {⁽¹⁾.. وذلك قوله
 { وَانْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
 يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ }⁽²⁾.. فمعنى الكلام: يا قوم، إنى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم
 بعضاً، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك
 اليوم، وإما لتذكير بعضهم بعضاً بإنجاز الله إياهم الوعد الذى وعدهم فى الدنيا واستغاثة
 من بعضهم ببعض مما لقى من عظيم البلاء فيه..

قوله تعالى { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى
 وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ }⁽³⁾..

325. عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله تُجْزى فيه كل نفس بما كسبت وهم لا
 يظلمون. هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله وكذب رسله، فإن العذاب يناله لا محالة
 يوم القيامة، وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل..

قوله تعالى { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُمْ
 بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ }⁽⁴⁾..

326. وصف ذلك اليوم بالإحاطة بهم، فإن أحاطهم فقد أحاط العذاب بهم.
 واختلف فى ذلك العذاب فقيل: هو عذاب النار فى الآخرة [وهو الأرجح]، وقيل: عذاب
 الاستئصال فى الدنيا والله أعلم..

قوله تعالى { وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ
 وَعِيدِ }⁽⁵⁾..

(1) سورة الرحمن آية 33.

(2) سورة الحاقة الآيات 16 / 17.

(3) سورة هود آية 3.

(4) سورة هود آية 84.

(5) سورة إبراهيم آية 14.

327. أى [خاف وقوفه و] مقامه بين يدي [الله] يوم القيامة. قال الأخفش: ذلك لمن خاف عذابي وخاف وعيد القرآن وزواجه. وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين. فكأنه عجب، فقال: رب أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟! قال: نعم بشر المذنبين أنه لا يتعاضمني ذنب أغفره لهم، وأنذر الصديقين أنهم احتجوا بأعمالهم فإني لا أضع عدلي وإحساني على عبد إلا هلك. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

[وقال] الفضيل بن عياض: إن خفت الله لم يضرك أحد، وإن خفت غير الله لم ينفعك أحد. وعن يحيى بن معاذ الرازي: على قدر حبك الله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشغل في أمرك الخلق. أخرجه البيهقي في الشعب..

قوله تعالى { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَیْبًا قَمَطًا }⁽¹⁾..

328. يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء القوم، الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة، ما نطعمكم طعاماً نطلب منكم عوضاً جزاءً ولا شكوراً ولكننا نطعمكم رجاء أن يؤمننا ربنا من عقوبته، في يوم شديد هوله عظيم أمره تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ويطول بلاء أهله ويشتد. والقمطير هو الشديد العصيب. [وقيل: هو أشد الأيام طولاً في البلاء والشدة والعياذ بالله]..

قوله تعالى { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ }⁽²⁾..

329. عن عمرو بن قيس: قالوا يا رسول الله، لو خوفتنا؟ فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد [أى بلغ يا محمد رسالة ربك فإنها يتذكر من يرجو وعده ويخاف وعيده و] ما

(1) سورة الإنسان آية 10.

(2) سورة ق آية 45.

أعدته لمن عصاني من العذاب، فالوعيد العذاب، والوعد الثواب. وكان قتادة يقول:
 اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك [ويأمل في رحمتك] يا بار يا رحيم..
 قوله تبارك تعالى { وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا }⁽¹⁾ ..

330- أى من يصدق بربه لا يخاف أن ينقص من حسناته فلا يجازى عليها، ولا رهقا، ولا يحمل عليه من سيئات غيره أو سيئة [لم] يعملها..

قوله تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا }⁽²⁾ ..
 331- معنى صالحات الأعمال أداء فرائض الله التي فرضها على عباده وهو مصدق بالله وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه، فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيئات غيره فيعاقبه عليها ولا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها. [علماً] إنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان [أى أن العمل لا يقبل من غير الإيمان، والإيمان هو شرع وحدود وأوامر ونواهي الله والالتزام بها فهو شرط أساسى لتقبل الله للعمل الصالح]. قال الماوردى: والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع من بعضه. وقال الجوهري: رجل هضم ومهضم أى مظلوم. وتهضمه: أى: ظلمه. واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقه.

قوله تعالى { وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ }⁽³⁾ ..

332- قال ابن زيد: لما ألقى [موسى عليه السلام] العصا صارت حية، فرعب منها وجزع فناداه ربه: يا موسى، لا تخف من هذه الحية (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ) يقول تعالى: إني

(1) سورة الجن آية 13.

(2) سورة طه آية 112.

(3) سورة النمل آية 10.

لا يخاف عندى رسلى وأنبيائى الذين أختصهم بالنبوة. فلم يرعو [موسى] لذلك فقال له تبارك وتعالى: { وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ }⁽¹⁾.. فلم يقف أيضا على شىء من هذا، حتى قال له { خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى }⁽²⁾.. فالتفت فإذا هى عصا كما كانت فرجع فأخذها، ثم قوى بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل..

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }⁽³⁾..

333. يقول تعالى ذكره [هذا القول تبشير للمؤمنين] الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له وبرئوا من الآلهة والأنداد، ثم استقاموا على توحيد الله ولم يخلطوا توحيده بشرك وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى. عن السدى قال: تنزل عليهم الملائكة عند الموت بأن لا تخافوا [على] ما تُقَدِّمون عليه من بعد مماتكم، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أهل وولد، فإن [الله] يخلفكم فى ذلك كله، وسروا بأن لكم فى الآخرة الجنة التى كنتم توعدها فى الدنيا على إيمانكم بالله واستقامتكم على طاعته..

قوله تعالى { لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ }⁽⁴⁾..

334. ليختبرنكم الله أيها المؤمنون، كى يعلم أهل الطاعة والإيمان، المنتهين إلى حدوده وأمره ونهيه خوف عقابه بالغيب فى الدنيا، حيث لا يرى العبد ربه فهو غائب عنه، والظاهر أن المعنى بالغيب من الناس أى فى الخلوة ممن خاف الله..

(1) سورة القصص آية 31.

(2) سورة طه آية 21.

(3) سورة فصلت آية 30.

(4) سورة المائدة آية 94.

قوله تعالى { يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا }⁽¹⁾ ..

335- النذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله وإن شئت قلت:

هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. يخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا الله من بر [وتعهدوا على أدائه]..

وعن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: من نذر أن يطيع الله فليطعه،

ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه⁽²⁾. قال الإمام مالك [والمعنى أن] يتعبدوا الله فيما أوجبه

عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر.

ويتركوا المحرمات التي نهاهم عنها، خيفة سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره

[كان] مستطيراً، أى [ممتداً فاشياً] منتشرأً عاماً على الناس إلا من رحم الله. قال قتادة:

استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض..

قوله تعالى { قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا }⁽³⁾ ..

336- قال ابن عباس وغيره: هما يوشع وكالب بن يوقنا، وكانا من الاثنى عشر نقيباً

ويخافان الله تعالى. وقال الضحاك: هما رجلان كانا فى مدينة الجبارين على دين موسى

يخافان من العاقلة لئلا يطلعا على إيمانها فيفتنوهما ولكن وثقا بالله. وأنعم الله عليهما

بالإسلام وباليقين والصلاح..

قوله تعالى { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا

شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ }⁽⁴⁾ ..

(1) سورة الإنسان آية 7.

(2) رواه البخاري 6696 من حديث ابن كثير ج 4 ص 455، مالك 2 / 476.

(3) سورة المائدة آية 23.

(4) سورة الأنعام آية 51.

337. وأنذر بالقرآن، وخص من يخاف [يوم] الحشر، لأن الحجة عليهم أوكد، فإن كان مسلماً أنذر ليترك المعاصي [ويتهجه إلى الله]. وإن كان من أهل الكتاب أنذر ليتبع الحق [أى ليتبع الرسول ﷺ والقرآن الكريم الذى أنزل عليه الناسخ للكتب السماوية السابقة، وما به من آيات الوعد والوعيد، الذين يخافون الله فيطيعون ما أمر به ويحذرون ما نهى عنه فيتقون النار يوم القيامة]..

قوله تعالى { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } ⁽¹⁾..

338. عن قتادة قال: لم يدع شيئاً من خلقه إلا عبده له طائعا أو كارها. وعن الحسن [البصرى] قال: يسجد من فى السموات طوعا [أى أن الملائكة تسجد لله غير مستكبرين عن عبادته خائفين وجلين من الرب جل جلاله مثابرين على طاعته تعالى وامثال أوامره، خوفاً من أن يعذبهم إن عصوا أمره، لذا فهم يفعلون ما أمرهم الله به ولا يعصونه فيؤدون حقوقه ويحذرون سخطه. وأما]. من فى الأرض [وما بها من خلق فهم بين أمرين إما طوعاً أو كرهاً]..

قوله تعالى { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } ⁽²⁾..

339. ذلك اليوم الموصوف [الذى] تتقلب فيه القلوب والأبصار [هو] يوم القيامة من الهول والفرع وتغير أحوالها، فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر ما لم تكن تبصر، وتتوقع القلوب النجاة تارة وتخاف الهلاك تارة أخرى، وتنظر الأبصار يميناً تارة وشمالاً تارة أخرى، لأن أغلب أهل الجمع لا يدرون من أى ناحية يؤخذ بهم، ولا من أى جهة يؤتون كتبهم..

(1) سورة النحل الآيات 49 / 50.

(2) سورة النور آية 37.

قوله تعالى { وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }⁽¹⁾ ..

340- وتركنا في هذه القرية التي أخرجنا من كان فيها من المؤمنين، آية عبرة وآية

عظة للذين يخافون عذاب الله الأليم في الآخرة. [بما أنزلنا بهؤلاء من العذاب والنكال ما

جعلناه عبرة لمن يعتبر من الأمم، وهم قوم نبي الله لوط عليه السلام]. ..

قوله تعالى { أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ

أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }⁽²⁾ ..

341- المعنى: أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون، إذا دعوا إلى الله ورسوله، شك [في

أن محمداً] رسول الله فيمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به. أم يخافون أن يحيف الله

عليهم ورسوله [أى يجوز عليهم فى حكمه] إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم

رسوله؟ ولكنهم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيته فيما أمرهم من الرضا

بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا، والتسليم له. ..

قوله تعالى { كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ }⁽³⁾ ..

342- أى لا يخافون الله ولا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب فذلك الذى دعاهم

إلى الإعراض عن تذكرة الله وهون عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله. عن قتادة قوله:

الذى أفسدهم أنهم كانوا لا يصدقون بالآخرة ولا يخافونها. ..

قوله وتعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَاِئِمٍّ }⁽⁴⁾ ..

(1) سورة الذاريات آية 37.

(2) سورة النور آية 50.

(3) سورة المدثر آية 53.

(4) سورة المائدة آية 54.

343. قوله تعالى (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) شرط وجوابه فسوف، وهذا من إعجاز القرآن للنبي ﷺ، إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيباً، فكان على ما أخبر بعد مدة، [وهم أهل الردة] وكانوا بعد موته ﷺ. قال ابن إسحاق: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت [بعض] العرب وكانوا في ردتهم على قسمين: قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها. وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها قالوا: نصوم ونصلي ولا نزكى. فقاتل الصديق ﷺ جميعهم وبعث خالد بن الوليد ﷺ إليهم بالجيوش فقاتلهم على ما هو مشهور من أخبارهم قوله تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) وهى إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين فى ذلك الوقت وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية [مسلمين] وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة وأشجع. وقيل: نزلت فى الأشعرين؛ ففى الخبر أنها لما نزلت قدمت بعد ذلك بيسير سفائن الأشعرين وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء فى الإسلام فى زمن رسول الله ﷺ، وكانت عامة فتوح العراق فى زمن عمر ﷺ على يدى قبائل اليمن؛ هذا أصح ما قيل فى نزولها والله أعلم. وروى الحاكم فى المستدرک بإسناده أن النبى ﷺ أشار إلى أبى موسى الأشعرى لما نزلت هذه الآية فقال: هم قوم هذا (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أى يرافون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم (أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) يغلظونهم ويعادونهم. (وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) بخلاف المنافقين يخافون الدوائر. وقيل: الآية عامة فى كل من يجاهد الكفار إلى قيام الساعة والله أعلم..

قوله تبارك وتعالى { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ } (1) .. سبق تفسيرها..

قوله تعالى { وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } (2) ..

(1) سورة الرعد آية 21.

(2) سورة الإسراء آية 57.

344. أى مخوفا لا أمان لأحد منه فينبغى أن يحذر منه ويخاف. وقال سهل بن عبدالله: الرجاء والخوف زمانان على الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر، فهم على وجل وخوف ألا تقبل توبتهم، وإن قبلت فالخوف أغلب عليهم إذ لا علم لهم بذلك..

قوله تعالى { لَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ }⁽¹⁾..

345. يقول تعالى ذكره هذا الذى أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به [محبة ورحمة منه بكم] لتحذروه فتجتنبوا معاصيه وتنبهوا من كفركم إلى الإيثار به، وتصديق رسوله واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه فى الآخرة، فاتقونى بأداء فرائضى عليكم واجتناب معاصيى لتنجوا من عذابي وسخطي..

قوله تعالى { أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ }⁽²⁾..

346. قال حذيفة: أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار! فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم. فلما قضى بين العباد، أذن لهم فى طلب الشفاعة، فأتوا آدم عليه السلام فقالوا: يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك؟ فقال: هل تعلمون أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمة الله إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري؟ فيقولون: لا. فيقول: ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن اتوا ابني إبراهيم، فيأتون إبراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه، فيقول: هل تعلمون أحدا اتخذ الله خليلا؟ هل تعلمون أحدا أحرقه قومه فى النار فى الله

(1) سورة الزمر آية 16.

(2) سورة الأعراف آية 49.

غيرى؟ فيقولون: لا، فيقول: ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن اتوا ابنى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقول: هل تعلمون أحدا كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيرى؟ فيقولون: لا، فيقول: ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا عيسى، فيأتونه فيقولون: اشفع لنا عند ربك. فيقول: هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب غيرى؟ فيقولون: لا، فيقول: هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله غيرى؟ فيقولون: لا، فيقول: أنا حجيج نفسى ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن اتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيأتونى فأضرب بى على صدرى ثم أقول: أنا لها. ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فأثنى على ربه، فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط، ثم أسجد. فيقال لى: يا محمد، ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع. فأرفع رأسى فأقول: رب أمتى. فيقال: هم لك. فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطنى يومئذ بذلك المقام، وهو المقام المحمود. فأتى بهم باب الجنة فأستفتح، فيفتح لى ولهم فيذهب بهم إلى نهر يقال له: نهر الحياة حافته قضب من ذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريحهم ويصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدرهم شامات بيض يعرفون بها، يقال لهم: مساكين أهل الجنة..

قوله تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ⁽¹⁾ ..

347- عن سعيد بن جبیر رضي الله عنه: يعنى لا خوف عليهم فى الآخرة ولا هم يحزنون للموت. قال رجل: يا رسول الله من أولياء الله؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل. وعن وهب قال الحواريون: يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى أجل الدنيا حين نظر الناس إلى أجلها وأماتوا منها ما يخشون أن [يميتهم] وتركوا ما علموا أن متركهم فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها

(1) سورة يونس آية 62.

فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، وما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه له، خلت الدنيا عندهم فليسوا يجدونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها يهدمونها فينون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا برفضها الفرحين، باعوها وكانوا ببيعها هم المربحون، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت فيهم المثالات وأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون به، بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أمانى دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون..

قوله تعالى { يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ }⁽¹⁾ ..

348. قال المعتمر بن سليمان: عن أبيه إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فرع، فينادى مناد (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) فيرجوها الناس كلهم فيتبعها [بقوله] (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) [أى من آمنت قلوبهم وانقاد جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم لله تعالى ولما شرع] قال: فيئأس منها غير المؤمنين..

قوله تعالى { فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽²⁾ ..

349. أن من اتبع هداه علماً وعملاً فإنه يصير إلى حال لا خوف فيها ولا حزن، وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئاً كثيراً من المعانى، لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات، وزوال الحزن يقتضى الوصول إلى كل اللذات والمرادات، وقدم عدم الخوف على عدم الحزن، لأن زوال ما لا ينبغى مقدم على طلب ما ينبغى. وهذا يدل

(1) سورة الزخرف الآيات 68 / 69.

(2) سورة البقرة آية 38.

على أن المكلف الذى أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف [عند انتزاع روحه ولا] فى القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الموازين ولا عند الصراط. فإذا انكشفت تلك الأهوال وصاروا إلى الجنة ورضوان الله، صار ما تقدم كأن لم يكن بل ربما كان زائداً فى الالتذاذ بما يجده من النعيم. وقال ابن زيد: لا خوف عليهم أمامهم، فليس شئ أعظم فى صدر الذى يموت مما بعد الموت فأمنهم الله تعالى منه..
قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽¹⁾ ..

350. قيل: أراد زوال الخوف والحزن عنهم فى الدنيا. ومنهم من قال: فى الآخرة فى حال الثواب وهذا أصح. فكأنه سبحانه وعدهم فى الآخرة بالأجر ثم بين أن من صفة ذلك الأجر أن يكون خالياً عن الخوف والحزن وذلك يوجب أن يكون نعيمهم دائماً..
قوله تعالى { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽²⁾ ..

351. فلا خوف عليهم من العذاب الذى أنذر الرسل به ولا هم يحزنون لفوات الثواب الذى بشروا به..

قوله تعالى { فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽³⁾ ..
352. فمن اتقى وأصلح وآمن منكم بما أناه به رسلى، وقص عليه من آياتى وصدق واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به، والانتهاه عما نهاه عنه على لسان رسوله، وأصلح أعماله التى كان لها مفسداً قبل ذلك بالتوبة منها، فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها وشهواتهم التى تجنبوها، اتباعاً منهم لنهى الله عنها إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك..

(1) سورة المائدة آية 69.

(2) سورة الأنعام آية 48.

(3) سورة الأعراف آية 35.

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽¹⁾ ..

353. الذين قالوا ربنا الله لا إله غيره، ثم استقاموا على تصديقهم بذلك، فلم يخلطوه بشرك ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم..

قوله تعالى { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽²⁾ ..

354. قيل: أراد زوال الخوف والحزن عنهم في الدنيا، ومنهم من قال: في الآخرة في حال الثواب وهذا أصح، لأن قوله وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ عام في النفي، وكذلك وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وهذه الصفة لا تحصل في الدنيا وخصوصاً في المكلفين لأنهم في كل وقت لا ينفكون من خوف وحزن، إما في أسباب الدنيا وإما في أمور الآخرة، فكأنه سبحانه وعدهم في الآخرة بالأجر ثم بيّن أن من صفة ذلك الأجر أن يكون خالياً عن الخوف والحزن، وذلك يوجب أن يكون نعيمهم دائماً، لأنهم لو جوزوا كونه منقطعاً لاعتراهم الحزن العظيم..

قوله تعالى { مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁽³⁾ ..

355. ضمن لهم تبارك وتعالى تحصيل الأجور وأمنهم مما يخافونه من المحذور، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه. قال سعيد بن جبیر: لا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون للموت [لما ينتظرون من الخير لدى ربهم وما بشرهم به]..

(1) سورة الأحقاف آية 13.

(2) سورة البقرة آية 62.

(3) سورة البقرة آية 112.

قوله تعالى { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (1) ..

356. أجمعت الأمة على أن قوله (هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) مشروط بأن لا يوجد منه الكفر. أما قوله (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ففيه قولان: الأول: أن إنفاقهم في سبيل الله لا يضيع بل ثوابه موفر عليهم يوم القيامة، لا يخافون من أن لا يوجد، والثاني: أن المراد أنهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ألبته..

قوله تعالى { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (2) ..

357. والمعنى معلوم وفيه مسألتان: المسألة الأولى: أنها تدل على أن أهل الثواب لا خوف عليهم يوم القيامة. المسألة الثانية: أن هذا مشروط عند الكل بأن لا يحصل عقيبته الكفر..

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (3) ..

358. قال الأصم: لا خوف عليهم من عذاب يومئذ، ولا هم يحزنون بسبب أنه فاتهم النعيم الزائد الذي قد حصل لغيرهم من السعداء، لأنه لا منافسة في الآخرة، ولا هم يحزنون أيضاً بسبب أنه لم يصدر منّا في الدنيا طاعة أزيد مما صدر حتى صرنا مستحقين لثواب أزيد مما وجدناه، وذلك لأن هذه الخواطر لا توجد في الآخرة..

(1) سورة البقرة آية 262.

(2) سورة البقرة آية 274.

(3) سورة البقرة آية 277.

قوله تعالى { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (1) ..

359. قال الضحاك: لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي لقوا ربهم فأكرمهم فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب، قالوا: يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا. فقال الله تبارك وتعالى: أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم، فأنزل على نبيه [الآية]، فهذا النبأ الذي بلغ الله ورسوله والمؤمنين ما قال الشهداء. [المعنى] لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم [لذا] فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم للخفص [الحقّص: الدعة يقال عيش خافص وهم في خفص من العيش] الذي صاروا إليه ..

قوله تعالى { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (2) ..

360. بيّن في قوله تعالى (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) أن فائدة الدعاء هو هذان الأمران، أى أن تكونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في كل أعمالكم، ولا تقطعوا أنكم وإن اجتهدتم قد أدبتم حق ربكم. فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء فهو قريب من الإجابة. ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. وفي صحيح الحاكم عن أنس مرفوعاً: لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد. ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه والنجاة من النار ودخول الجنة. قال النبي ﷺ:

(1) سورة آل عمران الآيات 169 / 170.

(2) سورة الأعراف آية 56.

حولها ندندن. يعنى حول سؤال الجنة والنجاة من النار. وقال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لى دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها.

وفى المسند وصحيح الحاكم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس له فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها قالوا: إذا نكث.

قال: الله أكثر. وخرجه الطبراني وعنده: أو يغفر له بها ذنباً قد سلف. بدل قوله أو يكشف عنه من السوء مثلها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، يأتى الله بالمؤمن يوم القيامة، فيقر به حتى يجعله فى حجاب من جميع الخلق فيقول له: اقرأ، فيعرفه ذنباً ذنباً أتعرف أتعرف؟ فيقول: نعم نعم، ثم يلتفت العبد يمينه ويسرة، فيقول الله تعالى: لا بأس عليك يا عبدى أنت فى سترى من جميع خلقى، ليس بينى وبينك اليوم أحد يطلع على ذنوبك غيرى. غفرتها لك بحرف واحد من جميع ما أتيتنى به. قال: ما هو يا رب؟! قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيرى.

وفى حديث أبى ذر: قوله، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى على كثرة ذنوبك وخطاياك ولا يتعاضمنى ذلك ولا أستكثره.

وفى الصحيح عن النبي ﷺ قال: إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شىء، فذنوب العبد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم، فهى صغيرة فى جنب عفو الله ومغفرته. وفى صحيح الحاكم عن جابر: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يقول: واذنوباه مرتين أو ثلاثاً فقال له النبي ﷺ: قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى، فقاها ثم قال له: عد. فعاد، ثم قال له: عد. فعاد، فقال له: قم قد غفر الله لك.

وفي رواية أخرى: لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم. والاستغفار طلب المغفرة، وهى وقاية شر الذنوب مع سترها [وغفرانها أى: محوها وإبداها بحسنات كما جاء فى قوله تبارك وتعالى {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (1) .. قال تعالى {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (2) .. أى أن توبته سبحانه، كانت هى الدافع لهم فى طلب التوبة فسبحان من وسعت رحمته كل شىء].

وقد كثر فى القرآن ذكر الاستغفار، فتارة يؤمر به كقوله تعالى {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (3) .. وقوله تعالى {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (4) ..

وتارة يمدح أهله كقوله تعالى {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (5) .. وقوله تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (6) .. وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} (7) .. وكثيرا ما يقرن الاستغفار بذكر

(1) سورة الفرقان آية 70.

(2) سورة التوبة آية 118.

(3) سورة المزمل آية 20.

(4) سورة هود آية 3.

(5) سورة آل عمران آية 17.

(6) سورة آل عمران آية 135.

(7) سورة النساء آية 110.

التوبة فيكون الاستغفار حينئذٍ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع من الذنوب بالقلوب والجوارح. في حديث شداد بن أوس: عن النبي ﷺ قال: سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت⁽¹⁾. وعن عبدالله بن عمرو أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علّمني دعاء أدعوه به في صلاتي؟ قال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم⁽²⁾.

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. وقد روى عن النبي ﷺ أن من قاله: غفر له، وإن كان فرّاً من الزحف⁽³⁾. وفي الأربعة عن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة، يقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب⁽⁴⁾. ومن حديث أبي ذر مرفوعاً: إن لكل داء دواءً، وإن دواء الذنوب الاستغفار. قال قتادة: إن هذا القرآن يدلّكم على دوائكم ودوائكم، فأما دوائكم فالذنوب وأما دوائكم فالاستغفار.

وقال بعضهم: إنما معول المذنبين البكاء والاستغفار فمن أهمته ذنوبه فليكثر لها من الاستغفار. قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ }

(1) أخرجه البخاري.

(2) الصحيحان.

(3) أخرجه أبو داود والترمذي.

(4) وفي سنن أبي داود.

يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} ⁽¹⁾.. فمن جاء مع التوحيد بقرب الأرض، وهو ملؤها أو ما يقارب ملؤها خطايا، لقيه الله بقراها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة. وفي المسند وغيره عن أم هانئ عن النبي ﷺ قال: لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل..

قوله تعالى { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } ⁽²⁾..

361- أى يريكم البرق في السماء خوفاً للمسافر؛ فإنه يخاف أذاه لما ينال من المطر والهول والصواعق. وطمعاً للحاضر أن يكون عقبه مطر وخصب. قال الحسن: خوفاً من صواعق البرق، وطمعاً في غيئه المزيل للقطط. وروى عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: لا تأخذ الصاعقة ذاكراً لله عز وجل. وقال أبو هريرة: كان النبي ﷺ: إذا سمع صوت الرعد يقول: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته صاعقة فعلى ديته..

قوله تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } ⁽³⁾..

362- وقيل: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم. وقال الضحاك: خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث. وقال يحيى بن سلام: خوفاً من البرد أن يهلك الزرع وطمعاً في المطر أن يُجَيِّدَ الزرع. وقال ابن بحر: خوفاً أن يكون البرق برقاً حُلْبًا ⁽⁴⁾. لا يمطر، وطمعاً أن يكون ممطراً.

(1) سورة النساء آية 48.

(2) سورة الرعد آية 12.

(3) سورة الروم آية 24.

(4) [البرق الحُلْب: الذي لا غيث فيه كأنه خادع].

[وبجميع ما قالوا نقول: والله أعلم]..

قوله تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } ⁽¹⁾ ..

363. قال الزجاج والرمائى: التجافى التنحى والجنوب جمع جنب. وفى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قولان أحدهما: فى غير صلاة لذكر الله تعالى، والثانى: فى صلاة. وفى الصلاة التى تتجافى جنوبهم لأجلها أربعة أقوال: أحدها: التنفل بالليل؛ قاله الجمهور من المفسرين وعليه أكثر الناس وهو الذى فيه المدح وهو قول مجاهد والأوزاعى ومالك بن أنس والحسن بن أبى الحسن وأبى العالية وغيرهم. ويدل عليه قوله تعالى { لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ⁽²⁾ .. لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفي. وفى قيام الليل أحاديث كثيرة: منها حديث معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال له: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل. قال: ثم تلا { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ } حتى بلغ { يَعْمَلُونَ } أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده والقاضى إسماعيل بن إسحاق وأبو عيسى الترمذى، وقال فيه: حديث حسن صحيح.

الثانى: صلاة العشاء التى يقال لها العتمة. قال الحسن وعطاء. وعن أنس بن مالك أن هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة. قال: هذا حديث حسن غريب ⁽³⁾ .

الثالث: التنفل ما بين المغرب والعشاء؛ قاله قتادة وعكرمة.

(1) سورة السجدة آية 16 .

(2) سورة السجدة آية 17 .

(3) فى الترمذى عن أنس .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك أن هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) قال: كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء. الرابع: قال الضحاك: تجافى الجنب هو أن يصلى الرجل العشاء والصبح فى جماعة. وقاله أبو الدرداء وعبادة.

وقال عثمان بن عفان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله. ولفظ الترمذى وأبى داود فى هذا الحديث: من شهد العشاء فى جماعة كان له قيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان له كقيام ليلة.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: قال النبى ﷺ: من جفت جنباه عن المضاجع ما بين المغرب والعشاء، بنى له قصران فى الجنة مسيرة عام، وفيهما من الشجر، ما لو نزلها أهل المشرق والمغرب لأوسعتهم فاكهة. وهى صلاة الاوابين وغفلة الغافلين. وأن من الدعاء المستجاب الذى لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء.

وذكر الثعلبى مرفوعا عن أسماء بنت يزيد قال النبى ﷺ: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت تسمعه الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل. ثم ينادى الثانية: ستعلمون اليوم من أولى بالكرم، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون.

ثم ينادى الثالثة: ستعلمون اليوم من أولى بالكرم، ليقم الحامدون لله على كل حال فى السراء والضراء، فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة. ثم يحاسب سائر الناس. وذكر ابن المبارك: عن أبى ذر قال: ثلاثة يضحك الله إليهم ويستبشر الله بهم: رجل قام من الليل وترك فراشه ودفئه ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فيقول الله لملائكته: ما حمل عبدى على ما صنع؟ فيقولون: ربنا أنت أعلم به منا؛ فيقول: أنا أعلم به

ولكن أخبروني؟ فيقولون: رجّيته شيئاً فرجاه وخوّفته فخافه. فيقول: أشهدكم أنى قد أمنتّه مما خاف وأوجبّت له ما رجاه.

قال: ورجل كان في سرية، فلقى العدو فانهمز أصحابه وثبت هو حتى يقتل أو يفتح الله عليهم فيقول الله لملائكته مثل هذه القصة.

ورجل سرى في ليلة، حتى إذا كان في آخر الليل نزل هو وأصحابه، فنام أصحابه وقام هو يصلي؛ فيقول الله لملائكته. وذكر القصة.

قوله تعالى (يدعون ربهم) أى تتجافى جنوبهم وهم أيضاً في كل حال، يدعون ربهم ليلاً ونهارهم خوفاً من العذاب وطمعا في الثواب. وهذا القول مدح [لهم من الله تبارك وتعالى]..

قوله تعالى { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا }⁽¹⁾..

364- عن أبى العالية قال: كان النبى ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له سراً وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد الهجرة إلى المدينة بالقتال وكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح. ثم إن رجلاً من أصحابه قال: يا رسول الله، أبدأ الدهر نحن خائفون هكذا، ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: لن تغبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليست فيه حديدة. فأنزل الله تبارك وتعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) إلى

(1) سورة النور آية 55.

آخر الآية فأظهر الله جل وعز نبيه على جزيرة العرب، فأمنوا ووضعوا السلاح. ثم إن الله قبض نبيه ﷺ فكانوا كذلك آمنين في إمارة (أبي بكر وعمر وعثمان) [وهذا قول صحيح]، حتى وقعوا فيما وقعوا، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم، واتخذوا الحجر والشرط، وغيروا فغير [الله] ما بهم⁽¹⁾ ..

قوله تعالى { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ }⁽²⁾ ..

365. قوله (تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) أى اذكر ربك في نفسك [خِيفَةً و] رغبة ورهبة لا جهرا، وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهرا بليغا، ولما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه؟ فأنزل الله عز وجل { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }⁽³⁾ .. وعن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم النبي ﷺ: يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا⁽⁴⁾. إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ..

قوله تعالى { وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ }⁽⁵⁾ ..

(1) تفسير ابن أبي حاتم ج 8 ص 2629 رقم 14772.

(2) سورة الأعراف آية 205.

(3) سورة البقرة آية 186.

(4) الصحيحين 2993 م 2704.

(5) سورة الرعد آية 13.

366. [أى] يعظم الرعد الله ويمجده، فيثنى عليه بصفاته وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ومما وصفوه به من اتخاذ صاحبة الولد، تعالى ربنا وتقدس. وقوله (من خِيفَتِهِ) يقول وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبتة [لا يشغلهم عن ذلك شيء] وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في كافر من الكفار ذكر الله تعالى بغير ما ينبغي ذكره، فأرسل عليه صاعقة أهلكته.

وعن أنس بن مالك قال: بعث النبي ﷺ رجلا إلى رجل من فراعنة العرب أن ادعه لى فقال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك، قال: اذهب إليه فادعه، قال: فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه، قال: فأتاه فأعاد عليه، ورد عليه مثل الجواب الأول، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه، قال: فرجع إليه فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه. فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ).

قال الطبرى: عن ابن جريج: نزلت في أربد أخى لبید بن ربیعہ، لأنه [لما] قدم أربد وعامر ابن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي ﷺ قال عامر: يا محمد، أأسلم وأكون الخليفة من بعدك؟ قال: لا. قال: فأكون على أهل الوبر، وأنت على أهل المدر؟ قال: لا. قال: فما ذاك؟ قال: أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها فإنك رجل فارس. قال: أو ليست أعنة الخيل بيدي؟

أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بنى عامر، وقال [لأخيه] أربد، إما أن تكفينيه وأضره بالسيف، وإما أن أكفيكه وتضره بالسيف؟ قال أربد: أكفيكه وأضره. فقال عامر: يا محمد إن لى إليك حاجة، قال: ادن، فلم يزل يدنو ويقول النبي ﷺ ادن، حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه، واستل أربد السيف فاستل منه قليلا، فلما رأى

النبي ﷺ بريقه تعوذ، فبيست يد أربد على السيف. فبعث الله عليه صاعقة فأحرقتة. وقوله (وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ)⁽¹⁾. أى هؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق لخصومتهم فى الله عز وجل لرسوله ﷺ، ويقول تعالى ذكره: والله شديدة ماحلته فى عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى فى كفره..

قوله تعالى { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁽²⁾ ..

367. فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمنَّ عليكم أمرهم ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياى ما أطعتمونى واتبعتم أمرى، وإنى متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافوا واتقوا أن تعصونى وتخالفوا أمرى فتهلكوا، إن كنتم مؤمنين مصدقى رسولى وما جاءكم به من عندي.. يقول القرطبي: والخوف فى كلام العرب الذعر. قال سهل بن عبدالله: اجتمع بعض الصديقين إلى إبراهيم الخليل فقالوا: ما الخوف؟ فقال: لا تأمن حتى تبلغ المأمن. فالخائف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة؛ ولهذا قيل: ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه، بل الخائف الذى يترك ما يخاف أن يعذب عليه. ففرض الله تعالى على العباد أن يخافوه، فقال تعالى (وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .. وقال سبحانه { وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ }⁽³⁾ ..

* * *

(1) [المحلُّ المكر والكيد، وفى الحديث عن ابن مسعود: إن هذا القرآن شافع مشفع وماجلٌ مصدق، جعله يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه، أى يسعى به إلى الله تعالى وقيل معناه: وخصم مجادل مصدق والمُاحِلَةُ المأكرة والمكايدة و تَمَحَّلَ احتال، وفى الحديث أمورٌ مُتَماحِلَةٌ أى فتن يطول أمرها].

(2) سورة آل عمران آية 175.

(3) سورة البقرة آية 4.

الباب الرابع

**ما جاء من الأحاديث القدسية والنبوية
فى البكاء والخشية ورقه القلب**

368. يقول الله تبارك وتعالى في بعض كتبه المنزلة:

وعزتي وجلالي، لا يبكي عبد من خشيتي، إلا أبدلته ضحكا في نور قدسي، قُل
للبكائين من خشيتي: أبشروا، فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة إذا نزلت. قل للمذنبين من
عبادي، يحالسوا البكائين من خشيتي، لعل أن أصيبهم برحمتي إذا رحمت البكائين⁽¹⁾..

369. وقال ﷺ: دمة العاصي تطفئ غضب الرب⁽²⁾..

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: إن من أخيار أمتي قوما يضحكون جهرا من
سعة رحمة الله، ويكون سرا من خوف عقابه. أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء،
وأرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة⁽³⁾..

370. قال أبو هريرة: تكلم النبي ﷺ فأبكى من في البيت، فكان رجل في زاوية
البيت تسيل دموعه على خديه لا يسمع له صوت، ولا ترى له عبرة. فجاء جبريل عليه
السلام فقال: يا محمد، أما إن هذا الباكي، قد أطفأ بدموعه بحورا من جهنم⁽⁴⁾..

371. وفي الحديث أن أبي بن كعب قرأ عند النبي ﷺ فرقت القلوب، فقال رسول
الله ﷺ: اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة⁽⁵⁾..

372. وفي الخبر: أعلمكم بالله أشدكم له خشية⁽⁶⁾..

(1) الروض الفائق ص 61.

(2) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج 2 ص 277.

(3) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج 2 ص 277.

(4) البصائر والذخائر ج 3 ص 20 حديث ضعيف.

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 4 ص 527.

(6) فيض القدير ج 5 ص 490.

373. عن الحسن البصري قال رسول الله ﷺ: ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل، أو جرعة صبر على مصيبة. وما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله، أو قطرة دم أُهريقَت في سبيل الله⁽¹⁾..
374. عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى تصيب الأرض دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة⁽²⁾..
375. وعن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: عينا لا تريان النار: عين بكت وجلا من خشية الله، وعين باتت تكلاً في سبيل الله. لم يرو هذا الحديث عن شبيب بن بشر إلا إسرائيل تفرد به زافر بن سليمان⁽³⁾..
376. عن سعد بن مدحاس: قال رسول الله ﷺ: من علم شيئاً فلا يكتمه، ومن دمعت عيناه من خشية الله لن يلج النار أبداً⁽⁴⁾..
377. عن أبي هريرة قال ﷺ: لا يلج النار أحد بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري امرئ أبداً. وقال أبو عبد الرحمن المقرئ في منخري مُسلم أبداً⁽⁵⁾..
378. عن العباس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ تحت شجرة فهاجت الريح فوقع ما كان فيها من ورق نخر، وبقي ما كان فيها من ورق أخضر. فقال رسول الله ﷺ: ما مثل هذه الشجر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: مثلها مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله تعالى وقعت عنه ذنوبه وبقيت له حسناته⁽⁶⁾..

(1) مسند الشهاب ج 2 ص 256.

(2) المعجم الأوسط ج 2 ص 178 رقم 1641.

(3) المعجم الأوسط ج 6 ص 56 رقم 5779.

(4) أسد الغابة ج 2 ص 438 رقم 2033.

(5) مسند أحمد ج 2 ص 505 رقم 10567.

(6) المطالب العالية ج 13 ص 742 رقم 3317.

379- عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: ثلاثة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل حيث توجه علم أن الله معه، ورجل دعت امرأته إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل أحب بجلال الله عز وجل⁽¹⁾..

380- عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: من قدر على طمع الدنيا وهو قادر على أن لا يؤديه زوجه الله تعالى من الحور العين حيث يشاء، ومن دعت بهغية إلى نفسها فتركها من خشية الله تبارك وتعالى، زوجه الله تعالى من الحور العين حيث شاء⁽²⁾..

381- عن ابن عباس خطبنا رسول الله ﷺ: حُطبة وعظنا فيها موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب واقشعرت منها الجلود وتقلقلت منها الأحشاء، أمر ﷺ بلالاً ﷺ فنادى الصلاة جامعة، فذكر الحديث بطوله وفيه: ومن ذرفت عيناه من خشية الله تبارك وتعالى كان له بكل قطرة من دموعه مثل أُحُدٍ في ميزانه، وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب واصلف⁽³⁾..

382- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن ثلاثة نفر فيما سلف من الناس انطلقوا يرتادون لأهلهم، فأخذتهم السماء فدخلوا غارا، فسقط عليهم حجر متجاف حتى ما يرون خصاصة، فقال بعضهم لبعض: قد وقع الحجر وعفا الأثر ولا يعلم بمكانكم إلا الله عز وجل، ادعوا الله تبارك وتعالى بأوثق أعمالكم لعل الله عز وجل برحمته يرحمنا. فقال رجل منهم: قد عملت حسنة مرة كان لي أجرا يعملون فجاءني عمال لي استأجرت كل رجل منهم بأجر معلوم فجاءني رجل ذات يوم نصف النهار فاستأجرت به بشرط أصحابه فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله، فرأيت على في الذمام أن لا أنقصه مما

(1) المعجم الكبير ج 8 ص 240 رقم 7935.

(2) المطالب العالیه ج 13 ص 185 رقم 3145.

(3) المطالب العالیه ج 13 ص 387 رقم 3202.

استأجرت به أصحابه لما جهد في عمله فقال رجل منهم: تعطى هذا مثل ما أعطيتني؟! فقلت: يا عبد الله لم أتحسسك شيئا من شرطك وإنما هو مالى أحكم بما شئت فغضب وذهب وترك أجره! قال: فوضعت حقه في جانب البيت ما شاء الله، ثم مر بى بقر فاشتريت به فصيلة من البقر فبلغت ما شاء الله، فمر بى بعد حين شيخ ضعيف لا أعرفه فقال: إن لى عليك حقا فذكرنيه حتى عرفته فقلت: إياك أبغى هذا حقك فعرضتها عليه جميعا، قال: يا عبد الله لا تسخر بى إن لم تصدق على فأعطني حقي؟ قال: والله ما أسخر بك إنها لحقك ما لى منها شيء، فدفعتها إليه جميعا، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا، قال: فانصدع الجبل حتى رأوا منه وأبصروا.

قال آخر: قد عملت حسنة مرة كان لى فضل [مال] فأصابني الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب منى معروفا فقلت: والله ما هو دون نفسك، فأبت على، فذهبت ثم رجعت فذكرتني بالله، فأبيت عليها وقلت: لا والله ما هو دون نفسك، فأبت على، وذهبت فذكرت ذلك لزوجها، فقال لها: أعطيه نفسك وأغنى عيالك، فرجعت إلى فناشدتني بالله، فأبيت عليها وقلت: والله ما هو دون نفسك، فلما رأت ذلك أسلمت إلى نفسها، فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها: ما شأنك؟! قالت: أخاف الله رب العالمين. فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركها وأعطيها ما يحق على من تكشفها. اللهم إن كنت تعلم أن ذلك لوجهك فافرج عنا، فانصدع الجبل حتى عرفوا وتبين لهم.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لى أبوان شيخان كبيران وكانت لى غنم، فكنت أطعم أبوى وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمى، قال: فأصابنى يوما غيث فحبسنى فلم أبرح حتى أمسيت فأتيت أهلى فأخذت محلبى فحلبت وغنمى قائمة، فمضيت إلى أبوى فوجدتها قد ناما، فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى، فما برحت جالسا ومخلبى على يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك

فأفرج عنا. قال: لكأني أسمع هذه من رسول الله ﷺ قال الجبل: طاق، فأفرج الله عنهم فأخرجوا⁽¹⁾..

383- عن سعيد بن المسيب عن عائشة [أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها] قالت: قال رسول الله ﷺ: الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغناء عقوبة، والعقل هدية من الله والجهل ضلالة، والظلم ندامة، والطاعة قرة العين، والبكاء من خشية الله نجاة من النار، والضحك هلاك البدن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له⁽²⁾.. تفرد به هذا النهرواني وهو مجهول وقد سمعته من وجه آخر عن روح وليس بمحفوظ.. [عن ميناء عن أبيه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة والغنى عقوبة والعقل هداية والجهل ضلالة والظلم ندامة والطاعة قرة العين والبكاء من خشية الله عز وجل نجاة من النار والضحك هلاك البدن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له⁽³⁾..

384- قال سالم بن عبد الله كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم ارزقني عينين هطاليتين تبكيان بذروف الدموع، وتشفياني من خشيتك، قبل أن يكون الدموع دما والأضراس جمر⁽⁴⁾..

385- عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: إني رأيت البارحة عجباً: رأيت رجلاً من أمتي، جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فردّ عنه.

(1) رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير والبخاري بنحوه من طرق ورجال أحمد ثقات.. مسند الإمام

أحمد بن حنبل ج 3 ص 142.

(2) شعب الإيمان ج 5 ص 388.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب ج 4 ص 238 رقم 6714. تعزية المسلم ج 1 ص 49.

(4) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 164 رقم 480.

ورأيت رجلا من أمتي، قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلا من أمتي، قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم.
ورأيت رجلا من أمتي، قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

ورأيت رجلا من أمتي، يلهث عطشا كلما ورد حوضا مُنع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

ورأيت رجلا من أمتي، والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا حلقة طردوه، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى.

ورأيت رجلا من أمتي، من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرة فاستخرجاه من الظلمة وأدخله النور.

ورأيت رجلا من أمتي، يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه، فكلموه.

ورأيت رجلا من أمتي، يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت له سترا على وجهه وظلا على رأسه.

ورأيت رجلا من أمتي، قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله مع ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلا من أمتي، جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل.

ورأيت رجلا من أمتي، قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من النار فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

ورأيت رجلا من أمتي، قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه⁽¹⁾ فثقلوا ميزانه.

ورأيت رجلا من أمتي، قائما على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلا من أمتي، هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار.

ورأيت رجلا من أمتي، قائما على الصراط يردد كما تردد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى.

ورأيت رجلا من أمتي، على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا، فجاءته صلاته على فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط.

ورأيت رجلا من أمتي، انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة. قال القرطبي: بعد إirاده هذا الحديث من هذا الوجه، هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة⁽²⁾..

386- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه⁽³⁾..

387- المعنى: سبعة يظلهم الله في ظله، أى يدخلهم في ظل رحمته وإضافة الظل إليه تعالى إضافة تشريف، وهو سبحانه منزّه عن الظل إذ هو من خواص الأجسام، يوم لا ظل إلا ظله أى لا رحمة إلا رحمته وهو يوم القيامة.

(1) [الْفِرَاطُ: ما تقدّمك من أجرٍ وعَمَلٍ. وفي الدعاء: على ما فرط مِنِّي، أى سبق وتقدّم].

(2) أورده هكذا في كتابه التذكرة 1/ 276.. تفسير ابن كثير ج 2 ص 536.

(3) تفسير ابن كثير ج 1 ص 323.

أحدهم: إمام [أى حاكم] سلطان، عادل تابع لأوامر ربه جامع للكلمات الثلاث
الحكمة والشجاعة والعفة. وقدمه لعموم نفعه.

والثانى: شاب خصه لكونه مظنة غلبة الشهوة وقوة الباعث على متابعة الهوى،
وملازمة العبادة مع ذلك أشق وأدُلُّ على غلبة التقوى نشأ في عبادة الله.

والثالث: رجلان أحب كل منهما صاحبه في طلب رضى الله ولأجله لا لغرض
دنيوى فاجتمعا على ذلك بقلوبهما واستمرا على محبتهما لأجله تعالى حتى فرق بينهما الموت
ولم يقطع تحابهما عارض دنيوي.

والرابع: رجل قلبه متعلق بالمساجد من حبها إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان
بدنه خارجا، فلا يصلى صلاة إلا فى المسجد ولا يخرج منه إلا وهو ينتظر أخرى ليعود
فيصليها فيه، فهو ملازم للمسجد بقلبه فليس المراد دوام الجلوس فيه.

والخامس: رجل ذكر الله بلسانه أو قلبه [فى مكان خالٍ من الناس لا يراه أحد
ففاضت عيناه فبكى على ما فرط فى الدنيا، فكان بكاءه بقلب خالص العبادة خشية وحياء
من الله تعالى وخوفا وشوقا وطمعاً ومحبة واعتذاراً إلى الله فأواه الله إلى ظله].

والسادس: رجل دعتة امرأة للزنا بها، ذات شرف أو حسب أو مال وجمال، أى مزيد
حسن فقال بلسانه ويحتمل بقلبه زجرا لنفسه عن الفاحشة: إنى أخاف الله رب العالمين.
وخص ذات المنصب والجمال لأن الرغبة [بها تكون أشد نظرا للدعة والرفاهية والنعم
والنعيم والسلطة التى تتمتع بها، لذا فالقدرة لديها على الإغواء بأحد هذه المزايا، المال
والجمال والمنصب المسهل للأمور متوفرة فيها أكثر من غيرها وهو لن يقوم بالإففاق عليها
فى سبيل قضاء وطره منها، فكونه يرفضها بما فيها وقد توفرت بها ملذات الدنيا فهذا لا
يكون إلا لمن يخشى الله].

والسابع: رجل تصدق بصدقة، أى تطوع فكتمها عن الناس بحيث لو كان شهاله رجلا ما علمها فهو من مجاز التنبيه [والتشبيه] (1) ..

388. قال أنس: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين (2) .. وفى رواية بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شىء، فخطب فقال: عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطوا رؤوسهم ولهم خنين (3) . قال ابن حجر: العلم هنا ما تعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه، والأهوال التى تقع عند النزع والموت وفى القبر ويوم القيامة ..

389. عن أنس قال: لما أسرى بالنبي ﷺ وجبريل عليه السلام معه، سمع رسول الله ﷺ هدة فقال: يا جبريل ما هذه الهدة؟ قال: حجر أرسله الله من شفير جهنم فهو يهوى فيها منذ سبعين عاما فبلغ قعرها الآن. قال: فما ضحك رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا أن يتبسم تبسما (4) ..

390. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (5) ..

(1) فيض القدير ج 4 ص 88.

(2) الخنين: هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف.

(3) رياض الصالحين ج 1 ص 92 رقم 401.

(4) خرجه ابن أبي الدنيا وغيره وخرجه الطبراني بإسناد ضعيف إلى أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ معناه، فى حديث قال: فما روي رسول الله ﷺ ضاحكا حتى قبض.

(5) رواه الترمذى وقال حسن .. رياض الصالحين ج 1 ص 277.

391- حدثنا أبو الجراح عن خازم: أن النبي ﷺ نزل عليه جبريل ﷺ وعنده رجل يبكي، فقال: من هذا؟ قال: فلان. قال جبريل: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله عز وجل يطفئ بالدمعة بحورا من نار جهنم⁽¹⁾..

392- روى ابن عمر قال: استقبل رسول الله ﷺ الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، فالتفت فإذا هو بعمر يبكي، فقال: يا عمر هاهنا تُسكبُ العبرات⁽²⁾.. قال الألبيري:

وَلَوْ بَكَتِ الدَّمُ عَيْنَاكَ خَوْفًا لَدُنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَ
وَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أُطِعْتَ

* * *

(1) الزهد لابن حنبل ج 1 ص 27.

(2) المواعظ للجوزي.

الباب الخامس

ما جاء فى الخوف من الله سبحانه وتعالى

معنى الخوف فى اللغة:

393. الحَوَفُ: الفَزَعُ، خَافَهُ يَخَافُهُ خَوْفًا وَخِيفَةً وَمَخَافَةً. قال الليث: خَافَ يَخَافُ خَوْفًا، ومنه التَّخْوِيفُ والإِخَافَةُ والتَّخَوُّفُ، ويقال: خائفٌ وَخِيفٌ وَخَوْفٌ. وَتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الشَّيْءَ أَيْ خِيفْتُ وَتَخَوَّفَهُ: كخافه، وَأَخَافُهُ إِياه إِخَافَةً وَإِخَافًا؛ وَخَوْفُ الرَّجُلِ إِذَا جَعَلَ فِيهِ الْخَوْفُ، وَخَوْفُهُ إِذَا جَعَلَتْهُ بِحَالَةٍ يَخَافُهُ النَّاسُ.

وفى التنزيل العزيز { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } ⁽¹⁾ .. أى يجعلكم تخافون أوليائه. وقال ثعلب: معناه يخوِّفكم بأوليائه. وفى التنزيل { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً } ⁽²⁾ .. والجمع خِيفٌ. ورجل خَافٌ أى شديد الحَوَفِ، والمَخَافُ والمَخِيفُ: مَوْضِعُ الحَوَفِ.

وفى حديث عمر: نِعَمَ الْعَبْدُ صَهَبْتُ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهُ لَمْ يَعِصْهُ، أَرَادَ أَنَّهُ يُطِيعُ اللَّهَ حُبًّا لَهُ لَا خَوْفَ عِقَابِهِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِقَابٌ يَخَافُهُ مَا عَصَى، وطريقٌ مَخَوْفٌ وَخِيفٌ: تَخَافُهُ النَّاسُ وَالْإِخَافَةُ: التَّخْوِيفُ.

وحكى اللحيانى: خَوَّفْنَا أَيْ رَقَّقْنَا لَنَا الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ حَتَّى نَخَافَ. وَالْحَوَفُ: الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ وَبِهِ فَسَّرَ اللَّحْيَانِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ } ⁽³⁾ .. وقوله عَزَّ وَجَلَّ { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ } ⁽⁴⁾ .. والخوفُ: الْعِلْمُ وَبِهِ فَسَّرَ اللَّحْيَانِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى { فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا } ⁽⁵⁾ .. { وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ

(1) سورة آل عمران آية 175.

(2) سورة الأعراف آية 205.

(3) سورة البقرة آية 155.

(4) سورة النساء آية 83.

(5) سورة البقرة آية 182.

مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا⁽¹⁾ .. وَالتَّخَوُّفُ: التَّنْقِصُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ { أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ }⁽²⁾ .. قَالَ الْفَرَاءُ: جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ بِأَنَّهُ التَّنْقِصُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: تَخَوَّفَتْهُ أَيْ تَنَقَّصَتْهُ مِنْ حَافَاتِهِ ..

394. قيل: الخوف في الأصل توقع مكروه عند أمارة مظنونة أو معلومة، ويزاده الأمن. قال الراغب: والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات [والطمع فيما لديه جل وعلا وحبا به وهيبة وخوفاً منه]. ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا. الخائف من أطاع الله تعالى وترك معصيته. وقول مجاهد: هو الرجل يريد الذنب، فيذكر الله تعالى فيدع الذنب خائفاً من عقابه تعالى عليه..

395. بيان حقيقة الخوف: اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام، لم يبق له التفات إلى المستقبل، فلم يكن له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء، فإنها زمانان يمتنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتهما.

قال الواسطي: الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد. تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع. وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعا. وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون فتكون قوة خوفه. فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه.

(1) سورة النساء آية 128.

(2) سورة النحل آية 47.

ولذلك قال ﷺ: أنا أخوفكم لله. أخرجه البخارى من حديث أنس. والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له. وللشيخين من حديث عائشة رضى الله عنها: والله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية. وكذلك قال الله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }⁽¹⁾.. ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات.

أما فى البدن: فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء، وقد تنشق به المראה فيفيض إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس. وأما فى الجوارح: فبكفها عن المعاصى وتقييدها بالطاعات، تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل، ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه.

وقيل لذى النون: متى يكون العبد خائفا؟ قال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتذى مخافة طول السقام.

وأما فى الصفات: فبأن يجمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيهِ إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذه النفس بالخطرات والخطوات والكلمات، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين. وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، بحسب قوة الخوف الذى هو تألم القلب واحتراقه وبحسب قوة

(1) سورة فاطر آية 28. [انظر تفسيرها وما المقصود من قوله تعالى: العلماء، ومن هم الذين تنطبق هذه

الصفة عليهم ص 124].

المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا. فإن زادت قوته، كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم، فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه. وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس. وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه. فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة. فإذا كان الخوف: يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام، ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوة. وأعلى منه الورع فإنه أعم، لأنه كف عن كل محذور وأعلى منه التقوى، فإنه اسم للكف عن المحذور والشبهة جميعا..

وقيل: إن العبد بين تسع مخاوف:

396- فأولها: أن يخاف ويدعو الله ويتضرع إليه، ألا يكله إلى حسناته التي يتعزز بها

في عباد الله ظلما وعدوانا.

والثانية: أن يخاف من كفران النعم التي قد غلب عليه البطر بها فأشغله عن الشكر

عليها.

والثالثة: خوف الاستدراج بالنعم وتواترها.

والرابعة: خوف أن يبدو له غدا من الله ما لم يكن يحتسب في طاعاته التي يرجو ثوابها

ولم يعدها من ذنوبه.

والخامسة: [خوف] الذنوب التي عملها واستيقن بها فيما بينه وبين الله تعالى.

والسادسة: تبعات الناس قبله.

والسابعة: أنه لا يدري ما يحدث له في بقية عمره [وعلى ماذا ستكون خاتمته].

والثامنة: أن يخاف تعجيل العقوبة [له] في الدنيا، والنكال فيها قبل الفوت.

والتاسعة: الخوف من علم الله تعالى فيه وفي أى الدارين أثبت اسمه..

397. قال أبو حفص: الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل

أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل، فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف [مؤمن

موقن] هارب من ربه إلى ربه. قال تعالى { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }⁽¹⁾..

قال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلب أحرقت مواضع الشهوات منها

وطرد الدنيا عنها. وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال

عنهم الخوف ضلوا الطريق.

398. كان سهل يقول: الخوف مباينة للنهي، والخشية الورع، والإشفاق الزهد،

دخول الخوف على الجاهل يدعوه إلى العلم، ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد، ودخوله

على العامل يدعوه إلى الإخلاص. والإخلاص فريضة لا تنال إلا بالخوف، ولا ينال

الخوف إلا بالزهد، من خاف ترك، ومن أحب أن يرى خوف الله تعالى في قلبه فلا يأكل

إلا حلالاً وقال: إذا أعطى عبد حقيقة العلم وصدق اليقين سمى خائفاً، فلذلك كان

النبي ﷺ من أخوف الخلق، لأنه كان على حقيقة العلم ونهاية القرب حباً لله تعالى..

399. وقال وهيب بن الورد: ضرب لخوف الله مثل في الجسد فقيل: إنما مثل خوف

الله كممثل الرجل يكون في منزله فلا يزال عامراً ما دام فيه، فإذا فارق المنزل وسكنه غيره

خرب المنزل، وكذلك خوف الله تعالى إذا كان في جسد لم يزل عامراً ما دام خوف الله

[باقياً فيه] فإذا فارق خوف الله الجسد خرب، حتى إن المار يمر بالمجلس من الناس

(1) سورة الذاريات 50.

فيقولون بئس العبد فلان! فيقول بعضهم لبعض: ما رأيتم منه؟ فيقولون: ما رأينا منه شيئاً، غير أنا نبغضه! وذلك أن خوف الله فارق جسده. وإذا مر بهم الرجل فيه خوف الله تعالى قالوا: نعم والله الرجل. فيقولون: أى شىء رأيتم منه؟ فيقولون: ما رأينا منه شيئاً غير أنا نحبه..

400. فاعلم أن الإيمان يقتضى إثارة خوف الله تعالى على خوف الناس..

401. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف المحمود هو ما حجزك عن محارم الله..

402. قال الإمام أحمد: وهذا يدل على أن كل من كان بالله أعرف، كان منه أخوف..

403. وقالوا: رأس العلم الخوف من الله تعالى. وقيل للشعبي: أفتى أيها العالم؟

فقال: إنما العالم من اتقى الله..

404. قال الغزالي: العلم النافع هو الذى يزيد فى الخوف من الله وينقص من الرغبة

فى الدنيا، وكل علم لا يدعوكم من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعود عليكم فيه، فاستعد بالله من علم لا ينفع..

405. قال الحارث بن أسد [وقد] سُئل عن المراقبة لله وعن المراقب لربه، فقال: إن

المراقبة تكون على ثلاث خِلال: على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم برههم يفترقون فى ذلك. فأحدى الثلاث: الخوف من الله. والخُلة الثانية: الحياء من الله. والخُلة الثالثة: الحب لله..

406. وقيل: إن صفة الخوف من الله تعالى هى أجمع صفات الخير فى الإنسان لأنها

صفة للملائكة المقربين كما قال تعالى عنهم {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ⁽¹⁾.. وقد عم الحكم فى ذلك بقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} ⁽²⁾.. وفى هذه الآية السر الأعظم وهو كون الخشية فى الغيب عن الناس، وهذا أعلى مراتب المراقبة لله والخشية أشد الخوف..

(1) سورة النحل آية 50.

(2) سورة الملك آية 12.

407. وقيل: إن الرجل لا يكون مؤمناً إلا إذا كان موصوفاً بصفات خمس وهي: الخوف من الله والإخلاص في دين الله والتوكل على الله، والإتيان بالصلاة والزكاة لوجه الله تعالى..

408. وقيل: أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين⁽¹⁾ عن القلوب، وأن لا تكون لما تهوى ركوباً. وقالوا: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء من الله وحده، والحب لله وحده، والحياء من الله وحده، والأنس بالله وحده..

409. وقيل: من آمن بالله، لا ينفك قلبه عن الخوف من الله تعالى..
410. قال ابن بطال: ينبغي أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً لأن الله تعالى قد يعذب على القليل، فإنه لا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى..

411. وقيل: [الخوف] هو من المقامات العلية وهو من لوازم الإيمان..
412. قال أبو سليمان العنسى: مفتاح الدنيا الشيع، ومفتاح الآخرة الجوع. وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله. وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب..
413. قال أبو عثمان: الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى..

414. وقيل: على قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله..
415. اعلم: أنه ما عبد الله بمثل الخوف والحذر والحياء منه تبارك وتعالى..
416. واعلم: أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة..
417. قال أبو سليمان [الداراني]: لكل شيء صدق، وصدق اليقين الخوف من الله تعالى.

(1) [الرين: الطبع والدنس].

418. وقيل: علامة حب الله، حب جميع ما أحب الله. وعلامة الخوف من الله ترك جميع ما كره الله..

419. وقال مطرف بن عبد الله: كاد خوف النار يحول بيني وبين أن أسأل الله الجنة..

420. عن النواس بن سمعان قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي، فاذا تكلم السموات منه رجفة ورعدة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيمضي به جبريل عليه السلام على الملائكة، كلما مر بسماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول عليه السلام: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض⁽¹⁾.

[فيصعقون: أى يغشى عليهم، فلا يزالون كذلك أى مغشيا عليهم حتى ينتهي إليهم جبريل. والمعنى: أنه تعالى إذا تكلم بالوحي أرعد أهل السماوات من الهيبة فيغشى عليهم، فإذا جلى عن قلوبهم من غشيتهم، سأل بعضهم بعضا، ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق المطابق للواقع، وأخبروا بعضهم بعضا بما قال الله تعالى من غير زيادة ونقصان]..

421. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله إذا قضى أمرا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعا، ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان، فذلك قوله { حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }⁽²⁾..

422. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: سلوني، لا تسألوني عن شيء إلا بيته لكم ما دمت في

(1) وكذا رواه ابن جرير، وابن خزيمة توحيد ص 144 عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حماد به.

(2) سورة سبأ آية 23. تفسير الطبري ج 22 ص 91.

مقامى هذا. فلما سمع ذلك القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين يدى [ﷺ] أمر قد حضر.
قال أنس: فجعلت ألتفت يمينا وشمالا، فإذا كل إنسان لاف رأسه في ثوبه يبكى⁽¹⁾..

423. وقيل: الزهد أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، وأساسه التقوى، وهى
خوف الله ورأس الحكمة. وجماع كل ذلك متابعة رسول الله ﷺ. وأول طريق المتابعة
حسن القدوة..

424. عن شعيب بن سليمان: أتى ذو القرنين مغيب الشمس فرأى ملكا من الملائكة
كأنه يترجح فى أرجوحة من خوف الله عز وجل، فهاله ذلك فقال له: علمنى علما لعل
أزداد إيمانا فقال: إنك لا تطيق ذلك، فقال: لعل الله عز وجل أن يطوقنى لذلك، فقال له:
لا تغتم لغد واعمل فى اليوم لغد، وإذا أتاك الله من الدنيا سلطانا فلا تفرح به، وإن صرف
عنك فلا تأس عليه وكن حسن الظن بالله، وضع يدك على قلبك فما أحببت أن تصنع
بنفسك فاصنع بأخيك ولا تغضب فإن الشيطان أقدر مايكون على ابن آدم حين يغضب،
فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت، وكن
سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا..

425. [وقيل إن قوله تبارك وتعالى] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ
اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }⁽²⁾.. سببها أن قوما من الصحابة غلب عليهم
خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء وبعضهم النوم بالليل وبعضهم أكل اللحم وهم
بعضهم أن يخلصوا أو يسيحوا فى الأرض فقال رسول الله ﷺ: أما أنا فأقوم وأنام وأصوم
وأفطر وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى. أى لا تفرطوا فى التشديد على
أنفسكم، أكثر مما شرع لكم { وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ

(1) تفسير القرطبي.

(2) سورة المائدة آية 87.

مُؤْمِنُونَ⁽¹⁾.. أى تمتعوا بالمآكل الحلال والنساء وغير ذلك، وإنما خص الأكل بالذكر لأنه أعظم حاجات الإنسان..

426. ويقال: فى كثرة الأكل ست خصال مذمومة:

أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه. الثانى: أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع. والثالث: أنه يثقل عن الطاعة. والرابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة [فى قلبه]. والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس. والسادس: أن يهيج فيه الأمراض !

427. قال بعض السلف: من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجى، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن. وقد جمع الله تعالى هذه المقامات بقوله { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا }⁽²⁾.. فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه، وربما آل الأمر بمن عبده بالحب المجرد، إلى استحلال المحرمات. ويقول: المحب لا يضره ذنب! وصنف بعضهم فى ذلك مصنفًا وذكر فيه أثرا مكذوبا (إذا أحب الله العبد لم تضره الذنوب)! وهذا كذب قطعاً مناف للإسلام، فالذنوب تضر كضرر السم للبدن..

428. وحكى عن السرى قال: الخوف على ثلاثة أوجه: خوف فى الدين، وهو موجود فى العامة يعلمون أنه يجب الخوف من الله عز وجل. وخوف عارض، عند تلاوة القرآن والقصص، رقة كركة النساء [ليس] لها ثبوت. وخوف مزعج مقلق ينحل القلب والبدن ويذهب بالنوم والطعم، ولا يسكن خوف الخائف أبدا حتى يأمن ما يخاف..

(1) سورة المائدة آية 88.

(2) سورة الإسراء آية 57.

429. وقيل: خوف الله تعالى أكبر علاماته، أن يحجز صاحبه عن الذنوب..

430. وقال أبو تراب: الذى منع الصادقين الشكوى إلى غير الله الخوف من الله عز وجل..

431. وقد أثنى سبحانه وتعالى على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه

بعد أن أثنى عليهم ومدحهم { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا }⁽¹⁾.. فالرغب الرجاء والرغبة، والرهب الخوف والخشية. وقال عن ملائكته: { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }⁽²⁾.. فأعرف الناس أخشاهم لله..

432. وقيل: فضيلة الخوف خارجة عن الحصر، [فقد] جمع الله تعالى للخائفين

الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع مقامات أهل الجنان، قال الله تعالى { هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ }⁽³⁾.. وقال تعالى { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }⁽⁴⁾.. وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف، لأن الخوف ثمرة العلم..

433. قال أبو على الدقاق: الخوف على مراتب: الخوف، والخشية، والهيبة. فالخوف:

من شرط الإيمان وقضيته. قال الله تعالى { وَخَافُونِي إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁽⁵⁾.. والخشية: من شرط العلم، قال الله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽⁶⁾.. والهيبة: من شرط المعرفة، قال الله تعالى { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ }⁽⁷⁾..

(1) سورة الأنبياء آية 90.

(2) سورة النحل آية 50.

(3) سورة الأعراف آية 154.

(4) سورة البينة آية 8.

(5) سورة آل عمران آية 175.

(6) سورة فاطر آية 28.

(7) سورة آل عمران آية 28.

وقال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة. وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضريين: رهبة، وخشية. فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب. وقال: من خاف من شيء هرب منه ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه.

وقال رجل لبشر الحافي: أراك تخاف الموت، فقال: القدوم على الله عز وجل شديد.

قال أبو حفص: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه.

قال أبو علي الدقاق: الخوف ألا تعلل نفسك بعسى وسوف.

وقيل للفضيل: ما لنا لا نرى خائفاً؟ فقال: لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين، إن

الخائف لا يراه إلا الخائفون، وإن الثكلي هي التي تحب أن ترى الثكلي.

وقال شاء الكرمانى: علامة الخوف الحزن الدائم.

وقال بشر الحافي: الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متقٍ.

وقال أبو عثمان الحيرى: عيب الخائف في خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفى.

وكان أبو عثمان يقول: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً.

وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر

الأمل..

434. قال أبو زكريا يحيى العبرى: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل يقول:

ينبغي لمن يخاف الله عز وجل. [أن] لا يأتي باب السلطان حتى يدعى. فيأتيه وهو خائف

من ربه عز وجل. فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقول الحق! كما جاء في الخبر

أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. ثم ينصرف عنهم وهو خائف من ربه. فهذا

غير مفتتن. إنما المفتتن أن يأتيهم راغباً طالباً للدنيا، طالباً للعز في الدنيا، طالباً للرئاسة

[طامعاً لمنصب قد اطلع الله على ما في قلبه، وهل يخفى على الله من شيء؟ فهذا الذى]

يتعزز به السلطان ويتكبر بسلطانه، فإذا أتاهم داهنهم ومال إليهم، ورضى بسوء فعلهم،

وأعانهم عليه وصدقهم على غير الحق من قولهم [وداهنهم وأوجد لهم المخارج من الكتاب والسنة التي تؤيد أفعالهم وما هم به من عظام الأمور] ورجع عنهم مفتخرا بهم [وبقربه منهم ورضاهم عنه] آمنا لمكر الله، معتزاً بما نال من العز بهم، يؤذى الناس ويطغى فيهم ويتقوى عليهم [ويفتخر] باختلافه إلى السلطان. فهذا الذي افتتن ونسى الآخرة وعصى ربه وأذى المؤمنين ونقص من دينه ما لا تجبره الدنيا كلها لو كانت له [وما أكثرهم على مر العصور خاصة في هذا الزمان فقد استشرى أمرهم]..

435. وقيل: الخوف من الله تعالى أول منازل التقوى..

436. عن سعيد بن المسيب: ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن، إلا أعطاه الله الرجاء، وآمنه الخوف..

437. وقال أبو عثمان: صلاح القلب في أربع خصال: في التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله..

438. قال يوسف بن أسباط: إن الله تبارك وتعالى ملائكة يترجعون من خوف الله منذ خلقهم إلى يوم القيامة، يقولون: يا ربنا اغفر لنا ما لم يبلغنا من عظمتك..

439. قال يحيى بن يمان: كان سفيان الثوري رحمه الله إذا جلسنا معه كأنه على مقلاة من خوف الله تبارك وتعالى، فإنما نسمعه يذكر: الموت الموت، النار النار..

440. حدثنا موسى بن أيوب قال: سألت يوسف بن أسباط ما العلم الأكبر؟ فقال: العلم الأكبر خوف الله عز وجل..

441. عن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله، أثابه جل وعز إيماناً يجد حلاوته في قلبه ⁽¹⁾..

(1) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.. المستدرک علی الصحیحین ج 4 ص 349 رقم 7875 .

442. وقال سهل: شيئان يُذهبان خوف الله من قلب العبد: أصل الدعوى والمعصية. صاحب المعصية إذا خوفته واحتججت عليه بالإيمان ينقاد ويخضع ويقر بالخوف. وصاحب الدعوى لا يقر بالحق ولا ينقاد للخوف البتة! ولا يوجد قلب أخلى من الخير ولا أقصى ولا أبعد من خوف الله من قلب المدعى!

443. قال ذو النون: علامة خوف الله أن يؤمنك خوفه من كل خوف..

444. يروى أن إبراهيم عليه السلام: كان يُسمع وجيب قلبه من الخشية، كما تسمع أجنحة النسور!

445. قال الهيثم بن عمران: سمعت كلثوم بن عياض القشيري، وهو على منبر دمشق يقول: [الخائف] من أثر الله، فرحم الله عبدا استعان بنعمته على طاعته ولم يستعن بنعمته على معصيته. فإنه لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو مزاد صنفا من النعيم لا يكون يعرفه، ولا يأتي على صاحب العذاب ساعة إلا وهو مستنكر لشيء من العذاب لم يكن يعرفه..

446. وقيل: الخوف من الله تعالى خصلة هي أصل كل بركة..

447. وقيل: أساس التقوى خوف الله..

448. قيل: خوف الله يزع الشاهد عن الكذب في حق كل أحد..

449. حدثنا ابن المبارك عن معمر قال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك..

450. قالوا: كل من خاف الله فقد آمن به وعرفه، ومستحيل أن يخافه من لا يؤمن

به، وهذا واضح لمن فهم وألمه رشده..

451. وقال سهل: أربعة للعباد على الله وهو حكم بها على نفسه: أولها من خاف الله

أمنه الله، ومن رجاه بلغ به رجاءه وأمله، ومن تقرب إليه بالحسنات قبل منه وأثابه للواحدة عشرة ومن توكل عليه قبله ولم يكله إلى نفسه وتولى أمره..

452. قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إنما الأمان غدا لمن خاف الله واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباقي وشقوة بسعادة..

453. قال وهب: أصابت امرأة العزيز حاجة، فقيل لها: لو أتيت يوسف فسألته فاستشارت في ذلك، [ثم] قالوا: لا تفعل، فإننا نخاف عليك! قالت: كلا، إني لا أخاف ممن يخاف الله تعالى..

454. أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن الأزدي عن أنس رضي الله عنه أنه قال لبنينه: يا بني، أتدرون ما السفلة؟ قالوا: وما السفلة؟ قال: الذي لا يخاف الله عز وجل..

455. وعن عبد الرحمن بن سهل: عن أبي حازم أنه قال: يا بني، لا تقتدى بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يقف عن العيب، ولا يصلح عند الشيب..

456. قال سلمة بن سعيد: قال رجل للحسن [البصري]: إن عندى ابنة وقد خطبت إلى فبمن أزوجه؟ قال: زوجها من يخاف الله، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها..

457. وقيل: لا تشارك في أمانتك إلا من يخاف الله..

458. كان أبو سليمان يقول: من حسن ظنه بالله ممن لا يخاف الله فهو مخدوع..

459. وقيل: قد علم الله تبارك وتعالى، أن كل مسلم لولا خوف الله، لأحب الأكل إذا جاع في رمضان والشرب فيه إذا عطش، والنوم من الغدوات الباردة في الليل القصير عن القيام إلى الصلوات، ووطء كل جارية حسناء يراها المرء، فيحب المرء الشيء المحظور لا حرج عليه فيه ولا يقدر على صرف قلبه عنه، وإنما صبره فقط [الحياء والخوف وطلب رضى الله]..

460. وسئل بعض الكبار من الخائف؟ فقال: الذى تخافه المخلوقات، غلب عليه

خوف الله فخافه كل شيء، كما روى في الحديث: [عن يعلى بن منبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تقول النار للمؤمنين يوم القيامة جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى] ⁽¹⁾..

(1) مجمع الزوائد ج 10 ص 360 رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف.

461. عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: من همَّ بحسنة كتبها الله تعالى له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشر حسنات. ومن همَّ بسيئة لم تُكتب عليه حتى يعملها، فإن عملها كُتبت له سيئة، وإن تركها كُتبت له حسنة. يقول الله تبارك وتعالى: إنها تركها من مخافتى..

462. وعن طلحة قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه: ذوقى نار جهنم ذوقى { نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } ⁽¹⁾.. جيفة بالليل بطالة بالنهار! فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة. فأتاه فقال: غلبتنى نفسى، فقال له النبي ﷺ: ألم يكن لك بد من الذى صنعت؟ لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ⁽²⁾..

[وفي رواية أخرى] عن طلحة قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء يقول لنفسه، ذوقى نار جهنم أجيفة بالليل وبطالة بالنهار. فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتنى نفسى، فقال له النبي ﷺ: أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة، ثم قال لأصحابه: تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول: يا فلان ادع لى؟ فقال له النبي ﷺ: عُمَّهم، فقال: اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم، فجعل النبي ﷺ يقول: اللهم سدده، فقال: واجعل الجنة مأبهم ⁽³⁾..

463. عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ذكر رجلا فيمن كان سلف أتاها الله مالا وولدا فلما حضره [الموت] قال لبنينه: أى أب كنت لكم؟

(1) سورة التوبة آية 18.

(2) أخرجه ابن أبى الدنيا وهو مرسل والطبرانى نحوه من حديث بريدة موصولا وفي إسناده من لا يعرف حاله.

(3) كنز العمال ج 2 ص 262 رقم 4897 مسند طلحة بن عبيد عن ابن أبى الدنيا في كتاب محاسبة النفس.

قالوا: خير أب.

قال: فإنه لم يبتئر عند الله خيرا [لم يدخر] وأن يقدم على الله يعذبه، فانظروا، فإذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني ثم إذا كان ريح عاصف فاذروني فيها! فأخذ موائقهم على ذلك وربى [مات] ففعلوا.

فقال الله: كن رجلاً قائماً. ثم قال: أى عبدى ما حملك على ما فعلت؟ قال: مخافتك أو فرقا منك. فما تلافاه أن رحمه الله. قال أبو عثمان: سمعت سلمان زاد: فاذروني فى البحر⁽¹⁾..

464. وفى حديث آخر: فقال لأهله: إذا أنا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني ثم ذروني، فإن ربى إن يقدر علىّ يعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين⁽²⁾..
تَلَقَّ الْأُمُورَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ وَصَدِرَ رَحِيْبٌ وَخَلَّ الْحَرْجُ
وَسَلَّمَ لِرَبِّكَ فِى حُكْمِهِ فِيمَا الْمَمَاتُ وَإِمَّا الْفَرْجُ

* * *

(1) صحيح البخاري ج 5 ص 2378 رقم 6116.

(2) المعجم الكبير ج 6 ص 249 رقم 6122.

الباب السادس

ما جاء فى بكاء الملائكة والأنبياء

والرسل عليهم السلام

وهو مكون من فصلين :

- الفصل الأول: بكاء الملائكة عليهم السلام
- الفصل الثانى: بكاء الأنبياء والرسل عليهم السلام

الفصل الأول

بكاء الملائكة عليهم السلام

465- عن رجل من الصحابة: عن رسول الله ﷺ قال: إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت [على] ملك قائم يسبح الله تعالى. وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة. وملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة. وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون عنها إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم عز وجل فنظروا إليه وقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك⁽¹⁾..

عن زياد بن أبي حية قال: بلغني أن من حملة العرش، لمن يسيل من عينيه أمثال الأنهار من البكاء، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك ما [خشيناك] حق خشيتك، قال الله عز وجل: لكن الذين يخلفون باسمي كاذبين لا يعلمون⁽²⁾..

وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال: إن السموات السبع محوشة من الملائكة لو قيست شعرة ما انقاست، منهم الراكد⁽³⁾ والراكم، والساجد، ترعد فرائصهم وتضطرب أجنتهم خوفا من الله ولم يعصوه طرفة عين⁽⁴⁾..

466- موعظة: رأى إسرافيل عليه السلام في اللوح المحفوظ أن عبدا يعبد ربه ثمانين ألف عام ثم يرد الله عليه عبادته ويلعنه. فبكى إسرافيل خوفا أن يكون هو ذلك العبد، فسألته

(1) الحباثك في أخبار الملائكة ج 1 ص 16. أخرجه البيهقي والخطيب وابن عساكر من طريق عباد بن منصور بن عدى بن أرطاة.

(2) الحباثك في أخبار الملائكة ج 1 ص 60. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق قتبية.

(3) [الراكد: هو الدائم الساكن].

(4) الحباثك في أخبار الملائكة ج 1 ص 14.

الملائكة عن بكائه فأخبرهم بما رآه في اللوح المحفوظ فبكوا جميعا، كل منهم يخاف أن يكون هو ذلك العبد ثم قالوا: نذهب إلى عزرائيل فإنه مجاب الدعوة فيدعو لنا فأخبروه فقال: اللهم لا تغضب عليهم فدعاهم ونسى نفسه! لأنه لم يقل اللهم لا تغضب علينا. وقيل: إن إبليس [لعنه الله] رأى على باب الجنة [قبل أن يعصى] مكتوبا، إن الله عبدا من المقربين، يأمره ربه فلا يمتثل أمره! فقال: يا رب، ائذن لي أن ألعنه؟ [فأذن له]، فلعن نفسه بنفسه ألف عام⁽¹⁾..

467- وأخرج أبو الشيخ عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: نظر الله إلى جبريل وميكائيل وهما يبكيان فقال الله: ما يبكيكما وقد علمتما أني لا أجور؟ فقالا: يا رب، إنا لا نأمن مكر. قال: هكذا فافعل، فإنه لا يأمن مكرى إلا كل خاسر⁽²⁾..

468- وفي الأثر لما مكر إبليس بكى جبريل وميكائيل! فقال الله عز وجل لهما: وما يبكيكما؟ قالوا: ربنا، ما أئمننا من مكر. فقال تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكرى. ومن ثم كان ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك⁽³⁾..

وفي رواية أخرى فقالوا: يا رسول الله أتحاف؟ قال: إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. أي بين مظهرى إرادته الخير والشر فهو يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف.. وفي التنزيل { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ }⁽⁴⁾..

(1) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج 2 ص 277.

(2) الدر المنثور ج 1 ص 229.

(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج 1 ص 166.

(4) سورة الأنفال آية 24.

469. وأخرج أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني: أنه بلغه أن جبريل أتى [النبي] ﷺ وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: وما يبكيك؟ قال: وما لي لا أبكي فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها⁽¹⁾..

470. عن عمران: أن جبريل ﷺ جاء إلى النبي ﷺ حزينا لا يرفع رأسه، فقال له ﷺ: ما لي أراك يا جبريل حزينا؟

قال: إني رأيت نفحة من جهنم فلم ترجع إلى روعي بعد⁽²⁾.

471. عن عدى بن عدى قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتى جبريل النبي ﷺ في حين لم يكن يأتي فيه. فقال ﷺ: يا جبريل ما لي أراك متغير اللون؟ فقال: إني لم آتاك حتى أمر الله بفتح النار.

فقال النبي ﷺ: يا جبريل صف لي النار، وانعت لي جهنم؟

فقال: إن الله أمر بها، فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لا يضيء شررها، ولا يطفأ لهبها! والذي بعثك بالحق، لو أن حلقة من حلق السلسلة التي نعت الله تعالى في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأذابتها.

فقال النبي ﷺ: حسبي يا جبريل، لا يتصدع قلبي. فنظر النبي ﷺ فوجد جبريل

ﷺ يبكي فقال: يا جبريل، تبكي وأنت من الله بالمكان الذي أنت به من الله؟!!

فقال: وما يمنعني أن أبكي، وأنا لا أدري أن أكون في علم الله على غير هذه الحال،

فقد كان إبليس مع الملائكة، وقد كان هاروت وماروت من الملائكة.

فلم يزل النبي ﷺ يبكي هو وجبريل ﷺ حتى نوديا: يا محمد، ويا جبريل، إن الله قد

أمنكما أن تغضبا. قال: فارتفع جبريل وخرج النبي ﷺ، فمرَّ بقوم من أصحابه، يتحدثون

(1) الدر المشهور ج 1 ص 229.

(2) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ج 1 ص 37.

ويضحكون فقال: تضحكون وجهنم من ورائكم؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات، تجأرون إلى الله تعالى. فأوحى الله تعالى: يا محمد إني بعثتك مبشراً فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا⁽¹⁾..

472. عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار⁽²⁾..

473. وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: مررت ليلة أسرى بي على الملاء الأعلى، فإذا جبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى. وفي لفظ لابن مردويه: مررت على جبريل في السماء الرابعة فإذا هو كأنه حلس بال من خشية الله⁽³⁾..

474. وقال أبو عمران الجوني: بلغني أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي! فقال رسول الله: ما يبكيك؟ قال: أو ما تبكي أنت؟ فقال: يا محمد، ما جفت لي عينٌ منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها⁽⁴⁾..

475. حدثنا رباح قال: حدثت أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام: لم تأتني إلا وأنت صار بين عينيك؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار⁽⁵⁾..

476. حدثنا بكر بن محمد العابد قال: قلت لجليس لابن أبي ليلى يكنى أبا الحسن: أتضحك الملائكة؟ قال: ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم..

(1) النهاية في الملاحم والفتن ج 2 ص 288.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 224 رقم 13367 قال المناوي في فيض القدير (5 / 452) قال الزين العراقي إسناده جيد وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (3664) [تنبيه: هذا الحديث، من الأحاديث التي تراجع الشيخ الألباني من تضعيفه إلى تحسينه].

(3) رواه الطبراني في الأوسط (5 / 64) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (5864). الدر المنثور ج 5 ص 216.

(4) المواعظ لابن الجوزي.

(5) الزهد لابن حنبل ج 1 ص 27.

477. ويقال: إن الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم، منذ خلقت النار مخافة أن

يغضب الله عليهم فيعذبهم بها..

478. قال محمد بن المنكدر: لما خلقت النار فزعت لذلك الملائكة فزعا شديدا

طارت له أفئدتهم، فلم يزالوا كذلك حتى خلق آدم، فرجعت إليهم أفئدتهم، وسكن عنهم الذى كانوا يجدون..

479. وقال يزيد الرقاشي: إن الله تعالى ملائكة حول العرش يسمّون المخلصين،

تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة، يميّدون كأنها ينفضهم من خشية الله، فيقول لهم الربّ جلّ جلاله: يا ملائكتي، ما الذى يخيفكم؟ فيقولون: يا ربنا، لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه، ما أساغوا طعاماً ولا شراباً، ولا انبسطوا في فرشهم وخرجوا إلى الصحارى يخورون كما يخور البقر..

480. وعن ابن مسعود قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا جبريل إنى لأحسب

أن لى عندك منزلة؟ قال: أجل والذى بعثك بالحق، ما بعثت إلى نبي قط أحب إلى منك، قال: فإنى أحب أن تعلمنى منزلتى؟ قال: إن قدرت على ذلك، قال: والذى بعثك بالحق لقد دنوت فيها من ربى دنوا ما دنوت مثله قط، وإن كان قدر دنوى منه مسيرة خمسمائة سنة، وإن أقرب الخلق من الله عز وجل إسرافيل، وإن قدر دنوه منه مسيرة سبعين عاما فيهن سبعون نورا، إن أدناها ليغشى الأبصار، فكيف بالعلم فيما وراء ذلك، ولكن يعرض له بلوح ثم يدعونا فيبعثنا⁽¹⁾..

عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: إن جبريل موكل بحاجات العباد: فإذا دعا

المؤمن قال الله: يا جبريل، احبس حاجة عبدى فإنى أحبه وأحب صوته. وإذا دعا الكافر قال الله: يا جبريل، اقض حاجة عبدى فإنى أبغضه وأبغض صوته.

(1) الحباثك في أخبار الملائكة ج 1 ص 24.

عن ثابت قال: بلغنا أن الله تعالى وكَّل جبريل ﷺ: بحوائج الناس فإذا دعا المؤمن قال يا جبريل احبس حاجته فإنني أحب دعاءه [وفي قول آخر أخرجه ابن أبي شيبة من طريق ثابت عن عبد الله بن عمير حبا لدعائه أن يزداد]. وإذا دعا الكافر قال يا جبريل: اقض حاجته فإنني أبغض دعاءه. قال البيهقي: هذا هو المحفوظ⁽¹⁾..

481- حدثنا إبراهيم بن عيسى الشكري قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ وجبريل ﷺ كانا قاعدين عند الكعبة، فجعل جبريل ﷺ يلزق بالأرض ويضطرب! فقال رسول الله ﷺ: ما لك يا جبريل؟ قال: هذا ملك ينزل من السماء، لا آمن أن يكون نزل بعقوبة أو بعذاب⁽²⁾..

482- عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ ومعه جبريل يناجيه إذ انشق أفق السماء، فأقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الأرض! فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام ويخيرك بين أن تكون نبيا ملكا، أو نبيا عبدا؟ قال رسول الله ﷺ: فأشار جبريل إلى بيده أن تواضع، فعرفت أنه لي ناصح، فقلت: نبيا عبدا. فخرج ذلك الملك إلى السماء. فقلت: يا جبريل، قد كنت أردت أن أسألك عن هذا، فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة، فمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا إسرافيل، خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه، بينه وبين الرب سبعون نورا، ما منها نور يدنو منه إلا احترق. بين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن الله بشيء في السماء أو في الأرض، ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته، فينظر فيه: فإن كان من عملي أمرني به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به. قلت: يا جبريل على أي شيء أنت؟ قال: على الرياح والجنود. قلت: على أي شيء

(1) وأخرجه الصابوني في المائتين، والبيهقي في شعب الإيمان، الحبانك في أخبار الملائكة ج 1 ص 24.

(2) أخبار مكة للفاكهي ج 1 ص 334.

ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر. قلت: على أى شىء ملك الموت؟ قال: على قبض الأنفس. وما ظننت أنه [أى إسرائيل عليه السلام] هبط إلا بقيام الساعة، وما ذاك الذى رأيت منى إلا خوفا من قيام الساعة⁽¹⁾..

483. وأخرج ابن أبى شيبة عن خيثمة قال: تقول الملائكة: يا رب عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا وتعرضه للبلاء؟! فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابه قالوا: لا يضره ما أصاب من الدنيا.

وتقول: عبدك الكافر تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا؟! فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابه قالوا: يا رب لا ينفعه ما أصاب من الدنيا.

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن نوف البكالى قال: انطلق مؤمن وكافر يصيدان السمك، فجعل الكافر يلقي شبكته ويذكر آلهته فتمتلىء، ويلقى المؤمن ويذكر اسم الله فلا يجيء شىء! فيعاود ذلك إلى مغيب الشمس، ثم إن المؤمن صاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت فى الماء، فرجع المؤمن وليس معه شىء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته. فقال الله للملك المؤمن، فأراه مسكن المؤمن فى الجنة، فقال: ما يضر عبدى المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا. وأراه مسكن الكافر فى النار فقال: هل يغنى عنه ما أصابه فى الدنيا؟ قال: لا والله يا رب⁽²⁾..

484. وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود: إن الرجل ليطلب الأمر من التجارة أو الإمارة، حتى إذ قدر عليها فى نفسه، ذكره الله عز وجل فوق سبع سموات فيبعث إليه ملكا: ائت عبدى هذا فاصرف عنه هذا الأمر، فإنى إن أيسر له هذا الأمر أدخلته به النار قال: فيصرفه عنه.

(1) أخرجه البيهقى والطبرانى وأبو الشيخ، الحباثك فى أخبار الملائكة ج 1 ص 17.

(2) الحباثك فى أخبار الملائكة ج 1 ص 105.

وأخرج البيهقي عن علي بن عثم قال: إذا أبغض الله عبدا، قىض له ملكا فقال:
أترفه، فإذا أترفه نسى التضرع والدعاء..

أخرج ابن عساكر عن كعب: إن العبد لا يبكى حتى يبعث إليه ملك فيمسح كبده
بجناحه فإذا مسح كبده بكى..

485. حدثنا عبد الله بن عمر وهو يبكى قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو يبكى،
حدثني جبريل عليه السلام وهو يبكى قال: يا محمد، لن تصعد الملائكة من الأرض إلى الله بأفضل
من بكاء العبيد ونوحهم على أنفسهم بالأسحار⁽¹⁾..

* * *

(1) تاريخ مدينة دمشق ج 62 ص 288.

الفصل الثانى

بكاء الأنبياء والرسل عليهم السلام

بكاء آدم عليه السلام:

486. عن مجاهد أن آدم عليه السلام: لما أكل من الشجرة تساقط عنه جميع زينة الجنة، ولم يبق عليه من زيتها إلا التاج والإكليل، وجعل لا يستتر بشيء من ورق الجنة إلا سقط عنه فالتفت إلى حواء باكيا وقال: استعدى للخروج من جوار الله هذا أول شؤم المعصية. قالت: يا آدم، ما ظننت أن أحدا يحلف بالله كاذبا!

وذلك أن إبليس قاسمهما على الشجرة. [وظل] آدم في الجنة هاربا استحياء من رب العالمين فتعلقت به شجرة ببعض أغصانها فظن أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول: العفو العفو فقال الله عز وجل: يا آدم، أفرارا منى؟ قال: بل حياء منك سيدى.

فأوحى الله إلى الملكين أن أخرجا آدم وحواء من جوارى فإنهما قد عصيانى، فنزع جبريل عليه السلام التاج عن رأسه وحل ميكائيل عليه السلام الإكليل عن جبينه. فلما هبط من ملكوت القدس إلى دار الجوع والمسغبة، بكى على خطيئته مائة سنة، قد رمى برأسه على ركبتيه حتى نبتت الأرض عشباً وأشجاراً من دموعه وحتى نقع الدمع في نقر الجلاميد.

وعن وهب بن منبه: أن آدم عليه السلام لبث في السخطة سبعة أيام، ثم إن الله تعالى أطلعه في اليوم السابع وهو منكس محزون كظيم، فأوحى الله إليه: يا آدم ما هذا الجهد الذى أراك فيه اليوم وما هذه البلية التى قد أجحف بك بلاؤها وشقاؤها؟

قال آدم: عظمت مصيبتى يا إلهى وأحاطت بى خطيئتى وخرجت من ملكوت ربى، فأصبحت فى دار الهوان بعد الكرامة، وفى دار الشقاوة بعد السعادة، وفى دار العناء والنصب بعد الخفض والدعة، وفى دار البلاء بعد العافية، وفى دار الظعن والزوال بعد القرار والطمأنينة وفى دار الفناء بعد الخلد والبقاء، وفى دار الغرور بعد الأمن، فكيف لا

أبكى على خطيئتي أم كيف لا تحزنني نفسي، أم كيف لي أن أجتبر⁽¹⁾ هذه البلية والمصيبة يا إلهي؟

قال الله تعالى له: ألم أصطفك لنفسى وأحللتك دارى واصطفيتك على خلقى وخصصتك بكرامتى وألقيت عليك محبتى وحذرتك سخطى؟ ألم أباشرك بيدى وأنفخ فيك من روحى وأسجدت لك ملائكتى؟ ألم تك جارى فى بحبوحه جنتى تتبوا حيث تشاء من كرامتى؟ فعصيت أمرى ونسيت عهدى وضيعت وصيتى؟ فكيف تستنكر نعمتى؟ فوعزتى وجلالى، لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين. وإنى قد رحمت ضعفك وأقلتك عثرتك وقبلت توبتك وسمعت تضرعك وغفرت ذنبك. فقل: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسى وعملت السوء فتب على إنك أنت التواب الرحيم؟ فقالها آدم، ثم قال له ربه قل: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسى وعملت السوء فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم؟ فقالها آدم، ثم قال له ربه قل: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسى وعملت السوء فارحمنى إنك أرحم الراحمين؟ [فقالها آدم]. وكان آدم قد اشتد بكأؤه وحزنه لما كان من عظم المصيبة، حتى إن الملائكة كانت لتحزن لحزنه وتبكي لبكائه، فبكى على الجنة مائتى سنة. فبعث الله إليه بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة..

487. عن النبى ﷺ قال: هبط آدم ﷺ من السماء بياقوتة بيضاء، فمسح بها دموعه، وكان بكاء آدم على الجنة أربعين عاما. فقال له جبريل: يا آدم ما يبكيك، إن الله عز وجل بعثنى إليك لتقوى. قال: فضحك، فذلك قوله تعالى { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى }. ضحك آدم فضحكت ذريته وبكى آدم فبكت ذريته⁽²⁾..

(1) [اجْتَبَرَ: أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ لَا يُجْتَبَرُهَا أَى لَا يُجَبَّرُ مِنْهَا].

(2) العظيمة ج 5 ص 1346.

488. وقيل: لما هبط آدم ﷺ بكى على ذنبه فقال: يا رب، إن تبت وأصلحت أتقبلني؟ فأوحى الله إلى آدم، أنى كتبت على عرشى من قبل أن أخلق السموات والأرض، وإنى لغفار لمن تاب، أحشر التائبين ضاحكين مستبشرين، ودعائهم مستجاب، وتقدم قريبا أن الله تعالى تاب على آدم قبل هبوطه..

489. عن سالم بن أبي الجعد قال: لما أهبط آدم من الجنة، بقى مائة سنة حزينا لا يضحك..

490. وعن ابن عباس قال: أهبط الله آدم من الجنة، فبكى على نفسه حين أهبط من الجنة بكاء لم يبكه شيء على شيء أو أحد على أحد. مكث أربعين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء.

وعن محمد بن المنكدر قال: مكث آدم ﷺ في الأرض ما يبدي عن واضحة ولا يرقأ عينه وقال: ما زلت مستحيا من ربي تعالى أن أرفع طرفي إلى أديم السماء منذ صنعت ما صنعت.

وقال كعب: لا يرفع رأسه إلى السماء وهو يقول: إلهي بأى وجه أنظر إلى السماء؟ فألهم الله سائر الحيوانات أن تأتي لآدم وتعزيه في مصيئته، فعزاه جميعها ونهته عن البكاء، وأمرته بالتسبيح والتقديس..

491. قال سفيان: بكى آدم حتى اتخذت الدموع جدولا في خده..

492. قال وهب: بكى آدم حتى بكت الملائكة لبكائه، وقالوا: إلهنا أقله عشرته..

493. عن ابن عباس قال: بينا آدم ﷺ يبكى، جاءه جبريل ﷺ، فبكى آدم وبكى جبريل لبكائه وقال: يا آدم، ما هذا البكاء؟ قال: يا جبريل، وكيف لا أبكى وقد حولنى ربي من السماء إلى الأرض ومن دار النعمة إلى دار البؤس⁽¹⁾..

(1) روح المعاني ج 16 ص 289.

494. وعن يزيد الرقاشي قال: لما طال بكاء آدم عليه السلام على الجنة قيل له في ذلك،

فقال: أبكى على جوار ربى عز وجل، في دار تربتها طيبة أسمع فيها أصوات الملائكة..

495. يقول منبه بن عثمان اللخمي: قال آدم عليه السلام: كنا سبياً من سبى الجنة، سبانا

إبليس بالخطيئة، فليس ينبغي لنا إلا البكاء والحزن حتى نرجع إلى الدار التي منها سبينا..

496. وقيل إن رجلين من كندة أصابا في جبل يقال له بربر، بعض ألواح موسى

عليه السلام وإذا في الألواح: وعاش آدم في الدنيا تسع مائة سنة وثلاثين سنة فملك مشارق

الأرض ومغاربها ولما أهبطه الله عز وجل من السماء وأخرجه من الفردوس، هبط على

جبل بالهند، كان أعلاه قريباً من السماء الدنيا ويجد ريح الفردوس، فلبث بذلك حيناً

فاشتد جوعه فشكا إلى الأرض فقال: يا أرض أطعميني فأنا آدم صفى الله؟ فأوحى الله

عز وجل إلى الأرض أن أجيبى عبدى فقالت الأرض: يا آدم، لسنا نطعم اليوم من عصي

الله تعالى.

فبكى آدم عليه السلام عند ذلك أربعين صباحاً على ساحل البحر فقطرت دموعه في البحر.

فزعموا أن الصدفة كانت ترتفع فوق الماء فإذا قطر من دموع آدم انغمست، فيقولون: إن

الدر والزعفران واللبان من دموع آدم. وكان لدموعه رائحة كالمسك ولذلك كثر الطيب

في الهند. وقيل أيضاً: لم يكن على آدم يوم أهبط إلا ورقة من أوراق الجنة، فذرتها الرياح في

بلاد الهند فصارت معدناً للطيب. ونبت من دموعه العود والزنجبيل والصندل والكافور

وأنواع الطيب، وامتلأت الأودية بالطيب الأشجار. وبكت حواء، فنبت من دموعها

القرنفل والأفاويه والله أعلم..

497. [ومن حديث مطول في المعراج] قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أبى بن كعب

يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدرى ثم

غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئاً حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى ثم أطبقه

ثم أخذ بيدي فخرج به إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لحازن

السماء: افتتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد ﷺ. فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى!

فقال: مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسمة بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى..

498. وقيل: إنما اكتفى الله تعالى بذكر توبة آدم دون توبة حواء، لأنها كانت تبعاً له، كما طوى ذكر النساء فى القرآن والسنة لذلك..

بكاء نبى الله ورسوله نوح عليه السلام:

499. وقيل اسمه: عبد الأعلى، وفى رواية اسمه عبد الملك، وفى أخرى عبد الغفار، وفى أخرى عبد الجبار. وفى قول آخر: إنما سمى نوحاً لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله [فلما أصروا على الكفر ويئس من إيمانهم] بكى وناح عليهم..

قال هلال العيسى: لما يئس نوح ﷺ تماماً من إصلاحهم وعودتهم عن غيهم بإيمانهم بالله تعالى، وذلك بعد قوله تبارك وتعالى له {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ} (1).. دعى الله تعالى عليهم وعلى كل كافر. متأملاً بذلك ﷺ نهاية الكافرين وتطهير وخلو الأرض منهم وامتلاءها بالمؤمنين الموحدين بإله واحد هو الله رب العالمين، ولأن دعاءهم عليهم كان صواباً وقد ظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلم يعد لهم عذر يدعوهم لعدم الإيـان، فاستجاب الله تعالى له وطهر الأرض منهم، وما أشد احتياج الأرض الآن لطوفان نوح من جديد. اللهم إنا نبتهل إليك وندعوك بما دعاك به نبيك نوح ﷺ اللهم

(1) سورة هود آية 36.

{ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا }⁽¹⁾ ..

قال سبحانه وتعالى { وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ }⁽²⁾ ..

500. جاء في قصص الأنبياء: ذكر الله تعالى مناشدة نوح له في ولده، وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف. ووجه السؤال: إنك وعدته بنجاة أهله معه وهو منهم وقد غرق؟ فأجيب بأنه ليس من أهلك الذين وعدت بنجاتهم، أي أننا قلنا لك [عندما أمرناك ببناء السفينة]: { أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ }⁽³⁾ .. فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بأنه سيغرق بكفره. [فما أغنت عنه نبوة أبيه ولا شفاعته فيه] ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن أهل الإيمان فغرق مع أهل الكفر والطغيان وعمل عملاً غير صالح، فخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من هلك. هذا وقد نجا مع أبيه الأجانب في النسب لما كانوا موافقين في الدين والمذهب. واختلفوا في هذا الابن: فقال بعضهم: إنه لم يكن ابن نوح. وقال قتادة: سألت الحسن [البصري] عنه، فقال: والله ما كان بابنه. وعن جابر عن أبي جعفر قال: ابن امرأته ..

(1) سورة نوح الآيات 26 / 27.

(2) سورة هود الآيات 45 / 47.

(3) سورة هود آية 27.

501. وأخرج أحمد في الزهد عن وهيب بن الورد الحضرمي قال: لما عاتب الله تعالى نوحا في ابنه وأنزل عليه { إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } ⁽¹⁾.. بكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينيه مثل الجدول من البكاء. وزعم كعب أن نوحا عليه السلام استغفر الله ثلاثة أشهر فغفر له وقال: استحييت من ربي، فنكست رأسي أربعين سنة حياء من ذلك القول..

502. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر في أسارى بدر، فأشار إليه أبو بكر رضي الله عنه بالمن عليهم وأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبي بكر: إن إبراهيم كان ألين في الله من الدهن باللبن، ثم أقبل على عمر فقال: إن نوحا كان أشد في الله من الحجر ⁽²⁾..

503. عن الحسن [البصري] قال: لما أتى ملك الموت نوحا عليه السلام ليقبض روحه قال: يا نوح كم عشت في الدنيا؟ قال: ثلاثمائة سنة قبل أن أبعث، وألف سنة إلا خمسين عاما في قومي وثلاثمائة وخمسين سنة بعد الطوفان. قال ملك الموت: يا نوح، كيف وجدت الدنيا؟ قال نوح: مثل دار لها بابان، دخلت من هذا وخرجت من هذا !!

بكاء نبي الله إبراهيم عليه السلام:

504. عن كعب قال: كان إبراهيم عليه السلام: يقرى الضيف ويرحم المسكين وابن السبيل فأبطأت عليه الأضياف حتى استراب لذلك، فخرج إلى الطريق يطلب، فجلس فمر به ملك الموت في صورة رجل فسلم عليه، فرد عليه إبراهيم ثم سأله من أنت؟ قال: أنا ابن سبيل؟ قال: إنما قعدت هاهنا لمثلك، فأخذ بيده فقال له: انطلق. فذهب به إلى منزله، فلما رآه إسحاق عرفه فبكى، فلما رأت سارة إسحاق يبكي بكت لبكائه، فلما رأى إبراهيم

(1) سورة هود آية 46.

(2) الفائق ج 4 ص 52.

سارة تبكى بكى لبكائها، فلما رأى ملك الموت إبراهيم يبكى بكى لبكائه، ثم صعد ملك الموت.

فلما أفاقوا غضب إبراهيم عليه السلام وقال: بكيتم فى وجه ضيفى حتى ذهب، قال إسحاق: لا تلمنى يا أبت فإنى رأيت ملك الموت معك ولا أرى أجلك إلا قد حضر فأوصى. وكان لإبراهيم عليه السلام بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه لا يدخله غيره، فجاء إبراهيم ففتح بيته الذى يتعبد فيه فإذا هو برجل جالس! فقال إبراهيم عليه السلام: من أدخلك وبأذن من دخلت؟ قال: بإذن رب البيت دخلت، قال: رب البيت أحق به، ثم تنحى فى ناحية البيت فصلى ودعا كما كان يصنع، فصعد ملك الموت، فقيل له: ما رأيت؟ قال: يا رب جئتك من عند عبد لك ليس فى الأرض خير منه، فقيل له: ما رأيت منه؟ قال: ما ترك خلقا من خلقك إلا وقد دعا له بخير فى دينه ومعيشته.

ثم مكث إبراهيم ما شاء الله ثم جاء ففتح بابه فإذا هو فيه برجل جالس، قال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال إبراهيم: إن كنت صادقا فأرني منك آية أعرف أنك ملك الموت؟

قال: أعرض بوجهك يا إبراهيم، ثم أقبل فأراه الصورة التى يقبض فيها أرواح المؤمنين، فرأى من النور والبهاء شيئا لا يعلمه إلا الله.

ثم قال: أعرض بوجهك، فأراه الصورة التى يقبض فيها الكفار والفجار، فرعب إبراهيم رعبا شديدا حتى التزق بطنه بالأرض وكادت نفس إبراهيم أن تخرج.

فقال: انظر الأمر الذى أمرت به فامض له، فصعد ملك الموت، فقيل له: تلتطف بإبراهيم. فأتاه وهو فى عنب له فى صورة شيخ كبير لم يبق منه شيء، فلما رآه إبراهيم رحمه فأخذ مكتلا ثم دخل عنبه فقطف من العنب فى مكتله ثم جاء فوضعه بين يديه فقال: كل، فجعل يمضغ ويريه أنه يأكل ويمججه على لحيته و صدره، فعجب إبراهيم عليه السلام فقال: ما أبقت السنون منك شيئا كم أتى لك؟ فحسب مدة إبراهيم عليه السلام فقال: إن لى كذا وكذا،

فقال إبراهيم عليه السلام: قد أتى لى مثل هذا، وإنما أنتظر أن أكون مثلك، اللهم اقبضنى إليك؟ قال: فطابت نفس إبراهيم عن نفسه وقبض ملك الموت روحه على تلك الحال..

505. وفى قول آخر: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما دخل ملك الموت على إبراهيم ليقبض روحه سلم عليه فرد عليه السلام فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت قد أمرت بك فبكى إبراهيم عليه السلام حتى سمع بكاءه إسحاق، فدخل فسلم عليه فقال: يا خليل الله ما يبكيك؟

قال: هذا ملك الموت يريد أن يقبض روحى، فبكى إسحاق حتى علا بكاءه بكاء إبراهيم عليه السلام، فانصرف ملك الموت إلى الله عز وجل فقال: يا رب، إن عبدك إبراهيم جزع من الموت جزعا شديدا، فقال: يا جبريل خذ ريحانه من الجنة فانطلق بها مع ملك الموت إلى إبراهيم وحيه بها وقل له: الخليل إذا طال به العهد من خليله اشتاق إليه، وأنت خليل، أما تشفق إلى خليلك؟ فأتاه وبلغه رسالة ربه ودفع إليه الريحانة، فقال: نعم يا رب، قد اشتقت إلى لقاءك فشمّ الريحانة فقبض فيها..

506. وقيل: إن إبراهيم عليه السلام بكى بكاء شديداً، فنزل عليه جبريل عليه السلام، وقال له: يا إبراهيم الخليل، إن الله يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يعذب خليله؟ فقال إبراهيم عليه السلام: إذا تذكرت خطيئتي نسيت خُلَّتِي. فإذا كان هذا إبراهيم عليه السلام مع نبوته وخلته، فما حال العاصي مع زلته وخطيئته؟! فحاسب قبل أن تحاسب، ومهد لها قبل أن تعذب..

* * *

بكاء ذى القرنين عليه السلام:

اختلف فى سبب تسميته بهذا الاسم فقليل: كان له ذؤابتان أو نتوءتان على جوانب رأسه وقيل: كان له صغيرتان، وقيل: لأنه أتى قرنى الشمس المشرق والمغرب، وقيل غير ذلك والله أعلم. وكذلك اختلف فى نبوته فقليل: كان نبيا. وقيل: كان عبدا صالحا وأن الله بعثه إلى أربعة أمم: أمتين بينهما طول الأرض، وأمتين بينهما عرض الأرض، وهى ناسك ومنسك وتاويل وهاويل والله أعلم.. وجاء فى تفسير القرطبي: واختلفوا أيضا فى وقت زمانه فقال قوم: كان بعد موسى. وقيل: كان فى وقت إبراهيم وإسماعيل. وكان الخضر عليه السلام صاحب لوائه الأعظم. وبالجملية: فإن الله تعالى مكنه وملكه ودانت له الملوك..

507- أخبرنا إصبع بن الفرّج قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد فى قول الله {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ⁽¹⁾.. قال: النبى ﷺ النذير، وقرأ {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} ⁽²⁾.. وقرأ {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ} ⁽³⁾.. قال: المنذرين الرسل. قال: وكان نذيراً واحداً بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين بلغ السدين وكان نذيراً ولم أسمع بحق أنه كان نبياً ⁽⁴⁾..

508- عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: ما أدرى الحدود طهارة لأهلها أم لا، ولا أدرى تُبْعَ لعينا كان أم لا، ولا أدرى ذو القرنين نبيا كان أم ملكا، وقال غيره: أعزيرا كان نبيا أم لا ⁽⁵⁾..

(1) [سورة الفرقان آية 1].

(2) [سورة فاطر آية 24].

(3) [سورة الشعراء آية 208].

(4) تفسير ابن أبى حاتم ج 8 ص 2660 رقم 14958.

(5) تفسير ابن أبى حاتم ج 10 ص 3289 رقم 18553.

509- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ما أدرى أتبع لعينا كان أم لا، وما أدرى ذو القرنين نبيا كان أم لا، وما أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا⁽¹⁾..

510- عن أبي جعفر عن أبيه: أنه سئل عن ذي القرنين قال: كان ذو القرنين عبدا من عباد الله عز وجل صالحا، وكان من الله بمنزلة، قد ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة يقال له زيافيل، وكان يأتي ذا القرنين يزوره، فبينما هما ذات يوم يتحدثان إذ قال له ذو القرنين: حدثني كيف كانت عبادتكم في السماء؟

قال: فبكي، ثم قال: يا ذا القرنين، وما عبادتكم عند عبادتنا؟! في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبدا، منهم ساجد لا يرفع رأسه أبدا، وراكع لا يستوى قائما أبدا، ورافع وجهه لا يطرق شاخصاً أبدا، يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، رب ما عبدناك حق عبادتك. فبكي ذو القرنين بكاء شديداً..

511- ويروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيئاً من أسباب الدنيا، وقد حفروا قبور موتاهم على باب دورهم، وهم في كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها ويزورونها ويتعبدون الله تعالى بينها، وما لهم طعام إلا الحشيش ونبات الأرض. فبعث إليهم ذو القرنين رجلاً يستدعي ملكهم فلم يجبه وقال: ما لي إليه حاجة! فجاء ذو القرنين إليه وقال: كيف حالكم، فإنني لا أرى شيئاً من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئاً من نعم الدنيا؟ فقال: نعم، لأن الدنيا لا يشبع منها أحد قط.

فقال: لم حفرتم القبور على أبوابكم؟ فقال: لتكون نصب أعيننا فالنظر إليها يجدد ذكر الموت ويبرد حب الدنيا في قلوبنا، فلا نشغل بها عن عبادة ربنا، فقال: كيف تأكلون الحشيش؟ فقال: لأننا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان، ولأن لذة الطعام لا تتجاوز الحلق.

(1) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.. المستدرک على الصحيحین ج 2 ص 2174.

ثم مد يده فأخرج [من باطن الأرض] قحف رأس آدمي، فوضعه بين يديه وقال: يا ذا القرنين، تعلم من كان هذا؟ فقال: لا. قال: كان صاحب هذا القحف ملكاً من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء، ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا، فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه. ثم مد يده ووضع قحفاً آخر بين يديه وقال له: أتعرف هذا؟ فقال: لا. فقال: كان هذا ملكاً عادلاً مشفقاً على رعيته محباً لأهل مملكته، فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته. ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال: ترى أى هذين الرأسين يكون هذا الرأس؟ فبكى ذو القرنين بكاء شديداً وضمه إلى صدره وقال له: إن رغبت في صحبتي، فإنني أسلم إليك وزارتي وأقاسمك مملكتي، فقال: هيهات ما لي في ذلك رغبة، فقال: لم؟! قال: لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة، وجميعهم أصدقاؤى بسبب القناعة. والله در القائل:

دليلك أن الفقر خير من الغنى وإن قليل المال خير من المثرى

لقاؤك عبداً قد عصى الله بالغنى ولم تلق عبداً قد عصى الله بالفقر

512- عن شعيب بن سليمان قال: أتى ذو القرنين مغيب الشمس، فرأى ملكاً من الملائكة كأنه يتأرجح في أرجوحة من خوف الله عز وجل، فهاله ذلك، فقال له: علمنى علماً لعلى أزداد إيماناً. قال: إنك لا تطيق ذلك. فقال: لعل الله عز وجل أن يطوقنى لذلك. فقال له الملك: لا تغتم لغد، واعمل في اليوم لغد، وإذا آتاك الله عز وجل من الدنيا سلطاناً، فلا تفرح به، وإن صرف عنك فلا تأس عليه، وكن حسن الظن بالله، وضع يدك على قلبك؛ فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه بأخيك، ولا تغضب؛ فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب؛ فرد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة؛ فإنك إذا عجلت أخطأت، وكن سهلاً لنا للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً...

ومما لا ضرر في إضافته عن ذي القرنين عليه السلام :

513. عن الحسن [البصري رضي الله عنه] : أن ذا القرنين بينما هو يسير متنكرا في بعض المدائن جلس إلى قاضي من قضاتهم أياما لا يختلف إليه أحد في خصومة؟! فلما أن طال ذلك بذى القرنين ولم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضي وهم بالانصراف، إذ هو برجلين قد اختصما إليه، فادعى أحدهما فقال: أيها القاضي إنني اشتريت من هذا دارا عمرتها ووجدت فيها كنزا وإنني دعوته إلى أخذه! فأبى على !!

فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: ما دفنت ولا علمت به، فليس هو لي، ولا أقبضه منه !! قال المدعى: أيها القاضي مر من يقبضه [من عندك] فضعه حيث أحببت؟ فقال القاضي: تفر من الشر وتدخلني فيه !!! ما أنصفتني، وما أظن هذا في قضاء الملك. فهل لكما في أمر أنصف مما دعوتماني إليه؟

قالا: نعم، قال للمدعى: ألك ابن؟ قال: نعم، وقال للآخر: ألك ابنة؟ قال: نعم، قال: اذهب فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزوهما من هذا المال، وادفعوا فضل ما بقي إليهما يعيشان به، فتكونا قد صليتما بخيره وشره.

فعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضي: ما ظننت أن في الأرض أحدا يفعل مثل هذا!

أو قاضي [نزيه] يقضى بمثل هذا؟!

فقال القاضي: وهو لا يعرفه: فهل أحد يفعل غير هذا؟!

قال ذو القرنين: نعم.

قال القاضي: فهل تمطرون في بلادكم؟

فعجب ذو القرنين من ذلك فقال: بمثل هذا قامت السموات والأرض..

514. عن وهب قال: انطلق ذو القرنين فبينما هو يسير إذ مر على شيخ يصلي، فوقف

عليه بجنوده، حتى إذا انصرف من صلاته قال له: كيف لم يرعك ما حضرك من الجنود؟

قال: كنت أناجى من جنوده أكثر من جنودك، وسلطانة أعز من سلطانك، وقوته أشد من قوتك، ولو صرفت وجهى إليك لم أدرك حاجتى قبلك.

قال له: هل لك أن تنطلق معى وأواسيك بنفسى وأستعين بك على بعض أمرى؟
قال: نعم، إن ضمنت لى أربعة خصال: نعيم لا يزول، وصحة لا سقم فيها، وشباب لا كبر فيه، وحياة لا موت فيها.

قال له ذو القرنين: وأى مخلوق يقدر على هذه الخصال.
قال الشيخ: فإنى مع من يقدر عليها ويملكها [أى مع الله] فتركه وسار..
515. قال القرطبي: روى أن ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان ابن داود وإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر..
* * *

بكاء نبي الله يعقوب عليه السلام:

516. فى الآثار المسندة عن الحسن البصرى رحمته الله أنه قال: بكى يعقوب ثمانين سنة، وما جف له دمع، ولم يكن على وجه الأرض أحد أكرم على الله منه. وروى أنه قال: يا رب، أما ترحمنى، قد أخذت منى كذا وكذا وجعل يعدد، رد إلى ريجانتي فأشمها شمة ثم افعل بى ما أردت، فأوحى الله تعالى إليه: أن اسكن وفرغ روعك فسأردهما إليك..

517. فإن قال قائل: كيف بكى يعقوب كل هذا البكاء وحزن هذا الحزن، وهل أصيب إلا بفقد ولد واحد [من أحد عشر ولدا]، أفما كان عليه أن يسلم الأمر إلى الله تعالى ويصبر؟ فالجواب: أنه امتحن فى هذا بما لم يمتحن به غيره، ولم يسأل عن يوسف مع طول الزمان وكان [ابتلاؤه] فيه، أنه لم يعلم حياته فيرجو رؤيته، ولم يعلم موته فيسأل عنه، وكان يوسف من بين سائر الإخوة، خص بالجمال الكامل والعقل وحسن الخلق وسائر ما يميل القلب إليه..

518. وعن النضر بن عريبي قال: بلغني أن يعقوب عليه السلام مكث أربعة وعشرين عاما

لا يدرى أحيى يوسف أم ميت؟

519. عن حبيب قال: مر رجل على يعقوب نبي الله عليه السلام وقد سقط حاجباه على

عينيه وقد رفعهما بخرقة، فقال: يا نبي الله، ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة

الأحزان. فأوحى الله إليه، يا يعقوب تشكوني؟ قال: رب، خطيئة أخطأتها فاغفرها لي..

[وفي قول آخر] فأوحى إليه: يا يعقوب تشكوني إلى عوادك، فهلا قلت لهم: إن ربي

وهبه لي وهو قادر على أن يرده إليّ، قال: إلهي فأقلني وعشرتي في مقاتلي فاقبل توبتي لا

أعود أبدا، فتاب منها فصام النهار وقام الليل..

520. وقيل: إن الله تعالى أوحى إليه: لولا ما سبق لك في علمي من عنايتي بك،

لجعلت نفسي عندك أبخل الباخلين، لكثرة تردادك إليّ بطول سؤالك لي وتأخيرى

إجابتك، ولكن من عنايتي بك، أن جعلت نفسي في قلبك، إني أرحم الراحمين وأحكم

الحاكمين، وقد سبق لك عندي منزلة، لم تكن تنالها بشيء من علمك إلا بحزنك على

يوسف فأردت أن أبلغك تلك المنزلة..

521. وقد روى في خبر غريب أن الله عز وجل أوحى إلى يعقوب عليه السلام: أتدرى لم

فرقت بينك وبين يوسف، قال: لا، قال: لقولك لإخوته إني أخاف أن يأكله الذئب، لم

خفت عليه الذئب ولم ترجني له؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له؟

522. عن ثابت البناني قال: دخل جبريل عليه السلام على يوسف السجن، فعرفه فقال:

أيها الملك الطيبة ريحه الطاهرة ثيابه الكريم على ربه، هل لكم علم بيعقوب؟

قال: نعم، بكى عليك حتى ذهب بصره.

قال: فما بلغ من حزنه؟

قال: حزن سبعين ثكلى.

قال: فما له على ذلك من الأجر؟

قال: أجر مائة شهيد..

523- وعن يحيى بن سليم، أنه بلغه أن ملك الموت عليه السلام استأذن ربه تبارك وتعالى أن يُسلم على يعقوب عليه السلام فأذن له، فأتاه فسلم عليه، فقال له يعقوب: بالذى خلقك؛ هل قبضت روح يوسف؟

قال: لا. يا يعقوب، ألا أعلمك كلمات لا تسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاك؟
قال: بلى.

قال: قل: يا ذا المعروف الذى لا ينقطع معروفة أبداً ولا يحصيه أحدٌ غيره.
فعند ذلك قال عليه السلام: { يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ } ⁽¹⁾..

ويقال: إن ریح الصبا سألت الله تعالى فقالت: يا رب، خصنى أن أبشّر يعقوب عليه السلام بابه. فأذن لها بذلك، فحملت نشره إلى مشامه عليه السلام وكان ساجداً، فرفع رأسه وقال: { إِنِّى لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ } ⁽²⁾.. فما طلع الفجر، حتى أتى بقميص يوسف، صلى الله عليها وسلم..

524- قال فرقد: لما بعث يوسف بالقميص إلى يعقوب، أخذه فشمه ثم وضعه على بصره فرد الله عليه بصره. ثم حملوا [يعقوب عليه السلام إلى يوسف فى مصر] فلما دخلوا ويعقوب متكئ على ابن له يقال له: يهوذا، استقبله يوسف فى الجنود والناس.
فقال يعقوب: يا يهوذا، هذا فرعون مصر؟ قال: لا يا أبت، هذا ابنك يوسف، قيل له: إنك قادم فتلقاك فى أهل مملكته والناس. قال: فلما لقيه ذهب [يعقوب إلى] يوسف ليبدأه بالسلام فمنع ذلك ليعلم [يوسف] أن يعقوب أكرم على الله منه. فاعتنقه وقبله وقال: السلام عليك أيها الذاهب الأحران..

(1) سورة يوسف آية 87.

(2) سورة يوسف آية 94.

525. عن الحسن قال: لما التقى يوسف ويعقوب، قال يوسف: يا أباه، بكيت على
حتى ذهب بصرك؟!
قال: نعم.

قال: أفما علمت أن القيامة تجمعنا؟
قال: خفت أن يحدث عليك حدث، يحول بينك وبين الإسلام، فيحال بيني وبينك.
[وفي قول آخر: خفت أن تموت على غير دين الإسلام فلا ألقاك أبدا]..

* * *

بكاء نبي الله يوسف عليه السلام:

526. روى يونس عن الحسن [البصري]: قال رسول الله ﷺ: رحم الله يوسف،
لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث، يعنى قوله: { اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ }⁽¹⁾.. ثم
بكى الحسن وقال: ونحن إذا نزل بنا أمر نزعنا إلى الناس.

وقال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)، قيل له: يا
يوسف اتَّخَذْتَ مِنْ دُونِي وَكِيلاً، لأُطِيلَنَّ حَبْسَكَ، فبكى يوسف ﷺ وقال: يا رب، إِنِّي
رأيت كثرة الطوى فقلت كلمة، فويل لأخوتي.

وحكى أن جبريل ﷺ دخل على يوسف ﷺ، فلما رآه يوسف عرفه وقال: يا أخا
المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين [أى واقفاً بين أهل الخطايا داخل السجن]؟

فقال له جبريل: يا طاهر الطاهرين، يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول: مالك؟
أما استحييت منى إذ استغثت بالآدميين؟! فوعزتي لألبثتك في السجن بضع سنين، قال
يوسف: وهو في ذلك على راض؟ قال: نعم، قال: إذا لا أبالي.

وقال كعب: قال جبريل ليوسف: إن الله تعالى يقول: من خلقك؟ قال: الله.

(1) سورة يوسف آية 42.

قال: فمن حبّيك إلى أبيك؟ قال: الله.

قال: فمن أنيسك في البئر إذ دخلته عريان؟ قال: الله.

قال: فمن نجّاك من كرب البئر؟ قال: الله.

قال: فمن علّمك تأويل الرؤيا؟ قال: الله.

قال: فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟

527. لما اجتمع يوسف عليه السلام بأخيه يهوذا قال له: أخبرني عن حال أبي وقصّته؟

فقال: كيف أصف لك حاله، وقد ذهبَ بصُرّه من البكاء عليك، فلا يشتهي إلاّ لقاءك. فبكى يوسف بكاءً شديداً وقال: ليت أمّي لم تلدني..

528. لما استوثق أمر مصر ليوسف الصديق عليه السلام وأراد ربك أن يعوضه على صبره

لما لم يرتكب محارمه، وجاءت سنو الغلاء والجوع، مات العزيز وذهبت الذخائر، وافتقرت زليخا وعمى بصرها، وجعلت تتكفف الناس! فقيل لها: لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويغنيك فطالما حفظتيه وأكرمتيه. ثم قيل لها: لا تفعل! لأنه ربما يتذكر منك ما كان منك إليه من المراودة والحبس، فيسيء إليك على ما كان منك إليه.

فقالت: أنا أعلم بحلمه وكرمه. وجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه، وكان يركب في زهاء ألف من عظماء قومه وأهل مملكته. فلما أحست به قامت ونادت: سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم. فقال يوسف: من أنت؟ قالت: أنا التي كنت أخدمك على صدور قدمي وأرجل جمتك بيدي وأكرم مثواك بجهدى، وكان منى ما كان وذقت وبال أمرى وذهبت قوتي وتلف مالى، وفنى عمري وعمى بصرى وصرت أسأل وأتكفف، فمنهم من يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى، بعد أن كنت مغبوبة أهل مصر كلها صرت مرحومة بهم بل محرومتهم، وهذا جزاء المفسدين.

فبكى يوسف عليه السلام بكاءً شديداً وقال لها: هل بقي في قلبك من حبي شيء؟ فقالت:

والذى اتخذ إبراهيم خليلاً، لنظرة إليك أحب إلى من ملء الأرض ذهباً وفضة!! لكن

ناولنى صدر سوطك؟ فناولها، فوضعتته على صدرها، فوجد للسوط فى يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها !! فبكى، ثم مضى إلى منزله فأرسل إليها رسولا وقال لها: إن كنت أئيمًا تزوجناك، وإن كنت ذات بعل أغنياناك. فقالت لرسول الملك: أنا أعرف أنه يستهزئ بى، هو لم يردنى أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عمياء فقيرة؟!

فأعلمه الرسول بمقاتلتها. فلما ركب فى الأسبوع الثانى تعرضت له، فقال لها: ألم يبلغك الرسول؟ فقالت: أعوذ بالله أن يستهزئ بى الملك، قد أخبرتك أن نظرة واحدة إلى وجهك أحب إلى من الدنيا وما فيها. فأمر بها فأصلح من شأنها وهيئت، ثم زفت إليه وأدخلت عليه. فصصف يوسف قدميه وقام يصلى ودعا الله باسمه الأعظم، فرد الله تعالى عليها شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها يوم راودته. فواقعها فإذا هى بكر، فولدت له إفرائيم وميشا، وطاب فى الإسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما.. فيجب للقوى أن لا ينسى الضعيف، وللغنى أن لا ينسى الفقير فهذا يوسف الصديق عليه السلام، انظر إلى ضعفه فى يدي أخته يوم الحب، ثم ضعفهم بين يديه يوم الصواع⁽¹⁾ .. [أى يوم اختفاء صواع الملك، وفى التنزيل: { قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ }⁽²⁾].

529. قال ابن عباس: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف.. [وهو قوله تبارك وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }⁽³⁾].

530. ومن طريف ما روى عن قميص يوسف عليه السلام، وإن كان خارج موضوع الكتاب إلا أنه لا بأس من إثباته. قيل: أجرى الله أمر يوسف عليه السلام منذ ابتدائه إلى انتهائه على ثلاثة أقمص:

(1) والصُّوعُ والصَّوْعُ والصُّوْعُ، كله: إناء يشرب فيه.

(2) سورة يوسف آية 72 .

(3) [سورة يوسف آية 101].

أولها: قميصه المضرج بدم كذب حين ذهب إخوة يوسف به وألقوه حسدا منهم في الجب ثم رجعوا إلى أبيهم وقد ضرجوا قميصه بدم كذب. وقالوا: قد أكله الذئب، فلم يصدقهم يعقوب وعلم أن ذلك خدعة منهم. وقال: والله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا وأرفق، أكل ابني ولم يمزق قميصه!

والثاني: قميصه الذي قُدَّ من دبر حين فتنت به امرأة العزيز فتنة لم تفتنها أنثى بذكر⁽¹⁾، وراودته عن نفسه وشقت قميصه من دبر. والثالث: قميصه الذي ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا بعد أن أدركه العمى حزنا على فقده..

* * *

بكاء نبي الله ورسوله شعيب عليه السلام:

531. قيل: أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي ﷺ: يا شعيب، هب لي من رقتك الخضوع ومن قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع وادعني فإني قريب..

532. وعن شداد بن أوس: عن رسول الله ﷺ: بكى شعيب من حب الله تعالى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فأوحى إليه: يا شعيب، ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة، أم خوفا من النار؟ قال: إلهي وسيدي، أنت تعلم ما أبكى شوقا إلى جنتك ولا خوفا من النار، ولكنني اعتقدت حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي يصنع بي. فأوحى الله إليه: يا شعيب، إن يك ذلك حقا فهنيئا لك لقائي. يا شعيب، لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليما⁽²⁾..

533. قال الضحاك: كان شعيب أفضل [قومه] نسبا وأصدقهم حديثا وأحسنهم وجهًا، ويقال: إنه بكى من خشية الله تعالى حتى ذهب بصره وصار أعمى..

(1) ان أردت الازدياد والتوسع في أخبار النساء انظر كتابي كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء.

(2) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ج 1 ص 60 [قيل: حديث موضوع منكر].

534. قيل جاءت امرأة لابن مسعود رضي الله عنه فقالت: إنك تنهى عن الواصلة⁽¹⁾؟

قال: نعم.

قالت: أشيء في كتاب الله أم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال: أجده في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي⁽²⁾ المصحف فما وجدت فيه الذي تقول!

فقال لها هل وجدت فيه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)⁽³⁾؟

قالت: نعم.

قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والنامصة⁽⁴⁾، والواشرة⁽⁵⁾،

والواشمة⁽⁶⁾ إلا من داء.

فقالت: والله إنى أرى أن التى فى بيتك تفعله!

فقال: ما حفظت وصية شعيب رضي الله عنه { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ }⁽⁷⁾..

إذا أقسمت عليك لما دخلت إليها فنظرت إلى شعرها. فدخلت فنظرت إلى امرأة قرعاء

ولم تر فى شعرها شيئاً، فخرجت فقالت: ما رأيت شيئاً..

* * *

(1) الواصلة: التى تصل شعرها بشعر آخر زور.

(2) دفتي المصحف: جانبيه.

(3) سورة: الحشر آية 7.

(4) الواصلة التى تطيل شعرها بشعر زائف. النامصة: المرأة تزيل من شعر الوجه والحاجب.

(5) الوشر: تحديد الأسنان وترقيق الأطراف.

(6) الواشمة: هى فاعلة الوشم وهو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر.

(7) سورة: هود آية 88.

بكاء نبي الله ورسوله يونس عليه السلام:

535. عن الحسن [البصري]: أن يونس عليه السلام كان مع نبي من أنبياء بنى إسرائيل [قيل هو نبي الله شعيب عليه السلام]، فأوحى الله إليه، أن ابعث يونس إلى أهل نينوى يحذرهم عقوبتي. قال: فمضى يونس على كره منه [لهم]، وكان رجلا حديدا شديدا الغضب، فأتاهم فحذرهم وأنذرهم، فكذبوه وردوا عليه نصيحته ورموه بالحجارة وأخرجوه، فانصرف عنهم.

فقال له نبي بنى إسرائيل: ارجع إلى قومك؟ فرجع إليهم، فرموه بالحجارة وأخرجوه، فقال له النبي: ارجع إلى قومك، فرجع فكذبوه، وأوعدهم العذاب. فقالوا: كذبت. فلما كذبوه وكفروا بالله وجحدوا كتابه، دعا عند ذلك ربه على قومه فقال: يا رب، إن قومي أبوا إلا الكفر فأنزل عليهم نقمتك.

فأوحى الله تعالى إليه: إنى أنزل بقومك العذاب. فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله وانطلق فصعد جبلا ينظر إلى أهل نينوى ويتربص العذاب، فجاءهم العذاب وعاینوه، فتأبوا إلى الله تعالى فكشف عنهم العذاب. فلما رأى [يونس] ذلك، جاءه إبليس فقال: يا يونس إنك إن رجعت إلى قومك اتهموك وكذبوك، فذهب مغاضبا لقومه فانطلق حتى أتى شاطئ دجلة فركب سفينة، فلما توسطت به الماء أوحى الله إليها أن اركدى، فركدت السفينة والسفن تمر يمينا وشمالا! فيقولوا: ما بال سفيتكم؟! فقالوا: لا ندري!

قال يونس: أنا أدري، قالوا: فما حالها؟ قال: فيها عبد أبى من ربه فلا تسير حتى تلقوه فى الماء، قالوا: ومن هو؟ قال: أنا [فلما] عرفوه قالوا: أما أنت فليس نلقىك، والله ما نرجو النجاة منها إلا بك. قال: فاقترعوا فمن قرع فألقوه فى الماء، فاقترعوا فقرعهم يونس فأبوا أن يلقوه، فاقترعوا الثانية فقرعهم، فاقترعوا الثالثة فقرعهم وقال: ألقونى فى الماء.

وفي رواية قال: يا قوم اطرحوني في الماء وانجوا، فقام القوم فاحتملوه شبه المشفقين عليه فقال: ائتوا بي صدر السفينة؟ ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه فإذا الحوت فاتح فاه، فلما رأى ذلك قال: يا قوم ردوني إلى مؤخر السفينة؟ ففعلوا، فلما أشرفوا ذهبوا يطرحونه فاستقبله الحوت فاتحا فاه، فلما رأى جوفه وهوله قال: يا قوم ردوني إلى وسط السفينة، ففعلوا فاستقبله فقال: ردوني إلى الجانب الآخر فاستقبله فاتحا فاه ليأخذه، فقال: اطرحوني وانجوا فلا منجى من الله، فطرحوه والتقمه الحوت قبل أن يبلغ الماء وتصوب به.

وجاء في تفسير ابن كثير: أمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام، فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما، فجاء ذلك الحوت فالتقمه وذهب به فطاف به البحار كلها، ولما استقر يونس في بطن الحوت، حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام فصلى في بطن الحوت، وكان من جملة دعائه: يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس..

رجع الحديث إلى الحسن قال: فانطلق به الحوت إلى مسكنه من البحر، ثم انطلق به إلى قرار الأرض، فطاف به البحار أربعين يوما، فسمع يونس تسبيح الحصى وتسبيح الحيتان، فجعل يسبح ويهلل ويقدم وكان يقول في دعائه: سيدى فى السماء مسكنك وفى الأرض قدرتك وعجائبك، سيدى من الجبال أهبطتنى وفى البلاد سيرتنى وفى الظلمات الثلاث حبستنى، إلهى سجتتنى بسجن لم تسجن به أحدا قبلى، إلهى عاقبتنى بعقوبة لم تعاقب بها أحدا قبلى، فلما كان تمام أربعين يوما وأصابه الغم { فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ⁽¹⁾..

فدعا ربه فى الظلمات، يعنى ظلمات ثلاثاً: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. فنادى، يوحد ربه، عز وجل: لا إله إلا أنت سبحانك، فنزهه تعالى أن يكون

(1) سورة الأنبياء آية 87.

ظلمه، ثم أقر على نفسه بالظلم، فقال: إني كنت من الظالمين أي إني ظلمت نفسي. وبكت السماء والأرض والحيتان، فأقبلت الدعوة نحو العرش، فسمعت الملائكة بكاءه وبكت لبكاء يونس، وقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال الله تعالى: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: يا رب، ومن هو؟ قال: ذاك عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة؟ يا رب، أفلا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيهِ من البلاء؟ قال: بلى.

قال ابن عباس: قال الله تعالى: نعم، فشفعت له الملائكة والسموات والأرض، فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فقال: انطلق إلى الحوت الذى حبست يونس فى بطنه، فقل له: إن لى فى عبدى حاجة، فانطلق به إلى الموضع الذى ابتلعه فيه فاقدفه به، فانطلق جبريل إلى الحوت فأخبره فانطلق الحوت بيونس وهو يقول: يا رب، استأنست فى البحر بتسبيح عبدك واستأنست به دواب البحر، وكنت أركى شيء به، وجعلت بطنى له مصلى يقدسك فيه، فقدست به وما حولى من البحار، فتخرجه عنى بعد أنس كان به؟ قال الله تعالى: إني أقلته عشرته ورحمته فألقه، فجاء به إلى حيث ابتلعه ببلد على شاطئ دجلة فدنا جبريل من الحوت وقرب فاه من فم الحوت فقال: السلام عليك يا يونس، رب العزة يقرئك السلام، فقال يونس: مرحبا بصوت كنت خشيت أن لا أسمعه أبدا، مرحبا بصوت كنت أرجوه قريبا من سيدى، ثم قال جبريل للحوت: اقذف يونس بإذن الله الرحمن، فقدفه مثل الفرخ الممعوط الذى ليس عليه ريش، فاحتضنه جبريل عليه السلام.

قال الحسن: فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء، فكان لها ظل واسع يستظل به وأمرت أن ترضعه أغصانها، فكان يرضع منها كما يرضع الصبى. وبعث الله إلى يونس وعله من وعول الجبل يدر ضرعها لبنا حتى جاءت إلى يونس وهو مثل الفرخ، ثم ربضت وجعلت ثديها فى فم يونس فكان يمصه كما يمص الصبى، فإذا شبع انصرفت، فكانت تختلف إليه حتى اشتد ونبت عليه شعره خلقا جديدا ورجع إلى حاله قبل أن يقع

فى بطن الحوت، فمرت به مارة فكسوه كساء، فبينا هو ذات يوم نائم إذ أوحى الله إلى الشمس أن احرقى شجرة يونس فأحرقتها، فأصاب الشمس جلده فأحرقته فقال: يا رب نجيتنى من الظلمات ورزقتنى ظل شجرة كنت أستظل بها فأحرقتها، أفتحرمنى يا رب وبكى، فأتاه جبريل عليه السلام. وقال ابن عباس: قال له جبريل: أتبكى على شجرة أنبتها الله لك ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم فى غداة واحدة! فعند ذلك عرف يونس ذنبه واستغفر ربه فغفر له.

وعن الزهرى قال: لما قوى يونس كان يخرج من الشجرة يمينا وشمالا فأتى على رجل يصنع الجرار فقال يونس: يا عبدالله ما عملك؟ قال: أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله، فأوحى الله إلى يونس، أن قل له يكسر جراره؟ فقال يونس ذلك له، فغضب [صانع] الجرار وقال: إنك رجل سوء، تأمرنى بالفساد، وتأمرنى أن أكسر شيئا صنعته وعملته ورجوت خيره؟!

فأوحى الله إلى يونس: ألا ترى إلى هذا الجرّار كيف غضب حين أمرته بكسر ما صنع، وأنت تأمر بهلاك قومك، فما الذى يشق عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون، قال الله سبحانه { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } ⁽¹⁾.. يعنى من المصلين من قبل أن تنزل البلية { لَلَيْتَ فى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } ⁽²⁾..

536- وقال الجنيد: بكى يونس عليه السلام حتى عمى، وقام حتى انحنى، وصلى حتى أقعد. وقال: وعزتك وجلالك، لو كان بينى وبينك بحر من نار لخضته إليك شوقا منى إليك..

537- وقيل: لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته، فقليل له: ألا تتكلم؟

(1) سورة الصافات آية 143 .

(2) سورة الصافات آية 143 .

فقال: الكلام صيرنى فى بطن الحوت..

538. وقد حدثونا فى أخبار الأنبياء عليهم السلام: أن قوماً دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم، وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت، فعجبوا من ذلك، وهابوه أن يسألوه. فقال: لا تعجبوا من هذا، فإنى سألت الله عز وجل فقلت: يا رب ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا؟ فقال: إن عقوبتك ابنة فلان فتزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها..

539. عن ميمون بن مهران قال: خطب الضحاك بالكوفة فقال: اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة، فإن يونس عليه السلام كان عبداً ذاكراً لله فلما وقع فى بطن الحوت ذكر الله فنجاه قال الله: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)..

540. عن سعد بن أبى وقاص: قال رسول الله ﷺ: دعاء ذى النون الذى دعا به وهو فى بطن الحوت (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) لم يدع بها امرؤ مسلم فى شيء قط إلا استجيب له⁽¹⁾..

قال هلال العيسى: فكان بطن الحوت، هو أول قبر يمشى بصاحبه بقدره الله، ولا نعلم كيف كانت حياته بداخله، ولا كيف كان يأكل ويشرب، ولا كيف كان يشعر، فسبحان من هبط بيونس إلى باطن الماء، وصعد برسول الله ﷺ إلى عنان السماء.

ولكن ما نحن متأكدون منه وتطمئن إليه قلوبنا وعقولنا: أن قدرة الله تعالى ليس لها حدود، ولا يصفها واصف ولا يقف على خبرها عقل مهما أوتى من قوة وفطنة وعلم، ولا يستطيع كائن موحد بالله أن ينكر ذلك..

* * *

(1) الدعاء للطبراني ج 1 ص 56 رقم 124.

بكاء نبي الله ورسوله موسى عليه السلام:

541. عن وهب بن منبه قال: لما سمع موسى عليه السلام كلام ربه عز وجل، طمع في رؤيته فقال: { قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ } ⁽¹⁾.. قال تعالى { لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } ⁽²⁾..

قال محمد بن إسحاق: حدثني بعض من لا أتهم، قال الله تعالى: يا ابن عمران، إنه لا يراني أحد فيحيا، قال موسى: رب لا شريك لك، أن أراك وأموت أحب إلي من أن لا أراك وأحيا رب أتمم على نعماك وفضلك وإحسانك بهذا الذي أسألك وأموت على أثر ذلك. عن ابن عباس: لما رأى الله الرحيم بخلقه، حرص موسى [وأراد] أن يعطيه سؤاله قال: انطلق فانظر الحجر الذي في رأس الجبل فاجلس عليه، فإني مهبط عليك جندی، ففعل موسى فلما استوى عليه، عرض الله تعالى عليه جنود سبع سماوات، فأمر ملائكة سماء الدنيا أن يعرضوا عليه، فمروا بموسى ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد.

ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعرضوا عليه، ففعلوا فمروا به على ألوان شتى ذوى وجوه وأجنحة رافعى أصواتهم بالتسبيح، ففزع موسى منهم وقال: أى رب، إني ندمت على مسألتى رب هل أنت منجنى من مكاني الذي أنا فيه؟ قال له رأس الملائكة: يا موسى اصبر على ما سألت فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فأقبل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتى ألوانهم كلهب النار بالتسبيح والتهليل، فاشتد فزع موسى وساء ظنه ويئس من الحياة، فقال له رأس الملائكة: يا ابن عمران، اصبر حتى ترى ما لا تصبر عليه.

(1) سورة الأعراف آية 143.

(2) سورة الأعراف آية 143.

ثم أوحى الله تعالى إلى ملائكة السماء الرابعة: أن اهبطوا إلى موسى بالتسبيح، فهبطوا ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج لهم أصوات عالية بالتسبيح والتقديس، لا تشبه أصوات الذين مروا به، فقال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبر على ما سألت. فكذاك أهل كل سماء إلى السماء السابعة ينزلون إليه بألوان مختلفة وأبدان مختلفة وأقبلت ملائكة يخطف نورهم الأبصار ومعهم حراب، الحربة كالنخلة الطويلة العظيمة كأنها نار أشد ضوءاً من الشمس وموسى عليه السلام يبكي رافعاً صوته يقول: يا رب اذكرني أنا عبدك ما أظن أن أنجو مما أنا فيه، إن خرجت احترقت وإن مكثت مت.

قال له رأس الملائكة: قد أوشكت أن تمتلئ خوفاً وينخلع قلبك هذا الذى جلست لتنظر إليه! ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل ومن فى سبع سماوات وحمة العرش والكرسى وأقبلوا عليه يقولون: يا خاطئ يا ابن الخاطئ، ما الذى رقاك إلى هاهنا، وكيف اجترأت أن تسأل ربك أن تنظر إليه؟! وموسى يبكى، وقد اصطكت ركبته وتخلعت مفاصله، فلما رأى الله عز وجل ذلك من عبده، أراه قائمة عرشه، فتعلق بها فاطمأن قلبه. فقال له إسرافيل: يا موسى، والله إنا لنحن رؤساء الملائكة لم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خلقنا خوفاً وفرقا، فما حملك أيها العبد الضعيف على هذا؟! فقال موسى وقد اطمأن: يا إسرافيل، أحببت أن أعرف من عظمة ربى ما عرفت.

ثم أوحى الله عز وجل للسماوات أنى متجلاً للجبل، فارتعدت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسحاب والجنة والنار والملائكة والبحار وخرروا كلهم سجداً، وموسى ينظر إلى الجبل، { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا }⁽¹⁾.. ميتاً من نور رب العزة جل وعلا. فوقع عن الحجر وانقلب عليه فصار عليه مثل القبة لئلا يحترق.

(1) سورة الأعراف آية 143.

قال الحسن: فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فقلب الحجر عن موسى وأقامه، فقام موسى فقال: { سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ } ⁽¹⁾.. مما سألت { وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } ⁽²⁾.. أى أنا أول من آمن أنه لا ينظر إليك أحد إلا مات. وقيل: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد فى الدنيا..

542. وورد أن بنى إسرائيل سألوا موسى: هل يصلى ربك؟ فبكى موسى عليه السلام [لوقاحه سؤلهم وجرأتهم على الله سبحانه وتعالى] لذلك، فقال الله تعالى: يا موسى، ما قالوا لك؟ فقال: قالوا الذى سمعت. قال: أخبرهم أنى أصلى وأن صلاتى تطفئ غضبى.. والله أعلم..

543. عن ابن عباس قال: ولما أمروا بقتل أنفسهم قالوا: يا نبى الله، كيف نقتل الأبناء والأخوة؟ فأنزل الله تعالى عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضا، فقتلوا، وقالوا: ما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلاح والسيف فلا يقتل. فقتلوا حتى خاضوا فى الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى، العفو العفو. فبكى موسى، فأنزل الله تعالى التوبة، وقام السلاح وانكشفت الظلمة عن سبعين ألفا. قال قتادة: فجعل الله القتل للمقتول شهادة وللحى توبة..

544. عن كعب قال: لما أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن أسر بنى إسرائيل، أمره أن يحمل معه عظام يوسف عليه السلام فلم يدر موسى أين موضع قبره، وكانت امرأة من بنى إسرائيل يقال لها: سراج، كانت كلما حضر أجلها مد الله تعالى فى عمرها إلى أن أدركت موسى. فقالت لموسى: أنا أخبرك بموضع قبر يوسف على أن تعطينى ثلاث خصال:

قال: وما هى؟

قالت: تدعو الله تعالى أن يرد شبابى كما كنت أولا؟ قال: لك ذلك.

(1) سورة الأعراف آية 143.

(2) سورة الأعراف آية 143.

قالت: وتحملنى معك؟ قال: لك ذلك.

قالت: وأكون معك فى درجتك يوم القيامة؟ فبكى موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه: إن

الجنة بيدى فأعطها ما سألت، فقال موسى: لك ذلك.

قالت: فإن قبره فى هذه الجزيرة وقد غلبه الماء، فأخذ موسى قحفين فكتب عليهما

اسم الله الأعظم، ثم ألقى أحد القحفين فى جانب الجزيرة وألقى القحف الآخر فى

الجانب الآخر فانحسر الماء عن الجزيرة. فقالت المرأة: هاهنا موضع قبره، فابتدره الشبان

فوجدوا يوسف عليه السلام فى تابوت من مرمر فاحتملوه..

545. لما حان للخضر وموسى عليهما السلام أن يتفرقا، قال: يا موسى، لو صبرت

على لآتيت على ألف عجيبة، كُُلُّ أعجب مما رأيت. فبكى موسى عليه السلام على فراقه، وقال

للخضر: أوصنى يا نبي الله؟ فقال: يا موسى، اجعل همك فى معادك، ولا تخض فيما لا

يعينك ولا تأمن الخوف فى أمنك ولا تياس من الأمن فى خوفك، ولا تذر الإحسان فى

قدرتك.

قال له موسى: زدنى رحمك الله؟ فقال له الخضر: إياك والإعجاب بنفسك،

والتفريط فيما بقى من عمرك، [واجعل همك فى] من لا يغفل عنك. قال له موسى: زدنى

رحمك الله؟ فقال: إياك واللجاج، ولا تمش فى غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب،

وابك على خطيئتك يا ابن عمران. فقال موسى: قد بلغت فى الوصية، فأتم الله تعالى

عليك نعمته وغمرك فى رحمته وكلاك من عدوه.

فقال له الخضر: آمين، فأوصنى أنت يا موسى؟ فقال له موسى: إياك والغضب إلا

فى أمر الله تعالى. فقال له الخضر: قد أبلغت فى الوصية، فأعانك الله على طاعته، وحببك

إلى خلقه ووسع عليك من فضله، فقال له موسى: آمين.

ثم قال له موسى: يا نبي الله، من أجل أى شيء أعطاك الله الحياة من بين العباد، فلا

تموت حتى تسأل الله تعالى ذلك، واطلعت على ما فى قلوب العباد؟ فقال له: يا موسى على

الصبر على معصية الله تعالى والشكر لله في نعمته وسلامة القلب فلا أخاف ولا أرجو غير الله تعالى.

قال النبي ﷺ: ناجى موسى ﷺ ربه فقال: يا رب، إنى خفت من الفقر ومن عذاب القبر ومن سكرات الموت ومن أهوال القيامة.

فقال الله تعالى: يا موسى، إن خفت من الفقر فعليك بصلاة الضحى، وإن خفت من عذاب القبر، فعليك بركعتين بين المغرب والعشاء، وإن خفت من سكرات الموت فعليك بقيام الليل، وإن خفت من أهوال القيامة، فعليك بإطعام المساكين⁽¹⁾..

* * *

بكاء نبي الله داود عليه السلام:

546. اختلف العلماء بأخبار الأنبياء: في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود ﷺ بما امتحنه به من الخطيئة، [وأنا سأورد ما جاء عن قصته ﷺ وإن كنت أعتقد أنها من الإسرائيليات]. قال قوم: كان سبب ذلك أنه تمنى يوما من الأيام على ربه تعالى، منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأوحى الله تعالى إليه أنهم ابتلوا بلأيا لم يبتل بها أحد فصبروا عليها. ابتلى إبراهيم ﷺ بنار النمرود وبذبح ولده. وابتلى إسحاق بالذبح. وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف. وإنك لم تُبتَلْ بشيء من ذلك. فسأله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم! فأوحى الله تعالى إليه: إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر.

وكان داود قد قَسَمَ الدهر ثلاثة أيام: يوما يقضى فيه بين الناس ويذاكرهم ويذاكرونه ويسألهم ويسألونه. ويوما يخلو فيه بنسائه وأولاده، ويوما لعبادة ربه.

(1) الدرر الغراء ج 1 ص 243.

فلما كان في اليوم الذي وعده الله. دخل داوود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ وقع طائر بين يديه، وتمثل له في صورة حمامة، جسدها من ذهب وجناحها من ديباج، مكللة بالدر، منقارها زبرجد وقوائمها فيروز، فيها كل لون حسن! فجعل يتعجب من حسنها، فمد يده ليأخذها ويدفعها إلى ابن له صغير، فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها!

فما زال كذلك، يدنو وتتباعده حتى طبق الزبور وقام من مجلسه ونسى البلاء. فطلبها في زوايا البيت، فامتد إليها ليأخذها فتنحت، فتبعها فطارت فوقعت في كوة، فذهب ليأخذها فطارت من الكوة، فنظر داوود أين تقع فبيعت إليها من يصيدها، فنظر امرأة في بستان جالسة تغتسل، لها هيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق. فرآها امرأة من أحسن النساء فعجب داوود من حسنها.

فيزعمون أنها لما رآته، نقضت [شعر] رأسها فوارت به جسدها [أى أن شعرها كان من الطول والغزارة بحيث أصبح كالخيمة مظلاً على جسدها بالكامل] فاختطف قلبه. فرجع إلى زبوره ومجلسه وهى لا يفارق قلبه ذكرها، وفي نفسه منها ما في نفسه، فزاد بذلك إعجاباً بها ووقع في قلبه، فبعث إليها لينظر من هى وابنة من هى؟ فرجع إليه الرسول فقال: هى سابع بنت لحنانا، وزوجها أوريا بن صورى، وهو في البلقاء مع ابن أخت داوود وهو على الجيش محاصرين قلعة.

وتمادى به البلاء حتى كتب داوود إلى ابن أخته كتاباً: إذا جاءك كتابى هذا فمر أوريا ابن صورى فليحمل التابوت. وكان الذى يتقدم لا يرجع حتى يقتل أو يفتح الله عليه، ومن فر منهم صار لعيناً، وكان في سنتهم أن يتقدم أمام التابوت من كل سبط في كل عام رجل، يكون ذلك نواب بينهم.

فدعا صاحب الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب، فقال أوريا: سمعاً وطاعة، فحمل التابوت فتقدم أمام أصحابه، فخرجت إليه المقاتلة، فقاتلهم وكان من فرسان بني إسرائيل، فقتل المقاتلة وفتح الحصن. فبعث صاحب الجيش إلى داوود بالفتح. فكتب إليه أن قدمه في قلعة أخرى كانت أحصن وأشد شوكة من الأولى، فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعة، فحمل التابوت وسار إلى الحصن، وتقدم أمام أصحابه، فخرجت المقاتلة فقاتلهم وفتح الحصن؛ فبعث صاحب الجيش بالفتح إلى داوود. فكتب إليه الثالثة أن قدمه، فلما ورد الكتاب عليه قرأه عليه فقال: قد علمت ما يريد. فحمل التابوت وسار أمام أصحابه، فخرجت إليه المقاتلة، فكان أول قتيل. فكتب ابن أخت داوود بذلك إلى داوود، فلما انقضت عدة المرأة أرسل إليها يخطبها وتزوجها. وفي حديث عن ابن عباس: فلما انقضت عدتها خطبها، فاشترطت عليه: إن ولدت [ولداً] جعله خليفته من بعده، وأشهدت على ذلك خمسين رجلاً من بني إسرائيل، وكتبت عليه كتاباً، فما شعر بنفسه حتى ولد سليمان بن داوود عليه السلام فهي أم سليمان عليه السلام. فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله تعالى ملكين بصورة رجلين، فطلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته، فتسورا المحراب وهو يصلى فما شعر إلا وهما بين يديه جالسين! فذلك قوله تعالى { وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخِمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } ⁽¹⁾.. وكنى هنا عن المرأة بالنعجة.

(1) سورة ص الآيات 21 / 25.

قيل: بعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه، مثلاً ضربه الله له ولصاحبه، فلم يرع بهما إلا واقفين على رأسه في محرابه فقال: ما أدخلكما على؟ فقالا: لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة [نحن] خصمان بغى بعضنا على بعض، فجئناك لتقضى بيننا، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، واهدنا إلى سواء الصراط. فقال: تكلما، فقال الملك الذى يكلم عن أوريا زوج المرأة: إن هذا أخى على دينى له تسع وتسعون نعجة، ولى نعجة واحدة فقال: احملنى عليها وقهرنى فى الخطاب، وكان أقوى منى وأعز، فحاز نعجتى إلى نعاجه، وتركنى لا شيء لى. فنظر داوود إلى خصمه الذى لم يتكلم فقال: لئن كان صدقنى لأفعلن بك! فلما قضى داوود بين الملكين. نظر أحدهما إلى صاحبه فتبسم، ثم قالوا: يا داوود، أنت أحق بهذا الحكم. وصعدا إلى السماء. فعلم داوود ﷺ أن الله تعالى ابتلاه بذلك ونبهه على ما ابتلاه، فاستغفر ربه وخر راکعاً وأتاب.

وعن مجاهد: أن داوود ﷺ مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه، حتى نبت المرعى من دموع عينيه وغطى رأسه. فنودى: يا داوود، أجائع فتطعم؟ أم ظمآن فتسقى؟ أم عار فتكسى؟ قال: فأجيب فى غير ما طلب. فنحب نجة هاج العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله التوبة والمغفرة فقال: رب اجعل خطيئتى فى كفى، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب إلا رآها، فإن كان ليؤتى بالقدر ثلثاء ماء، فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه..

[وقيل كان] يقول فى سجوده: زل داوود زلةً أبعد ما بين المشرق والمغرب، رب، إن لم ترحم ضعف داوود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً فى الخلف من بعده، فجاءه جبريل بعد أربعين ليلة، فقال له: يا داوود، قد غفر الله لك الهم الذى هممت، قال داوود: قد علمت أن الله قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به، وقد علمت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب دمنى الذى عند داوود؟ فقال جبريل: ما سألت ربي عن ذلك ولئن شئت لأفعلن، قال: نعم، فخرج جبريل، فسجد داوود فمكث

ما شاء الله ثم نزل، فقال: قد سألت الله عز وجل يا داوود عن الذى أرسلتنى إليه فقال: قل لداوود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: هب لى دمك الذى عند داوود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك فى الجنة ما اشتيت وما شئت عوضاً.

قال ثابت: كان داوود نبى الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم يذكر ذنوبه، فيخاف الله عز وجل منها خوفاً تنفرج أعضاؤه من مواضعها، ثم يذكر عائدة الله تبارك وتعالى ورأفته على أهل الذنوب فيرجع كل عضو إلى مكانه.

وقيل: كان داوود يدعو على الخاطئين قبل أن يصيب الذنب. فلما أصاب الذنب قال: يا رب اغفر للخطئين لعلك تغفر لى معهم. وكان بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخطئين، ثم يقول: تعالوا إلى داوود الخاطي ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه، وكان يجعل له خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يتل بدموع عينيه، وكان يذر عليه الملح والرماد ويأكل ويقول: هذا أكل الخاطئين. وكان قبل الخطيئة، يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله..

547- وقيل: كان داوود عليه السلام يبكى، فيبكى معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجرى إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجرى إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع، فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه، أن اليوم يوم نوح داوود على نفسه، فليحضر من يساعده؟ فيدخل الدار التى فيها المحاريب، فيسقط له فرش حشوها ليف فيجلس عليها ويجرى أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلسون فى تلك المحاريب، ثم يرفع داوود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داوود

مثل الفرخ يضطرب. فيجىء ابنه سليمان فيحمله، فيأخذ داوود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول: يا رب، اغفر ما ترى.

قال وهب: ما رفع داوود رأسه حتى قال له الملك: أول أمرك تب وآخره مغفرة ارفع رأسك فرفع رأسه.

وذكر الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: إن مثل عيني داوود كقربتين ينطفان ماء، ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض⁽¹⁾.

وقيل: إن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته، فلما فعل ما فعل، كانت لا تصغي إلى قراءته، فروى أنها قالت: يا داوود ذهب خطيئتك بحلاوة صوتك..

548. وروى عن أبي الخلد قال: قرأت في مسألة داوود عليه السلام ربه تعالى [أنه قال]:

إلهي ما جزاء من بكى من خشيتك، حتى تسيل دموعه على وجهه؟

قال تعالى: أسلم وجهه من لفح النار..

549. روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داوود لكان

بكاء داوود أكثر، ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داوود إلى بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر، ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داوود وبكاء نوح عليهما السلام إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر⁽²⁾..

* * *

بكاء نبي الله ورسوله سليمان عليه السلام:

قال تعالى { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ }⁽³⁾.. هذه قصة

محنة نبي الله سليمان عليه السلام أى اختبار له وابتلاء ليظهر مكنون ما علم الله من طهارة سره

(1) تفسير البغوي ج 4 ص 59.

(2) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج 3 ص 25.

(3) سورة ص آية 34.

وصفاء قلبه وقلة نظره إلى الدنيا، فلا يفتنه عن دينه ولا يشغله عن الله. وهى درس لأصحاب العروش والسلاطين وأبناء الدنيا، أن تغيير الحال ليس من المحال. لذا فهى عبرة، كما قال جل وعلا { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }⁽¹⁾.. واختلفوا فى سبب ذلك: وذكر جمهرة من المفسرين آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف أكثرها متلقة من الإسرائيليات، وفى كثير منها إنكار شديد، لذا أحبت التنويه إلى ذلك وإن كانت غالبية الرواة، تتحدث عن أن سبب فتنته عليه السلام بسبب ما فعلته الجرادة ابنة ملك صيدون وقد ذكرت هاهنا عدداً من الآراء التى تحدثت فى هذا الشأن، ثم ذكرت قصة الجرادة كما رويت عن وهب بن منبه..

وقيل فى فتنته التى عوقب بها ستة أقاويل فى تفسير الماوردى:

550. أحدها: قاله الحسن: أنه كان قارب بعض نسائه فى بعض الشيء من حيض أو غيره. الثانى: ما حكاه ابن عباس قال: كانت لسليمان امرأة تسمى جرادة، وكان بين أهلها وبين قوم خصومة، فاختصموا إلى سليمان، ففصل بينهم بالحق ولكنه ود أن الحق كان لأهلها فقبل له: إنه سيصيبك بلاء، فجعل لا يدرى أمن الأرض يأتيه البلاء أم من السماء. الثالث: ما حكاه سعيد بن المسيب رضي الله عنه: أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد، ولم ينصف مظلوماً من ظالم، فأوحى الله تعالى إليه أنى لم أستخلفك لتحتجب عن عبادى ولكن لتقضى بينهم وتنصف مظلومهم.

الرابع: ما حكاه شهر بن حوشب: أن سليمان سبى بنت ملك غزان فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، فألقيت عليه محبتها، وهى معرضة عنه تذكر أمر أبيها ولا تنظر إليه إلا شزراً ولا تكلمه إلا نزرأً، ثم إنها سألته أن يصنع لها تمثالاً على صورته فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد جوارىها معها، وصار صنماً معبوداً فى داره وهو لا يعلم به، حتى مضت أربعون يوماً وفشا خبره فى بنى إسرائيل، وعلم به سليمان فكسره وحرقه

(1) سورة ق آية 37.

ثم ذراه في الريح. الخامس: ما حكاه مجاهد: أن سليمان قال لأصف الشيطان: كيف تضلون الناس؟ فقال له الشيطان: أعطني خاتمك حتى أخبرك، فأعطاه خاتمه فألقاه في البحر حتى ذهب ملكه. السادس: ما حكاه أنس: أن سليمان قال ذات ليلة: والله لأطوفن على نسائي في هذه الليلة وهن ألف امرأة كلهن تشتمل بغلام، كلهم يقاتل في سبيل الله، ولم يستثن [أى لم يقل إن شاء الله]. قال أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس محمد بيده لو استثنى لكان ما قال. فما حملت له تلك الليلة إلا امرأة واحدة، فولدت له شق إنسان⁽¹⁾..

551- قال وهب بن منبه: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشأن، لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستقام [له الأمر] فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها: جرادة، لم ير مثلها حسناً وجمالاً، واصطفها لنفسه ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه. وكانت على منزلتها عنده، لا يذهب حزنها ولا يرقاً دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقاً؟ قالت: إن أبى أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنى ذلك، فقال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً أعظم من ملكه، وسلطاناً أعظم من سلطانه، وهذاك للإسلام وهو خير من ذلك كله. قالت: إن ذلك لكذلك، ولكننى إذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوّروا صورته في دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيّاً، لرجوت أن يُذهب حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى.

(1) تفسير الماوردي ج 5 ص 201.

فأمر سليمان الشياطين فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً. فمثلوا لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه، إلا أنه لا روح فيه! فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقمصته وعمّته، وردّته بمثل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك آصف بن برخيا. وكان صديقاً [وقيل هو ابن خالة سليمان عليه السلام]. وكان لا يرد عن سليمان أى ساعة أراد، فأتاه فقال: يا نبي الله، إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة. فقال: في دارى؟ فقال: في دارك. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد علمت أنك ما قلت الذى قلت إلا عن شيء بلغك. ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائها. ثم أمر بثياب الطهرة فأتى بها، وهى ثياب لا يغزها إلا الأبكار ولم تمسها امرأة رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، [وأتى] رماد وتمعك فيه تذللًا لله سبحانه وتضرعاً إليه، تائباً إلى الله عز وجل، يبكى ويدعو ويستغفر ممّا كان في داره، ويقول فيما يقول: رب ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرّوا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك. فلم يزل كذلك يومه ذلك حتى أُمسى، ثم يرجع إلى داره. وكانت أم ولد له يقال لها: الأمينة، كان إذا دخل مذهبه أو أراد إصابه امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يلبس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه ثم دخل مذهبه، فأتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه: صخر، على صورة سليمان لا ينكر منه شيئاً. فقال: يا أمينة خاتمي؟ فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة، وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رأى فقال: يا أمينة خاتمي؟ فقالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود. فقالت: لست

بسليمان، وقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سريريه في ملكه. فعرف سليمان أن [ذنب] خطيئته قد أدركه، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داوود. فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون أى شىء يقول، يزعم أنه سليمان بن داوود! فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكته بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها فمكث بذلك أربعين صباحاً، عدة ما كان عُبِدَ ذلك الوثن في داره، فأنكر آصف وعظماء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين اليوم. فلما قضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ثم مرَّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فبلعته سمكة وأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشى أعطاه سمكته وأعطى السمكة التى أخذت الخاتم، وخرج سليمان بسمكته فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه فجعله فى يده، ووقع ساجداً [ودعى وقال: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } (1).. وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه، وعرف الذى كان دخل عليه فى داره وأمر الشياطين فقال: اتنوني بصخر. فطلب له حتى أخذ فأتى به، فجاء له بصخرة فأدخله فيها، ثم أوثقها بالرصاص والحديد، [وختم عليه بخاتمه حتى لا يستطيع الفكاك منها] ثم أمر به فقذف فى البحر. [والله أعلم بحقيقة الأمر]..

552- وروى أن سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورة: لم تمنعين نفسك مني؟

ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقارى، فألقيتها فى البحر! فتبسم سليمان عليه السلام من كلامه،

(1) سورة ص آية 35 .

ثم دعا بهما، وقال للعصفور: ألتطيق أن تفعل ذلك؟ فقال: يا رسول الله لا، ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته، والمحِب لا يلام على ما يقول.

فقال سليمان للعصفورة: لم تمنعني من نفسك وهو يحبك؟

فقالت: يا نبي الله إنه ليس محباً، ولكنه مدَّعٍ. لأنه يحب معي غيري.

فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاء شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحَبته وأن لا يخالطها بمحبة غيره ⁽¹⁾..

* * *

بكاء نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام:

553- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثمانى حجج، فنظر إلى عباد بيت المقدس، قد لبسوا مدارع الشعر وبرانس الصوف، ونظر إلى مجتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل، وشدوها إلى حنايا بيت المقدس فهاله ذلك؛ فرجع فمر بصبيان يلعبون فقالوا: يا يحيى هلم فلنلعب؟ قال: إني لم أخلق للعب، فذلك قول الله تعالى { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } ⁽²⁾.. فأتى أبويه فسألها أن يُدِّرعاه الشعر، ففعلا، ثم رجع إلى بيت المقدس فكان يخدمه نهاراً ويصيح فيه ليلاً، حتى أتت له خمس عشرة سنة وأتاه الخوف، فساح ولزم أطراف الأرض وغيران الشعب..

554- وقيل: إنه نبي وهو صغير وكان يعظ الناس، ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم يدعوهم إلى الله تعالى، ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس. ولما بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل أمره أن يأمرهم بخمس خصال، يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا

(1) من أراد الوقوف على حوار سليمان عليه السلام مع الطير، فليرجع لكتابي جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل في الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان.

(2) سورة مريم آية 12.

بهن، وضرب لكل خصلة منها مثلاً. فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعده على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل أمرنى بخمس كلمات، أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن:

أولهن: أمرهم أن يعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئاً. وقال: فإن مثل ذلك، مثل من اشترى عبداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له، ودفع لهم مالاً يتجرون فيه، ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه، ويؤدون إليه فضل الربح فعمد العبيد إلى فضل الربح فدفعوه إلى غير سيدهم.

وأمرهم بالصلاة وقال: إن مثل المصلى كمثلى رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه لسمع مقالته ويقضى حاجته، فلما دخل الرجل التفت يميناً وشمالاً ولم يهم بحاجته، فأعرض الملك عنه بوجهه ولم يقض حاجته. إن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت، فإن صليتم فلا تلتفتوا.

وأمرهم بالصدقة وقال: فإن مثل ذلك كمثلى رجل أسره العدو، فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفندى نفسى منكم؟ فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم، فجعل يعمل فى بلادهم، ويؤدى إليهم من كسبه القليل والكثير حتى وقى ثمنه فأعتق.

وأمرهم بذكر الله عز وجل كثيراً: وقال: مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو، فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر العدو عليهم، كذلك من ذكر الله عز وجل لا يقدر عليه الشيطان، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله عز وجل.

وأمرهم بالصيام: فإن مثل ذلك كمثلى رجل معه صرة من مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك..

555. وروى أنه خرج أبواه في طلبه، فوجداه حين نزلا من جبال التّيه على بُحيرة الأردن وقد قعد على شفير البُحيرة وأنقع قدميه في الماء، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك لا أفوق باردَ الشراب حتى أعلم أين مكاني منك؟ فسأله أبواه أن يأكل قُرصاً كان معهما من شعير، ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه، فمدح بالبر، قال الله عز وجل { وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا }⁽¹⁾.. ورده أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام في صلاته بكى، ويبكى زكريا لبكائه حتى يُغمى عليه، فلم يزل كذلك حتى [خرقت] دموعه لحمَ خديّه وبدت أضرأسه فقالت له أمه: يا يحيى، لو أذنت لى لاتخذت لك لبدًا ليوارى أضراسك عن الناظرين. قال: أنتِ وذالك، فعمدت إلى قطعتي لبودٍ فألصقتها على خديّه، فكان إذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين، فتقومُ إليه أمُّه فتعصرهُما بيديها، فكان إذا نظر إلى دموعه تجرى على ذراعى أمِّه قال: اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين..

556. عن وهيب قال: كان ليحيى بن زكريا عليهما السلام خطان في خديه من البكاء فقال له أبوه زكريا عليه السلام: إني إنما سألت الله عز وجل ولدا تقر به عيني. فقال: يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء [فبكيا جميعا]..

557. وفي الحديث المأثور: أن عيسى عليه السلام كان يبكى ويضحك، وكان يحيى عليه السلام يبكى ولا يضحك، فكان خيرهما المسيح..

558. وعن طريق عبد الله بن عمرو عن النبى عليه السلام أنه قال: كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب، إلا ما كان من يحيى بن زكريا.

وقال قتادة: إن يحيى عليه السلام لم يعص الله قط بصغيرة ولا بكبيرة ولا همَّ بامرأة..

559. وقد ذكروا أن يحيى عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس، وكان يأنس إلى

البرارى ويأكل من ورق الأشجار، ويرد ماء الأنهار ويقول: من أنعم منك يا يحيى!

(1) سورة مريم آية 14.

وعن ابن شهاب قال: جلست يوماً إلى إدريس الخولاني وهو يقص فقال: ألا أخبركم بمن كان أطيّب الناس طعاماً؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: إن يحيى بن زكريا كان أطيّب الناس طعاماً؟ إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معاشهم.

وروى ابن عساكر عنه أنه قال: إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم، فكذا ينبغي للصديقين أن لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل، ثم قال: كم بين النعيمين وكم بينهما..

560. وقال مجاهد: كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان للدمع في خديه مجارٍ ثابتة.

وقال: كان يحيى بن زكريا ليبكى من خشية الله، حتى لو كان القار على عينيه لخرقه!!
561. وقال بعض العلماء: أبغض الأشياء إلى الله عز وجل بطن ملء، ولو من حلال. وقد روينا معناه مسنداً، وفي الخبر الإسرائيلي أن يحيى عليه السلام ظهر له إبليس، فرأى عليه معاليق من ألوان الأصباغ من كل شيء، فقال له: ما هذه المعاليق؟ قال: شهوات بني آدم قال: فهل لى فيها شيء؟ قال: ربما شبعت فتقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا، قال: لله تبارك وتعالى على أن لا أمتأ بطنى من طعام أبداً، قال إبليس: والله على أن لا أنصح مسلماً أبداً..

* * *

بكاء نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام:

562. عن سلمان الفارسي أنه قال: والله ما اتبع عيسى عليه السلام: شيئاً من المآذى قط، ولا انتهر شيئاً، ولا قهقهه ضحكاً، ولا عتب. ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة، لبس صوفاً وبكى..

563. كان من المعجزات العظيمة [نزول المائدة على نبي الله عيسى عليه السلام بجانب ما خصه سبحانه من المعجزات] وسبب ذلك، أن الحواريين قالوا له: يا عيسى، هل يستطيع

ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ فدعا عيسى فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا. ويبكى خوفا للشروط التي اتخذ الله عليهم فيها، أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، وهو يدعو الله في مكانه ويقول: إلهي اجعلها رحمة، إلهي لا تجعلها عذابا، إلهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني، إلهي اجعلنا لك شاكرين، إلهي أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبا وزجرا، إلهي اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها فتنة ومثلة، فما زال يدعو بذلك حتى استقرت السفرة بين يديه ﷺ عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفذ، فقال لهم: إنها مقيمة ما لم تدخروا منها، فما مضى يومهم حتى ادخروا.

وقيل: أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم. وقيل: كان عليها من ثمار الجنة تمد بكل طعام إلا اللحم. وقيل: كانت سمكة فيها طعم كل شيء، فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت قالوا: نشهد أنك رسول الله، ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك. فكذب به من لم يشهدها وقالوا: سحر أعينكم فافتتن بعضهم وكفر، فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي، فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

وقيل: كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة [مغطاة بغطاء] وهم ينظرون إليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة. واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحها.

فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال المسيح: لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، إنما هو شيء خلقه الله بقدرته، فقال لهم: كلوا مما سألتهم، فقالوا له: كل أنت يا روح الله، فقال: معاذ الله أن أكل منها، فلم يأكل ولم يأكلوا منها [وهم السائلين المطالبين عيسى بها !!]، فدعا ﷺ المرضى والزماني والفقراء فأكلوا

منها وهم ألف وثلاثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص، فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء ثم صعدت وهم ينظرون إليها حتى توارت. وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها! وقيل: إنها نزلت أربعين يوما، كانت تنزل يوما وتنقطع يوما، وأمر الله عيسى أن يدعو إليها الفقراء دون الأغنياء، ففعل ذلك، فاشتد على الأغنياء وجحدوا نزولها وشككوا غيرهم فيها، [حتى من أكل منها !!]، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني شرطت أن أعذب المكذبين عذابا لا أعذب به أحدا من العالمين. فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا فأصبحوا خنازير. [وهم ينظرون إليهم]. فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا، وبكى عيسى عليه السلام على المسوخين، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطاقوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرُونَ على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا..

564. وفي قول آخر: فقال: كلوا مما سألتكم واذكروا اسم الله عليه واحمدوا إلهكم واشكروه يزدكم، فإنه القادر على ما يشاء إذا شاء. فقال الحواريون: يا روح الله، كن أنت أول من يأكل منها ثم نأكل منها؟ فقال عيسى: معاذ الله بل يأكل منها الذى سألتها وطلبها. وفرق الحواريون أن يكون نزولها سخطة ومثلة فلم يأكلوا منها، فدعا عيسى لها أهل الفاقة والزمانة من العميان والمجذومين والمجانين والمخبلين وهذا الضرب من أنواع البلاء من الناس فقال: كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم وآية من ربكم فليكن مهناتها لكم وبلاؤها لغيركم فأكلوا فصدر عن تلك السمكة والطعام ألف وثلاثمائة من بين رجل وامرأة شبعا يتجشأون من بين فقير جائع وزمن، ثم نظر عيسى إلى السفرة فإذا كهيئتها حين نزلت من السماء لم ينقص منها شيء، ثم رفعت إلى السماء وهم ينظرون إليها صاعدة وينظرون إلى ظلها حتى توارت، فاستغنى كل فقير أكل منها حتى مات. وبرأ كل مبتلى يومئذ فلم يزل صحيحا غنيا حتى مات. وندم الحواريون وندم سائر الناس [الذين لم

يأكلوا منها] ندامة شابت حواجبهم وأشفار أعينهم، فكانت إذا نزلت بعد ذلك أقبلوا إليها من كل مكان يسعون يزاحم بعضهم بعضا الأغنياء والفقراء والرجال والنساء والصغار والكبار وكل صغير ضعيف ومريض يركب بعضهم بعضا، حتى جعلها عيسى نوائب فيما بينهم، ثم كانت تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقاة ثمود ترعى يوما وترد يوما، فلبثوا بذلك أربعين صباحا، فلا تزال موضوعة يؤكل منها فإذا فاء الفيء ارتفعت صاعدة إلى السماء.

ثم أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي لليتامى والزمنى والفقراء دون الأغنياء. فتعاضم ذلك عند الأغنياء وأذاعوا القبيح وارتابوا وشكوا فيها ووقعت الفتنة في قلوب المرتابين حتى قال قائلهم: يا روح الله وكلمته ان المائدة بحق أنها تنزل من عند ربنا؟! ربناء!

فقال عيسى: ويلكم هلكتم العذاب نازل بكم إلا أن يعفو الله ويرحمكم، فأوحى الله إلى عيسى أني آخذهم بالشرط الذي اشترطت، أني معذب منهم من كفر بعد نزولها بعذاب لا أعذبه أحدا من العالمين. فقال عيسى عليه السلام: { إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }⁽¹⁾..

وأخبرهم بنزول العذاب عليهم، فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا خنازير، وأصبح من بقى [من الناس] خائفين من عقوبة الله، وعيسى يبكي ويتضرع، وأهلوههم يكون معه عليهم، وجاءت الخنازير تسعى إلى عيسى حين أبصرته، فطفقوا وعيسى يدعوهم، يا فلان ويا فلان؟ فيقول برأسه نعم، فيقول: ألم أنذركم عقوبة الله؟ فيقولون برؤوسهم أى نعم، وأحذركم وأخوفكم عذابه وكأنى كنت أنظر إليكم فى غير صوركم.

(1) سورة المائدة آية 118.

فذلك قوله تعالى { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } ⁽¹⁾ .. وأنزل الله على نبيه [محمد] ﷺ { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ } ⁽²⁾ .. ثم إن عيسى سأل ربه أن يميتهم، فأماتهم بعد ثلاثة أيام فما رأى أحد من الناس لهم جيفة في الأرض لأن العقوبة إذا نزلت من الله استأصلت. فنعوذ بالله من غضبه. آمين..

565. قال وهب بن منبه رحمته الله: خرج عيسى عليه السلام يوماً مع جماعة من أصحابه، فلما ارتفع النهار، مروا بزرع قد أمكن من الفك فقالوا: يا رسول الله إنا جياع. فأوحى الله تعالى إليه أن ائذن لهم في قوتهم، فأذن لهم، فافترقوا في الزرع يفركون ويأكلون، فبينما هم كذلك، إذ جاء صاحب الزرع وهو يقول: زرعى وأرضى ورثته عن آبائى، يا ذن من تأكلون يا هؤلاء؟ فدعا عيسى ربه، فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الأرض، من لدن آدم إلى ساعته، فإذا عند كل سنبله ما شاء الله رجل أو امرأة كل ينادى زرعى وأرضى ورثته عن آبائى ففزع الرجل منهم، وكان قد بلغه أمر عيسى وهو لا يعرفه، فلما عرفه قال: معذرة إليك يا رسول الله إنى لم أعرفك، زرعى ومالى لك حلال. فبكى عيسى عليه السلام وقال: ويحك، هؤلاء كلهم قد ورثوا الأرض وعمروها، ثم ارتحلوا عنها، وأنت مرتحل عنها وبهم لاحق، ليس لك أرض ولا مال..

وروى في الإسرائيليات: أن عيسى ابن مريم عليهما السلام بينا هو في بعض سياحته إذ مر بجمجمة نخرة، فأمرها أن تتكلم، فقالت: يا روح الله، أنا بلوام بن حفص ملك اليمن، عشت ألف سنة، وولد لى ألف ذكر، وافتضضت ألف بكر، وهزمت ألف عسكر، وقتلت ألف جبار وافتتحت ألف مدينة، فمن رآنى فلا يغتر بالدنيا، فما كانت إلا كحلم نائم. فبكى عيسى عليه السلام..

(1) سورة المائدة آية 78.

(2) سورة الرعد آية 6.

566. عن ابن عباس قال: خرج عيسى ابن مريم يستسقى بالناس، فأوحى الله إليه لا يستسقى معك خطاء، فأخبرهم بذلك فقال: من كان من أهل الخطايا فليعتزل، فاعتزل الناس كلهم إلا رجل مصاب بعينه اليمنى، فقال له عيسى: ما لك لا تعتزل؟ قال: يا روح الله، ما عصيت الله طرفة عين، ولقد التفت فنظرت بعيني هذه إلى قدم امرأة من غير أن كنت أردت النظر إليها فقلعتها، ولو نظرت إليها باليسرى لقلعتها!! فبكى عيسى حتى ابتلت لحيته بدموعه ثم قال: ادع فأنت أحق بالدعاء مني، فإني معصوم بالوحي، وأنت لم تعصم. فتقدم الرجل ورفع يديه وقال: اللهم إنك خلقتنا وقد علمت ما نعمل من قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك ذلك أن تخلقنا فكما خلقتنا وتكفلت بأرزاقنا، فأرسل السماء علينا مدرارا..

567. وقيل: مر عيسى عليه السلام بقرية فنادى أهلها، فإذا هو بنسر قائم على فئائها، فقال له عيسى عليه السلام: كم لك في هذه القرية؟ فقال: خمسمائة عام، فقال: هل رأيت أحداً فيها؟ فقال: لا يا روح الله. فنادى عيسى عليه السلام: يا أرض، أين أهلك وأصحابك وسكانك؟ فأمرها الله تعالى أن تحييه وتكلمه، فقالت: قطعتم من منازلهم آجالهم، وأحاطت بهم أعمالهم، وصارت ذنوبهم قلائد في أعناقهم، ووقفت أرواحهم بين يدي الخلاق، فلحومهم فانية، وعظامهم بالية فإما إلى جنة عالية، وإما إلى نار حامية. فبكى عيسى عليه السلام وبكى أصحابه وقال: هذه عاقبة الدنيا، فالويل لمن ركن إليها..

568. عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: مرّ عيسى عليه السلام على مدينة خربة، فأعجبه البنيان فقال: أي رب مر هذه المدينة أن تحييني. فأوحى الله إلى المدينة: أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى. فنادت المدينة: عيسى وما تريد مني؟ قال: ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك؟ قالت: جاء وعد ربك الحق، فبيست أشجارى وجفّت أنهارى وخربت قصورى ومات سكانى. قال: فأين أموالهم؟ فقالت: [التي] جمعوها من الحلال والحرام؟ موضوعة في بطني، لله ميراث السماوات والأرض.

فنادى عيسى عليه السلام : تعجبت من ثلاث أناس :

طالب الدنيا والموت يطلبه . وبانى القصور والقبر منزله . ومن يضحك ملء فيه
والنار أمامه !

ابن آدم : لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لا يحمذك ، وتقدم على
رب لا يعذرک ، إنما أنت عبدٌ بطنك وشهوتك ، وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك ، وأنت يا
ابن آدم ترى حشد مالك فى ميزان غيرك ..

569. وقيل : مكث عيسى عليه السلام يناجى ربه ستين صباحا ، لم يخطر على قلبه أكل الخبز
ثم خطر له ذلك فانقطعت عنه المناجاة ، فبكى عيسى ، وإذ بشيخ قد أقبل فقال له عيسى :
ادع الله لى ، فإنى كنت على حالة فانقطعت عنى لما خطر ببالى أكل الخبز . فقال الشيخ :
اللهم إن كان خطر ببالى أكل الخبز منذ عرفتك فلا تغفر له !

570. قال الحسن : أوحى الله إلى عيسى ابن مريم عليه السلام : أكحل عينيك بالبكاء إذا
رأيت الباطلين يضحكون ..

571. وعن عيسى عليه السلام : يا ابن آدم الضعيف ، اتق الله حيثما كنت وكن فى الدنيا
ضيفاً واتخذ المساجد بيتاً ، وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكير ، ولا تهتم
برزق غد فإنها خطيئة ..

572. حدثنا جعفر بن بلقان : أن عيسى كان يقول : اللهم إنى أصبحت لا أستطيع
دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيرى ، وأصبحت مرتهاً بعملى ،
فلا فقير أفقر منى . اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تُسئ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى
دينى ولا تسلط على من لا يرحمنى ..

573. وقد روينا عن عيسى عليه السلام [وقد] قيل له : من أشد الناس فتنة ؟
فقال : زلة عالم إذا زل ، زلٌ بزله عالم .. [هذا قوله عليه السلام : فى زلة العالم إذا زل أى إذا
جانبه الصواب ، فليته عليه السلام ذكر لنا شيئاً عن العالم إذا نافق بعلمه ليرتقى فى الدنيا] ..

574. وفي الإنجيل أن عيسى عليه السلام بكى فقال: رب، إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد فاصرفها عني⁽¹⁾..

* * *

بكاء نبي الله ورسوله محمد عليه السلام:

575. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: اشتكى سعد بن عباد شكاوى له، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشيته فقال: قد قضى؟ فقالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ. فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، وقال: ألا تسمعون، إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم⁽²⁾..

576. عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ بكى وبكى أصحابه حين توفي سعد بن معاذ، قالت: وكان النبي ﷺ إذا اشتد وجده فإنما هو آخذ بلحيته، قالت عائشة: وكنت أعرف بكاء أبي من بكاء عمر⁽³⁾..

577. عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قبل عثمان ابن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناها تهراقان⁽⁴⁾..

578. وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف:

(1) من أراد التوسع في أخبار نبي الله عيسى عليه السلام فعليه الرجوع إلى كتابي: سيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حكمه ونصائحه ووصاياه. فلقد جمعت له عليه السلام من الحكم والأقوال ما يبهّر العقل.

(2) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ج 3 ص 10.

(3) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج 13 ص 178 رقم 37093.

(4) الشمايل المحمدية والخصائل المصطفوية ج 1 ص 636 رقم 327.

وأنت يا رسول الله؟! قال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون⁽¹⁾..

579- عن ابن عباس قال: أخذ رسول الله ﷺ ابنة له تقضى فاحتضنها فوضعها بين يديه فماتت وهى بين يديه، وصاحت أم أيمن، فقال النبي ﷺ: أتبكين عند رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألسأ أراك تبكى، قال: إني لست أبكى إنما هى رحمة. إن المؤمن بكل خير على كل حال. إن نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل⁽²⁾..

580- عن البراء بن عازب قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ يده فى يدي، فرأى جنازة فأسرع المشى حتى أتى القبر ثم جثى على ركبتيه فجعل يبكى حتى بل الثرى، ثم قال: { لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ }⁽³⁾..

581- وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: استقبل النبي ﷺ الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكى طويلاً، فالتفت فإذا بعمر يبكى، فقال: يا عمر، ههنا تسكب العبرات⁽⁴⁾..

582- عن [أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها وأرضاها]: أن رسول الله ﷺ قال: هل لك يا عائشة أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى؟ فقلت: يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هوائك، قد أذنت لك، فقام إلى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء، ثم قام يصلى فقرأ من القرآن، وجعل يبكى حتى بلغت الدموع حقويه، ثم جلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وجعل يبكى، ثم رفع يديه يبكى حتى رأيت دموعه قد بليت الأرض. فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له: يا رسول الله أتبكى، وقد

(1) الكبائر ج 1 ص 185.

(2) الشرائع المحمدية والخصائل المصطفوية ج 1 ص 636 رقم 326.

(3) سورة الصافات آية 61. فتح القدير ج 4 ص 398.

(4) الدر المشورج 1 ص 325.

غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: يا بلال، أفلا أكون عبدا شكورا. ثم قال: وما لي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى عليّ في هذه الليلة { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }⁽¹⁾.. ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها. وروى: ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها⁽²⁾..

582. عن عبد الله بن الشخير قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. وفي كتاب أبي داود: وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء⁽³⁾..

584. عن عبد الله بن مسعود قال لى رسول الله ﷺ: اقرأ علي. قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا }⁽⁴⁾.. قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان⁽⁵⁾..، وقال بدل قوله: أمسك: وغمزني رجل إلى جانبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل. قال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلاع وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدا. والإشارة بقوله: على هؤلاء إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار، وإنما خص كفار قريش بالذكر لأن وظيفة العذاب أشد عليهم منها على غيرهم [لرؤيتهم النبي و] لعنادهم عند رؤية المعجزات وما أظهره الله على يديه من خوارق العادات. والمعنى فكيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة، إذا جئنا من كل أمة بشهيد

(1) سورة آل عمران آية 190.

(2) تفسير أبي السعود ج 2 ص 128.

(3) [رواه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب البكاء في الصلاة 1 / 238 رقم 904].

(4) سورة النساء آية 41.

(5) أخرجه مسلم.

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا، أمعدين أم منعمين وهذا استفهام معناه التوبيخ. وقيل: الإشارة إلى جميع أمته. [وهذا ما نرجحه] ⁽¹⁾..

585. [وفي قول آخر] عن خالد بن يسار قال: لما قرأها ابن أم عبد على النبي ﷺ بكى فاشتد بكاؤه ثم قام مغطيا رأسه حتى دخل بيته ⁽²⁾..

586. حدثنا محمد بن فضالة الأنصاري قال: كان أبي ممن صحب النبي ﷺ وإن النبي أتى بنى ظفر فجلس على الصخرة، ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه، فأمر النبي ﷺ قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً } ⁽³⁾.. فبكى رسول الله ﷺ حتى ضرب بلحيته وجنبه، فقال: يا رب، هذا شهدت على من أنا بين أظهرهم، فكيف بمن لم أراه ⁽⁴⁾..

587. [وفي قول آخر] روى أن النبي ﷺ قرأ ذات ليلة في تهجده سورة النساء، حتى إذا بلغ إلى قوله (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً) فبكى حتى علا نحيبه، ولم يزل يرددّها حتى تحزن صوته ⁽⁵⁾..

588. عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل وقال عيسى عليه السلام { إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ⁽⁶⁾.. فرفع يديه وقال: اللهم أمتى أمتى، وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بها قال:

(1) تفسير القرطبي ج 5 ص 197.

(2) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 37 رقم 111.

(3) سورة النساء آية 41.

(4) تفسير ابن كثير ج 1 ص 499.

(5) الحاوي الكبير ج 17 ص 197.

(6) سورة المائدة آية 118.

وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك⁽¹⁾.

589- عن عبدالله بن عمرو قال: انكسفت الشمس يوما على عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ يصلي حتى لم يكد يركع، ثم ركع فلم يكد [أن] يرفع رأسه، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي ويقول: رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك، فلما صلى ركعتين انجلت الشمس فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله تعالى⁽²⁾..

590- عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تنسوا العظيمنتين. قلنا: يا رسول الله وما العظيمنتان؟ قال ﷺ: الجنة والنار، فذكر ما ذكر حتى بكى إلى أن جرى الدمع أو بَلَّ الدمع جانبي لحيته ﷺ ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لو تعلمون من الأمر ما أعلم لمشيتم إلى الصعيد فحثيتم على رؤوسكم التراب⁽³⁾..

591- وقيل: أما بكاءه ﷺ فكان من جنس ضحكته، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكته بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملًا ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاءه تارة رحمة للميت، وتارة خوفا على أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال لمصاحب للخوف والخشية..

(1) رواه مسلم (202).. تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1254 رقم 7058.

(2) الشرائع المحمدية والخصائل المصطفوية ج 1 ص 636 رقم 325.

(3) المطالب العالمة ج 13 ص 746 رقم 3318.

592. وفي بعض الآثار: إن الله ليستحي أن يعذب ذا شيبة في الإسلام، ثم بكى الرسول ﷺ فقيل له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: أبكى ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله.. رواه البيهقي من حديث أنس مرفوعاً بلفظ يقول الله { إني لأستحي من عبدى وأمتي يشيان في الإسلام ثم أعذبهما }⁽¹⁾..

593. وروى أنّ وفداً قدموا على النبي ﷺ، فقرأ عليهم القرآن، ثم بكى، فقالوا: أمن خوف الذي بعثك تبكى؟ قال: نعم، إني قد بعثت على طريق مثل حد السيف، إن استقمت نجوت وإن زغت عنه هلكت⁽²⁾..

594. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: خوفني جبريل ﷺ من أهوال يوم القيامة حتى أبكاني، فقلت له: حبيبي جبريل، أليس قد غفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر؟ فقال: يا محمد، لتشاهدن من الأهوال يوم القيامة ما ينسيك المغفرة. فبكى رسول الله ﷺ حتى بلت دموعه لحيته. فإذا كان رسول الله ﷺ، يبكي من هول يوم الحساب وقد أمنه الجبار من العذاب ووعد بالجنة وحسن المآب، فكيف بأمثالنا المساكين، وكيف بمن ترك الحق والصواب وخالف السنة والكتاب وأطاع الشيطان، وأفنى عمره في معصية الملك الوهاب⁽³⁾..

595. قال المفسرون: لما نزلت آية { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ }⁽⁴⁾.. قال رسول الله ﷺ: ليتنى أعلم متى يكون ذلك؟ فأنزل الله تعالى سورة النصر، فكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة يسكت من التكبير والقراءة فيقول فيها: سبحان الله وبحمده أستغفر

(1) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ورواه أحمد في الزهد. غداء الألباب شرح منظومة الآداب ج 1 ص 329.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج 8 ص 294.

(3) بستان الواعظين ج 1 ص 36.

(4) سورة الزمر آية 30.

الله وأتوب إليه، فقيل: إنك لم تكن تقوله يا رسول الله قبل هذا؟ قال: إنها نفسى نعت إلى، ثم بكى بكاء شديداً، فقيل: يا رسول الله أو تبكى من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: فأين هول المطلع. فأين ضيق القبر وظلمة اللحد. فأين القيامة والأهوال؟ فعاش رسول الله ﷺ [بعدها] ستة أشهر. ثم لما خرج رسول الله ﷺ إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق { يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُفْتِيكَمُ فِي الْكَلَالَةِ }⁽¹⁾.. إلى آخرها فسمي آية الصيف. ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }⁽²⁾.. فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً. ثم نزلت عليه آيات الربا. ثم نزلت بعدها { وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ }⁽³⁾.. وهى آخر آية نزلت من السماء، فعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً⁽⁴⁾..

596- قيل: إن رسول الله ﷺ أتاه ملك الموت ليقبض روحه الزكية، فبكى ﷺ. فقال له ملك الموت: أتبكى وأنت راجع إلى ربك؟ فقال: أبكى على ليلى الشتاء وأيام الصيف، الأخيار يقومون ويصومون ويتلذذون بوصاله ومناجاته وأنا فى القبر ميت. فأوحى الله تعالى إليه: أنت عندى بهذه المنزلة. وخيره بين الحياة والمات، فاختر الرفيق الأعلى ﷺ⁽⁵⁾..

* * *

(1) سورة النساء آية 176.

(2) سورة المائدة آية 3.

(3) سورة البقرة آية 281.

(4) تفسير الثعالبي ج 2 ص 165.

(5) الزهر الفائح ج 1 ص 131.

الباب السابع

ما جاء فى من قرأ أو تذكر أو استمع للقرآن الكريم أو وعظ ففاضت عيناه

وهو مكون من ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: معنى البكاء والدموع والفيض.
- الفصل الثانى: تعدد أنواع البكاء.
- الفصل الثالث: قصص البكاء وأخبار البكائين.

* * *

الفصل الأول

معنى البكاء والدموع والفيض

البكاء لغة:

597. بَكَى يبكى بُكَاءً وَبُكْيً؛ قال الأصمعي: بَكَيتَ الرجلَ وَبُكَيْتُهُ، كلاهما إذا بَكَيتَ عليه وَأَبَكَيْتَهُ إذا صنعتَ به ما يُبْكِيهِ؛ واستَبَكَيْتُهُ وَأَبَكَيْتُهُ بمعنى. وقال ابن الأعرابي: التَّبْكَاءُ، كثرة البكاء؛ وبَاكَيْتُ فلاناً فَبَكَيْتُهُ إذا كنتَ أَكْثَرَ بُكَاءً منه. وتَبَاكَى: تَكَلَّفَ البُكَاءَ. والبَكَى: الكثير البُكَاءَ. وَأَبَكَى الرجلَ: صَنَعَ به ما يُبْكِيهِ. وَبَكَاهُ على الفَقِيدِ: هَيَّجَهُ للبكاء عليه ودعاه إليه. وَبَكَاهُ بُكَاءً وَبَكَاهُ، كلاهما: بَكَى عليه ورثاه. وقيل: البُكَاءُ يقصر ويمد؛ قال الفراء وغيره: إذا مَدَدْتَ أَرَدْتَ الصوت الذي يكون مع البكاء وإذا قَصَرْتَ أَرَدْتَ الدموع وخروجها. وقال الخليل: من قصره ذهب به إلى معنى الحزن ومن مدّه ذهب به إلى معنى الصوت..

598. وقيل: البكاء بالقصر دمع العين من غير صوت، والممدود ما كان معه صوت، وأما التباكى فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم:

فالأول: ما يكون لاستجلاب رقة القلب [ولخشية الله، لا للرياء والسمعة] وهو المراد بقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر يبكيا في شأن أسارى بدر: أخبرني ما يبكيك يا رسول الله؟ فإن وجدت بكاء، (أى سببا للبكاء) بكيت وإلا تباكيت؟ ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.. والثانى: ما يكون لأجل الرياء والسمعة [أى للنفاق مُرَاءَةً لِلنَّاسِ]..

(1) [أخرجه مسلم في صحيحه 1763 ضمن حديث مطول في الجهاد].

تعريف البكاء:

يقول هلال العيسى: البكاء هو قطرات خفيفة الملوحة تنزل من مجرى بالحنون يصب إلى سطح العين، وهى ناتجة فى الغالب عن رقة تعترى القلب نتيجة خشية أو خوف أو شفقة أو رحمة أو شوق حب وحزن، تفتعل على أثره النفس وتتفاعل به فتنهمر الدموع، وهى فى الغالب دليل مرافقة للحزن إن صاحبها أصوات وتنهلات، وإلا كانت بسمة مع دمة بدون تهدج للصدور. وكذلك قد تكون تعبيراً عن حاجة إنسانية يلجأ إليها الإنسان بطبيعته عندما تكتنفه بعض صعوبات الحياة وآلامها ويسلم بضغفة وقلة حيلته وهوانه، فلا يملك إزاءها حولاً ولا قوة تعينه على الفرار منها فى اللحظات الحرجة، فيبكى ويتنفس عبر البكاء، وعندما يصل إلى هذه المرحلة ويعلم بأن الله هو الوحيد القادر على نصرته يلجأ إليه..

599. الدمعة لغة:

الدَّمْع ماء العين، والجمع أَدْمَعٌ ودُمُوعٌ، والقَطْرَةُ منه دَمْعَةٌ. ودَمَعَتِ العينُ ودَمِعَتْ تَدْمَعُ، فيهما، دَمْعاً ودَمْعَاناً ودُمُوعاً، وقيل: دَمِعَتْ دَمْعاً، وامرأةٌ دَمِعةٌ: سريعة البكاء كثيرة دمع العين. وقال الكسائى وأبوزيد: دَمَعَتْ، وعين دَمُوع: كثيرة الدَّمْعَة أو سريعتهما. والمدامِيعُ: المآقى وهى أطراف العين. والمدَمَعُ: مَسِيل الدمع. قال الأزهري: والمدَمَعُ مُجْتَمِعُ الدَّمْعِ فى نواحي العين، وجمعه مَدَامِيعُ. يقال: فاضت مَدَامِيعُه قال: والمآقِيانِ من المَدَامِيعِ والمؤْخِرانِ كذلك. وقال أبو على فى التذكرة: والدَّمْعُ سمة فى مَدَمَعِ العين خطٌ صغير..

600. والدمعة: هى العبرة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء فى الصدر، والحزن بلا

بكاء والجمع عبرات وعَبَرٌ..

601. فيض الدموع: وفيه وجهان: الأول، المراد أن أعينهم تمتلئ من الدمع حتى

تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء حتى يطلع ما فيه من جوانبه. الثانى، أن يكون المراد

المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها [أى تسيل من الدموع بسبب البكاء]..

602. والبكاء فطرة بشرية كما ذكر أهل التفسير، وفي قوله تبارك وتعالى { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى }⁽¹⁾.. أى قضى أسباب الضحك والبكاء. وقال عطاء: يعنى أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء. والبكاء فعل غريزي لا يملك الإنسان دفعه غالباً فإنه مباح، بشرط ألا يصاحبه ما يدل على التسخط من قضاء الله وقدره، لقول النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعَذِّبُ بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم⁽²⁾..

* * *

(1) سورة النجم آية 43.

(2) البخاري رقم 1242 ومسلم رقم 924.

الفصل الثانى

تعدد أنواع البكاء

603. وعن يزيد بن ميسرة قال: البكاء من سبعة أشياء: من الفرح، والحزن، والفرح، والوجع، والرياء، والشكر، وبكاء من خشية الله فذلك الذى تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار..

604. وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله عشرة أنواع للبكاء:

الأول: بكاء الخوف والخشية. ويكون لما يتوقع فى المستقبل من ذلك.

الثانى: بكاء الرحمة والرفقة.

الثالث: بكاء المحبة والشوق.

الرابع: بكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتماله.

الخامس: بكاء الفرح والسرور. وقيل: إن دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ولهذا

يقال لما يُفرح به: هو "قرة عين" وأقرّ به عينه.

السادس: بكاء الحزن. على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب. [وقيل]:

دمعة الحزن: حارة والقلب حزين. [وقيل] لما يُحزن: هو سخينة العين، وأسخن الله به عينه.

السابع: بكاء الخور والضعف.

الثامن: بكاء النفاق وهو: أن تدمع العين والقلب قاس.

التاسع: البكاء [الكاذب] المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تبيع عبرتها وتبكى شجوا غيرها.

[والبكاء قد يكون دليلاً على صدق من بكى، وقد لا يكون. وقد ورد فى القرآن

الكريم ذكر قصة إخوة يوسف عليه السلام وكيف تباكوا على أخيهم كذباً، فقال تعالى { وَجَاءُوا

أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ }⁽¹⁾ .. وعلى هذا، فإن بكاء أحد المتخاصمين في القضاء، ليس دليلاً على صدق يُعتدُّ أو يؤخذ به]..

العاشر: بكاء الموافقة: فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر عليهم فيبكي معهم ولا يدرى لأى شيء يبكون، يراهم يبكون فيبكي..

[وخلاصة القول: أن أسباب البكاء وإن تعددت، إلا أنها في الحقيقة ترجع إلى أمرين اثنين فقط: هما المسببات للسرور والحزن في الحقيقة أو ما في حكمهما]..

[البكاء الحادى عشر: بكاء الإثم. وهو البكاء على موت كافر، أو طاغية، أو فاسد، أو منافق، أو مجاهر بالمعاصى، أو محارب لله ورسوله، أو حاكم ضعفت دولة الإسلام في عهده أو ضاعت أراضيها، أو عالم مفتى مخادع للمسلمين ليضلهم بعلم ليرتقى في الدنيا، أو مانع لإقامة حدود الله معطل لها]..

وجاء أيضا في أنواع البكاء:

605. ضروب البكاء عشرة وتنشأ من أسباب مختلفة:

بكاء من فجعة النفس: وهو بكاء مصائب النفس يهان ويضرب ويظلم في نفسه وماله فيبكي ويتولد منه صداد الرأس وضعف البصر.

وبكاء الخدعة: وهو بكاء اللصوص يبيكون والسرقة في أحضانهم لا يفارقونها وتورث منه القسوة والمقت.

وبكاء المباحدة: وهو بكاء النساء وهو يورث الفترة.

وبكاء خوف الوعيد: وهو بكاء من آمن بوعيد الله تعالى، فرقَّ قلبه بفجعة النفس وهو يوجب الجنة ونزول الرحمة.

(1) سورة يوسف آية 16.

وبكاء الحزن: وهو من المراقبة وهو أن يعلم أنه لا يكون إلا ما شاء الله تعالى، وقد شخصت آماله نحوه ولا يصل إلى ذلك، فلفقد ما يأمل تأخذه الأحزان، وهذا البكاء يورث نورا في القلب.

وبكاء الفرح: وهو لوجدان ما يأمل ويورث الطمأنينة والثقة وحسن الظن به.
وبكاء الخشية: فمن العلم بالله عز وجل ووجود السبيل إلى القربة، رَقَّ قلبه من الرحمة التي قرب قلبه منها ويورث الخشوع.
وبكاء الشوق: وهو يورث القربة.

وبكاء الحنين: إذا تحنن الله تعالى على عبد وقسم له الحظ من اسمه الحنان فرأفته مظلة عليه تكتنفه وتحوطه فتثير البكاء منه من سابغ الرأفة وهذا البكاء يورث الدنوّ والعطف والشفقة.

وبكاء القبضة: وهو الذي يقال له الدنوّ، فهو الذي أبكاه، قال ﷺ: فيما يذكر عن ربه تعالى أنه قال لموسى عليه السلام: أما البكاؤون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يشاركهم فيه أحد..

606- وقال القاسم: البكاء على وجوه، بكاء الجهال على ما جهلوا، وبكاء العلماء على ما قصرُوا..

607- وليس المراد بالبكاء من خشية الله، بكاء النساء ورقتهن، فتبكي ساعة ثم تترك العمل، وإنما المراد خوف يسكن القلب حتى تدمع منه العين قهرا، ويمنع صاحبه عن مقارفة الذنوب وتحته على ملازمة الطاعات، فهذا هو البكاء المقصود وهذه هي الخشية المطلوبة..

608- وقال خالد بن معدان: ما بكى عبد من خشية الله تعالى، إلا خشعت لذلك جوراحه وكان مكتوبا في الملاء الأعلى باسمه فلان بن فلان منور قلبه بذكر الله تعالى.

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: الباكي من خشية الله تعالى، تهتز له البقاع التي يبكي عندها وتغمره الرحمة ما دام باكيا.

وقال عمر بن ذر رحمه الله تعالى: إن البكاء من خشية الله، يبدل بكل قطرة أو دمة تخرج من عينيه أمثال الجبال من النور في قلبه، ويزاد في قوته من العمل ويطفىئ [الله] بتلك المدامع بحورا من النار.

قال مفضل بن مهمل: إن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى، ملئت جوارحه نورا واستبشرت ببيكائه وتداعت بعضها بعضا من هذا النور، فيقال: هذا غشيكم من نور البكاء. وقال فرقد السبخي: قرأت في بعض الكتب: إن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى، تحانت عنه ذنوبه كيوم ولدته أمه. ولو أن عبدا جاء بجبال الأرض ذنوبا وآثاما لو سعته الرحمة إذا بكى، وإذا بكى على الجنة تشفع له الجنة تقول: يا رب أدخله على كما بكى علي. وإذا بكى خوفا من النار فالنار تستجير له من ربه تقول: يا رب أجره مني [ببيكائه] خوفا من دخولي.

وعن كعب رضي الله عنه قال: من بكى خوفا لله تعالى من ذنب، غفر له ذلك الذنب. ومن بكى اشتياقا إلى الله تعالى أباحه الله تعالى النظر إليه متى شاء.

وقال الله تعالى في بكاء الحزن: { تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا }⁽¹⁾.. وقال في بكاء الفرح: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ }⁽²⁾.. وأما حديث جرير: فقد خاطب عليه السلام العامة والمياسير وقرأ عليهم التكاثر والسؤال عن النعيم وفيه وعيد على أثر وعيد فخوف الوعيد أبكاهم. فقال: من بكى فله الجنة. قال تعالى { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ }⁽³⁾..

(1) سورة التوبة آية 29.

(2) سورة المائدة آية 83.

(3) سورة إبراهيم آية 14.

عن جرير بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: إني قارئ عليكم سورة (الْحَاقُّمُ) فمن بكى
فله الجنة. فقرأ، فمننا من بكى ومننا من لم يبك. فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله
أن نبكى فلم نقدر عليه، فقال: إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر
أن يبكى فليتبأك.

وقوله ﷺ: فليتبأك حتى يلحقه بهم في الثواب. وأما بكاء السابقين وبكاؤهم بكاء
أهل الخشية المشتاقين المحزونين، وبكاء من أبكاه الله تعالى وأضحكه، وهو إذا نظر إلى
جلاله أبكاه، وإذا نظر إلى جماله أضحكه، ومن وراء هذه منزلة أخرى أشرف من هذه
وهي بكاء الدنو، فتلك غمرات القلب، صاحب هذا قلبه منفرد في وحدانيته، فإذا أدناه
أبكاه للركة التي تحمل به، فإذا رجع إلى مرتبته هابه فقلص دمه وانتشفت الهيبة رفته
فيس، فإذا أدناه، رق فبكى فالدنو منه بر لعبده فالبر يرقه ويبكيه..

609. عن ابن عباس عن النبي ﷺ: إن الله تبارك وتعالى، ناجى موسى بمائة وأربعين
ألف كلمة في ثلاثة أيام، فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من
كلام الرب عز وجل. فكان فيما ناجاه أن قال: يا موسى إنه لم يتصنع المتصنعون بمثل
الزهد في الدنيا ولم يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد المتعبدون
بمثل البكاء من خشيتي. فقال موسى: يا رب ويا إله البرية كلها ويا مالك يوم الدين ويا
ذا الجلال والإكرام ماذا أعددت لهم وماذا جزيتهم؟ قال: أما الزاهدون في الدنيا، فإنني
أبيحهم جنتي حتى يتبوؤا فيها حيث شاؤوا. وأما الورعون عما حرمت عليهم فإذا كان
يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعون فإنني أستحيهم
وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب. وأما الباكون من خشيتي فأولئك لهم
الرفيق الأعلى لا يشاركونهم فيه أحد⁽¹⁾..

(1) [الترغيب والترهيب ج 4 ص 116 رقم 5040 رواه الطبراني والأصبهاني].

610. وقال يحيى بن يعقوب في قوله تعالى { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ }⁽¹⁾ ..

قال كثرة البكاء. { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ }⁽²⁾ .. قال: قليل البكاء. { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }⁽³⁾ .. قال: بكاء القلب من غير دموع العين ..

611. وقيل: لم يقع العذاب على البكاء والحزن لثلاثة أشياء:

أحدها: أنه لا عيب إذ لم يخالفان المشروع. والثاني: أنها أثر رقة القلب وتلهفه على فراق المؤلف وهذا أمر مركوز في الطبع. والثالث: أنها لا يملكان ولا يمكن ردهما فلم تقع بهما مؤاخذه [وهذا من رحمة رب العالمين] ..

612. وقال الحسن بن يحيى الخشني: من أراد أن يغزر دموعه ويرق قلبه فليأكل

وليشرّب في نصف بطنه ..

613. عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: لا يبكي عبد فتقطر عيناه من خشية الله

تعالى فيدخله الله عز وجل النار أبداً حتى يعود قطر السماء⁽⁴⁾ ..

614. عن مسلم بن يسار: قال رسول الله ﷺ: ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله

سائر ذلك الجسد على النار. ولا سالت قطرة على خدها فيرهق ذلك الوجه قطرة ولا ذلة. ولو أن باكيًا بكى في أمة من الأمم رحموا. وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة فإنه يطفأ بها بحار من النار. هذا مرسل. وقد روى من قول الحسن البصري: ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله جسدها على النار فإن سالت على خد صاحبها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة أبداً. وليس من عمل إلا [له] وزن وثواب، إلا الدمعة فإنها تطفئ بحورا من

(1) سورة البقرة آية 74.

(2) سورة البقرة آية 74.

(3) سورة البقرة آية 74.

(4) المطالب العالية ج 13 ص 536.

النار. ولو أن رجلاً بكى من خشية الله تعالى في أمة من الأمم لرجوت أن ترحم تلك الأمة ببكاء ذلك الرجل..

615. عن عبد الأعلى التيمي: إن من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن قد أوتي من العلم ما لا ينفعه، لأن الله نعت أهل العلم فقال { وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا }⁽¹⁾..

616. وعن ذادان أبي عمر قال: بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار أعاده الله منها. ومن بكى شوقاً إلى الجنة أسكنه الله إياها..

617. قال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الخطايا كما تحط الريح الورق اليابس.

618. عن زيد بن أرقم: أن رجلاً سأل [حكياً]: بما أتقى النار؟ قال: بدموع، عينيك، فإن عينا بكت من خشية الله لا تأكلها النار..

619. وقيل: المعصية مصيبة، والفقر راحة، والغنى عقوبة، والعقل هدية من الله، والجهالة ضلالة، والظلم ندامة، والطاعة قرة العين، والبكاء من خشية الله النجاة من النار والضحك هلاك البدن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له..

قال هلال العيسى: إذا قلت الخطايا زادت الدموع، وإن كثرت قلت..

620. وقيل: الخشية أخص من الخوف، فهي للعلماء بالله تعالى، فهو خوف مقرون بمعرفة، أي فخشية الله هي خوف عقابه مع تعظيمه بأنه غير ظالم في فعله. بخلاف مطلق الخوف، فإنه يتحقق عند تهديد الظالم له..

621. وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل.

وقال الحسن: العالم من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما يرغب الله وزهد فيما

سخط الله.

(1) سورة الإسراء 109.

وعن ابن مسعود أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم من كثرة الخشية.
قال أحمد بن صالح المصرى: معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وإنما بالعلم
الذى فرض الله عز وجل أن يتبع، وهو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة وأئمة
المسلمين.

وعن أبى حيان التيمى عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة:
عالم بالله وبأمر الله. وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله. وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله.
فالعالم بالله وبأمر الله: الذى يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض.
والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض.
والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذى يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عز وجل..
622. قال أبو سليمان الداراني: لكل شيء علم. وعلم الخذلان: ترك البكاء من
خشية الله فإذا خذل الله العبد سلبه هذه الخصلة المباركة، وصار شقياً قاسى القلب وجامد
العين. فإذا أحببت الله دعاك حبه للبكاء شوقاً له، وإذا خفت منه دعاك خوفه للبكاء من
خشيته وعقابه، وإذا رجوته دعاك رجاؤه للبكاء طمعاً في رضوانه وثوابه..

623. قال أحمد بن الحضرى: سمعت صالحاً المرى يقول: للبكاء دواع بالفكرة في
الذنوب، فإن أجابت على ذلك القلوب، وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال
فإن أجابت، وإلا فاعرض عليها القلب بين أطباق النيران، ثم بكى وغشى عليه وتصايح
الناس..

624. أخرج ابن عساكر عن كعب: إن العبد لا يبكى حتى يبعث إليه ملكاً فيمسح
كبدته بجناحه فإذا مسح كبدته بكى..

625. الحسن [البصرى قال]: إذا بكيت من خشية الله فلا تمسح دموعك، فإنه أنور
لوجهك [وأخشع لقلبك]. وإذا توضأت للصلاة فلا تمسح وضوءك، فإنه أنور لوجهك
إذا قمت بين يدي ربك..

626. أخرج أحمد وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني فلان ابن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول: من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن كره [لقاء] الله [كره] الله لقاءه فأكب القوم يبيكون وقالوا: إنا نكره الموت. قال ﷺ: ليس ذاك، ولكنه إذا حضر { فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ } ⁽¹⁾.. فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله، والله للقاءه أحب { وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَتُزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ } ⁽²⁾.. فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقاءه أكره ⁽³⁾..

627. واعلم أنه لم يكره لقاء الله تعالى لذات اللقاء، إنما كره أن يقدم على الله عز وجل متدنسا بأوضاره ⁽⁴⁾ ثقيل الظهر بأوزاره [أسفا مستحيا مما اطلع الله عليه من أفعاله وتقصيره لا يدرى ما يقول إن سأله تعالى لما فعلت ذلك]. على أن هذا الحديث من كره لقاء الله كره الله لقاءه قد جاء مفسرا. فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، قال رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقلت: يا نبي الله أكرهية الموت فكلنا نكره الموت؟ قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب لقاء الله ⁽⁵⁾..

628. ويروى أنه ما من ميت يموت، إلا ويكلمه ملكاه اللذان يكتبان عمله في الدنيا، فإن كان مطيعا قالوا له: جزاك الله من صاحب خيرا، فرب كلام حسن قد أسمعته وررب مجلس خير قد أجلسته، ورب عمل صالح قد أحضرته، فنحن لك اليوم على ما تحب. وإن كان فاجرا قالوا له: جزاك الله من صاحب شرا، فرب كلام قبيح قد أسمعته

(1) سورة الواقعة آية 89.

(2) سورة الواقعة الآيات 92 / 93.

(3) الدر المنثور ج 8 ص 39.

(4) [الْوَضَرُ: الدَّرَنُ وَوَسَخُ الدِّسَمِ وَغُسَالَةُ السَّقَاءِ وَالْقَصْعَةُ وَنَحْوُهُمَا وَالْمُرَادُ هُنَا الذُّنُوبُ].

(5) العاقبة في ذكر الموت ج 1 ص 30.

ورب مجلس سوء قد أجلسناه، ورب عمل سوء قد أحضرناه. فنحن لك اليوم على ما تكره..

629. عن النبي ﷺ: أنه لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال: يا بنى، القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب، إنا لله وإنا إليه راجعون، يا بنى، قل الله ربى والإسلام دينى، ورسول الله أبى، فبكت الصحابة، وبكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكاء ارتفع له صوته، فالتفت النبي ﷺ فرأى عمر يبكى والصحابة معه فقال: يا عمر ما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله، هذا ولدك وما بلغ الحلم، ولا جرى عليه القلم، ويحتاج إلى ملقن مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت! فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك، أى شيء تكون صورته في مثل هذه الحالة؟ فبكى النبي ﷺ وبكت الصحابة معه، ونزل جبريل وسأل النبي ﷺ عن سبب بكائهم؟

فذكر النبي ﷺ ما قاله عمر، وما ورد عليهم من قوله ﷺ، فصعد جبريل ونزل وقال: ربك يقرئك السلام ويقول {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (1).. يريد بذلك وقت الموت وعند السؤال في القبر، فتلا النبي ﷺ عليهم الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا الله تعالى..

630. عن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت ف قيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب الله قال الله عز وجل، {وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (2).. فإننى أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أكن أحتسب. فقال صفوان بن سليم: يا أبا عبد الله كأنى أراك قد شق عليك الموت، فما زال يهون عليه الأمر، وينجلي عن محمد حتى لكأن فى وجهه المصاييح! ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك، ثم قضى رحمه الله..

(1) سورة إبراهيم آية 27.

(2) سورة الزمر آية 47.

631. قال ابن زيد: [وقد] ذكر عمر وأبا بكر [ومحمد أبناء] المنكدر فقال: لما حضر أحدهما الوفاة بكى فقليل له: ما يبكيك إن كنا لنغبطك لهذا اليوم، قال: والله ما أبكى أن أكون أتيت شيئاً ركبت من معاصي الله اجترأ على الله ولكني أخاف أن أكون أتيت شيئاً أحسبه هينا { وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } ⁽¹⁾.. وبكى الآخر عند الموت، فقليل له مثل ذلك فقال: إني سمعت الله يقول لقوم { وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } ⁽²⁾.. فأنا أنظر ما ترون والله ما أدري ما يبدو لي، وكان يقال: محمد أخوهم أدناهم في العبادة وأى شيء كان محمد في زمانه..

632. وعن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله عند الموت فقليل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله فقليل له: آية؟ قال: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } ⁽³⁾.. [وفي قول آخر] بكى عامر بن عبد الله العنبري في مرضه الذي مات فيه حين حضرته الوفاة بكاء شديداً فقليل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله فقد كنت وكنت؟ قال: يبكي آية في كتاب الله (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ). وقال زياد النميري: بلغني لما نزل به الموت بكى ثم قال: لمثل هذا المصراع فليعمل العاملون اللهم إني أستغفرك من تقصيري وتفريطي، وأتوب إليك من جميع ذنوبي، لا إله إلا أنت ثم لم يزل يرددتها حتى مات..

633. وبكى يزيد الرقاشي عند موته، فقليل له: مم تبكي؟ فقال: أبكى على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار وحضور مجالس الذكر. ولما احتضر عامر بن قيس بكى، فقليل له: ما يبكيك؟ فقال: والله إنما أبكى على صيام هواجر الصيف وقيام ليالي الشتاء.

(1) سورة النور آية 15.

(2) سورة الزمر آية 47.

(3) سورة المائدة آية 27.

- وبكى أبو الشعثاء عند موته، فقليل له: ما يبكيك؟ فقال: اشتقت إلى قيام الليل..
634. وقال معن الفزاز وجماعة: [أن] مالك بكى في مرض موته وقال: والله لو ددت أنى ضربت في كل مسألة أفيت بها، ولتيتنى لم أفث بالرأى..
635. حدثنا حفص بن غياث قال: لما احتضر عمرو بن قيس الملائي بكى، فقال له أصحابه: علام تبكى من الدنيا، فوالله لقد كنت منغص العيش أيام حياتك؟ فقال: والله ما أبكى على الدنيا إنما أبكى خوفاً أن أحرم من الآخرة..
636. عن زهير لما احتضر العلاء بن زياد العدوى بكى فقليل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة، قيل: فافعل رحمك الله، فدعا بطهور فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه، ثم استقبل القبلة فأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات..
637. قال حارث بن مالك: وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري، لما حضر [معاذ] ﷺ الموت [بكيت، فقال لى] معاذ: ما يبكيك يا حارث؟ قلت: يبكينى موتك وقد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى، لكن من يروى من العلم بعدك. قال: مهلا وعليك بعبد الله بن مسعود، فقلت له: أو صني؟ فأوصانى بما شاء الله، ثم قال: احذر زلة العالم..
638. وعن الحسن: أن معاذ بن جبل ﷺ لما احتضر، دخل عليه وهو يبكى، فقليل: ما يبكيك؟ قد صحبت محمداً والأحبة! فقال: ما أبكى جزعا من الموت إن حل بى، ولا على دنيا أتركها بعدى، ولكن بكائى أن الله قبض قبضتين، فجعل واحدة فى الجنة وواحدة فى النار فلا أدري فى أى القبضتين أكون..
639. روى أنه لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة، بكى، فقليل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكى لتفريطى فى الأيام الخالية، وقلة عملى للجنة العالية، وما ينجينى من النار الحامية.
- وقال حماد بن سعيد بن أبى عطية: لما حضر أبا عطية الموت جزع، فقالوا له: أتجزع من الموت؟ فقال: وما لى لا أجزع! وإنما هى ساعة فلا أدري أين يسلك بى..

640. حدثنا ليث بن أبي سليم قال: لما نزل بحذيفة عليه السلام الموت جزع وبكى بكاء شديداً، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى أسفا على الدنيا بل الموت أحب إليّ، ولكن لا أدرى على ما أقدم: أعلى رضا أم على سخط..

641. لما حضرت عمرو بن العاص عليه السلام الوفاة بكى، فقال له [ابنه] عبدالله: لم تبكى؟ أجزعاً من الموت؟ قال: لا والله ولكن لما بعد. فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبة النبي ﷺ، وفتوحه الشام [ومصر]. فقال عمرو بن العاص: تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبقة إلا عرفت نفسى فيها، كنت أول شيء كافرا، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ لوجب لى النار. فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس منه حياء، ما ملأت عيني من رسول الله ﷺ حياء منه فلو مت حينئذ قال الناس: هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فرجى لى الجنة. ثم تلبست بعد ذلك بأشياء فلا أدرى أعلى أم لى فإذا أنا مت فلا تبكين على ولا تتبعونى نارا وشدوا على إزارى، فإنى مخاصم، وسنوا على التراب سنًا، فإن جنبى الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبى الأيسر، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجرا، وإذا وارىتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم..

642. عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: منهم الأسود بن يزيد كان مجتهدا فى العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر. وكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب هذا الجسد؟ [فيقول له] راحة هذا الجسد أريد. فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لى لا أجزع! ومن أحق بذلك منى؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهنى الحياء منه مما قد صنعت. إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه..

643. عن أبي العوام قال: كنا نقوم على معاذ بن جبل في مرضه ونخدمه فقال: لولا أن تتكلموا لحدثتكم حديثاً، فقلت: أنشدك الله وحق الصحابة، أن يكون عندك حديث تذهب ولا تحدثناه؟ قال: فأدخل عليّ من الباب؟ قال: فأدخلت عليه من الباب، فقال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم قال: هل تدري ما حقهم إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يغفر لهم ويدخلهم الجنة. ثم بكى [معاذ] فقليل: ما يبكيك أجزعا من الموت؟ قال: لا والله ما أبكى جزعا من الموت، ولكني لا أدري في أى القبضتين أنا، قلت: وما القبضتان؟ فقال: إن الله قبض قبضة فقال: هؤلاء أهل الجنة هؤلاء أهل اليمين، وهؤلاء أهل النار هؤلاء أصحاب الشمال.. رواه معتمر بن سليمان عن أبيه..

644. وكان مسعر رحمته الله: إذا دخل بكى وإذا خرج بكى وإذا صلى بكى وإذا جلس بكى. دخل عليه سفيان الثوري في مرض موته فقال له: ما هذا الجزع يا مسعر؟ والله لو ددت أني مت الساعة. فقال له: إنك إذن لو ائق بعملك يا سفيان، لكني والله كأني على شاق جبل لا أدري أين أهبط. فبكى سفيان وقال: أنت أخوف لله عز وجل مني يا أخي. وكان سفيان إذا حدث عنه يقول: أخبرني أبو سلمة، يستحي أن يقول مسعر وكان في جبهته مثل ركة العنز من السجود! وكان يقول: (لا ينبغي أن يثنى على عالم وهو يقبض جوائز السلطان ويبني بيته بالآجر)..

645. قال فضالة الشحام: سمعت يزيد الرقاشي يقول: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام فهنيئاً لهم في جوار الله طول المقام، ثم بكى حتى بل لحيته بالدموع..

646. وحكى عن عطاء السلمى: أنه كان كثير البكاء فسئل عن ذلك؟ فقال: لم لا أبكى ووثاق الموت في عنقي والقبر منزلى والقيامة موقفى والخصوم حولى يقولون لى: يا مرأى بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء.

وبكى بعض العباد عند موته، فسئل عن ذلك؟ فقال: أبكى بأن يصوم الصائمون
ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم.
وقال عطاء: كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجمع الفقهاء كل ليلة ويتذكرون الموت
والقيامة والآخرة فلا يزالون ييكون حتى كأن بين أيديهم جنازة..

647. يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث. أضحكني: مؤمل دنيا
والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك بملء فيه لا يدرى أأرضى الله أم أسخطه.
وأبكاني: فراق أحب الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، وهول المطلع عند غمرات الموت،
والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية، فلا يدرى ألى الجنة أم إلى النار..

648. قال مالك بن دينار: أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار والتفكير في
الموتى والاعتبار فتمنيت من يخبرني عنهم بخبر، أو يقص لي من آثارهم بعض أثر فقلت:
أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا فَأَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ
وَأَيْنَ الْمُدِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْعَزِيزُ إِذَا مَا افْتَحَرَ
فنوديت من بين القبور:

تَفَانُوا جَمِيعاً فَلَا مُخْبِرٍ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَصَارُوا عِبَرُ
وَعَادُوا إِلَى مَلِكٍ عَادِلٍ عَزِيزٍ مَطَاعٍ إِذَا مَا أَمَرَ
تَرْوَحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى فَتُمَحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
فِيَا سَائِلِي عَنْ أَنْاسٍ مَضَوْا أَمْ أَلِكَ فَيَمُنْ مَضَى مُعْتَبَرُ

649. قال مالك بن دينار: دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون فقلت له: كيف
حالك وكيف أنت؟ فقال: يا مالك، كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفرًا بعيداً
بلا أهبة ولا زاد؟ ويقدم على رب عدل، ثم بكى بكاء شديداً. قلت: ما يبكيك؟ قال: والله
ما أبكى حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت، لكنني بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن

فيه عملى، أبكانيى والله قلة الزاد وبُعد المفازة والعقبة الكؤود، ولا أدرى بعد ذلك أصير إلى الجنة أو إلى النار..

650. قال سهل بن عبدالله: لا يذنب المؤمن ذنباً حتى يكتسب معه مائة حسنة! فقليل: يا أبا محمد وكيف هذا؟!

قال: إن المؤمن لا يكتسب سيئة إلا وهو يخاف العقوبة عليها، ولو لم يكن كذلك لم يكن مؤمناً وخوفه العقاب عليها حسنة، ويرجو غفران الله لها [حسنة] ولو لم يكن هكذا لم يكن مؤمناً. ورجاؤه لغفرانها حسنة، وهو يرى التوبة منها ولو لم يرها لم يكن مؤمناً. ورؤيته التوبة منها حسنة، ويكره الدلالة عليها ولو لم يكره الدلالة عليها لم يكن مؤمناً. وكرهه الدلالة عليها حسنة، ويكره الموت عليها ولو لم يكره الموت عليها لم يكن مؤمناً. وكرهته للموت عليها حسنة.

فهذه خمس حسنات وهى بخمسين حسنة، فالحسنة بعشر أمثالها لقوله تعالى { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } ⁽¹⁾.. فهذه تصير مائة حسنة. فما ظنكم بسيئة تعتورها مائة حسنة وتحيط بها؟ والله تعالى يقول { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } ⁽²⁾.. وما ظنكم بثعلب بين مائة كلب أليس يمزقونه؟ ثم بكى سهل وقال: لا تحدثوا بهذا الجهال من الناس فيتكلوا ويغترؤا، فإن هذه السيئة هى شيء عليه وحسناته هى أشياء له، وما عليه فله أن يأخذه به ويكون عادلاً بعقوبته عليه، وما له لا يظلمه الله عز وجل، بل يوفيه ثوابه وإن كان بعد حين. ومن يصبر على حر نار جهنم ساعة واحدة؟! ولكن بادروا بالتوبة من هذه السيئة حتى تأمنوا العقوبة، وتصيروا أحباب الله فإن الله يحب التوابين..

* * *

(1) سورة الأنعام آية 160.

(2) سورة هود آية 114.

الفصل الثالث

قصص البكاء وأخبار البكائين

قد يشكل ما جاء في هذا الفصل على غر فيقول: كيف يفعل القرآن بقلوب أمثال هؤلاء العباد، ما لم يكن يفعله بقلب محمد رسول الله ﷺ وأصحابه؟ فأقول وبالله التوفيق إن صدر رسول الله ﷺ شرحه الله له، فاتسع للقرآن وفهم معانيه وما اشتمل عليه من أفراح وأحزان. وأما من لم يكن في صدره هذا البراح من الاتساع والانشرح، لم يستطع قلبه وعقله فهم معانيه. فإذا كشف له عن معنى عقلة، انبهر ففقد صوابه من الرهبة ولم يحتمل معانيه عند فهمها، ولولا قوله تبارك وتعالى { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ }⁽¹⁾.. أى سهلنا لفظه ويسرنا معناه وأعنا عليه، لما استطاع أحد من المخلوقات أن يتلفظ أو أن يتحمل معاني كلمات القرآن وهو كلام رب العالمين، ولما قوى قلب مخلوق أصلاً على ذلك. والله أعلم..

651. قال أبو حامد الغزالي: اعلم أن الوجد ينقسم إلى مذموم: وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها. ومحمود: وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها، فإن للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة، ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن، فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أواخرها، وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير المتكلف في الآخرة طبعاً، وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفاً ويقرؤه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن، ثم يصير ذلك ديدناً للسان مطرداً حتى يجرى به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل، فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها، ويعلم أنه قرأها في حال غفلته. وكذلك الكاتب، يكتب في الابتداء بجهد شديد، ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً، فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب

(1) سورة القمر آية 17.

بفكر آخر. فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً، وهو المراد بقول بعضهم: العادة طبيعة خامسة، فكذلك الأحوال الشريفة: لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدانها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره، فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدانها الإنسان. فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها، فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري، فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال، وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع. فالوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ويدل على ذلك قوله تعالى { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } ⁽¹⁾.. وقوله تعالى { مَتَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } ⁽²⁾.. وكل ما يوجد عقيب السماع في النفس، فهو وجد، فالطمأنينة والافتشعار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد. وقد قال الله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } ⁽³⁾.. وقال تعالى { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } ⁽⁴⁾.. فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات، ولهذا قال ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم. وقيل لأبي موسى الأشعري: لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود عليه السلام.

(1) سورة الرعد آية 28.

(2) سورة الزمر آية 23.

(3) سورة الأنفال آية 2.

(4) سورة الحشر آية 21.

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة، فقوله ﷺ: شيتنى هود وأخواتها⁽¹⁾.. أخبر عن الوجد، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف، وذلك وجد.

وروى أن ابن مسعود ؓ قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تبارك وتعالى { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا }⁽²⁾.. قال: حسبك، وكانت عيناه تذرفان بالدموع⁽³⁾..

وفي رواية أنه ﷺ قرأ هذا الآية أو قرئ عنده { إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا }⁽⁴⁾.. فصعق⁽⁵⁾..

وفي رواية أنه ﷺ قرأ { إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ }⁽⁶⁾.. فبكى⁽⁷⁾.. وكان ﷺ إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر، والاستبشار وجد، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ }⁽⁸⁾..

(1) أخرجه الترمذي من حديث أبي جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن والحاكم صحيح على شرط البخاري.

(2) سورة النساء آية 41.

(3) الحديث متفق عليه.

(4) سورة المزمل الآيات 12 / 13.

(5) رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب من طريقه من حديث أبى حرب بن أبى الأسود مرسلًا. عن عبد الله بن عمر ورواه إسحاق الحنظلي فى تفسيره عن وكيع انتهى. تخريج الأحاديث والآثار ج 4 ص 111 [كنز العمال ج 7 ص 80 رقم 18644 والزهد لابن حنبل ج 1 ص 27].

(6) سورة المائدة آية 118.

(7) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو.

(8) سورة المائدة آية 83.

وروى أن رسول الله ﷺ كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل⁽¹⁾ ..

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين فكثير، فمنهم من صعق ومنهم من بكى، ومنهم من غشى عليه، ومنهم من مات فى غشيته. وبالجمله لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن، فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً فمثله { كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }⁽²⁾ ..

يقول هلال العيسى: فمن هؤلاء المذكورين من بل الأرض بدموعه. ومنهم من إذا ذكرت النار خرَّ على وجهه مغشياً عليه. بل منهم من إذا سمع الأذان ارتعدت فرائضه. ومنهم من إذا توضعاً للصلاة احمرَّ وجهه، وسالت دموعه لعلمه بمن سيقف بين يديه..

652. قال ابن سيرين: بيننا وبين الذين يصعقون عند سماع القرآن، أن يقرأ واحد منهم [وهو قائم] على رأس حائط، فإن خر فهو صادق! ومنهم من أنكره لأنه رآه بدعة مخالفة لما عرف من هدى الصحابة رضى الله عنهم. والذي عليه الجمهور من هؤلاء، أنه إذا كان مغلوباً لم ينكر عليه وإن كان حال الثبات أكمل، ولهذا لما سئل أحمد عن هذا قال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد فغشى عليه وأخذ أن يدفع عن نفسه ولو قدر لدفعه.

ونقل عن الشافعى أنه أصابه ذلك، وكذلك عن الفضيل بن عياض، وبالجمله فهذا كثير ممن لا يستراب فى صدقه. لكن أحوال الصحابة رضى الله عنهم هى التى ذكرت فى القرآن من وجل القلوب ودمع العيون واقشعرار الجلود.

وقد ينكر أحوال هؤلاء من عنده قسوة قلب لا يلين عند تلاوة القرآن، ويغلو فيهم من يظن أن حالهم أكمل الأحوال، فكل من الطرفين مذموم.

(1) أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى فى الشئائل من حديث عبد الله بن الشخير.

(2) سورة البقرة آية 171.

فالمراتب اثنان: ظالم لنفسه، وهو قاسى القلب [الذى] لا يلين [قلبه] للقرآن ولا للذكر، ففيه شبه من اليهود لقوله تعالى { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ }⁽¹⁾.. والثانى: حال الذى فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا يصعق صعق موت أو غشى لقوة الوارد. [والخلاصة] أنه إذا لم يكن ثم تفريط ولا عدوان ولا ذنب له فيما أصابه فليس بملوم..

653. عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وأقبل على أسامة بن زيد فقال: يا أسامة: إياك وكل كبد جائعة تخاصمك إلى الله تعالى يوم القيامة، وإياك ودعاء عباد قد أذابوا اللحوم وحرقوا الجلود بالرياح والسمائم وأظمأوا الأكباد حتى غشيت أبصارهم، فإن الله إذا انظر إليهم سر بهم الملائكة، بهم تصرف الزلازل والفتن، ثم بكى حتى اشتد نحيبه ثم قال: ويح لهذه الأمة، ما تلقى منهم، من أطاع ربه كيف يقتلونه ويكذبونه من أجل أنهم أطاعوا الله تبارك وتعالى. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله والناس يومئذ على الإسلام؟! قال ﷺ: نعم، قال: فقيم إذا يقتتلون؟! فقال رسول الله ﷺ: يا عمر ترك القوم الطريق وركبوا الدواب ولبسوا ألين الثياب، وخدمتهم أبناء فارس تترين لهم تزين المرأة لزوجها، فإذا تكلم أولياء الله تعالى عليهم العباء محنية أصلاهم قد ذبحوا أنفسهم بالعطش فإذا تكلم منهم متكلم كذب وقيل له: أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة، تحرم زينة الله تعالى والطيبات من الرزق يتلون كتاب الله تعالى على غير دين، استذلوا أولياء الله.

واعلم يا أسامة: أن أقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة لمن طال حزنه وعطشه وجوعه في الدنيا، الأصفياء الأبرار، الذين إذا شهدوا لم يقربوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض، يعرفون في أهل السماء ويخفون على أهل الأرض وتحف به الملائكة،

(1) سورة البقرة آية 74.

ينعم الناس وينعمون هم بالجوع والعطش، لبس الناس لين الثياب ولبسوا هم أخشن الثياب، افترش الناس الفرش وافترشوا هم الجباه والركب، ضحك الناس وبكوا.

يا أسامة: لا يجمع الله عز وجل عليهم الشدة في الدنيا والآخرة، لهم الجنة، يا ليتنى قد رأيتهم يا أسامة، لهم البشرى في الآخرة، والأرض بهم رحيمة، والجبار عنهم راض، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوا هم. الراغب من رغب إلى الله تعالى في مثل رغبتهم والخاسر من خالفهم، تبكى الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها مثلهم.

يا أسامة: وإذا رأيتهم في قرية فاعلم أنهم أمان لتلك القرية، لا يعذب الله تعالى قوماً هم فيهم اتخذهم لنفسك عسى أن تنجو بهم، وإياك أن تدع ما هم عليه فتزل قدمك فتهدى في النار حرموا حلال ما أحل الله لهم، طلبوا الفضل من الآخرة وتركوا الطعام والشراب عن قدرة، لم يتكلموا على الدنيا تكلم الكلاب، عليهم الشدة في الدنيا والآخرة، لهم الجنة، يا ليتنى قد رأيتهم.

يا أسامة: لهم البشرى في الآخرة والأرض بهم رحيمة والجبار عنهم راض، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوا هم، الراغب من رغب إلى الله تعالى في مثل رغبتهم على الجيف، شغل الناس بالدنيا وشغلوا أنفسهم بطاعة الله تبارك وتعالى، لبسوا الخرق وأكلوا الفلق تراههم شعثاً غبراً يظن الناس أن بهم داء وما ذاك بهم، ويظن الناس أن عقولهم ذهبت وما ذهبت ولكن نظروا بقلوبهم إلى من ذهب بعقولهم عن الدنيا، فهم في الدنيا عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول. يا أسامة، عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم البشرى في الآخرة⁽¹⁾..

654. قال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ، فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره، فتأثر العبد بالتلاوة،

(1) المطالب العالية ج 13 ص 298 رقم 3176 مسند الحارث زوائد الهيثمي ج 1 ص 43 رقم 347.

أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته، وعند ذكر الكفار [أن] الله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته ويكسر في باطنه حياء قبح مقالتهم [وتسفيها لعقولهم والتعجب من جرأتهم على قول ذلك وعظم صبر الله عنهم وهو القادر عليهم] وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها [ويدعو الله ألا يكون من أهلها]. فإن لم يكن بهذه الصفات، ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات، كان حظه من التلاوة حركة اللسان. [فمن] تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها.

قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بقراءة القرآن، فإذا ذكرت ما فيه، خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار!

وقال رسول الله ﷺ: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم، فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه. وفي بعضها فإذا اختلفتم فقوموا عنه⁽¹⁾.. وقال ﷺ: إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى⁽²⁾..

وقال ﷺ: لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل⁽³⁾.. قال تعالى في وصف عباده العلماء الصالحين { إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا }⁽⁴⁾..

(1) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله: ولانت جلودكم.

(2) أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف.

(3) رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقي في كتاب فضائل القرآن.

(4) سورة الإسراء الآيات 107 / 109.

655. قال الطبري: يقول تعالى ذكره: يخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم ييكون، ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر خشوعا، يعنى خضوعا لأمر الله وطاعته استكانة له..

656. وقال القرطبي: هذا مدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم، وحصل منه شيئا أن يجرى إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل عند سماع ما نزل عليهم من قبل القرآن. { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } (1) ..

قوله تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } (2) ..

657. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين قصصت أنباءهم هم الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهداهم لطريق الرشده من الأنبياء، من ذرية آدم، ومن حملنا مع نوح فى الفلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن وإسرائيل، ومن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبتينا، ومن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذى عنى به من ذرية آدم إدريس، والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذى عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذى عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم. ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم عليه السلام، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح فى السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح.

(1) سورة المائدة آية 83.

(2) سورة مريم آية 58.

يقول القرطبي: فكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم، ولإبراهيم شرف القرب من نوح ولإسماعيل وإسحاق ويعقوب شرف القرب من إبراهيم. (وَيَمْنُ هَدَيْنَا) أى إلى الإسلام (وَأَجْتَبَيْنَا) بالإيمان. (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) وصفهم بالخشوع لله والبكاء. إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التى أنزلها عليهم فى كتبه، خروا لله سجدا، استكانة له وتذللا وخضوعا لأمره وانقيادا، وهم باكون، وفى هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثيرا فى القلوب. وقال الأصم: (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) المراد بآيات الرحمن، الكتب المتضمنة لتوحيده وحججه، وأنهم كانوا يسجدون عند تلاوتها، ويكون عند ذكرها تعظيما لله تعالى وآياته..

قوله تبارك وتعالى { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ } (1) ..

يقول القرطبي: هذا استفهام توبيخ. تعجبون تكذيبا به وتضحكون استهزاء ولا تبكون انزجارا وخوفا من الوعيد. وروى أن النبى ﷺ ما رئى بعد نزول هذه الآية ضاحكا إلا تبسما. وقال أبو هريرة: لما نزلت (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ). قال أهل الصفة: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبى ﷺ بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال النبى ﷺ: لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله. ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ويرحمهم إنه هو الغفور الرحيم (2) ..

658. قال ابن القيم: كان كثير من السلف يجب أن يكون من البكائين، ويفضلونه

على بعض من الطاعات..

(1) سورة النجم الآيات 59/60.

(2) [وفى صحيح مسلم ج 4 ص 2106 رقم 2749 عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: والذي نفسى بيده، لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم].

659. عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة: قال رسول الله ﷺ: خيار أمتي فيما أنبأني الملائكة الأعلى، قوم يضحكون جهرا في سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم ويذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد، ويدعونهم بألستهم رغبا ورهبا، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً، ويقبلون على الله بقلوبهم عودا وبدءا، فمؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض حفاة على أقدامهم، كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ويقروون القرآن ويلبسون الخلقان، عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة، يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة، ليس لهم همٌ إلا إمامهم، أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم. ثم تلا رسول الله ﷺ { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ }⁽¹⁾..

660. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن سليمان التيمي [في قوله سبحانه] (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا)، قال: قيودا والله ثقالا لا تفك أبدا. ثم بكى..

661. كان ابن حرب الكاتب له نعمة وثروة عظيمة تقارب أهبة الوزارة، فاجتاز يوما وهو راكب في موكب له عظيم، فسمع رجلا يقرأ { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }⁽²⁾.. فصاح: اللهم بلى وكررها دفعات ثم بكى، ونزل عن دابته ونزع ثيابه وطرحها ودخل دجلة فاستتر بالماء، ولم يخرج منه حتى فرق جميع أمواله في المظالم التي كانت عليه، وردها إلى أهلها، وتصدق بالباقي ولم يبق له شيء بالكلية! فاجتاز به رجل فتصدق عليه بثوب! فلبسه وخرج، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات رحمه الله..

(1) سورة إبراهيم آية 14. تفرد به حماد بن أبي حميد وليس بالقوى في الحديث عند أهل العلم به.

(2) سورة الحديد آية 16.

662. قال الحسن [البصرى]: مر رجل من أصحاب النبي ﷺ على رجل يقرأ آية ويبكى ويردها فقال: ألم تسمع إلى قول الله تعالى { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً } ⁽¹⁾.. قال: هذا الترتيل..

663. عن عبد الله بن شداد أنه قال: سمعت نسيج أمير المؤمنين عمر ؓ في صلاة الفجر وأنا في آخر الصف وهو يقرأ { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ⁽²⁾.. فالأنين والبكاء من خشية الله والتضرع والشكاية إلى الله عز وجل حسن..

664. عن سالم بن عبد الله: أن ابن عمر ؓ قرأ { وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ } ⁽³⁾.. فدمعت عيناه. فبلغ صنيعة ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } ⁽⁴⁾..

665. حدثنا أبو المليح قال: قرأ يوما ميمون { وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ } ⁽⁵⁾.. فرق حتى بكى ثم قال: ما سمع الخلائق بعتب أشد منه قط..

666. قال إبراهيم التيمي لقد أدركت سبعين شيخاً في مسجدنا هذا، أصغرهم الحارث بن سويد، وسمعته يقرأ سورة الزلزلة، حتى إذا بلغ إلى قوله { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } ⁽⁶⁾.. بكى ثم قال: إن هذا لإحكام شديد.. واختلف العلماء في سورة الزلزلة، فمنهم من قال: إنها مكية ومنهم من قال: إنها مدنية. وفضلها كثير وتحتوى على عظيم..

(1) سورة المزمل آية 4.

(2) سورة يوسف آية 86.

(3) سورة البقرة آية 284.

(4) سورة البقرة آية 286.

(5) سورة يس آية 59.

(6) سورة الزلزلة الآيات 7/8.

667. عن عروة بن رويم قال: لما أنزل الله على رسوله {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَفَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} ⁽¹⁾.. بكى عمر رضي الله عنه فقال: يا نبي الله آمنا برسول الله ﷺ وصدقناه، ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ} ⁽²⁾.. فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: قد أنزل الله عز وجل فيما قلت، فقال عمر: رضينا عن ربنا وتصديق لنبينا، فقال رسول الله ﷺ: من آدم إلينا ثلة، ومنى إلى يوم القيامة ثلة، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله..

668. قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس فمررت بمالك بن أنس، فإذا أنا به قائم يصلى، فلما فرغ من الحمد لله ابتداءً، بألهاكم التكاثر حتى بلغ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم، فبكى بكاء طويلاً وجعل يرددّها ويبكى، وشغلنى ما سمعت ورأيت منه عن حاجتى التى خرجت إليها، فلم أزل قائماً وهو يرددّها ويبكى حتى طلع الفجر. فلما تبين له ركع، فصرّت إلى منزلى فتوضأت ثم أتيت المسجد فإذا به فى مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرت فإذا وجهه قد علاه نور حسن..

قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبى ﷺ عنده تغير لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه. فقليل له يوماً فى ذلك. فقال: لو رأيتم لما أنكرتم على ما ترون، كنت آتى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله على حديث إلا بكى حتى نرحمه. [وكنت] آتى جعفر بن محمد، وكان كثير المزاح والتبسم، فإذا ذكر عنده النبى ﷺ اخضر واصفر. ولقد اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن. وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يغنيه.

(1) سورة الواقعة الآيات 13 / 14.

(2) سورة الواقعة الآيات 39 / 40.

قال الشافعي: قال [مالك]: أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة [أي أن يدخل المدينة ممتطياً دابة]..

669. وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه حج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه. فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي ﷺ، كتبت عنه. وقال: ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ، فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيباً لرسول الله ﷺ. ولقد كنت أتى عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع. ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنت أتى صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه..

670. حدثنا إسحاق بن محمد القروي قال: سمعت مالكا بن أنس يقول: كنا ندخل على أيوب بن أبي تيممة السختياني، فإذا ذكر له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه..

671. عن عمر بن محمد عن أبيه قال: سمعت [أن] ابن عمر رضي الله عنهما ما يذكر النبي ﷺ قط إلا بكى..

وقال أبو عاصم: رأيت هشام بن حسان، إذا ذكر النبي ﷺ والجنة والنار بكى حتى تسيل دموعه على خده..

672. عيسى بن محمد الشنترني: ذكر أنه كان إذا قرئ عليه حديث رسول الله ﷺ، بكى بكاءً شديداً..

673. وحكى أبو علي الحافظ قال: كان محمد بن المسيب الأرغواني إذا قرأ الحديث وقال: قال رسول الله ﷺ: بكى حتى نرحمه. وعمى من كثرة البكاء..

674. وقال أبى بردة: كان أبو موسى إذا قرأ { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

الْكَرِيمِ }⁽¹⁾ ..

قال: يعنى الجهل ويبكى. وإذا قرأ { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى وَهُمْ لَكُمْ

عَدُوٌّ }⁽²⁾ .. بكى ..

675. قال خلف: أتيت سليم بن عيسى لأقرأ عليه، فتقدمت واستفتحت بسورة

يوسف وهى من أشد [سور] القرآن إعراباً، حتى بلغت [سورة غافر]، فلما بلغت إلى

قوله تبارك وتعالى { وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا }⁽³⁾ .. بكى بكاء شديداً، ثم قال لى: يا خلف،

ألا ترى ما أعظم حق المؤمن؟! تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له ..

676. روى عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه من وجوه شتى، أنه لما نزلت { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

يُجْزَ بِهِ }⁽⁴⁾ .. بكى وحزن لذلك وقال: يا رسول الله أنجازى بكل ما نعمل؟ فقال له

رسول الله ﷺ: يا أبا بكر أأست ترض أأست تنصب أأست تصيبك اللأواء⁽⁵⁾؟ قال:

بلى، قال: فذلك ما تجزون به فى الدنيا.

ورويانا من حديث أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: إذا أراد الله بعبد

خيراً صرف المصيبة عن نفسه إلى ماله ليأجره. فسبحان المتفضل المنعم لا شريك له ..

677. ولما تلا رسول الله ﷺ { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }⁽⁶⁾ .. بكى أبو بكر

الصديق رضي الله عنه وحده دون من كان فى ذلك المجلس، وعلم أن الله تعالى قد نعى إلى رسول

(1) سورة الانفطار آية 6.

(2) سورة الكهف آية 50.

(3) سورة غافر آية 7.

(4) سورة النساء آية 123.

(5) [الأواء: الشدة وضيق المعيشة والحزن].

(6) سورة المائدة آية 3.

الله ﷻ نفسه، وهو كان أعلم الناس به، وأخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه ولا يعرفون سبب ذلك..

678. عن هارون بن أبي وكيع عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) يوم الحج الأكبر، بكى عمر رضي الله عنه، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قال: يا رسول الله أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل قط شيء إلا نقص. قال: صدقت. وكانت هذه الآية نعى رسول الله ﷺ، وعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً أو نحوها..

679. حدثنا يحيى بن الفضل الأنيسى قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلى، إذ استبكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله وسألوه ما الذى أبكاه فاستعجم عليهم وتمادى فى البكاء، فأرسلوا إلى أبى حازم فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكى، قال: يا أخى ما الذى أبكاك قد رعت أهلك أفمن علة أم ما بك؟ فقال: إنه مرت بى آية فى كتاب الله عز وجل، قال: وما هى؟ قال: قول الله تعالى { وَبَدَأَ هُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } ⁽¹⁾.. فبكى أبو حازم أيضاً معه واشتد بكاؤهما! فقال بعض أهله لأبى حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته! فأخبرهم ما الذى أبكاهما..

680. قال محمد بن ناجية: صليت خلف الفضيل بن عياض رضي الله عنه فقرأ سورة الحاقة فلما بلغ إلى قوله تعالى { خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ } ⁽²⁾.. غلبه البكاء، وكان ابنه على فى الصف معنا فسقط مغشياً عليه. وركع فضيل ثم قام فقرأ بقية السورة فى الركعة الثانية، ثم حملنا عليا وأدخلناه منزله مغمى عليه. فقيل للفضيل: هذا الذى يصيب عليا من أى شيء يكون؟ قال: لا أعلمه إلا من نقاء القلب..

(1) سورة الزمر آية 47.

(2) سورة الحاقة الآيات 30/32.

681. وقرأ مضر القارئ يوماً قوله تعالى { هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }⁽¹⁾.. فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه، فلما أفاق قال: وعزتك لا عصيتك جهدى أبدا فأعنى بتوفيقك على طاعتك..

682. حدثنا حماد بن زيد قال: كنا جلوساً عند يحيى البكاء فقرأ عليه القارئ { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ }⁽²⁾.. فصاح صيحةً مكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة!

683. وروى أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان يعاد أياماً. وأخذ يوماً تبنه من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنه، يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، يا ليتني كنت نسياً منسياً، يا ليتني لم تلدني أُمي. وكان في وجهه رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع. وقال رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. [صدقت والله، إن الخوف من حساب وعقاب الله يوم القيامة، قد ألجم النفس وقيد اليد عن كثير مما تشتهي وتتمنى وتستطيع].

وقيل: لما قرأ عمر رضي الله عنه [يوماً سورة التكويد] وانتهى إلى قوله تبارك وتعالى { وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ }⁽³⁾.. خر مغشياً عليه..

684. وقال الحسن [البصري]: كان عمر رضي الله عنه يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض..

685. مر [أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه] يوماً: بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة الطور فقال: هذا قسم حق، فوقف يستمع، فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى { إِنَّ

(1) سورة الجاثية آية 29.

(2) سورة الأنعام آية 30.

(3) سورة التكويد آية 10.

عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ {⁽¹⁾ .. نزل عن حمارة واستند إلى حائط. فبكى ثم بكى حتى ظن أن العذاب قد وقع به فغشى عليه ومكث زمانا، ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعود الناس ولا يدرون ما مرضه ..

686. عن هشام بن حسان قال: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن [البصري] فانتبهنا إليه وعنده رجل يقرأ، فلما بلغ هذه الآية (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) بكى الحسن وبكى أصحابه، وجعل مالك يضطرب حتى غشى عليه ..

687. قال عبد الواحد بن زيد: ما كان أحد يطيق [أن] ينظر إلى الحسن البصري، إلا بكى عند رؤيته، رحمة الله عليه ..

688. قال سعيد: مر أبو أسيد الفزاري بسوق الرؤوس فذكر آية { تَلَفَحَ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُجُونَ }⁽²⁾ .. فخر مغشيا عليه ..

689. وعن سوار بن عبد الله القريعي قال: كنا مع عمر بن درهم في بعض السواحل، وكان لا يأكل إلا من السحر إلى السحر، فجئنا بطعام، فلما رفع الطعام إلى فيه سمع بعض المتهجدين يقرأ هذه الآية { إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلَى الْحُمِيمِ }⁽³⁾ .. فغشى عليه وسقطت اللقمة من يده فلم يفق إلا بعد طلوع الفجر. فمكث بذلك سبعا لا يطعم شيئا، كلما قرب إليه طعام عرضت له الآية فيقوم ولا يطعم شيئا، فاجتمع إليه أصحابه فقالوا: سبحان الله تقتل نفسك! فلم يزالوا به حتى أصاب شيئا.

وعن محمد بن سويد قال: كان لطاووس طريقان إذا رجع من المسجد أحدهما فيه رؤوس، فإذا أخذ الطريق الذي فيه الرؤوس لم يتعش! ف قيل له، فقال: إذا رأيت الرؤوس

(1) سورة الطور الآيات 7 / 8.

(2) سورة المؤمنون آية 104.

(3) سورة الدخان الآيات 43 / 46.

كالحلة لم أستطع الأكل. وذكر [ذلك] لمالك بن أنس رضي الله عنه فقال: يعنى قول الله تبارك وتعالى {وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ} ⁽¹⁾..

وروى ابن الدنيا عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه: أنه شرب ماء باردا فبكى واشتد بكاؤه! ف قيل: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية من كتاب الله قوله {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} ⁽²⁾.. فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا شهوتهم الماء البارد. وقد قال الله تعالى {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} ⁽³⁾..

وعن سلام بن أبى مطيع قال: أتى الحسن [البصرى] بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى وقال: ذكرت أمنية أهل النار وقولهم (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) وذكرت ما أجيبوا به {إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ} ⁽⁴⁾..

وعن عبد الملك بن مروان: أنه شرب ماء باردا فقطعه وبكى، ف قيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرت شدة العطش يوم القيامة، وذكرت أهل النار وما منعوا من بارد الشراب ثم قرأ {يَنْجَرُّهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ} ⁽⁵⁾..

وروى عبدالله بن الإمام أحمد عن إبراهيم النخعى قال: ما قرأت هذه الآية إلا ذكرت برد الشراب وقرأ {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} ⁽⁶⁾..

واستسقى محمد بن مصعب العابد ماء، فسمع صوت البرادة فصاح وقال لنفسه: من أين لك في النار برادة؟ ثم قرأ {وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} ⁽⁷⁾..

(1) سورة المؤمنون آية 104.

(2) سورة سبأ آية 54.

(3) سورة الأعراف آية 50.

(4) سورة الأعراف آية 50.

(5) سورة إبراهيم آية 17.

(6) سورة سبأ آية 54.

(7) سورة الكهف آية 29.

690. كان ربيع بن خيثم إذا وجد غفلة يخرج إلى القبور ويبكى ويقول: كنا وكنتم. ثم يحبى الليل كله عندهم، فإذا أصبح [كان] كأنه نشر من قبره. روى أنه قام ذات ليلة ليصلى فقرأ قوله تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ }⁽¹⁾.. فأقام يكررها حتى طلع الصباح. وكانت أم الربيع تقول [له]: يا ربيع، أراك تبكى كثيرا أنت قتلت قتيلا؟! فيقول: نعم يا أماء، قتلت نفسى بكثرة الذنوب..

691. عن رجل من أسلم من المبكرين إلى المسجد قال: كان الربيع بن خيثم إذا سجد كأنه ثوب مطروح، فتجىء العصافير فتقع عليه!!

692. عن امرأة من آل عمرو بن عتبة قالت: كان عمرو بن عتبة لا يتطوع في المسجد فصلى العشاء ثم جاء فقام يصلى حتى بلغ [قوله تعالى] { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ }⁽²⁾.. فبكى ثم سقط فمكث ما شاء الله ثم أفاق. فقرأ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) فبكى ثم سقط، فما زال كذلك حتى أصبح ما صلى ولا ركع..

693. عن خلف بن حوشب قال: كنا مع الربيع بن أبى راشد، فسمع رجلا يقرأ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرْدُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمُرِ لَكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ }⁽³⁾.. فقال لولا أن تكون بدعة لسحت أو همت في الجبال..

(1) سورة الجاثية آية 21.

(2) سورة غافر آية 18.

(3) سورة الحج آية 5.

694. وروى ابن المبارك فى رقائقه، أنه لما نزلت هذه الآية { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا }⁽¹⁾.. ذهب ابن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، وجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقضت عبرته قال: يا أهلاه ما يبكيكم؟ قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا. فقال: آية نزلت على رسول الله ﷺ ينبئني فيها ربى أنى وراد النار ولم ينبئنى أنى صادر عنها فذلك الذى أبكاني..

وفى قول آخر: عن قيس بن أبى حازم قال: كان ابن رواحة واضعاً رأسه فى حجر امرأته فبكى فبكت امرأته! قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكى فبكيت. قال: إني ذكرت قول الله عز وجل (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فلا أدري أننجو منها أم لا. وفى رواية: وكان مريضاً..

695. وعن شمر بن عطية: كان عمر بن الخطاب ؓ إذا قرأ هذه الآية (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) يبكى ويقول: رب أنا ممن تنحى أم ممن تذر فيها جثياً؟

696. نزل بابن مطعون ضيف فقال لامرأته: هينى لنا طعاماً فاستوصى بضيفك خيراً حتى أتى رسول الله ﷺ فأنتهى إليهم وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نزلت هذه الآية (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَقْضِيّاً) يقول: كائنا لا يبقى أحد إلا دخلها، فأنشأ عثمان بن مطعون يبكى، ثم انصرف إلى منزله باكياً، فلما أتى منزله سمعت امرأته بكاء فأنشأت تبكى، فلما سمع الضيف بكاءهما أنشأ يبكى، فلما دخل عليها عثمان قال لها ما يبكيك؟ قالت: سمعت بكاءك فبكيت. فقال للضيف: وأنت ما يبكيك؟ قال: عرفت أن الذى أبكاكم سيبيكنى، قال عثمان: فابكوا وحق لكم أن تبكوا، أنزل الله عز وجل اليوم على رسوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)..

697. عن الكلبي قال: لما نزلت هذه الآية كبا لها الناس كبوة شديدة، وحزنوا حتى بلغ الحزن منهم كل مبلغ وقالوا: ليس أحد إلا هو يدخلها، فأنشؤا يبكون قال: فمكثوا

(1) سورة مريم آية 71.

بعد هذه الآية سنتين.. وروى فى بعض الأخبار: أنه أنزل الله بعد ثلاثة أيام { ثُمَّ نُنَجِّي
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا }⁽¹⁾.. أى الذين اتقوا الشرك والمعاصى، ونذر الظالمين
المشركين فيها جثيا، ففرح المسلمون بها⁽²⁾..

[وجدت من الواجب على لكى تعم الفائدة، أن أذكر أقوال بعض السلف الصالح
عن ما جاء فى تفسير قوله تعالى { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ
نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا }⁽³⁾.. فكم أجرت هذه الآية الدمع من العيون
وحرقت الجفون ثم كانت بشرى للمؤمنين].

698. ذهب جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة، [أن المؤمن] يدخلها [أى
النار فينظرها] إلا أنها لا تضره [بإذن الله].

فقد أخرج أحمد والحكيم الترمذى وابن المنذر والحاكم وصححه وجماعة، عن أبى
سمية قال: اختلفنا فى الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن.

وقال آخر: يدخلونها جميعا ثم ينجى الله تعالى الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله
رضي الله عنه فذكرت له، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا
يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام.
حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجى الله تعالى الذين اتقوا.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: يمر المؤمن ولا يشعر بها. بناء على ما أخرج ابن أبي شيبة وعبد
ابن حميد والحكيم عن خالد بن معدان قال: إذا دخل أهل الجنة، الجنة قالوا: ربنا ألم تعدنا
أن نرد النار؟ قال تعالى: بلى ولكنكم مرتتم عليها وهى خامدة. [فانظر إلى عظم رحمة الله
الذى له اسم لا ينسى وملك لا يزول وعرش لا يحول، بعبادة المؤمنين حيث عصمهم

(1) سورة مريم آية 72.

(2) [تفسير تفسير السمرقندى ج 2 ص 384].

(3) سورة مريم الآيات 71/72.

منها فشملهم برحمته التى وسعت السماوات والأرض، وهل هناك راحم لنا نرتجى رحمته سواء فى الدنيا والآخرة] ولا ينافى هذا ما أخرجه الترمذى والطبرانى وغيرهما عن يعلى بن أمية، عن النبى ﷺ أنه قال: تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهى، لجواز أن لا يكون متذكرا هذا القول عند السؤال أو لم يكن سمعه لاشتغاله. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال: ورود المسلمين بالمرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها..

699. حدثنا إبراهيم بن الأشعث فقال: سمعت الفضيل بن عياض ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد ويكى ويردد { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ }⁽¹⁾.. وجعل يقول: (وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)، ويردد وتبلو أخبارنا؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ويكى. قال: وسمعتة يقول: تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيات ولم تزل ترائى حتى عرفوك فقالوا: هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعوا لك فى المجالس وعظموك، خيبة لك ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك..

حدثنا جعفر عن ثابت البنانى: أنه قرأ { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ }⁽²⁾.. قال: تأكله إلى فؤاده وهو حى، لقد تبلغ فيهم العذاب! ثم بكى وأبكى من حوله..
700. وقال القاسم بن محمد: غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها، فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ { فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ }⁽³⁾.. وتبكى رضى الله عنها وتدعو وتردد الآية، فقممت حتى مللت [القيام] وهى كما هى، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت: أفرغ من حاجتى

(1) سورة محمد آية 31.

(2) سورة الهمزة الآيات 6 / 7.

(3) سورة الطور آية 27.

ثم أرجع، ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو. وعنه قال: إن عائشة رضى الله عنها، كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر⁽¹⁾..

701. قال رجل من بنى ضبة: شهدت رجلاً قرأ على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما انتهى إلى هذه [الآية] (فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ).. بكى عمر حتى اشتد بكاؤه، ثم ازداد بكاءه فلم يزل يبكى حتى غشى عليه..

قال ابن أبي ذيب: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو أمير المدينة [وقد] قرأ عنده رجل { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا }⁽²⁾.. فبكى حتى غلبه البكاء وعلا نحيبه، فقام من مجلسه فدخل بيته وتفرق الناس..

وقال سعيد بن أبي عروبة: إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال لابنه: اقرأ سورة (ق). فقرأ حتى إذا بلغ { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ }⁽³⁾.. بكى. ثم قال: اقرأ سورة (ق). حتى إذا بلغ ذكر الموت، بكى أيضاً بكاء شديداً وفعل ذلك مراراً..

702. قال مجاهد وغيره: قرأ عمر بن عبد العزيز ليلة في صلاته سورة والليل إذا يغشى فلما بلغ قوله { فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى }⁽⁴⁾.. بكى فلم يستطع أن يجاوزها، ثم عاد فتلا السورة حتى بلغ الآية فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثاً، ثم قرأ سورة أخرى غيرها..

703. عن معتمر قال: صلى بنا سليمان بن طرخان التيمي فقرأ سورة (ق) في صلاة الفجر فلما انتهى إلى { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ }⁽⁵⁾.. غلبته عبرته فلم يستطع أن يجوز فركع..

(1) [صفة الصفوة ج 2 ص 31] .

(2) سورة الفرقان آية 13 .

(3) سورة ق آية 19 .

(4) سورة الليل آية 14 .

(5) سورة ق آية 19 .

وقال الصلت بن حكيم: قرأ لنا قارئ بمكة (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) ونحن على باب الفضيل [بن عياض]، فجعلنا نسمع نشيجه من العلو.. وقال سفيان: كان طلق بن حبيب إذا قرأ بكى وأبكى. وكان إذا قرأ لم يسمعه أحد إلا بكى من رفته وحسن صوته. قالت له أمه: ما أحسن صوتك يا بني بالقرآن، فليته لا يكون وبالأعلى عليك غدا في [يوم] القيامة. فبكى حتى غشى عليه..

704. حدثنا مزاحم بن زفر قال: صلى بنا سفيان الثوري المغرب، فقرأ حتى بلغ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ⁽¹⁾.. بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ الحمد لله..

705. قال محمد بن عبد العزيز: قرأ رجل عند أبي [سورة الطور] حتى انتهى إلى {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} ⁽²⁾.. فبكى القوم حتى ما كنت أسمع قراءة القارئ..

قال عبد العزيز من ولد توبة العنبري: بتنا ليلة بعبدان ومعنا الربيع بن صبيح وبكر ابن خنيس الكوفي وعدة من الفقهاء إذ قالوا: قد جاء عبد الواحد بن زيد [فقام له] القوم جميعاً فدخل علينا وكان رجل يقرأ، فدخل وقد انتهى القارئ إلى هذه الآية {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} ⁽³⁾.. فصاح: وأى أذان دون. فضج القوم بالبكاء، وسقط عبد الواحد مغشياً عليه. فقام الربيع وأصحابه فأحاطوا به، فجعلوا يبكون وهو بينهم صريع فلم يزالوا على ذلك يبكون حتى ضربه البرد في السحر فأفاق..

وعن أبي سعد البقال قال: خطبنا الحجاج [بن يوسف الثقفي] فقال: ابن آدم! أنت اليوم تأكل وغدا تُؤكل ثم تلا {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} ⁽⁴⁾.. ثم بكى حتى جعل يتلقى دموعه بعمامة.

(1) سورة الفاتحة آية 5.

(2) سورة الطور الآيات 7/8.

(3) سورة الطور الآيات 9/10.

(4) سورة البقرة آية 185.

وعن أبي سعد قال: صعد الحجاج المنبر فاستسقى وقد استسقى قبل. فلما كان في ذلك اليوم استسقى، فلا والله ما نزل عن المنبر حتى مطر. فاستقبل القبلة وصلى وسقط رداؤه. فبكى لما أجيب. ثم أقبل بوجهه فقال: أيها الناس إن العبد يسأل ربه الحاجة وطلبها إليه، ومن أمر ربه أن يجيبه فيها، فيطول الله عليه ليكون إذا أعطاه إياه أشد لشكره. وإنى أقسمت عليكم بالله لما صُمتم شكراً ثلاثاً ثم خرج..

706. وقال مقاتل بن حيان: صليت وراء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقرأ { وَفُؤُهُمْ
إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } ⁽¹⁾.. فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها!

وقالت امرأته فاطمة: ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه رضي الله عنه، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ويكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة، فيتنفض كما يتنفض العصفور في الماء ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمة له وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها!!

[يا سبحان الله!! أناس يعتبرون الخلافة شؤماً عليهم، وهناك من يقتل ويقاتل ويسجن ويبيع دينه وآخرته وبلاد المسلمين وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، من أجل أن يصل إلى سدة الحكم، أو أن يستمر به، فانظر إلى ما دَوَّن لنا التاريخ عنهم، أين هم الآن؟ وكيف سيكون موقعهم وموقفهم غداً بين يدي الله تعالى؟ أفي نعيم أم جحيم سيخلدون؟ قال تبارك وتعالى { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }] ⁽²⁾..

(1) سورة الصافات آية 24.

(2) سورة البقرة آية 281.

707- وقال ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} (1) ..

صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه، وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدر أن عليه..
لم أقف له على أصل..

708- قال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح القيسي يوماً فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على مر الساعات، ونحن على هذه الحال. قال: فخرجت معه إلى المقابر فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خر مغشياً عليه، فجلست والله عند رأسه أبكى [فلما] أفاق قال: ما يبكيك؟

قلت: لما أرى بك.

قال: لنفسك فابك. ثم قال: وانفساه وانفساه ثم غشى عليه. فرحمته والله مما نزل به فلم أزل عند رأسه حتى أفاق فوثب وهو يقول: { قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ } (2) .. تلك إذا كرة خاسرة ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني، حتى انتهى إلى منزله فدخل وصفق بابه، ورجعت إلى أهلي. ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات رحمه الله..

709- قال أبو بكر بن عياش: صليت خلف الفضيل بن عياض رحمه الله المغرب، وإلى جانيبي ابنه [على] فقرأ الفضيل سورة التكاثر. فلما بلغ { لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ } (3) .. سقط [ابنه] على مغشياً عليه، وبقي الفضيل لا يقدر يجاوز الآية. ثم صلى بنا صلاة خائف. فجعلت أقول في نفسي: يا نفس ما عندك من الخوف ما عند فضيل وابنه. قال: ثم رابطت علياً فما أفاق إلى نصف الليل..

710- على بن الفضيل الزاهد: قال النسائي: ثقة مأمون. وقال الخطيب: كان من الورع بمحل عظيم. قال الفضيل: قال لي ابن المبارك [يوماً]: ما أحسن حال من انقطع إلى

(1) سورة الحجر آية 43.

(2) سورة النازعات آية 12.

(3) سورة التكاثر آية 6.

ربه عز وجل، فسمع ذلك ابني فسقط مغشياً عليه، وكان إذا سمع آيات الوعيد يغشى عليه..

711- حدثنا عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت إسماعيل الطوسي يقول: بينا نحن ذات يوم عند الفضيل فقرأ رجل { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }⁽¹⁾.. فسقط على بن الفضيل مغشياً.. وقال صالح المري: سمعت يزيد الرقاشي يقرأ هذه الآية على أصحابه ويبكى { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ }⁽²⁾.. قال: يقول الملائكة بعضهم لبعض من أى باب يرتقى بعمله فيرتقى فيه بروحه؟ ويقول أهله: هذا والله حين فراقه [أى هذا وقت فراقه وعدم رؤيته مرة أخرى] فيبكي إليهم ويبكون إليه ولا يستطيع أن يحير إليهم جواباً. ثم بكى يزيد بكاء شديداً، وكان يزيد قد بكى حتى تناثرت أشفار عينيه..

712- لم يزل هرم بن حيان فى طلب أويس، فبينما هو بالكوفة ماراً على شاطئ الفرات إذ هو برجل يغسل طمرين له من صوف، فدنا منه هرم بن حيان فقال: السلام عليك يا أويس فأجابه، فقال له: كيف الزمان عليك؟ قال له أويس: كيف الزمان على رجل إذا أصبح يقول: لا أمسى، ويمسى فيقول: لا أصبح؟ يا أخا مراد، إن الموت وذكره لم يتركاً لأحد فرحاً، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يتركاً للمؤمن صديقاً. فقال له أويس: يا هرم اتل على آيات من كتاب الله عز وجل فتلا عليه { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }⁽³⁾.. فخر أويس مغشياً عليه..

(1) سورة المطففين آية 6.

(2) سورة القيامة الآيات 26 / 28.

(3) سورة الدخان آية 38.

713. قال الصلت بن مسعود: خرج الحسن بن صالح بن حي يوما من بيتي، فنظر إلى جراد يطير فقال: { يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَشِيرٌ } ⁽¹⁾.. ثم خر مغشيا عليه..
وحدثنا عبيد الله بن موسى قال: كنت أقرأ على علي بن صالح، فلما بلغت إلى قوله: { فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا } ⁽²⁾.. سقط الحسن بن صالح يخور كما يخور الثور، فقام إليه على فرفعه ومسح على وجهه ورش عليه الماء وأسندته إليه..

714. قال يزيد الرقاشي: إذا كان يوم القيامة، نادى مناد أيتها النار المطيعة سمى أهلك فيخرج عتق من النار فتتكت في وجوه أهل النار نكتا سودا، ثم ينادى مناد { وَامْتَأَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ } ⁽³⁾.. فينكر بعضهم إلى بعض فيقول: { فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } ⁽⁴⁾.. ثم ينادى مناد { فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ } ⁽⁵⁾.. فينكسون في النار على رؤوسهم ويصهر الحميم في أجوافهم، ثم سقط يزيد مغشيا عليه..

715. قيل إن أبا محمد الحسن الخالص [رأى] بهلول وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: ما للعب خلقنا. فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله عز وجل { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } ⁽⁶⁾.. ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات، ثم خر الحسن مغشيا عليه! فلما أفاق قال [لبهلول]: ما نزل بك

(1) سورة القمر آية 7.

(2) سورة مريم آية 84.

(3) سورة يس آية 59.

(4) سورة الأعراف 39.

(5) سورة النحل آية 29.

(6) سورة المؤمنون آية 115.

وأنت صغير لا ذنب [عليك منه]. فقال: إني رأيت والدتي [عندما] توقد النار بالحطب الكبار، لا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم!

716. عن عمرو بن ميمون بن مهران قال: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة إلى منزل الحسن [البصري] فطرت الباب فخرجت إلينا جارية فقالت: من؟ قلت: ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: كاتب عمر بن عبدالعزيز؟! قلت: نعم. قالت: يا شقى ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟!

فبكى الشيخ، فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا فقال ميمون: يا أبا سعيد، قد أنست من قلبى غلظة فاستلن لى منه. فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ }⁽¹⁾.. وسقط [الحسن البصري]. فرأيت يفضى برجله كما تفحص الشاة المذبوحة فأقام طويلا ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبى فخرجت به ثم قلت: يا أبتاه، أهذا الحسن؟ قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا؟ فوكزنى فى صدرى ثم قال: يا بنى، لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك بقى فيك كلوم⁽²⁾..

717. أحمد بن سعيد الهمداني قال: دخل ابن وهب الحمام، فسمع قارئاً يقرأ { وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ }⁽³⁾.. [أى يختصمون]. فسقط مغشيا عليه..

718. محمد بن المبارك الصوري قال: خرجنا حجاجا، فإذا نحن بشاب ليس معه زاد ولا راحلة! فقلت: فى مثل هذا الطريق بلا زاد ولا راحلة؟! فقال لى: تحسن تقرأ؟ فقلت: نعم. فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم { كهيعص }⁽⁴⁾.. فشهو شهقة خر مغشيا عليه ثم

(1) سورة الشعراء الآيات 205 / 207.

(2) [الكَلْمُ: الجُرْح، والجمع كُلُوم].

(3) سورة غافر آية 47.

(4) سورة مريم آية 1.

أفاق فقال: ويحك أتدرى ما قرأت؟ كاف من كاف، وهاء من هاء، وعين من عليم، وصاد من صادق فإذا كان معنى كاف وهاد وعلیم وصادق ما أصنع بزاد وراحلة؟ ثم ولى..

719. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } ⁽¹⁾.. قال: أالله سمانى لك؟! قال: نعم. قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟! قال: نعم. فذرفت عيناه. وفي رواية: فجعل أبى يبكى ⁽²⁾..

720. روى عبد الله بن محمد البلوى قال: كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر [أخبار] العباد والزهاد، فقال عمر: ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى، خرجت أنا وهو والحارث بن ليبد إلى الصفا، وكان الحارث تلميذا لصالح المري، فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت، فقرأ هذه الآية عليه { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } ⁽³⁾.. فرأيت الشافعى وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه. فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترِكَ واعف عن تقصيرى بكرم وجهك. ثم مشى وانصرفنا. فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة، فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة، فأسرعت فى وضوئى وجعلت أفقو أثره فالتفت إلى فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: نعم، تعلمنى مما علمك الله شيئا؟ فقال لى: اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه مما يراه من ثواب الله

(1) سورة البينة آية 1.

(2) رواه البخاري (4677) ومسلم (799). عمدة القاري ج 19 ص 310 رقم 1694.

(3) سورة المرسلات الآيات 35/36.

تعالى غدا، أفلا أزيدك؟ قلت: نعم، قال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان: من أمر بالمعروف وائتمر. ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى. ألا أزيدك؟ قلت: بلى، فقال: كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا، واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى. فسألت من هذا؟ فقالوا: الشافعي..

721- عن عبيد الله بن عمر رضي الله عنه قال: صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر فافتتح بسورة يوسف فقرأها حتى إذا بلغ { وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } ⁽¹⁾.. بكى حتى انقطع.. [وفي رواية أخرى بكى رضي الله عنه حتى انقطع فركع] ⁽²⁾..

722- وقرأ رجل على يزيد الضبي { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ } ⁽³⁾.. فجعل يزيد يبكي حتى غشى عليه..

قال عبد العزيز بن أبي رواد: بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } ⁽⁴⁾.. وعنده بعض أصحابه، وفيهم شيخ فقال: يا رسول الله، حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: والذي نفسى بيده إن صخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها. فوقع الشيخ مغشيا عليه. فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حى فناداه قل: لا إله إلا الله؟ فقالها، فبشره بالجنة. فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: نعم، يقول الله تبارك وتعالى { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ } ⁽⁵⁾..

(1) سورة يوسف آية 84.

(2) الرقة والبكاء للمقدسي ص 165.

(3) سورة إبراهيم آية 49.

(4) سورة التحريم آية 6.

(5) سورة إبراهيم آية 14. خرجه ابن أبي الدنيا في التخويف من النار ج 1 ص 102.

723. قال الوليد بن مسلم: أضاف أبى شيخاً من أهل الحجاز فبات ليلته يردد هذه الآية ويبكى إلى الصباح { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }⁽¹⁾.. فلما غدا إلى المسجد غدوت معه فقلت: يا عم لقد أبكتك الليلة آية ما يبكى عند مثلها، إنها آية رحمة! فقال لى: يا ابن اخى وما ينفعنى أو يغنى عنى عرضها إن لم يكن لى فيها موضع قدم..

724. عن وهيب بن الورد أنه قرأ { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا }⁽²⁾.. ثم يبكى ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن، وأنت مشفق أن لا يتقبل منك؟! وهذا كما حكى الله تعالى حال المؤمنين الخالص فى قوله { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }⁽³⁾.. أى يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات وقلوبهم وجلة خائفة أن لا يتقبل منهم..

725. حدثنا الحارث بن سعيد قال: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا }⁽⁴⁾.. فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }⁽⁵⁾.. فجعل مالك والله يبكى ويشهق حتى غشى عليه فحمل بين القوم صريعا..

726. وقال خالد بن الصقر السدوسى: كان أبى خاصاً بسفيان الثورى، فاستأذن على سفيان فى نحر الظهر، فأذنت امرأة، فدخلت عليه وهو يقول: { أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا

(1) سورة آل عمران آية 133.

(2) سورة البقرة آية 127.

(3) سورة المؤمنون آية 60.

(4) سورة الزلزلة آية 1.

(5) سورة الزلزلة الآيات 7/8.

نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} (1) .. ثم يقول: بلى يا رب! بلى يا رب! وينتحب، وينظر إلى سقف البيت ودموعه تسيل، فمكثت جالساً ما شاء الله، ثم أقبل إلى فقال: منذ كم أنت هنا هنا ما شعرت بمكانك !

727. عن عبد الله بن رباح: أن صفوان بن محرز، كان إذا قرأ هذه الآية { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } (2) .. بكى حتى أرى أن قصص زوره سيندق ..

وعن إبراهيم التيمي قال: لقد أدركت ستين من أصحاب عبد الله في مسجدنا هذا، أصغرهم الحارث بن سويد وسمعتة يقرأ سورة الزلزلة. حتى بلغ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فيبكي ثم قال: إن هذا الإحصاء شديد ..

728. وعن الفضيل: أنه بلغ [آية] { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } (3) .. فجعل يرددنها ويبكى، ويقول: يا فضيل، ليت شعري من أى الفريقين أنت؟

729. عن أبي الضحى قال: قرأ تميم الدارى رضي الله عنه سورة الجاثية، فلما أتى هذه الآية (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ). فلم يزل يكررها ويبكى حتى أصبح وهو عند المقام ..

730. عن أبي وائل الأسدى قال: خرجنا مع عبدالله بن مسعود والربيع بن خيثم فمررنا على حداد، فقام عبد الله بن مسعود ينظر إلى حديدة [على النار قد اتقدت من اللهب]، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط. ثم إن عبد الله مضى كما هو حتى أتى على شاطئ الفرات على أتون (4). فلما رآه والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية { إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ

(1) سورة الزخرف آية 80.

(2) سورة الشعراء آية 227.

(3) سورة الجاثية آية 21.

(4) [الأتون: موقد النار الكبير].

بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا { (1) .. فصعق الربيع . فاحتملناه فجئنا به إلى أهله . ورابطه عبد الله بن مسعود إلى الظهر فلم يبق ، ورابطه إلى المغرب فأفاق ..

قالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، زوجة عمر بن عبد العزيز ؓ : رأيت ليلة قائما يصلى فأتى على ذكر هذه الآية { يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } (2) .. فصاح واسوء صباحاه ثم وثب فسقط فجعل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم هدأ ، فظننت أنه قد قضى . ثم أفاق فنادى : يا سوء صباحاه ، ثم وثب فجعل يجول في الدار ويقول : ويلي من يوم يكون فيه الناس كالفراش المبعوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتنى عيناي فلم أملك عبرتي ..

731. كان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرا ، فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ، ثم يقول : { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } (3) .. يرددها ، ثم يرد على نفسه : يا ربيع قد رجعتك فاعمل ..

732. قال مالك بن ضيغم : حدثني الحكيم بن نوح قال : بكى أبوك ليلة من أول الليل إلى آخره ، لم يسجد فيها سجدة ، ولم يركع فيها ركعة ، ونحن معه في البحر . فلما أصبحنا قلت له : يا أبا مالك لقد طالت ليلتك ، لا مصليا ولا داعيا ؟! فبكى ثم قال : لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غداً ما لدُّوا بعيش أبداً ، إني والله لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده ، ذكرت الموقف وشدة الأمر هناك . وكل امرئ يومئذ تهمة نفسه { يَا أَيُّهَا النَّاسُ

(1) سورة الفرقان الآيات 12 / 14 .

(2) سورة القارعة الآيات 4 / 5 .

(3) سورة المؤمنون الآيات 99 / 100 .

اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ {⁽¹⁾.. ثم شهق شهقة فلم يزل يضطرب ما شاء الله ثم هداً..

عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك، فنزلت على عبد الملك [بن عمر بن عبد العزيز] وهو عزب، فكنت معه في بيت، فصلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه. ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه. ثم قام يصلي حتى ذهب بى النوم، فاستيقظت فإذا هو يقرأ { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ }⁽²⁾.. فبكى ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء. فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عنه. فلما سمعنى سكت فلم أسمع له حساً..

733- عن عبد الله بن عبيد بن عمير: أن أباه كان يقص [على] الزبير وابن عمر قاعد ناحية، فقرأ { يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهُ حَدِيثًا }⁽³⁾.. فبكى ابن عمر حتى [ابتل] جيبه من دموعه وابتلت لحيته..

734- ومن طريق صالح المري قال: كان عطاء السلمى قد أضر بنفسه حتى ضعف، فقلت له: إنك قد أضرت بنفسك، وأنا متكلف لك بشيء فلا ترد كرامتى، قال: أفعل، فاشتريت سويقاً من أجود ما وجدت وسمنا فجعلت له شريبه فتيثها وحليتها وأرسلت بها مع ابني وكوزاً من ماء، فقلت له: لا تبرح حتى يشربها، فرجع فقال: قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها ثم سرحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها! قال: فأتيته فلمته وقلت: سبحان الله أرددت على كرامتى، إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة

(1) سورة لقمان آية 33.

(2) سورة الشعراء الآيات 205/207.

(3) سورة النساء آية 42.

وعلى ذكر الله تعالى. فلما رآنى قد وجدت من ذلك قال: يا أبا بشر لا يسوؤك والله لقد شربتها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد راودت نفسى على أن أسيغها، فما قدرت على ذلك، إذا أردت شربة ذكرت هذه الآية { مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ }⁽¹⁾.. فبكى صالح عند هذا وقال: قلت لنفسى إنى فى وادٍ وأنت فى آخر..

عن سعد بن إبراهيم قال: أتى لعبد الرحمن بن عوف بعشائه وهو صائم فقرأ { إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا }⁽²⁾.. فلم يزل يبكى حتى رفع طعامه وما تعشى وإنه لصائم. خرج به الجوزجاني..

735- روى يونس بن محمد المكي فقال: زرع رجل من أهل الطائف زرعاً، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق. فدخلنا عليه لنسليه، فبكى وقال: والله ما عليه أبكى ولكن سمعت الله تعالى يقول { كَمْثَلٍ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ }⁽³⁾.. فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذى أبكاني..

736- عن أبى حسن سالم البراد قال: لما نزلت { وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ }⁽⁴⁾.. جاء عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وهم ييكون فقالوا: يا رسول الله لقد أنزل الله هذه الآية، وهو يعلم أنا شعراء، أهلكنا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }⁽⁵⁾.. فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم..

(1) سورة إبراهيم الآيات 16 / 17.

(2) سورة المزمل الآيات 12 / 13.

(3) سورة آل عمران آية 117.

(4) سورة الشعراء آية 224.

(5) سورة الشعراء آية 227.

737. حدثني من سمع ابن عمر قرأ { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ }⁽¹⁾.. حتى بلغ { يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }⁽²⁾.. فبكى حتى خر وامتنع عن قراءة ما بعده..

738. عن الأعمش عن أبي الضحى حدثني من سمع عائشة رضى الله تعالى عنها
وأرضاهما تقرأ: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ }⁽³⁾.. فتبكي حتى تبل خمارها..

739. وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قرأ يوماً قوله تبارك وتعالى: { وَمَا تَكُونُ فِي
شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا }⁽⁴⁾.. فبكى بكاء
شديداً حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة زوجته فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل
الدار لبكائهما، فجاء ولده عبد الملك فدخل عليهم وهم يبكون. فقال: يا أبت ما يبكيك؟
فقال: يا بني، ود أبوك [لو] لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من
أهل النار. [كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يخاف مع عدله، وأنت تأمنه مع ظلمك وجورك].
ورؤى رضي الله عنه في المنام بعد اثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلصت من حسابي..

740. وعن عبد الله بن شداد أنه قال: سمعتُ نَشِيجَ⁽⁵⁾ عمر [بن الخطاب رضي الله عنه] وإني
وإني لفى الصف خلفه في صلاة، وهو يقرأ سورة يوسف حتى انتهى إلى قوله تعالى: { إِنَّمَا
أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ }⁽⁶⁾..

(1) سورة المطففين آية 1.

(2) سورة المطففين آية 6.

(3) سورة الأحزاب آية 33.

(4) سورة يونس آية 61.

(5) النشيج: رفع الصوت بالبكاء.

(6) سورة يوسف آية 86. رواه البخاري، فتح الباري.

741. وقال سليمان بن سحيم: أخبرني من رأى ابن عمر يصلى وهو يترجح ويتمايل ويتأوه حتى لو رآه غيرنا ممن يجهله لقال: لقد أصيب الرجل! وذلك لذكر النار إذ مر بقوله تبارك وتعالى { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُقِرَّيْنِ }⁽¹⁾ .. أو نحو ذلك. خرج أبو عبيدة..

قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: سمعت عبد الله بن حنظلة يوما وهو على فراشه وعدته من علته فتلا رجل عنده هذه الآية { لَّهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ }⁽²⁾ .. فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج وقال: صاروا بين أطباق النار ثم قام على رجلبيه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن اقعد، قال: منعنى القعود ذكر جهنم ولا أدري لعل أحدهم..

قال أبو نعيم: إن على بن الفضيل صلى خلف إمام، قرأ فى صلاته سورة الرحمن، فلما سلم قيل لعل: أما سمعت ما قرأ الإمام { حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ }⁽³⁾ .. فقال: شغلنى عنها ما قبلها { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ }⁽⁴⁾ ..

742. قال إسماعيل بن ذكوان: كان يزيد الرقاشى إن دخل بيته بكى وإن جلس إليه إخوانه بكى وأبكاهم، فقال له ابنه يوما: كم تبكى يا أبة؟ والله لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا البكاء! فقال: يا بنى وهل خلقت النار إلا لى ولأصحابى ولإخواننا من الجن. أما تقرأ يا بنى { سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ }⁽⁵⁾ .. أما تقرأ يا بنى { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ }⁽⁶⁾ .. فجعل يقرأ عليه حتى انتهى إلى قوله

(1) سورة الفرقان آية 13.

(2) سورة الأعراف آية 41.

(3) سورة الرحمن آية 72.

(4) سورة الرحمن آية 35.

(5) سورة الرحمن آية 31.

(6) سورة الرحمن آية 35.

{ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ }⁽¹⁾.. فجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكى حتى غشى عليه. فقالت للفتى أمه: يا بني ما أردت بذا من أبيك؟ قال: إني والله إنما أردت أن أهون عليه ولم أرد أن أزيده حتى يقتل نفسه..

743. حدثنا إياس بن أبي تميم قال: حضرت الحسن [البصري وقد] مر عليه بجنابة نصراني فقال: { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ }⁽²⁾..

744. عن ابن المنذر أن ابن عمر رضى الله عنهما كان إذا تلا هذه [الآية] { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ }⁽³⁾.. بكى، ثم قال: بلى يا رب بلى يا رب. وعن الحسن [البصري]: أما والله لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرأون فانظروا في طول ما قرأتم وما ظهر فيكم من الفسق!.

745. وقال يوسف بن ماهك: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما عند عبيد بن عمير، وعبيد يقص، فرأيت ابن عمر ودموعه تهراق.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه، أنه تلا { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ }⁽⁴⁾.. فجعل ابن عمر يبكى حتى لصقت لحيته وجيبه من دموعه، فأراد رجل أن يقول لأبي: أقصر فقد آذيت الشيخ..

746. حدثنا محمد بن بشر المكي قال: كنا يوماً ماضين مع علي بن الفضيل، فمررنا بمجلس الحارث المخزومي، ومعلم يعلم الصبيان ويقرأ { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا

(1) سورة الرحمن آية 44.

(2) سورة الشعراء آية 227.

(3) سورة الحديد آية 16.

(4) سورة النساء آية 41.

عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى {⁽¹⁾.. فشهب بن فضيل شهقة خر مغشياً عليه.
فجاء الفضيل فقال: بأبى قتيل القرآن، ثم حمل، فحدثني بعض من حملة، أن الفضيل
أخبره أن عليا ابنه لم يصل ذلك اليوم الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء، فلما كان
في جوف الليل أفاق..

747. وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما
هو يرتقى الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
الله {⁽²⁾.. فرجع القهقري وهو يقول: بلى والله قد آن، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت
توبتي إليك جوار بيتك الحرام..

748. وقال السيد بن عمرو: عن أبي حنيفة، يروى أنه من شدة خوفه سمع قارئاً
يقرأ في المسجد (سورة الزلزلة) فلم يزل قابضاً على لحيته إلى الفجر وهو يقول: نجزي
بمثقال ذرة..

749. قال أحمد بن يونس: سمعت زائدة يقول: صليت مع أبي حنيفة في مسجده
عشاء الآخرة وخرج الناس ولم يعلم أنى في المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألة من
حيث لا يرانى أحد قال: فقام فقرأ وقد افتتح الصلاة حتى بلغ إلى هذه الآية { فَمَنْ اللهُ
عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ }⁽³⁾.. فأقمت في المسجد أنتظر فراغه فلم يزل يرددها حتى
أذن المؤذن لصلاة الفجر.

وقال يزيد بن الكميث: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا على بن الحسين
المؤذن ليلة في عشاء الآخرة، إذا زلزلت، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج
الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يفكر ويتنفس، فلما خرجت تركت القنديل ولم

(1) سورة النجم آية 31.

(2) سورة الحديد آية 16.

(3) سورة الطور آية 27.

يكن فيه إلا زيت قليل فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم قد أخذ بلحية نفسه وهو يقول:
يا من يجزئ بمثقال ذرة خير خيرا، ويا من يجزئ بمثقال ذرة شر شرا، أجر النعمان عبدك
من النار وما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك. قال: فأذنت، فإذا القنديل
يزهر وهو قائم، فلما دخلت قال: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت للصلاة وصلى معنا
قال: اكنم على ما رأيته. وركع ركعتي الفجر وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا
الغداة على وضوء أول الليل..

750. عبد الله بن الفرّج العابد قال: كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل،
فمر ذات ليلة برجل وهو يتهدج على سطحه وهو يقرأ { وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } ⁽¹⁾.. فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشى عليه، فلم
يزل على حاله تلك حتى أصبح، فلما أصبح أسلم..

751. قال علي بن عبد الله: كنا عند يحيى بن سعيد، فلما خرج من المسجد خرجنا
معه فلما صار باب داره وقف ووقفنا معه، فانتهى إليه الروبي، فقال يحيى لما رآه: ادخلوا،
فدخلنا فقال للروبي: اقرأ، فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى يتغير حتى بلغ { إِنَّ يَوْمَ
الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } ⁽²⁾.. فصعق يحيى وغشى عليه وارتفع صوته، وكان باب قريب
منه فانقلب فأصاب الباب فقار ظهره وسال الدم فصرخ النساء، وخرجنا فوقفنا بالباب
حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا عليه، فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول { إِنَّ يَوْمَ
الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } فما زالت فيه تلك القرحة حتى مات رحمه الله..

752. وأخرج ابن مردويه: عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: خرج
رسول الله ﷺ على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون، فسحب رداءه محمرا
وجهه فقال: أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم! ولقد أنزل على في

(1) سورة آل عمران آية 83.

(2) سورة الدخان آية 40.

ضحككم آية { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ }⁽¹⁾.. قالوا: يا رسول الله فما كفارة ذلك؟ قال: تكون قدر ما ضحكتم⁽²⁾..

753. وسمع الشافعي قارئاً يقرأ { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ }⁽³⁾.. فغشى عليه. وقال الجنيد: دخلت على سري السقطي، فرأيت بين يديه رجلاً قد غشى عليه، فقال لي: هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشى عليه. فقلت: اقرؤوا عليه تلك الآية بعينها فقرأت فأفاق. فقال: من أين قلت هذا؟ فقلت: رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق. فاستحسن ذلك.

وسمع بكر بن معاذ قارئاً يقرأ { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }⁽⁴⁾.. فاضطرب ثم صاح: ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك، ثم غشى عليه.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله: إذا سمع أحداً يقرأ { إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ }⁽⁵⁾.. اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد.

754. وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر والحاكم عن أبي عمران الجوني قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه براهب فوقف ونودي الراهب فقبل له: هذا أمير المؤمنين فاطلع، فإذا [شبهه] إنسان، به من الضر والاجتهاد وترك الدنيا، فلما رآه عمر بكى! فقبل له: إنه

(1) سورة الحديد آية 16.

(2) الدر المنثور ج 8 ص 57.

(3) سورة المرسلات الآيات 35 / 36.

(4) سورة غافر آية 18.

(5) سورة الانشقاق آية 1.

نصراني؟! فقال: قد علمت، ولكنى ذكرت قوله الله {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً} (1) .. فرحمت نصبه واجتهاده وهو فى النار..

755- عن ابن شهاب الزهري قال: زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى مؤتة فبكى أهله حين رأوه يبكى، فقال: والله ما بكيت جزعاً من الموت ولا صباة لكم، ولكنى بكيت من قول الله عز وجل { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } (2) .. فأيقنت أنى واردها ولم أدر أنجو منها [أم لا]..

756- قالت فاطمة ابنة عبد الملك [زوجة عمر بن عبد العزيز ؓ]: كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار. فلما كان اليوم الذى قبض فيه، خرجت فجلست فى بيت آخر وبينى وبينه باب وهو فى قبة له، فسمعتة يقول { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (3) .. ثم هدأ، فجعلت لا أسمع له حسا ولا كلاما. فقلت للوصيف: انظر أمير المؤمنين. فلما دخل عليه صاح، فوثبت فدخلت عليه فإذا هو ميت قد استقبل القبلة وأغمض نفسه، وجعل إحدى يديه على عينيه والأخرى على فيه..

757- عن أنس ؓ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية { وَقُوْهُمَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } (4) .. فقال: أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة لا يطفأ لهبها. قال: وبين يدي رسول الله ﷺ رجل أسود يهتف بالبكاء، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من هذا الباكي بين يديك؟ قال: رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفا قال: فإن الله عز وجل يقول: وعزتى وجلالى وارتفاعى فوق عرشى،

(1) سورة الغاشية الآيات 3 / 4.

(2) سورة مريم آية 71.

(3) سورة القصص آية 83.

(4) سورة التحريم آية 6.

لا تبكى عين عبد في الدنيا من مخافتى إلا أكثرت ضحكته معى في الجنة.. وبمعناه رواه سهيل بن أبى حزم عن ثابت في الحبشى وبكائه⁽¹⁾..

758. عن [أم المؤمنين] عائشة رضى الله تعالى عنها: أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: مالك؟ قالت: ذكرت النار فبكت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال ﷺ: أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحداً: حيث توضع الميزان حتى يعلم أنخف ميزانه أم تثقل. وعند تطاير الكتب حين يقال { هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ }⁽²⁾.. حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أو من وراء ظهره. وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثير، يجبس الله بها من شاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا⁽³⁾..

759. عن عمران بن حصين قال: لما نزلت { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ }⁽⁴⁾.. [على رسول الله ﷺ] وهو فى سفر فقال ﷺ: أتدرون أى يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة. فأنشأ المسلمون ييكون. فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسددوا، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، فتؤخذ العدة من

(1) شعب الإيمان ج 1 ص 489 رقم 799.

(2) سورة الحاقة الآية 19.

(3) [الدر المنثور ج 3 ص 419 أخرجه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والآخرى فى الشريعة والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث عن عائشة].

(4) سورة الحج الآيات 1 / 2.

الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين، وما مثلكم إلا كمثل الرقمة⁽¹⁾ في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير، ثم قال ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا، قال [عمران]: فلا أدري قال: الثلثين أم لا..

760. وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى: الباكي من خشية الله تعالى تهتز له البقاع التي يبكي عندها وتغمره الرحمة ما دام باكيا.

وقال عمر بن ذر رحمه الله تعالى: إن البكاء من خشية الله، يبدل بكل قطرة أو دمعة تخرج من عينيه، أمثال الجبال من النور في قلبه ويزاد في قوته من العمل، ويطفىئ بتلك المدامع بحورا من النار.

وعن مفضل بن مهلهل قال: إن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى، ملئت جوارحه نورا واستبشرت ببكائه وتداعت بعضها بعضا من هذا النور، فيقال: هذا غشيكم من نور البكاء.. 761. عن قيس بن سليم العنبري قال: كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: لا أدري ما صعد اليوم من عملي..

حدثنا صدقة بن بكر قال: سمعت معاذ بن زياد التميمي يذكر أن فتى من الأزد بكى حتى أظلم بصره، فعوتب في ذلك، فقال:

أَلَمْ يَرِثِ الْبُكَاءَ أَنْاسُ صَدَقٍ فَقَادَهُمُ الْبُكَاءُ خَيْرَ الْمَقَادِ

أَلَمْ يَقُلِ الْإِلَهُ إِلَى عِبْدِي فَكُلُّ الْخَيْرِ عِنْدِي فِي الْمَعَادِ

762. عن حميد قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز بكى وقال: يا أبا قلابة هل

تحشى عليّ؟ قلت: كيف حبك الدرهم؟ قال: لا أحبه [فقلت: إذا] لا تخف. إن الله عز وجل سيعينك..

(1) [الرَّقْمَةُ: الهَمَّةُ النَّاتِيَةُ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ مِنْ دَاخِلٍ].

763. وعن بكر المزني أن أبا موسى الأشعري خطب الناس بالبصرة، فذكر في

خطبته النار، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاء شديداً..

764. قال مالك بن أنس رحمه الله: بكى ربيعة يوماً بكاء شديداً، ف قيل له: أمصيبة نزلت

بك؟ فقال: لا، ولكن استفتى من لا علم عنده..

765. حدثنا سوار أبو عبيدة قال: بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد

تسع سنين لا يفتر، يبكي من حين يبدأ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم، لا يكاد يفتر

عنه ف قيل لعبد الواحد: إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة الغلام؟ قال: وأصنع ماذا؟

يبكي عتبة على نفسه وأنه أنا! لبس واعظ قوم أنا..

766. عن عبد الواحد بن زيد قال: ما رأيت شاباً أخذ القلب ولا أطول حزناً من

عتبة الغلام فلربما حدثته بالحدث فيبكي حتى أقول الآن يموت. فسهرت مفكراً في طول

حزنه وكلمته ليرفق بنفسه، فبكى وقال: إنما أبكى على تقصيري..

767. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتاً

حسناً ودمعاً غزيراً وطعاماً من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية

دهره، وكان يأوى إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدرى من أين يأتيه..

768. عن أبي معاذ نزار بن سباع قال: حضرت عند أبي نصر النيسابوري العابد

وما رأيت قط أكثر منه بكاء، في يوم عيد، [وقد] سأله سائل في الدعاء، فبكى حتى غشى

عليه، وقال: مثلي يسأل في الدعاء؟! فقمنا عنه وهو مغشى عليه رحمه الله..

769. حدثنا الحميدي قال: سمعت ابن عيينة يقول: كان أبو خالد يزيد المؤذن، إذا

أذن بكى وصرخ صرخة في إثر أذانه، فقال له بعض الأمراء: ما هذا الذي يغشاك عند

الدعاء؟ قال: إني لأشبهه بالنفخة. ثم غشى عليه..

770. قال قتادة: كان العلاء بن زياد قد بكى حتى غشى بصره، وكان إذا أراد أن

يتكلم أو يقرأ جهشه البكاء، وكان أبوه زياد بن مطر، قد بكى حتى عمى..

771. قال عبد العزيز بن سلمان العابد: انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك ابن دينار رحمهما الله، فوجدناه قد قام من مجلسه ودخل منزله وأغلق عليه باب الحجر. فجلسنا ننتظره ليخرج أو نسمع له حركة فنستأذن عليه. فجعل يترنم بشيء لم نفهمه، ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه. ثم جعل يشهق ويتنفس حتى غشى عليه. فقال لى عبد الواحد: انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه..

772. [قالت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز رحمهما الله] دخلت يوماً عليه وهو جالس فى مصلاه واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه! فقلت: مالك؟ فقال: يا فاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى والمجهود واليتيم المكسور والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور والغريب والأسير والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم فخشيت أن لا يثبت لى حجة عند خصومته فرحمت نفسى فبكيت. [هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمهما الله الحاكم العادل الذى ضرب بعدله المثل، مع عدله الذى اشتهر به وحرصه على إرضاء الله تعالى، يبكى خوفاً من الله تعالى، ويخشى أن يكون مقصراً فى حق رعيته وهو الشفيق العادل بل هو آخر من اشتهر بالعدل، فيسأله الله تعالى عن تقصيره غير المتعمد تجاههم، أو يحاسبه عنهم ويؤاخذه فيما أضاع أو سلب أو قَصَّر من حقوقهم!! فيا سبحان الله ممن لا يعدلون، ويظلمون ولا يخافون ولا يخشون ولا يتقون وقد تولوا أمور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، ونسوا قوله تعالى { السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ } (1)..

(1) [سورة القمر آية 46].

773- أبو يونس القوى: إنما سمي القوى لقوته على العبادة والطواف، لأنه بكى حتى عمى، وصام حتى خَوِيَ⁽¹⁾، وصلى وقام حتى قعد وعيى، وكان يطوف بالبيت في اليوم والليلة سبعين [مرة]، كما ذكره الحافظ بن حجر في التهذيب..

774- وروى ابن أبي الدنيا عن مولى لعمر بن عبد العزيز ﷺ أنه قال له: يا بنى: ليس الخير أن يسمع لك وتطاع، وإنما الخير أن تكون قد غفلت عن ربك عز وجل ثم أظعته. يا بنى: لا تأذن اليوم لأحد علىّ حتى أصبح ويرتفع النهار، فإنى أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عنى. فقال له مولاه: رأيتك البارحة، بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله؟! فبكى ثم قال: يا بنى، إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل. ثم غشى عليه فلم يفتح حتى علا النهار. قال: فما رأيته بعد ذلك متبسما حتى مات..

775- كان فتح الموصلى يبكى الدموع ثم يبكى الدم، فلما مات رؤى في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفنى بين يديه وقال لى: يا فتح هذا البكاء لماذا؟ قلت: يا رب على تخلفى عن واجب حقك. قال: فلم بكيت الدم؟ قلت: يا رب خوفا على دموعى أن لا تصح لى. قال: يا فتح ما أردت بذلك كله؟ قلت: يا سيدى أردت بذلك وجهك الكريم فأرنيه واصنع بى ما شئت. فقال: وعزتى وجلالى لقد صعد إلى حافظاك⁽²⁾ منذ أربعين سنة بصحيفتك، وليس فيها خطيئة واحدة، فلا لبسك لباس التكريم، ولأمتعنك بالنظر إلى وجهى الكريم..

776- كان آمد الشامى يبكى ويتحبب فى المسجد حتى يعلو صوته وتسيل دموعه على الخصى، فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك أمسك قليلاً. فبكى ثم قال: إن حزن يوم القيامة أورثنى دموعاً غزيراً فأنا أستريح إلى ذرها. وقيل لبعضهم: ارفق بنفسك. فقال: الرفق أطلب.

(1) [خَوِيَ: أى ضعف].

(2) [حافظاك: أى الملكان الموكلان بكتابة أعمالك].

وكان إبراهيم النخعي يبكي في مرضه، فيسألوه عن سبب بكائه، فيقول: وكيف لا أبكى وأنا أنتظر رسولا من ربي يبشرني إما بهذه وإما بهذه؟

777. كان رجل كثير البكاء فقليل له في ذلك، فقال: أبكاني تذكرى ما جنيت على نفسي حين لم تستح ممن شاهدنى وهو يملك عقوبتى، فأخرنى إلى يوم العقوبة الدائمة وأجلنى إلى يوم الحسرة الباقية. والله لو خيرت أيا أحب إليك، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة أو يقال لك كن تراباً؟ لا اخترت أن أكون تراباً..

778. وعظ مالك بن دينار يوماً، فبكى حوشب وكان في العباد عارفاً وعن الدنيا عازفاً فضرب مالك بيده على منكب حوشب وقال: ابك يا أبا بشر ابك يا أبا بشر، ابك فقد بلغنى أن العبد لا يزال يبكي حتى يرحمه سيده فيعتقه من النار..

779. قال أبو بكر الكنانى: رأيت في المنام شاباً لم أر أحسن منه فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا التقوى، فقلت له: فأين تسكن؟ فقال: في كل قلب حزين بكاء.

وقيل: رأى يزيد الرقاشى النبى ﷺ فقرأ عليه. فقال له: هذه القراءة فأين البكاء؟ وقال أحمد بن أبى الحوارى: رأيت في المنام جارية ما رأيت أحسن منها يتلألاً وجهها بهاء وجمالاً فقلت لها: ما أنور وجهك؟ فقالت: أتذكر الليلة التى بكيت فيها من خشية الله عز وجل فقلت: نعم. قالت: حملت إلى دمعك فمسحت بها وجهى فصار كما ترى.

قال إبراهيم بن أدهم: مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوذ فجعل يتنفس ويتأسف. فقلت له: على ماذا تتأسف؟ فقال: على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى.

780. وقيل لغائب بن عبد الله: أما تخاف على عينيك العمى من طول البكاء؟ فقال:

شفاءها أريد..

781. قال سليم بن منصور بن عمار: رأيت أبى في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟

فقال: إن الرب تعالى قربنى وأدانى وقال لى: يا شيخ السوء تدرى لما غفرت لك؟ قلت:

لا يا إلهي. قال: إنك جلست للناس يوما مجلسا فبكيتهم، فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له، ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن وهبت له..
782. جاء رجل إلى بعض العباد، فقال له: بم أستعين على كثرة البكاء؟ فقال: بترك ما يبكي منه..

783. أبو عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام حب الآخرة: كثرة البكاء والذكر لها ودوام الشوق إليها وبغض الدنيا من أجلها..
784. وقال ابن العلاء السعدي: كانت لى ابنة عم يقال لها: بريرة، تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف، فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت، فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء. فقال بنو عمها: انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعد لها في كثرة البكاء فدخلنا عليها فقلنا: يا بريرة كيف أصبحت؟ قالت: أصبحنا أضيافا منيخين بأرض غربة نتنظر متى ندعى فنجيب. فقلنا لها: ما هذا البكاء قد ذهبت عينك منه؟ فقالت: إن يكن لعيني عند الله خير، فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا، وإن كان لهما عند الله شر، فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت..

785. وعن عبد الله بن هبيرة: أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: لأن أدمع دمة من خشية الله أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار، وأن أقرض رجلا دينارا فيكون عنده ثم آخذه فأقرضه آخر، أحب إليّ من أن أتصدق به، فإن الصدقة إنما يكتب له أجرها حين يتصدق بها، وهذا يكتب له أجر ما كان عند صاحبه.. قيل: إنه بكى حتى عمى، وكان يقوم الليل ويصوم يوما ويفطر يوما..

786. وقال كعب الأحبار: والذي نفسى بيده، لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على خدي أحب إليّ من أن أتصدق بجبل من ذهب..

787. وعن هانئ مولى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته! فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكي من هذا؟! فقال إن رسول

الله ﷺ قال: إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. وقال رسول الله ﷺ: ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفضع منه⁽¹⁾..

788. كان فضالة بن صيفى كثير البكاء، فدخل عليه رجل وهو يبكى، فقال لزوجته: ما شأنه؟ قالت: زعم أنه يريد سفراً بعيداً وما له زاد..

789. قال سفيان: إذا قرح القلب نديت العينان..

وقال هلال العيسى: إذا ابتعدت عن مواطن الأشرار وطهرت النفس بالتوبة وبالاستغفار والتجأت إلى العزيز الغفار، صفا قلبك ونديت عينك وأجابتك إذا دعوتها..

790. قيل: كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا صلى الصبح أخذ المصحف في حجره ودموعه تبل لحيته، فكلما مر بآية تخويف ردها فلا يتجاوزها من كثرة البكاء حتى تطلع الشمس..

791. وكان الحسن [البصرى]: شديد الحزن طويل البكاء، سئل عن حاله فقال: أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى..

792. حدثنى أبو علقمة المدنى قال: كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبى، فإذا أراد أن يخرج بكى وقال: أخاف أن لا أعود إليه..

قال إسماعيل بن زكريا، وكان جار حبيب بن محمد: كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه، وإذا أصبحت سمعت بكاءه، فأتيت أهله، فقلت: ما شأنه؟ يبكى إذا أمسى، ويبكى إذا أصبح؟! فقالت لى: يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح وإذا أصبح أن لا يمسى..

793. وقيل: ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه، بل الخائف الذى يترك ما يخاف أن يعذب عليه..

794. قال الحسن البصرى: إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها، فإذا خشى أن تسبقه قام [لتكون خالصة لوجه الله تعالى]..

(1) رواه الترمذى 8 / 23 وابن ماجه 4267 وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الترغيب 355.

795. وقال بعضهم: رأيت عمر رضي الله عنه بمكة، فرأيت أنه حديث عهد بمصيبة، ثم رأيت بمنى، فرأيت أنه أحضر للقيود، ثم رأيت بعرفة، فرأيت رجلاً كأن النار لم تخلق إلا له..
796. عن سفيان بن عيينة قال: كان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه، ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع..
797. عن عبدالله بن المبارك قال: أتيت سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبته، وعيناه تهملان، فبكيت، فالتفت إليّ فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ أهل الجمع حالاً؟ قال: الذين يظنون أن الله لا يغفر لهم..
798. زارت امرأة زوجة الأوزاعي، فدخلت إلى مصلاه في البيت فإذا هو مبلول فجاءت تقول لزوجته: غفلت عن الصبيان فبالوا في مصلي الأوزاعي! فقلت زوجة الأوزاعي: هذه دموع الأوزاعي في مصلاه..
799. قال الحرث بن زيد جار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: تالله لقد سمعت عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، لما أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو يتململ تلمل السقيم، ويبكى بكاء الحزين، فكأنني أسمعوه وهو يقول: يا دنيا إليّ تعرضت أم إليّ تشوقت، هيهات هيهات غرى غيرى قد طلقتك ثلاثاً فلا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كثير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق..
800. وعن يزيد بن حوشب قال: ما رأيت أكثر خوفاً من الحسن [البصري] ومن عمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما!
- وعن سفيان قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتاً، وأصحابه يتحدثون، فقالوا له: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاوون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى..
801. عن زياد مولى ابن عياش قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ليلة شاتية وبين يديه كانون وعمر على كتابه، فجلست أصطلى فلما فرغ من كتابه مشى إليّ حتى

جلس معى على الكانون وهو خليفة! فقال: زياد قصص على؟ قلت: ما أنا بقاص. قال: فتكلم؟ قلت: زياد. قال: ما له؟ قلت: لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار. ولا يضره من دخل النار غداً إذا دخل الجنة. قال: صدقت والله، ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار، ولا يضرك من دخل النار إذا دخلت الجنة. [ثم] بكى حتى أطفأ الجمر الذى فى الكانون !!

802. عن معاذ بن زياد قال: كان يحيى بن مسلم البكاء، قد اعتم بعمامة فأدارها على حلقه وجعل لها طرفين، يبكى حتى يبل هذا الطرف، ثم يبكى حتى يبل الطرف الآخر، ثم يملأها من رأسه ويبكى وينتحب حتى يبل العمامة بأسرها، ثم يبكى وينتحب حتى يبل أردانه..

803. عن مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عبد يخطب خطبة إلا الله عز وجل سائله عنها، ما أراد بها. قال جعفر: كان مالك بن دينار إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول: تحسبون أن عيني تقرأ بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلنى عنه يوم القيامة ما أردت به⁽¹⁾..

804. عن ابن المبارك: كان ابن أبى رواد يتكلم ودموعه تسيل على خده. وكان وهيب بن الورد يتكلم والدموع تقطر من عينيه..

805. أخبرنا عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول: بينا عبد الله ابن عمرو بن العاص، يصلى وراء المقام وهو يبكى وقد كسف أو خسف القمر، إذ مر به العلاء بن طارق فوقف يسمع، فقال: ما يوقفك يا ابن أخى، تعجب من أنى أبكى؟ والله إن هذا القمر يبكى من خشية الله، أما والله لو تعلمون علم اليقين، لبكى أحدكم حتى ينقطع صوته ويسجد حتى ينقطع صلبه..

(1) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقي مرسلين بإسناد جيد. الترغيب والترهيب ج 1 ص 74 رقم 213.

806. وقال مالك بن دينار رحمه الله: بينما أنا أطوف بالبيت، إذا أنا بجويرة متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها، يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟! وتبكى. فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر. قال مالك: فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول: ثكلت مالكا أمه..

807. قال أبو جعفر البقال: كان محمد بن يحيى رجلا من أهل الدين والفضل، دخلت فرأيت يبكى بكاء قويا ما يكاد أن يتمالك فقلت له: أخبرني ما حالك؟ فأراد أن يلهيني، فلم أتركه، ثم قال لي: إنه فاتني البارحة وردى، ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته فعوقبت بمنع وردى وأخذ يبكى، فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه الأمر فقلت له: ما أعجب أمرك، لم ترض عن الله في نومة نومة إياها حتى قعدت تبكى بين يديه! فقال: يا أبا جعفر، ما أحسب ذاك إلا لأمر أحدثته، وعاد عليه البكاء ورأيت لا يرجع إلى قولي، فانصرفت..

808. نظر الفضيل بن عياض إلى بكاء الناس بعرفة فقال: أرايتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دافعا أكان يردهم؟ فقالوا: لا. فقال: والله للمغفرة عند الله، أهون من إجابة رجل بدانق..

809. كان يزيد بن أبان الرقاشى من أصحاب أنس والحسن، وكان يبكى عامة ليلة ونهاره حتى سقطت أشفار عينيه. فقال له ابنه: لو خلقت النار لأجلك ما زدت على ما تصنع، فقال: وهل خلقت النار إلا لي ولأمثالي؟

قال ابن السكيت: أعقل الناس محسن خائف [من الله]، وأجهلهم مسيء آمن..

810. كانت آمنة بنت أبى الورع من العابدات الخائفات، وكانت إذا ذكرت النار قالت: أدخلوا النار وأكلوا وشربوا من النار وعاشوا ثم تبكى، وكانت كأنها حبة على مقلى، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت..

وعن ابن أبي الذباب: أن طلحة وزيدا مرا بكير حداد، فوقفا ينظران إليه ويبكيان.
وما هذا البكاء، إلا لعلمهما بأن الأمر جد، والحساب قادم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها..

811. حدثنا محمد بن يزيد بن حسن قال: سمعت الثوري يقول: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي، فجعل سعيد يبكي حتى رحمته، فقلت: يا سعيد ما يبكيك وأنت تسمعي أذكر أهل الخير وفعالهم؟ قال: يا سفيان، وما يمنعني من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت منهم بمعزل؟ قال سفيان: حق لك أن تبكي..

812. قال أبو عبد الرحمن الأسدي: قلت لسعيد بن عبد العزيز، ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: يا عم، لعل الله أن ينفعني به، قال: ما قمت في صلاتي إلا مثلت لى جهنم..

813. وقال سرار أبو عبد الله: عاتبت عطاء السلمى في كثرة بكائه، فقال لى: يا سرار كيف تعاتبني في شيء ليس هو لى؟ إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه، تمثلت لى نفسى بهم، فكيف لنفس تغل يداها وعنقها وتسحب إلى النار أن لا تبكى وتصيح؟ وكيف لنفس تعذب أن لا تبكى؟!

814. عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد، ما لى أرى عينك لا تحف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به. قال: يا ابن أخي، إن الله توعدنى إن أنا عصيته أن يسجننى فى النار، والله لو لم يوعدنى أن يسجننى إلا فى الحمام، لكننى حرياً أن لا تحف لى عين.

قلت له: فهكذا أنت فى صلاتك؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به. قال: والله إن ذلك ليعرض لى حين أسكن إلى أهلى فيحول بينى وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدى فيعرض لى فيحول بينى وبين أكله، حتى تبكى امرأتى ويبكى

صبياننا، ما يدرون ما أبكانا! وربما أضجر ذلك امرأتى فتقول: يا ويحها ما خصها من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما يقر لي معك عين..

815. وقال مطر الوراق: كان حممة وهرم بن حيان، إذا أصبحا غديا فمرا بكورة الحدادين فنظرا إلى الحديد كيف ينفخ، فيقفان ويبكيان ويستجيران من النار..

816. وكان رجل من الموالي يقال له صهيب، وكان يسهر الليل ويبكى فعوتب على ذلك وقالت له مولاته: أفسدت على نفسك، فقال: إن صهييا إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه..

817. كان الثوري إذا قرأ في صلاته لم تفهم قراءته من شدة بكائه..

818. حدثني عمرو بن حريث، عن عطية العوفي، قال: بلغني أنه من بكى على خطيئة محيت عنه وكتب له حسنة..

819. عن زكرياء بن أبي زائدة قال: كان عمر بن ذر أول ما يجلس يقص يقول: أعيروني دموعكم، فإذا قاموا من عنده [قاموا وعليهم أثر البكاء] قال [لهم] الشعبي: أعزتموه دموعكم..

820. وقيل: ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه، بالصدق أو الكذب..

821. كان سعيد بن السائب من أولياء الله وعباد الله الصالحين، نادر الوقت عديم النظير وكان الغالب عليه الخوف من الله تعالى فلا يزال دمه جارياً، عاتبه رجل على كثرة بكائه فقال له: إنما ينبغي أن تعاتبني على تقصيري وتفريطي، لا على بكائي !!

822. قال شيخ من تميم: صلى بنا سفيان رضي الله عنه المغرب فقرأ الفاتحة، فلما بلغ: نستعين، بكى حتى قطع القراءة ثم عاد. فلما صلى التفت فقال: ما ينبغي لمثل أن يتقدم، فما تقدم حتى مات !!

قال بعضهم: صليت خلف ذى النون المصرى، فلما أراد أن يكبر رفع يديه فقال: الله، ثم بهت، فبقى كأنه جسد لا روح فيه إعظاماً لربه. ثم قال: الله أكبر، فظننت أن قلبى انخلع من هيبة تكبيره..

823. وروى عن سعيد بن جبير وكان من البكائين، [أنه] قد حفر لنفسه قبراً قبل موته بخمس عشرة سنة، وكان يأتيه فيختم فيه القرآن..

824. عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس المسجد بعد العشاء فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه إلا رجلاً قائماً يصلى، فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبى بن كعب فقال: من هؤلاء؟ قال أبى: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلفكم بعد الصلاة؟ قال: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم ثم قال لأدناهم إليه خذ، قال: فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً يدعون حتى انتهى إلى وأنا إلى جنبه، فقال: هات؟ فحصرته وأخذنى من الرعدة حتى جعل يجد مس ذلك منى، فقال: ولو أن تقول: اللهم اغفر لنا اللهم وارحمنا، ثم أخذ عمر، فما كان فى القوم أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه..

825. قال الصلت بن حكيم: حدثنى أبو يزيد الهمداني قال: انصرفت ذات يوم من [صلاة] الجمعة، وإذا عطاء السليمى، وعمر بن درهم القرشى يمشيان، وكان عطاء بكى حتى عمى وكان عمر قد صلى حتى وبر، قال: طالبنا لا يغفل؟ فصاح عطاء صيحة، وخر مغشياً عليه فانشج موضعه، واجتمع الناس، وقعد عمر عند رأسه، فلم يزل على حاله حتى المغرب، ثم أفاق فحمل..

826. وقال أبو سليمان الداراني: اشتد خوف عطاء السليمى فكان لا يسأل اللجنة بل يسأل العفو. وكان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها. وقيل: إنه بكى حتى عمش وربما غشى عليه عند الموعظة..

827. عبد الرحمن بن مالك بن مغول قال: بكى أسيد الضبى حتى عمى، وكان إذا عوتب على البكاء قال: الآن حين لا أهدأ وأنا أموت غداً، والله لأبكين ثم لأبكين ثم

لأبكين، فإن أدركت بالبكاء خيرا فبمن الله وفضله على، وإن تكن الأخرى فما بكائي في جنب ما ألقى غدا؟ قال: فكان يبكي حتى يتأذى جيرانه من كثرة بكائه..

828. قيل لثابت البناني: عالج عينيك ولا تبك، فقال: أي خير في عين لا تبكي..

829. عن عاصم قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول: رب اغفر لي رب اعف عني إن تعف عني فمن فضلك، وإن تعذبني تعذبني غير ظالم ولا مسبوق، ثم بكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد..

830. أبو الحسن بن علي الدباغ: كان من أهل العلم والورع والتعبّد، قال غيره: بت عنده ليلة، فسمعت حسّ ماء يقطر، فظننت أنه آنية ماء انكسرت. فقمّت لأنظر ذلك، فإذا به قائم يصلي ويبكي. وإذا الذي سمعت دموعه، تقطر على الحصر !!

831. أخبرنا ابن أبي الحواري قال: سمعت إسحاق بن خلف يقول: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، ولكن الخائف من ترك الأمر الذي يخاف أن يعذب عليه [واستغفر ربه مما سبق منه]..

832. قال مالك بن مغول: كان رجل يبكي فقال له أهله: لو قتلت قتيلاً ثم أتيت أهله فرأوك تبكي هذا البكاء لعفوا عنك، فقال: إني قتلت نفسي..

833. عن زيد بن أرقم قال: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فدعا بشراب، فأتى بهاء وعسل فلما أدناه من فيه بكى، وبكى حتى أبكى أصحابه، فسكتوا وما سكت، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لن يقدرُوا على مسألته، ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحداً فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها: إليك عني، ثم رجعت فقالت: إن أفلت مني فلن ينفلت مني من بعدك. هذا حديث صحيح الإسناد. [هذا خليفة رسول الله ﷺ يبكي من أجل شربة ماء وعسل قدمت له ليتقوت بها، وهو من تجبى له أموال الزكاة والفتوحات، وهو القادر على أن يفرض لنفسه ما شاء

من الأموال، وأن يحيا متنعماً، يبكى خوفاً من الله أن لا يقوم بشكر هذه النعمة (ماء وعسل)، وخوفاً من أن تكون هذه الشربة استدراجاً من الدنيا له. رحمك الله يا أبا بكر، فقد أحسنت صون الأمانة والأمة، فهنئاً لك مصاحبة رسول الله ﷺ في الدنيا ومجاورته في القبر ثم مرافقته في الجنة بإذن الله تعالى]..

834. أخبرنا ابن المبارك قال: عمل أبو الربيع مقنعة، فمكث فيها أياماً يحكم صنعتها حتى فرغ منها، فجاء بها إلى البزاز فألقاها إليه يبيعها، فأخرج فيها عيباً وردّها عليه، فقعد ناحية يبكى بكاء حاراً! فمر به إخوان له فقالوا: يا أبا الربيع ما يبكيك؟ قال: لا تسألوني. قالوا: وكيف لا نسألك وقد سمعنا بكاءك! فقال لهم: إن هذه بيدي منذ كذا وكذا، لم ألو أن أحكم صنعتها، فجئت بها إلى هذا البزاز فأخرج فيها عيباً، فكم من عمل لي أرى أنه قد صح لي عند ربي عز وجل غدا يخرج عليّ عيوبه؟ فقعدوا معه وجعلوا مأتماً يبكون معه..

835. حدثنا يحيى بن المختار قال: رأيت بشر بن الحارث الحافي يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أبا نصر؟ فقال: دخلت على الفضيل بن عياض ؓ ليلاً وهو يبكي بمكة حتى رحمته، قلت: يا أبا علي ما هذا البكاء؟ فقال لي: يا أبا نصر بلغني أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف عام خمسة آلاف صعود، وخمسة ألف نزول، وخمسة آلاف مستوى، أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول من خشية الله عز وجل. فبلغني في بعض الروايات أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ ذكروا أهل الجنة: هل بقي أحد على الصراط بعد خمسة وعشرين ألف عام؟ فيقال: بقي رجل يحبو. فبلغ ذلك الحسن البصري، فقال: يا ليتني أنا ذلك الرجل؛ فأنا يا أبا نصر لا أهدأ من البكاء أبداً..

836. عن عروة عن عائشة قالت: كان لأبي بكر مسجد بفناء داره فكان إذا صلى فيه قرأ القرآن بكى بكاء كثيراً فيجتمع إليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون

من رفته، وقد كان استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة حين أوذوا بمكة فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج حتى كان من مكة على يومين فلقية ابن الدغنة رجل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة وكان سيد الأحابيش فقال له: أين يا أبا بكر؟ فقال: أذاني قومي وأخرجوني من بلادى فأود بأن أؤم بلدة أستريح من أذاهم وآمن منهم، فقال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النائبة وتفعل المعروف وتكسب المعدم، ارجع فأنت في جوارى، فرجع، فلما دخل مكة قام ابن الدغنة يصرخ بمكة يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يؤذيه أحد، وكف عنه هذا الحى من قريش، وكان إذا صلى في مصلاه ذلك بمكة كان من أمره ما وصفت، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا: يا ابن الدغنة إن هذا الرجل الذى أجرت رجل له حال ما هو لغيره إنه إذا تلا ما جاء به محمد بكى بكاء لا يبكيه أحد، فيرق لذلك منه ضعفاؤنا ونساؤنا وخدمنا فمره فليكف عنا ويتخذ مصلى غير هذا فى بيته، فمشى إليه ابن الدغنة فقال: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذى قومك فاتخذ مصلى غير هذا، فقال أبو بكر: أو غير ذلك؟ فقال: وما هو؟ قال أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله، فقال: نعم. فقال أبو بكر: فقد رددت عليك جوارك، فقال ابن الدغنة: يا معشر قريش إن أبا بكر قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم..

837- حدثنا أحمد بن وديع عن بعض المشيخة قال: كنت إذا مررت بمنزل محمد بن سيرين سمعت بكاء شديدا، وإذا رأيته بالنهار [رأيته] متبسما! وإذا مررت بمنزل الحسن بالليل سمعت بكاء شديدا، وإذا رأيته بالنهار رأيته محزونا..

838- قيل: بعث عمر [بن عبد العزيز ؓ] إلى عبد الله بن أبي زكريا. فلما أتاه قال:

يا ابن أبي زكريا، هل تدري لما بعثت لك؟

قال: لا.

قال: لأمر لست ذاكره لك حتى تحلف لى!

قال: يا أمير المؤمنين لا تسألنى شيئا إلا فعلته.

قال له: فاحلف لي؟

فلما حلف له، قال: ادع الله أن يميّتي!

قال: بئس الوافد أنا للمسلمين، وأنا إذا عدو لأمة محمد ﷺ.

قال: قد حلفت لي. فقال: الحمد لله ودعا له، ثم قال: اللهم لا تبقيني بعده، وأقبل صبي صغير لعمر فقال: وهذا فإني أحبه. فدعا له. قال: فمات عمر ومات ابن زكريا⁽¹⁾. ومات الصبي.. [أفرايتم أو سمعتم عن أحدا تولى أمرا للمسلمين ثم دعى الله أن يقبض روحه خوفا من عظم ما وضع برقبته من مسؤولية، إن الإخلاص لله والخوف منه والحرص على رضاه، يؤدي إلى رغبة القرب منه في الحياة وفي الممات، رحمك الله يا عمر ورضى عنك فقد ضرب بك المثل في العدل والخوف والحرص على أمة محمد ﷺ. لذا فقد ذهب البعض إلى المناداة به بالخليفة الثالث وذهب البعض إلى مناداته بالخليفة الخامس]..

839. عن عائشة أم المؤمنين عن النبي ﷺ قال: إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها، ابتلاه الله بالحزن فيكفرها عنه⁽²⁾..

840. حدثنا أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: من بكى على ذنبه في الدنيا حرم الله ديباجة وجهه على جهنم⁽³⁾..

841. قال يزيد الرقاشي: بلغني أن من بكى على ذنب من ذنوبه أنسى حافظه ذلك الذنب..

842. قال أبو علي الدقاق: إذا بكى المذنب فقد راسل الله عز وجل [راجيا عفوه]..

(1) [هو عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، كان صاحب غزو ومن أهل دمشق، يقول عنه الأوزاعي: لم

يكن بالشام رجل يُفضل على عبد الله بن أبي زكريا].

(2) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج 2 ص 277.

(3) أخبار أصبهان ج 2 ص 403.

843. قال الغزالي: إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فيرفع يديه ويقول: يا رب.

حجبت الملائكة صوته أولاً وثانياً وثالثاً، وفي الرابعة يقول الله تعالى إلى متى تحجبون صوت عبدي عني؟ قد علم أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري، أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت له..

844. وقال إبراهيم بن أدهم: إن للذنوب ضعفاً في القوة وظلمة في القلب، وإن للحسنات قوة في البدن ونورا في القلب..

845. عن الحارث: بلغني عن الفضيل بن عياض قال: بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية وبكاء الليل يمحو ذنوب السر..

846. وقيل لسفيان الثوري رحمه الله: لو دعوت الله عز وجل [لنا]؟ فقال: ترك الذنوب هو الدعاء..

ولله در القائل:

خُلِقْتُ مِنَ التُّرَابِ فَصِرْتُ حَيًّا وَعُلِّمْتُ الْفَصِيحَ مِنَ الْخُطَابِ
وَعُدْتُ إِلَى التُّرَابِ فَظَلْتُ فِيهِ كَأَنِّي مَا بَرَحْتُ مِنَ التُّرَابِ
خُلِقْتُ مِنَ التُّرَابِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَأَرْجِعُ بِالذَّنْبِ إِلَى التُّرَابِ

847. حدثني محمد بن الحسن القيسي، وكان ذا قرابة لرباح قال: كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه البيت وهو يبكي، وآتته في الجبال وهو يبكي! فقلت له يوماً: أنت دهرك في مأثم؟! ⁽¹⁾ قال: فبكي ثم قال: يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا..

848. انتبه الحسن [البصري] ليلة فبكي، فضج أهل الدار بالبكاء، فسألوه عن حاله فقال: ذكرت ذنباً لي فبكيت..

(1) المأثم: ما يسبب الإثم الذي يجر إلى الذم والعقوبة.

849. قال يزيد الرقاشي: إذا أنت لم تبك على ذنبك فمن يبكي لك عليه بعدك؟!

850. بكى سفيان الثوري ليلة إلى الصباح فلما أصبح قيل له: أكل هذا خوفا من الذنوب؟! فأخذ نبتة من الأرض وقال: الذنوب أهون من هذه، وإنما أبكى خوفا من الخاتمة. وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تحذعه [أعماله الصالحة]. لذا وجب عليه الاستزادة منها والدعاء إلى الله بقبولها..

851. حدثنا زهير السلولى قال: كان رجل قد لهج بالبكاء فلا نراه إلا باكيا، فسأله

رجل من إخوانه يوما فقال: مم تبكى رحمك الله هذا البكاء الطويل؟ فبكى، ثم قال:

بَكَيْتُ عَلَى الذَّنُوبِ لِعَظَمِ جُرْمِي وَحُقَّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي الْبُكَاءُ
فَلَوْ كَانَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي لَأَسْعَدْتُ الدَّمْعُ مَعَادِمَاءُ

ثم بكى حتى غشى عليه فقام عنه الرجل وتركه..

852. قال عبد الجبار بن على الحلواني مدرس مشهد يونس بن متى بالكوفة: كان

على بن عبيد الله الخطيبى زاهدا متنسكا قليل الاختلاط بالسلطين منعكفا على تدريس العلم، إذا سمع قارئاً يقرأ فاضت دموعه، وبقي سبع عشرة سنة يقوم الليل ولا يضع جنبه على الأرض..

853. قال أحمد بن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول: أهل قيام الليل على

ثلاث طبقات: فمنهم من إذا قرأ بكى، ومنهم من إذا قرأ صاح، ومنهم من إذا قرأ تفكر بهت، فقلت له: ما تفسيره؟ فقال: ما أقوى على تفسيره..

854. وقال الفربرى: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض، فقال

بعض من كان معنا: فيكم من يقرأ القرآن؟ فقرأ بعض القوم ممن كان معنا. فلما سمع القرآن خرج فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف وعينه تسخب دموعاً وهو يقول: كلامُ الله، كلامُ الله، فلما فرغ القارئ دعا بدعوات ثم قال لنا: عليكم بالقرآن

عليكم بالصلاة، ويحكم ليس هذا زمان حديث، إنما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة،
ودعاء كدعاء الغريق.

إنما هذا زمان احفظ فيه لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما
تنكر. لو علمت أنكم تريدون هذا العلم لله عز وجل لرحلت إليكم إلى منازلكم، فإن
كنتم صادقين فعليكم بالقرآن. حتى متى تعلّمون ولا تعملون؟ حتى متى ترحلون ولا
تستنفعون؟

855. حدثني عبد الصمد قال: سمعت سعيد بن عطار وكان بكى حتى برح قال:
قال عيسى ابن مريم عليه السلام: إلى متى تصفون الطريق إلى الدالّجين وأنتم مقيمون مع
المتحيرين، إنما يبتغي من العلم القليل ومن العمل الكثير..

856. عن حميد قال: بينما الحسن [البصري] في رحب في المسجد وهو يمص ماء
ويمجّه، تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى رعدت منكباه، ثم قال: لو أن بالقلوب حياة،
لو أن بالقلوب صلاحاً، لأبكيتم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن يوم
القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر. فيها عورة بادية وعين باكية..

857. قال محمد البكاء: إن بكاء الزاهدين بعيونهم، وبكاء العارفين بقلوبهم..

858. قال أبو سليمان الدارني: البكاء من الخوف، والاضطراب من الرجاء والشوق..

859. قال روح: سألت [عابداً] قلت: بم يستعين العبد على قيام الليل؟ قال:
بذكره طول الوقوف بين يدي خالقه في يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ثم بكى،
فقلت له: مم بكيت؟ قال: ذكرت ذلتي وغربتى وضعف بدني، وما قد حملت على ظهري
من أوزاري، والله ما أقوى على حمل مدرعتي هذه فكيف أحمل أوزاراً كثيرة، وأريد أن
أقف أعواماً لا أدري كم عدتها، وأجوع جوعاً لا أدري كم مدته، وأعطش عطشاً لا
أدري كم سنة [ثم لا أدري ما مصيري لكن] الله المستعان..

860. عن حمزة الأعمى قال: ذهبت أُمى إلى الحسن [البصرى] فقالت: يا أبا سعيد، ابني هذا قد أحببت أن يلزمك ويرافقك فلعل الله أن ينفعه بك، قال: فكنت أختلف إليه. فقال لى يوماً يا بنى: أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه، وابك فى ساعات الخلوة لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين. يقول [حمزة]: وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكى وآتية مع الناس وهو يبكى، وربما جئت وهو يصلى فأسمع بكاءه ونحيبه. فقلت له يوماً: يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء. فبكى ثم قال: يا بنى فما يصنع المؤمن إذا لم يبكى؟! يا بنى، إنَّ البكاء داعٍ إلى الرحمة، فإن استطعت ألا تكون عمرك إلا باكباً فافعل لعله يراك على حالة فيرحمك بها، فإذا رحمك فإنك نجوت من النار وفزت بالجنة..

861. حدثنا عن بكر بن عبدالله المزنى أنه قال: من مثلك يا ابن آدم خلى بينك وبين المحراب تدخل منه إذا شئت على ربك وليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان، وإنما طيب المؤمنين هذا الماء المالح [ماء الدموع، فأين من يتطيئون بها؟]..

862. قال عباد بن منصور: سمعت عدى بن أرطاة يخطب على المنبر فجعل يعظنا حتى بكى وأبكنا، ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بنى، أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت. [يا بنى] تعال نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة..

863. وقال محمد بن عجلان: لم أر أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعى، وقال غيره: ما روى الأوزاعى ضاحكا مقهقهها قط، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد فى مجلسه إلا بكى بعينه وبقلبه، وما رأيناه يبكى فى مجلسه قط. وكان إذا خلى بكى حتى يُرحم..

864. قال أبو فروة السائح: بينما أنا أطوف فى بعض الجبال إذ سمعت صدى جبل فقلت: إن هاهنا لأمرأى ما، فاتبعت الصوت فإذا أنا بهاتف يهتف: يامن آسنى بذكره

وأوحشني من خلقه وكان لي عند مسرتي، ارحم اليوم عبرتي وهب لي من معرفتك ما أزداد به تقرباً إليك، يا عظيم الصنعة إلى أوليائه اجعلني اليوم من أوليائك المتقين. ثم سمعت صرخة ولم أر أحداً فأقبلت نحوها فإذا أنا بشيخ مغشى عليه قد بدا بعض جسده فغطيته، ثم لم أزل عنده حتى أفاق فقال: من أنت رحمك الله؟ قلت: رجل من بنى آدم، قال: إليكم عنى فمنكم هربت، ثم بكى وقام فانطلق وتركني، فقلت: رحمك الله دلني على الطريق؟ فأوماً بيده إلى السماء..

865. قال بعض الصالحين رضى الله عنهم: مررت بساحل البحر فرأيت صياداً يصيد السمك وإلى جانبه ابنه، وكلما صاد سمكة تركها في قفته فياخذها الصبي فيرميها في البحر! فالتفت الرجل فلم ير شيئاً، فقال لابنه: أى شيء فعلت بالسمك كذا ألقىته في البحر وما حملك على هذا؟ قال: يا أبت، سمعتك تقول: لا تقع سمكة في شبكة صياد إلا إذا غفلت عن ذكر الله فلا حاجة لنا لشيء ممن يغفل عن ذكر الله تعالى. فخرج الرجل هائماً على وجهه وتاب إلى الله تعالى..

866. [قال سعيد بن عامر لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه] استمع منى أوصك، قال: هات فقد آتاك الله علماً، قال: يا أمير المؤمنين، خف الله في الناس ولا تخف الناس في الله، واحبب لقريب الناس وبعيدهم [ما] تحب لنفسك وأهل بيتك، واکره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك وألزم الأمر ذا الحجة يكفك الله ما أهمك، ويعنك على ما أمرك وما ولاك، ولا تقضين في أمر واحد بقضائين، فيختلف قولك وفعلك، ويلتبس الحق بالباطل، ويشتبه عليك الأمر، فتزيع عن الحق، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا يأخذك في الله لومة لائم. فأكب عمر طويلاً وفي يده عصا له وهو واضع جبهته عليها، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل فقال: لله أبوك يا سعيد، ومن يستطيع هذا الذي تذكر؟ قال: من طوق ما طوقت، وحمل ما حملت من هذا الأمر، وإنما عليك أن (تأمر) بما يرضى الله تعالى [فتطاع أو تعصي]. فتبوء بالحجة وبيوء القوم بالمعصية)..

867. روى أن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بأمير المؤمنين بالأندلس، كان شاباً ابن اثنتين وعشرين سنة، استقام له الأمر فابتنى مدينة الزهراء فجاءت من أحسن مدينة على وجه الأرض، واتخذ لسطح العلية الصغرى التى على الصرح قراميد ذهب وفضة، وأنفق عليها أموالاً هائلة، وجعل سقفها صفراء فاقعةً إلى بيضاء ناصعة تسلب الأبصار بلمعانها وجلس فيها مسروراً فرحاً. فدخل عليه القاضى أبو الحكم منذر ابن سعيد البلوطى رحمه الله حزينا، فقال: هل رأيت ملكاً قبل فعل مثل هذا؟ فبكى القاضى [ولم يخشه ولم ينافقه ولم يخف أن يقطع عنه عطاياه ولم يخف على منصبه بل خاف الله فقط فلم يداهن] فقال: والله ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا مع ما آتاك الله من الفضل، حتى أنزلك منازل الكافرين.

فاقشعر من قوله وقال: كيف أنزلنى منازل الكافرين؟!

قال: أليس الله يقول: { وَلَوْ لَا أَنَّ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } ⁽¹⁾.. وتلا الآية كلها فوجم عبد الرحمن ونكس رأسه ملياً ودموعه تسيل على لحيته خشوعاً لله تعالى وقال: جزاك الله خيراً فالذى قلته الحق [وأراد الله به خيراً] فقام يستغفر الله، وأمر بنقض السقف الذى للقبعة، وكان كلفاً بعمارة بلاده وإقامة معالمها وإنباط مياهها وتخليد الآثار الغريبة الدالة على قوة ملكه وقد استفرغ الوسع فى إتقان قصوره وزخرفتها. [روى أن الناس فى عهده أصابهم قحط شديد] وأرادوا الاستسقاء، فجاء عبد الرحمن رسولاً من القاضى منذر بن سعيد رحمه الله [إلى الأمير] يحركه للخروج فقال الرسول لبعض الخدم: يا ليت شعرى ما الذى يصنعه الأمير؟ فقال: ما رأيته أخشع لله منه فى يومنا هذا منفرداً بنفسه لابساً أحسن ثيابه يبكى ويعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتى بيدك، أترأى تعذب الرعية من أجلى وأنت أحكم الحاكمين، لن يفوتك شىء منى. فتهلل وجه القاضى لما بلغه هذا وقال: يا غلام

(1) سورة الزخرف آية 33.

احمل الممطر معك فقد أذن الله بسقيانا - إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء -
فخرج وكان كما قال..

868- وقال ابن ماجه عن أبي سعيد الخدرى: أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان
فيما قال: ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه. قال: فبكى أبو سعيد
وقال: قد والله رأينا أشياء فهينا⁽¹⁾..

وقال ابن ماجه عن أبي أمامة قال: عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى
فقال: يا رسول الله، أى الجهاد أفضل؟ فسكت عنه.

فلما رمى العقبة الثانية سأله، فسكت عنه.

فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله فى الغرز ليركب قال: أين السائل؟
قال: أنا يا رسول الله.

قال: كلمة حق تقال عند ذى سلطان جائر⁽²⁾..

869- عن ثابت البنانى قال: لما نزلت { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ
اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً }⁽³⁾ .. و { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ }⁽⁴⁾..
بلغنى أن إبليس حين نزلت بكى لعنه الله..

870- عن أنس أن النبى ﷺ قال: إذا سجد ابن آدم، بكى إبليس فقال: يا ولى أمر
بن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلى النار⁽⁵⁾..

(1) تفسير ابن كثير ج 2 ص 85 ابن ماجه 4007.

(2) تفسير ابن كثير ج 2 ص 85، ابن ماجه 4012.

(3) سورة النساء آية 110.

(4) سورة آل عمران آية 135.

(5) عن سهيل غير كنانة بن جبلة ولكنانة أحاديث غير هذا ومقدار ما يرويه غير محفوظ.

871. وأخرج الحكيم الترمذى عن عطف بن خالد قال: بلغنى أنه لما نزل قوله تبارك وتعالى (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) صاح إبليس بجنوده وحثا على رأسه التراب، ودعا بالويل والثبور، حتى جاءت جنوده من كل بر وبحر فقالوا: مالك يا سيدنا؟ قال: آية نزلت في كتاب الله لا يضر بعدها أحداً من بنى آدم ذنب، قالوا: وما هى؟ فأخبرهم فقالوا: نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون إلا أنهم على الحق! فرضى منهم بذلك..

872. فإن قيل: قد بكى إبليس فما أفاده بكاؤه؟ والرسول ﷺ يقول: دمة العاصى تطفى غضب الرب. فالجواب أنه ﷺ قال: دمة العاصى وما قال دمة الكافر. فالمعاصى سموم والدمعة ترياقها..

873. وقيل: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب، مسح الشيطان وجهه وقال: أبى وجهها لا يفلح [أبداً]..

874. عن أنس بن مالك قال: جاء فتى من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وقال: إن أُمى تُكثر البكاء وأخاف على بصرها أن يذهب، فلو أتيتها فوعظتها؟ فذهب معه فدخل فقال لها فى ذلك فقالت: يا رسول الله، أُرأيت إن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرتُ إلى الجنة أُنبدلنى الله خيراً منه؟ قال: نعم. قالت: فإن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت إلى النار، أُنبدلنى الله بصرى؟ فقال النبى ﷺ للفتى: لا، إن أُمك صديقةٌ⁽¹⁾..

875. كان يزيد الرقاشى يقول: أيها الناس لم لا تبكون على نفوسكم باقى حياتكم؟ فمن يكن الموت موعده والقبر بيته والتراب فراشه والدود أنيسه، وهو مع ذلك ينتظر الفرع الأكبر كيف يكون حاله وكيف يكون مآله؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه..

876. روى عن عمر بن الخطاب ؓ: أنه كان فى وجهه خطوطٌ مُسودة من البكاء.

(1) عيون الأخبار ج 1 ص 367.

وبكى ابن مسعود ؓ حتى أخذ بكفه من دموعه فرمى به.
وكان عبد الله بن عمر ؓ يطفى المصباح بالليل ثم يبكى حتى تلتصق عيناه. وقال
أبو يونس بن عبيد : كنا ندخل عليه فيبكي حتى نرحمه.
وكان أبو عمران الجوني إذا سمع المؤذن تغير وفاضت عيناه.
وكان أبوبكر النهشلي إذا سمع الأذان تغير لونه وأرسل عينيه بالبكاء.
وكان نهاد بن مطر العدوي قد بكا حتى عمى . وبكى ابنه العلاء حتى عشى بصره.
وكان منصره قد بكى حتى جردت عيناه. وكانت أمه تقول: يا بني لو قتلت قتيلاً ما
زدت على هذا !.

وبكى هشام الدستوائي حتى فسدت عيناه وكانت مفتوحة وهو لا يبصر بها.
وبكى يزيد الرقاشي أربعين سنة حتى أظلمت عيناه وأحرق الدموع مجاورتها.
وكان الفضل : قد ألف البكا حتى ربا بكى في نومه حتى يسمعه أهل الدار !.
ويقول الحسن بن عذقة: رأيت يزيد بن هارون بواسط من أحسن الناس عينين، ثم
رأيت بعد ذلك مكفوف البصر! فقلت له : ما فعلت العينان الجميلتان ؟!
قال : ذهب بهما بكاء الأسحار. لو علمت ما يفوتك في السحر ما حملك النوم، تقدم
حينئذ قوافل السهر على قلوب الذاكرين وتحط رواحل المغفرة على رباع المستغفرين، من لم
يذق حلاوة شراب السحر لم يبلغ عرفانه بالخير، من لم يتفكر في عمره كيف انقضى لم
يبلغ من الحزن الغرض.

وبكى ثابت البناني حتى كاد بصره أن يذهب، وقيل له: نعالجك على أن لا تبكى.
فقال: لا خير في عين لم تبك :

بَكَى الْبَاكُونَ لِلرَّحْمَنِ لَيْلًا وَبَاتُوا سُجَّدًا مَا يَسْأَلُونَ
بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِمْ تَحُنُّ مَتَى عَلَيْهَا يَسْجُدُونَ

قيل لعطاء السليمي: ما تشتهي؟ قال: أشتهى أن أبكى حتى لا أقدر أن أبكي!
وكان يبكي الليل والنهار، وكانت دموعه الدهر سائلة على وجهه.
وبكى مالك بن دينار ﷺ حتى سود طريق الدموع خديه وكان يقول: لو ملكت
البكاء لبكيت أيام الدنيا ..

877. [وتصف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وأرضاها حال خليفة رسول الله
أبيها، أبى بكر ﷺ عند قراءة القرآن] فتقول رضى الله عنها: لما مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ مرضه
الذى مَاتَ فيه، أَتَاهُ يُؤْذَنُهُ بِالصَّلَاةِ فقال: مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فليصل، قلت: إن أبا بكر رجل
أسيف⁽¹⁾، إن يقيم مقامك يبك فلا يقدر على القراءة، قال: مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فليصل، فقلت:
مثله، فقال في الثالثة أو الرابعة: إنكن صواحب يوسف، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فليصل ..

878. قال ابن أبى الدنيا: حدثنا الفضيل بن العباس، وكانت الدموع قد أثرت في
وجهه، وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف، قال: مر عيسى ﷺ بجبل بين نهريْن،
نهر عن يمينه ونهر عن يساره، ولا يدرى من أين يجيء هذا الماء ولا إلى أين يذهب. [فسأل
الجبل عن ذلك] فقال: أما الذى يجرى عن يسارى فمن دموع عيني اليسرى، قال: مم
ذاك؟ قال: خوفاً من ربى أن يجعلنى من وقود النار.

فقال عيسى: فأنا أدعو الله عز وجل أن يهبك لى فدعا الله فوهبه له. فقال عيسى: قد
وهبت لى، قال: فجاء منه الماء [بكثرة عما كان من قبل] حتى احتمل عيسى فذهب به! قال
له عيسى: اسكن بعزة الله فقد استوهبتك من ربى فوهبك لى فما هذا؟! قال: أما البكاء
الأول فبكاء الخوف، وأما البكاء الثانى فبكاء الشكر ..

879. عن ابن أبى عبيد البسرى قال: رأيت [أبى] فى بعض الليالى قد اضطرب
وبكى بكاء كثيراً، ولم تكن نجترى عليه إذا أصابه سبب وهو بين يدى ربه أن نكلمه. فلما
أصبحنا قلت له: يا أبه رأيت اللية منك شيئاً لم أكن أراه فيما مضى؟ فقال: وما هو؟ قلت:

(1) [الأسيفُ: السريعُ الحَزْنُ الرَّقِيقُ البكاء].

رأيتك وقد بكيت وأكثر البكاء واضطربت اضطرابا كثيرا. فقال: يا بنى لا تلمنى كنت واقفا بين يدي الله عز وجل، أصلى وأنعس ثم أنتبه فأرجع إلى القراءة فأنعس، فأصابنى ذلك مرارا، فلم أعلم إلا بإنسان قد أخذ بعضدى ثم قال لى: (انظر بين يدي من أنت قائم) واستفرغ على من البكاء ما رأيت..

880. عن كعب قال موسى عليه السلام حين ناجاه ربه تعالى: يا رب، ما جزاء من بكى من

خشيتك؟

قال: أومنه الفزع الأكبر يوم القيامة، وأقى وجهه لفح النار.

يا موسى: إن العبد إذا خشيني كنت أحب إليه من نفسه.

يا موسى: ارحم ترحم، وكما تدين تدان.

يا موسى: كن لين الجانب، فإن أبغض الخلق إلى، الذى فى نفسه كبر، وفى لسانه جفاء

وفى قلبه قسوة. وأحب الأخلاق إلى الرحمة والعطف والرأفة والرفقة.

يا موسى: عليك بلين القول وطيب الكلام.

يا موسى: كفى بالعبد من الشر إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، فإذا قال

العبد ذلك لعنته أنا وملائكتى، فالويل لمن لعنته أنا وملائكتى، فالويل لمن لعنته، من يقوم

للعنتي؟

يا موسى: إني إذا لعنته لم يرحمه شيء، وأخرجته من رحمتي العظيمة التى من دخلها،

دخل الجنة، وكيف يرحمه شيء ولم تسعه رحمتي وأنا أرحم الراحمين.

يا موسى: أتريد أن أقرب مجلسك منى يوم القيامة، فلا تنهر السائل ولا تقهر اليتيم

وجالس الضعفاء وارحم المساكين وأحب الفقراء، ولا تفرح بكثرة المال فإن كثرة المال

تقسى القلب. يا موسى: إذا رأيت الغنى مقبلا فقل: ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت

الفقر مقبلا فقل: مرحبا بشعار الصالحين..

* * *

الباب الثامن

ما جاء فى قتلى القرآن الكريم

وهو مكون من ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: من قرأ أو استمع للقرآن أو لموعظة أو تذكر واعتبر أو رأى البيت فمات.
- الفصل الثانى: من جُنَّ من خوف الله سبحانه.
- الفصل الثالث: من قُتل أو قُطِع أو سُجن أو عُدِّب أو جُلد أو هرب بسبب القرآن.

* * *

الفصل الأول

من قرأ أو استمع للقرآن أو لموعظة أو تذكّر واعتبر

أو رأى البيت فمات

هذا باب فريد فى نوعه، جمعت به متفرقات الأخبار ونوادر الآثار، عن خلق ممن خلق الله، ماتوا من شدة تأثرهم بخشية الله وآيات من القرآن الكريم تلاوة أو سماعاً أو وعظاً، اصطفاهم الله على خلقه وخصهم بفضل من فضله فأماتهم خوفاً من خشيته متأثرين بآيات من القرآن الكريم، احتفظت لنا كتب التاريخ والآثار والسير بأخبارهم، بما دل على صحة وقوع مثل هذه الحوادث، وإن تنوعت الأسباب والمسببات. وهناك من غفل التاريخ وسكت عن ذكرهم فطواهم النسيان وما أكثرهم على مر العصور والأزمان. فسبحان الله والله أكبر إذا كلامه قد أمات، فكيف عذابه؟!

881. حكى عن مسروق رضي الله عنه أنه سمع قارئاً يقرأ {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً} ⁽¹⁾.. فاضطرب وأخذ يبكى وقال للقارئ: أعد علىّ فما زال يعيد عليه هذه الآية، وهو يبكى حتى وقع ميتاً رحمه الله. فكان من قتلى القرآن.. وروى أن الحسن البصرى جلس يوماً يعظ الناس فجعلوا يزدحمون عليه ليقتربوا منه، فأقبل عليهم، وقال: يا إخوانى تزدحمون علىّ لتقربوا منى فكيف بكم غداً فى القيامة إذا قربت مجالس المتقين وأبعدت مجالس الظالمين وقيل للمخففين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا. فباليت شعرى أمتع المثقلين أحط أم مع المخلفين أجوز! ثم بكى حتى غشى عليه وبكى من حوله. فأقبل عليهم، وناداهم: يا إخوانى، ألا تبكون خوفاً من النار؟! ألا من بكى شوقاً إلى الله لم يحرم من النظر غداً إلى الله إن تجلّى بالرحمة واطلع بالمغفرة واشتد غضبه على المعاصى. يا إخوانى، ألا تبكون من عطش القيامة؟! يوم يحشر الخلائق وقد ركبت شفاههم ولم يجدوا ماء إلا حوض المصطفى صلى الله عليه وآله فيشرب قوم ويمنع آخرون، ألا

(1) سورة مريم الآيات 85 / 86.

وإن من بكى من خوف عطش ذلك اليوم سقاه الله من عيون الفردوس. ثم نادى واويلاه إذا لم يرو عطشى يوم القيامة من حوض المصطفى ﷺ. ثم بكى وجعل يقول: والله لقد مررت ذات يوم بامرأة من المتعبدات وهى تقول: إلهى قد سئمت الحياة شوقاً ورجاء فيك، فقلت لها: يا هذه، أترأك على يقين من عملك؟ فقالت: حبى فيه حرصى على لقائه، أتراه يعذبنى وأنا أحبه؟ فبينما أنا كذلك أخاطبها إذا أقبل ولد لها يقال له: ضغيم، فقالت: يا ضغيم، أترانى أراك غدا يوم القيامة فى المحشر ويحال بينى وبينك؟ فصاح الفتى صيحة ظننت أنه قد انشق قلبه ثم خر مغشياً عليه، فجعلت تبكى عليه وبكى لبكائها، فلما أفاق من غشيته قالت له: يا ضغيم، قال لها: لبيك يا أماه، قالت: أتحب الموت؟ قال: نعم. قالت: لم يابنى؟ قال: لأصير إلى من هو خير منك وهو أرحم الراحمين إلى من غذانى فى ظلمة أحشائك، وأخرجنى من ضيق ذلك المسلك ولو شاء لأماتنى عند الخروج حتى تموتى أنت من شدة أوجاعك لكن برحمته ولطفه سهل علىّ وعليك، أما سمعته عز وجل يقول { أَنَّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } (1) .. وجعل يبكى وينادى: أواه أواه إن لم أنج غداً من عذاب الله، ولم يزل يبكى حتى غشى عليه وسقط فى الأرض، فدنّت أمه منه فلمسته بيدها، فإذا هو ميت، فجعلت تبكى وتقول: يا ضغيها، ولم تزل كذلك حتى صاححت صيحة عظيمة ووقعت على الأرض. قال الحسن: فحركتها فإذا هى قد ماتت. رحمة الله عليه وعليها [وعليها] أجمعين..

882. كان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئاً من القرآن لشدة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية، فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً } (2) .. فقال: أنا من المجرمين ولست من المتقين، أعد علىّ القول أيها القارئ؟ فأعادها عليه، فشهى شهقة فلحق بالآخرة !

(1) سورة الحجر الآيات 49 / 50.

(2) سورة مريم الآيات 85 / 86.

وقال صالح المري: قرأت على رجل من المتعبدين { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ }⁽¹⁾.. فصعق ثم أفاق فقال: زدنى يا صالح، فإننى أجد غما؟

فقرأت { كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا }⁽²⁾.. فخر ميتاً..

883. عن رجاء بن ميسور المجاشعي قال: كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى؟ فقرأ الفتى { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }⁽³⁾.. فقطع صالح عليه القراءة وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع والمطالب له رب العالمين؟! إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة مسودة وجوههم مزرقة عيونهم ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ماذا نزل بنا ماذا حل بنا أين يذهب بنا ماذا يراد منا، والملائكة تسوقهم بمقامع النيران فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين بالكٍ دما بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله قدمك. ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منظراه! يا سوء منقلباه. وبكى وأبكى الناس.

فقام فتى كان به تأنيث فقال: أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؟! قال: نعم والله يا ابن أخى وما هو أكثر، لقد بلغنى أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فما يبقى منهم إلا كهيفة الأئين من الدنف⁽⁴⁾. فصاح الفتى: إنا لله واغفلتاه عن نفسى وأسفا على تفريطى

(1) سورة الأحزاب آية 66.

(2) سورة الحج آية 22.

(3) سورة غافر آية 18.

(4) [الدَّنْفُ: المَرَضُ اللازِمُ المَخَامِرُ، وقيل: الرجل المَدْنَفُ: المريض الذى أَشْفَى على الموت].

في طاعتك يا سيده، وأسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا، ثم بكى واستقبل القبلة فقال: اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يحالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلني على ما كان في [وما كان مني]، واعف عما تقدم من فعلی وأقل عثرتي وارحمني ومن حضرني وتفضل علينا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاهد الآثام من عنقي، وإليك أنبتُ بجميع جوارحي صادقاً لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقبلني. ثم غلب فسقط مغشياً عليه، فحمل من بين القوم صريعاً، فمكث صالح وإخوته يعودونه أياماً ثم مات. فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له، فكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن، قتيل المواعظ والأحزان، فرآه رجل في منامه فقال: ما صنعت؟ قال: عمتني بركة مجلس صالح فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء..

884. روى أن رسول الله ﷺ: تلا { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (1) .. وعنده شاب فخر ميتاً، فقال ﷺ: إن الفرق (2) فلذ كبده أى قطعه (3) ..

885. عن أحمد بن أبي الحواري قال: بينما أنا في بعض طرقات البصرة، إذ سمعت صعقة فأقبلت نحوها، فرأيت رجلاً قد خر مغشياً عليه فقلت: ما هذا؟ فقالوا: كان رجلاً حاضراً القلب سمع آية من كتاب الله فخر مغشياً عليه. فقلت: ما هي؟ فقلت: قوله تبارك وتعالى { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ } (4) .. فأفاق الرجل عند سماع كلامنا، ثم خر مغشياً عليه، فحركناه، فإذا هو ميت.. قال سهل رحمة الله عليه: ألم يحزن لهم أوان الخشوع عند سماع الذكر فيشاهدوا الوعد والوعيد مشاهد الغيب..

(1) سورة الحشر آية 21.

(2) الفرق: الخوف.

(3) نواذر الأصول في أحاديث الرسول ج 2 ص 298.

(4) سورة الحديد آية 16.

886. وروى الإمام أحمد عن حسين بن محمد عن فضيل عن محمد بن مطرف قال: حدثني الثقة، أن شابا من الأنصار دخل خوف النار قلبه فجلس في البيت، فأتاه النبي ﷺ فقام إليه فاعتنقه فشبهه شهقة خرجت نفسه. فقال النبي ﷺ: جهزوا صاحبكم فلذ خوف النار كبده⁽¹⁾.. وروى من وجه آخر متصلا عن حذيفة قال: كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأتاه النبي ﷺ فلما نظر إليه الشاب قام إليه واعتنقه وخر ميتا فقال النبي ﷺ: جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فلذ كبده، والذي نفسى بيده لقد أعاده الله منها، فمن رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه⁽²⁾..

887. وأخرج ابن عساكر من طريق أبي صالح عن يحيى الخزاعي قال: سمعت من يذكر أنه كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاب متعبد قد لزم المسجد وكان عمر به معجبا، وكان له أب شيخ كبير، فكان إذا صلى العتمة انصرف إلى أبيه وكان طريقه على باب امرأة افتتنت به، فكانت تنصب نفسها له على طريقه! فمر بها ذات ليلة فما زالت تغويه حتى تبعها، فلما أتى الباب دخلت، وذهب يدخل، فذكر الله ومثلت هذه الآية على لسانه { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ }⁽³⁾.. فخر الفتى مغشيا عليه فدعت المرأة جارية لها فتعاونتا عليه فحملته إلى باب واحتبس على أبيه⁽⁴⁾. فخرج أبوه يطلبه فإذا به على الباب مغشيا عليه، فدعا بعض أهله فحملوه فأدخلوه، فما أفاق حتى ذهب من الليل ما شاء الله. فقال له أبوه: يا بني ما لك؟ قال: خير. قال: فإنني أسألك بالله؟ فأخبره بالأمر. قال: أي بني وأي آية قرأت؟ فقرأ الآية التي كان قرأها فخر

(1) رواه ابن المبارك عن محمد بن مطرف به بنحوه.

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا.

(3) سورة الأعراف آية 201.

(4) احتبس على أبيه انقطع خبره.

مغشياً عليه، فحركوه فإذا هو ميت. فغسلوه وأخرجوه ودفنوه ليلاً، فلما أصبحوا رفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه فجاء عمر إلى أبيه فعزاه به وقال: ألا آذنتني؟ قال: يا أمير المؤمنين كان ليلاً، قال عمر: فاذهبوا بنا إلى قبره فأتى عمر ومن معه القبر فقال: يا فلان { وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ }⁽¹⁾.. فأجابه [كصوت] الفتى من داخل القبر: يا عمر قد أعطانيهما ربي..

888. عن صالح المري: قال مالك بن دينار: اغدُ عليَّ يا صالح إلى الجبان فإني قد وعدت نفرا من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير فنسلم عليه، قال صالح المري: وكان أبو جهير رجلاً قد انقطع إلى زاوية يتعبد فيها ولم يكن يدخل البصرة إلا [كل] يوم جمعة في وقت الصلاة ثم يرجع من ساعته. قال: فغدوت إلى موعد مالك إلى الجبان، فأنتهيت إلى مالك وقد سبقني ومعه محمد بن واسع، وإذا ثابت البناني وحبيب، فلما رأيتهم وقد اجتمعوا قلت: هذا والله يوم سرور. قال: فانطلقنا نريد أبا جهير [الضرير]. فكان مالك إذا مر بموضع نظيف قال: يا ثابت صل هاهنا لعله يشهد لك غداً، فكان ثابت يصلي، ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه فسألنا عنه فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة، فانتظرنا فخرج علينا رجل إن شئت قلت: قد نشر⁽²⁾ من قبره! فوثب رجل فأخذ بيده حتى أقامه عند باب المسجد، فأمهل سيرا ثم دخل المسجد فصلى ما شاء الله ثم أقام الصلاة فصلينا معه، فلما قضى صلاته جلس كهيئة المهموم فتوافد القوم في السلام عليه.

فتقدم محمد بن واسع فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: من أنت لا أعرف صوتك؟ قال: أنا من أهل البصرة. قال: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: أنا محمد بن واسع قال: مرحبا وأهلاً أنت الذي يقول: هؤلاء القوم، وأوماً بيده إلى البصرة، إنك أفضلهم. لله أبوك إن قمت بشكر ذلك، ألا سألت الله تعالى أن يستر عليك ذلك. اجلس فجلس.

(1) سورة الرحمن آية 46.

(2) قد نشر: قد بعث.

فقام ثابت البناني فسلم عليه فرد عليه وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ثابت البناني، فقال: مرحبا بك يا ثابت، أنت الذى يزعم أهل هذه القرية أنك من أطراهم صلاة، ألا سألت الله تعالى أن يستر عليك ذلك. اجلس فقد كنت أتمناك على ربي.

فقام إليه حبيب أبو محمد فسلم عليه فرد السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا حبيب أبو محمد، فقال: مرحبا بك يا أبا محمد، أنت الذى يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله شيئا إلا أعطاك، ألا سألته أن يخفى لك ذلك. اجلس يرحمك الله، وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه.

فقام إليه مالك بن دينار فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن دينار، قال: أبو يحيى يخ بخ إن كنت كما يقولون، أنت الذى يزعم هؤلاء أنك أزهدهم، ألا سألت الله تعالى أن يستر عليك ذلك. اجلس فالآن تمت أمنيته على ربي فى عاجل الدنيا.

قال صالح: فقامت إليه لأسلم عليه فأقبل على القوم فقال: انظروا كيف تكونون غدا بين يدي الله فى مجمع القيامة. قال: فسلمت عليه، فرد على وقال: من أنت يرحمك الله؟ قلت: صالح المري، قال: أنت الفتى الفارسى أنت أبو معشر؟ قلت: نعم، فقال: فالحمد لله الذى استجاب دعوتى يا صالح، إني إلى قراءتك بالأشواق.

فقال له محمد بن واسع: يا أبا جهير إنما جئنا لتدعو الله لنا. فرفع يده ورفعنا أيدينا وجعل يدعو ساعة ثم قال: يا صالح اقرأ، فذهبت اقرأ ففتح الله تعالى على من الصوت شيئا لم أعرفه من نفسى قط ولا سمعت مثله من غيرى. فما استتمت الاستعاذة، حتى خر مغشيا عليه! ثم أفاق فقال: عد فى قراءتك؟ فعدت فقرأت { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا }⁽¹⁾.. فزقق زعقة عظيمة وضرب

(1) سورة الفرقان الآيات 24/26.

بنفسه الأرض مغشياً عليه فظننا أنه قد مات، فلم نزل نزلزله ونصب عليه الماء إلى أن أفاق، فلما أفاق ورجع فكأنه لم يخلق في جسده من الروح شيء! فقال لى: يا صالح اقرأ فإنى لا أشبع من قراءتك.

فقرأت { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً }⁽¹⁾.. فوالله ما أتممت الآية، فصاح صيحة ثم انكب لوجهه وانكشف بعض جسده فجعل يخور كما يخور الثور ثم هدأ، فدنونا منه وظننا أنه مثل الأول، فحركناه فإذا هو قد خرجت نفسه كأنه خشبة! فخرجنا فسألنا هل له أحد؟ قيل: عجوز تخدمه، فبعثنا إليها فجاءت فقالت: ما له؟ قلنا: قرئ عليه القرآن فمات. قالت: حق له، من الذى قرأ عليه لعله صالح المرى القارئ؟ قلنا: نعم، وما يدريك من صالح؟! قالت: لا أعرفه، غير أن كثيراً ما كنت أسمعه يقول: إن قرأ على صالح قتلنى! قلنا: فهو الذى قرأ عليه. فدفناه رحمه الله..

889- وروى أن رجلاً كان يعرف بدينار العيار، كانت له والدته تعظه ولا يتعظ، فمر فى بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام، فأخذ منها عظماً نخراً فانفتت فى يده. ففكر فى نفسه وقال: كأنى بك غدا قد صار عظمك هكذا رفاتاً والجسم تراباً، وأنا اليوم أقدم على المعاصى فندم وعزم على التوبة ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهى إليك ألقيت مقاليد أمرى فاقبلنى وارحمنى، ثم مضى نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال: يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يحسن ملبسه ومطعمه ويغل يده وقدمه، فقال: أريد جبة من صوف وأقراصاً من شعير وتفعلين بى كما يفعل بالآبق لعل مولاي يرى ذلى فيرحمنى، ففعلت ما طلب. فكان إذا جنه الليل أخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه: ويحك يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار! وكذلك إلى الصباح، فقالت له أمه فى بعض الليالى: ارفق بنفسك، فقال: دعينى أتعب قليلاً لعلى أستريح طويلاً، يا أمى إن لى موقفاً طويلاً بين يدي رب جليل، ولا أدري أيؤمر بى إلى الظل الظليل أو إلى شر مقيل، إنى

(1) سورة الفرقان آية 23.

أخاف عناء لا راحة بعده وتوبيخا لا عفو معه. قالت: فاسترح قليلا، فقال: الراحة أطلب! أتضمنين لي الخلاص؟ قالت: فمن يضمنه لي؟ قال: فدعيني وما أنا عليه كأنك يا أماء غدا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار. فمرت به في بعض الليالي في قراءته { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }⁽¹⁾.. ففكر فيها وبكى وجعل يضطرب كالحية حتى خر مغشيا عليه، فجاءت أمه إليه ونادته فلم يجبها، فقالت: قره عيني أين الملتقى؟ فقال بصوت ضعيف: إن لم تجديني في عرصة القيامة، فاسألي مالكا عني، ثم شهق شهقة مات فيها. فجهزته وغسلته وخرجت تنادي: أيها الناس هلموا إلى الصلاة على قتيل النار، فجاء الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم..

890. عن عبد الرحمن بن مصعب قال: كان عندنا بالكوفة رجل يقال له: أسد بن صلعب، وكان من العباد، فكنا نكتمه جور العمال، مخافة أن يقوم عليهم [فيؤذونه]. فبينما هو يوما قائما على شط الفرات إذ سمع تاليا يتلو { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ }⁽²⁾.. فتمايل فلما قال التالي { لَا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ }⁽³⁾.. سقط في الماء فمات..

891. عن محمد بن السماك قال: كنت أطوف [البلاذ] أطلب العباد والزهاد، فذكر لي رجل بعبادان قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة جدا واجتهادا، فأتيت عبادان فسألت عنه فوصف لي داره، فأتيت إلى باب دار كبيرة ليس عليها إلا باب بمصرع صغير، فقرعت الباب فخرجت إلى جارية خماسية، فقلت: هذا منزل فلان العابد؟ قالت: نعم. قلت: استأذني عليه فإن دخلت عليه وهبت لك درهما. فقالت: يا عبد الله ما رأيت أحدا أجهل منك، أدخل فما على أبي من حاجب، وإنما الحجاب على أبواب الملوك وأبناء الملوك

(1) سورة الحجر الآيات 92 / 93.

(2) سورة الزخرف آية 74.

(3) سورة الزخرف آية 75.

[والدنيا]. فبهت متعجبا من قولها ثم دخلت، وإذا دار قوراء ليس فيها إلا بيت صغير، فدخلت البيت فإذا أنا برجل قد نحل من غير سقم، وقد احتفر قبراً عند رجله أدلى رجله فيه! وفي يده خوص يشقه وهو يتلو هذه الآية { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } (1) .. بصوت حزين، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام وقال: أمن إخواني أنت؟ قلت: نعم ولست من أهل البصرة وعبادان، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فما اسمك؟ قلت: محمد بن السماك، قال: لعلك الواعظ؟ قلت: نعم، فأخذ يدي بيديه جميعاً ثم قال لي: مرحبا وحياك الله يا أخى بالسلام ومتعنا وإياك في الدنيا بالإخوان، يا أخى ما زالت نفسى متطلعة إلى لقائك تحب أن تعرض داءها على دوائك، أعلمك يا أخى أن بى جرحاً قديماً قد أعبى المعالجين قبلك، فتأتاه برفقك وألصق عليه ما تعلم أنه يلائمه من مراهمك.

فعلمت أن الرجل يريد أن أعظه فقلت: يا أخى وهل يداوى مثلى مثلك وجرحى أنغل (2) من جرحك وذنبى أعظم من ذنبك! فقال: سألتك بالله إلا ما وعظتني؟ فقلت: يا أخى قد علمت أن ذنبك الذى أذنبت لم يمح. وأن لذاتك لم تبقى. وأن الموت يطلبك صباحاً ومساءً. وأنك تصير غداً إلى ضيق اللحد وظلمة القبور ومسألة منكر ونكير. فلما قلت له ذلك شهق شهقة خر فى قبره يخور، وأقبل امرأته وابنته تبكيان من وراء الحجاب وتقولان: سألناك بالله لا تزده شيئاً فتقتله علينا. فأفاق فقال: يا أخى قد وافق دواؤك دائى ولصق مرهمك بجراحى. أخى ابن السماك زدنى؟ فقلت: يا أخى إن أهلك وولدك قد حلفونى أنى لا أزيدك شيئاً، فأقبل عليهم وقال: اعلم يا أخى أنه ليس أحد أشد على وبالا، ولا أعظم جرماً منى، إذا وقفت بين يدي ربى من أهلى وولدى. فقلت: يا أخى ما

(1) سورة الجاثية آية 21.

(2) نَعْلُ الْجُرْحِ نَعْلًا: فسد، وبرئ الجُرْحُ وفيه شيء من نَعْلِ أى فسادٍ.

بعد ظلمة القبور وضيق اللحود ومسألة منكر ونكير إلا الطامة قال: وما هي يا ابن السماك؟ فقلت له: إذا أخذ إسرائيل في نفخ الصور وبعثر ما في القبور وجئنا نحن بأثقالنا تحمل على ظهورنا، فكم يا أخى في ذلك اليوم من مناد ينادى بالويل والثبور وأعظم من ذلك أيضا، توبيخ الرب إيانا عند قراءة السيئات التي قد أحصى فيها النكير والفتيل والقطمير⁽¹⁾. وملائكة متزرون بأزر من نار غضاب لغضب الرحمن ينتظرون [أن] يقال لهم خذوه فغلوه. فشهب شهقة فخر في قبره كأنه ثور قد وجى [طعن] في منحره وبال، فعرفت بالبول ذهاب عقله، فأقبلت ابنته فاجتذبتة وأسندته إلى صدرها ومسحت وجهه بكمها وهي تقول: بأبى وأمى عينين طالما سهرتا في طاعة الله، بأبى وأمى عينين طالما غصتا عن محارم الله. وأفاق فقال لى: عليك السلام يا ابن السماك، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وشهب الثالثة فظننت أنها مثل الأولين فحركته فإذا الرجل قد فارق الدنيا..

892- عن منصور بن عمار قال: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة في ليلة مظلمة فإذا بكاء رجل شيخ في جوف الليل وهو يقول في بكائه: إلهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك. لكنى عصيتك إذ عصيتك بجهلى، وخالفتك بجهدى، وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت أعاننى عليها شقائى وغرنى سترك المرخى علىّ، ولك الحجة علىّ.

فالآن من عذابك من ينقذنى؟ وبحبل من أتصل إذا أنت قطعت حبلك عني؟ فيا سواتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخلفين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا. فمع المخلفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما كبرت سنى كثرت ذنوبى، ويلي كلما طال عمري كثرت معاصى فكم أتوب وكم أعود أما آن لى أن أستحى من ربى. وا ذنوباه وا غوثاه

(1) النَّقِيرُ: النَّكْتَةُ فِي النِّوَاةِ كَأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ نُقِرَ مِنْهَا. وَالْفَتِيلُ: حَبْلٌ دَقِيقٌ مِنْ خَرَمٍ أَوْ لَيْفٍ أَوْ عِرْقٍ. الْقَطْمِيرُ: شَقُّ النِّوَاةِ، وَفِي الصَّحَاحِ: الْقَطْمِيرُ هِيَ الْقَشْرَةُ الدَّقِيقَةُ الَّتِي عَلَى النِّوَاةِ بَيْنَ النِّوَاةِ وَالتَّمْرِ.

بالله. فأبكاني والله. فتلوت { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }⁽¹⁾.. فسمعت حركة شديدة ثم لم أسمع بعدها حسا فمضيت. فلما كان الغد رجعت [إلى نفس المكان] فإذا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، فقالت: رجل لا جزاه الله إلا جزاءه، مر بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها تفطرت مرارته فوق ميتاً..

893. حدثني محمد بن السماك قال: دخلت البصرة فقلت لرجل كنت أعرفه: دلني على عبادكم؟ فأدخلني على رجل عليه لباس الشعر، طويل الصمت لا يرفع رأسه إلى أحد، قال: فجعلت أستنطقه الكلام فلا يكلمني فخرجت من عنده. فقال لي صاحبي: ها هنا ابن عجوز هل لك فيه؟ قال: فدخلنا عليه، فقالت العجوز: لا تذكروا لابني شيئاً من أمر جنة ولا نار فتقتلوه علىّ وليس لي غيره. قال: فلما دخلنا عليه فإذا عليه من اللباس مثل ما على صاحبه منكس الرأس طويل الصمت، فرفع رأسه فنظر إلينا ثم قال: أما إن للناس موقفاً لا بد أن يقفوه. قلت: بين يدي من رحمك الله؟ قال: فشهو شهوة فمات. قال ابن السماك: فجاءت العجوز فقالت: قتلتم ابني، قال: فكنت فيمن صلى عليه رحمه الله تعالى.. عن محرز أبو هارون الضبي قال: كان عندنا رجل بالكوفة يغدو إلى الفرات، فلا يزال يبكي حتى يرتفع النهار ثم يرجع فيقبل، فإذا صلى انتصب لله فلا يزال مصلياً إلى العصر ثم يروح إلى الفرات فيقعد يبكي! فقبل له في ذلك. [فنظر إلى النهر متفكراً] فقال: هذا مطيع لله، أجراه برحمته وصيره رزقا لعباده. وأنا أعصيه غير خائف ولا متوقع للنقم، ثم خر ميتاً. قال أبو هارون: فأنا حضرت جنازته وما علمت أن أحداً علم بموته فتخلف عنه..

(1) سورة التحريم آية 6.

حدثنا إسماعيل بن نصر العبدى قال: نادى منادٍ في مجلس صالح المرى: ليقم الباكون المشتاقون إلى الجنة؟ فقام أبو جهث فقال: اقرأ يا صالح؟ [فقرأت] { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا * أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا } (1) .. فقال أبو جهث: ردها يا صالح؟ فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهث..

894- نقل عن توبة ابن الصمة، وكان بالرقعة وكان محاسباً لنفسه، فحسب يوماً [عمره] فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف وخمسمائة فصرخ وقال: يا ويلتى، ألقى الملك بأحد وعشرين ألف وخمسمائة ذنب. فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟! ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت. فسمعوا هاتفاً يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى، هكذا ينبغي أن يحاسب [العبد] نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة. ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والممكن يحفظان عليه ذلك { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ } (2) ..

895- وقال ابن عيينة: ما رأيت أحداً أخوف لله من الفضيل [بن عياض] وابنه على بلغنا أن علياً سمع قارئاً يتلو بصوت شجى قوله تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (3) .. فشقق وسقط ميتاً رحمه الله..

وفي رواية أخرى: عن أبي موسى المدينى قال: قلت لسلم الخواص: بلغك موت على بن الفضيل كيف كان؟ قال: نعم مرض مرضة فنقه منها وقدم رجل من أهل البصرة حسن القراءة فأتى [علياً] قبل أن يأتى فضيلاً، فبلغ فضيلاً أنه قدم وأنه ذهب إلى على.

(1) سورة الفرقان الآيات 23 / 24.

(2) سورة المجادلة آية 6.

(3) سورة الأنعام آية 27.

قال: فأرسل خلفه أن لا يقرأ عليه. قال: فقرأ عليه قبل أن يجيئه الرسول (وَلَوْ تَرَى إِذْ
وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ). فخر على فشقق شهقة خرجت نفسه معها..

896. قال ذو النون: وصف لي رجل باليمن قد برز وسما على المجتهدين وذكر لي
باللب والحكمة وبالتواضع والرحمة، فخرجت حاجا فلما قضيت نسكى مضيت إليه
لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وناس معي، وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين
ومنظر الخائفين ناحل الجسم من غير سقم، يحب الخلوة ويأنس بالوحدة كأنه قريب عهد
بالمصيبة أو قد فدحته نائبة فخرج إلينا فجلسنا إليه، فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه،
فأبدى له الشيخ البشر والترحيب فسلمنا عليه جميعا ثم بدأ الشاب بالكلام فقال: إن الله
تعالى بمنه وفضله قد جعلك طبيبا لسقام القلوب ومعالجا لأوجاع الذنوب وبى جرح قد
نغل وداء قد استكمل فإن رأيت أن تتلطف لي ببعض مراهمك وتعالجني برفقك؟ فقال له
الشيخ: سل ما بدا لك؟

فقال له الشاب: يرحمك الله، ما علامة الخوف من الله؟

فقال: أن يؤمنه من كل خوف غير خوفه.

قال: يرحمك الله، متى يتبين للعبد خوفه من ربه؟

قال: إذا أنزل نفسه من الله بمنزلة السقيم، فهو يحتذى من كل الطعام مخافة السقام
ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول الضنا. فصاح الفتى صيحة وقال: عافيت فأبلغت
وعالجت فشفيت، ثم بقى باهتا ساعة لا يحير جوابا حتى ظننت روحه قد خرجت من بدنه.
ثم قال: يرحمك الله، ما علامة المحب لله؟

قال: إن درجة الحب رفيعة، قال: أحب أن تصفها لي؟ قال: إن المحبين لله شق لهم
من قلوبهم فأبصروا بنور القلوب إلى عز جلال الله، فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم
حجبية وعقولهم سماوية، تسرح بين صفوف الملائكة كالعيان وتشاهد ملك الأمور باليقين

فعبدوه بمبلغ استطاعتهم بحبهم له، لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار، قال: فشهِق الفتى شهقة وصاح صيحة كانت فيها نفسه. فانكب الشيخ عليه يلثمه وهو يقول: هذا مصرع الخائفين. هذه درجة المجتهدين. هذا أمان المتقين..

897. قال منصور بن عمار: دخلت خربة، فرأيت شابا يصلي صلاة الخائفين، فقلت في نفسي: إن لهذا الفتى شأنًا، لعله ولى من أولياء الله عز وجل، فوقفت حتى فرغ من صلاته، فلما سلم سلمت عليه، فرد على السلام فقلت له: ألم تعلم بأن في جهنم وادياً يقال له { لَظَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى } ⁽¹⁾.. فشهِق شهقة خر مغشيا عليه فلما أفاق قال: زدني؟ فقلت: { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } ⁽²⁾.. فخر ميتًا. فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوباً { فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } ⁽³⁾.. فلما كان الليل نمت فرأيت في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: آتاني ثواب أهل بدر وزادني. فقلت: لم؟ قال: لأنهم قتلوا بسيف الكفار، وقتلت بسيف الملك الغفار..

898. عن أبي موسى المديني قال: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينما أنا في موضع سككها، إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه وبيده قوس فدنا وسلم وقال لي: ممن الرجل؟ قلت من بنى الأصمعي، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: أوللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم. قال: اتل على شيئا منه؟ فقلت له: انزل عن قعودك فنزل، وابتدأت بسورة والذاريات فلما انتهيت إلى قوله سبحانه

(1) سورة المعارج الآيات 15/17.

(2) سورة البقرة آية 24.

(3) سورة الحاقة الآيات 21/23.

وتعالى { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ }⁽¹⁾.. قال: يا أصمعي هذا كلام الرحمن؟ قلت: أى والذى بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا إنه لكلامه أنزله على نبيه محمد ﷺ. فقال لى: حسبك. ثم قام إلى ناقته فنحراها وقطعها بجلدها وقال: أعنى على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلهما تحت الرمل وولى مدبرا نحو البادية وهو يقول { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } فأقبلت على نفسى باللوم، وقلت: لم لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي؟ فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بى هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحل، فسلم على وأجلسنى وراء المقام وقال لى: اتل على كلام الرحمن؟ فأخذت فى سورة الذاريات فلما انتهيت إلى قوله تعالى { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } صاح الأعرابي وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا. ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم يقول الله عز وجل { فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ }⁽²⁾.. فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟! ألم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؟! وخرجت نفسه ومات..

899- وروى عن محمد بن المنكدر: أن أخا له سمع قارئاً يقرأ { وَبَدَأَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ

يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ }⁽³⁾.. فقال: هاه، فلم يزل يقولها حتى مات..

900- قال حبيب العجمي: دخلت مسجدا بالكوفة لأصلى فيه، وإذا شاب نحيف

قد أنهكته العبادة فقلت له: ما تشتهى؟ رجاء أن يشتهى على شيئا [من الطعام] فقال:

أشتهى أن أسمع عشر آيات من قراءة صالح المري، فقد سمعت مرة صوته. قال حبيب:

فأتيت البصرة وطلبت صالحاً وأخبرته بالقصة، فخرج إلى الكوفة، ودخل المسجد، واندفع

فى القراءة فقرأ { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ

(1) سورة الذاريات آية 22.

(2) سورة الذاريات آية 23.

(3) سورة الزمر آية 47.

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ {⁽¹⁾}. قال: فاضطرب الفتى، وجعل لا يتمالك [نفسه] حتى سقط وتوفى. وكانت دار الفتى يشرع منها باب في المسجد، فإذا أنا بعجوز معها شيء من الطعام وكانت والدته فلما رآته قالت: ما أصاب ابني؟ فقصصت عليها القصة، فقالت: لعلك صالح المرى؟ قلت: نعم. قالت: آتاك الله منك في الدنيا والآخرة كما آتيت ابني أمنيته، ما زال يتمناك على الله عز وجل. فكنت فيمن جهزه وحمله..

وقال ذو النون: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فضللت الطريق فإذا أنا برجل مطروح على قارعة الطريق، وهو يجود بنفسه فسلمت عليه، فرد على السلام، فقلت له: أتريد أن أقيم عليك؟ فقال: وما أصنع بك؟! قلت: أونسك. قال: وأى أنس لى فيك؟ قلت: أخدمك إذ أنت عليل، قال: كاف من كافى وصاد من صادق وعين من عالم فمن لم يأنس به فلا أنس له. قلت له: علمنى بابا من أبواب الخير أو شيئا أتعظ به عنك؟ فرفع رأسه وقال: يا أخى، احفظ نفسك من نفسك ولا تخلها من قلبك، وإذا هممت بمعصية فارفع رأسك إلى هذه الخضراء واعلم لمن تتعرض وعلى من تقدم ومن تحارب. أما علمت أن من عصى الله تعالى فقد حاربه. انكمش على ما أنت فيه واشدد متزرك، ارحل قبل أن يرحل بك. أما علمت أن جهنم أسهرت ليلالى المريدين وأقرحت قلوب العابدين حتى مدحهم رب العالمين، فقال عز من قائل { كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }⁽²⁾.. [ثم] شفق شهقة فمات. فما رأيت شاباً كان أبلغ منه..

(1) سورة المؤمنون الآيات 101 / 108.

(2) سورة الذاريات الآيات 17 / 18.

901- وقال صالح المري: قدم علينا ابن السهاك فقال: أرني شيئاً من بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له، فاستأذنا عليه فإذا رجل يعمل خوصاً فقرأت عليه { إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ }⁽¹⁾.. فشقق الرجل شهقة وخر مغشياً عليه.

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر، فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشقق شهقة وخر مغشياً عليه.

فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا، فقرأت { وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }⁽²⁾.. فشقق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس. فتركناه على حاله وخرجنا.

فأدبرته على ستة أنفاس، كلٌ نخرج من عنده ونتركه مغشياً عليه! ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا، فإذا امرأة من داخل الخصى تقول: ادخلوا، فدخلنا فإذا شيخ فاني جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا، فقلت بصوت عال: ألا إن للخلق غدا مقاما، فقال الشيخ: بين يدي من ويحك؟ ثم بقى مبهوراً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت. فقالت امرأته: اخرجوا فإنكم لا تتفعلون به الساعة. فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم، فإذا ثلاثة قد أفاقوا، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى. وأما الشيخ، فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوراً متحيراً لا يؤدي فرضاً، فلما كان بعد ثلاث عقل..

902- قال إبراهيم الخواص: كنت أمشي في البادية فتهدت وعدلت عن الطريق فمشيت ثلاثة أيام ولياليها، فإذا أنا بأشجار كثيرة وسطها بحيرة، وإذا بقوم عليهم مرقعات صورهم غير صور الآدميين، فسلمت عليهم فردوا الجواب، فسألتهم عن حالهم

(1) سورة غافر الآيات 71 / 72.

(2) سورة إبراهيم آية 14.

وعن الموضع. فقالوا: نحن جن، وهذا الموضع وهبه الله لنا، وقد أسلمنا على يد النبي ﷺ ونحن مسلمون. فقلت لهم: فكم من هنا إلى الموضع الذى فارقت الطريق؟ فقالوا: مسيرة ثلاث سنين! فقلت: وهل وصل إلى هاهنا آدمى غيري؟ قالوا: بلى شاب من نيسابور جاء فى سبعة أيام ثم سألناه مسأله فأجاب ومات عندنا. فدفناه بيننا. فقلت: أرونى قبره؟ فمشوا إلى القبر وأنا معهم، فإذا بقبر كبير عند رأس القبر نرجس وعند الرجل كذلك فجلست على القبر وقلت: أيش كانت المسأله؟ قالوا: سألناه عن قوله تبارك وتعالى { وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ }⁽¹⁾.. قال: أن تخرج به منه إليه. قلنا: فما معنى العذاب؟ قال: الفراق وشهق شهقة فمات. قال: فزدت أنا فى الجواب [عما قال لهم الشاب]. ثم نمت، فلما انتبهت إذا أنا فى مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها، ومعى ذلك النرجس، فبقى معى سنة ثم فقدته..

903. عن فضيل الرقاشى قال: ما زال لقمان الحكيم، يعظ ابنه حتى انشقت مرارته فمات من خوف الله عز وجل.. فقد روى أن لقمان عليه السلام [لما] قال: لابنه { يَا بُنَيَّ إِنَّمَا إِنَّا كُنَّا مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }⁽²⁾.. انفطر [قلبه] فمات وكان فى آخر حكمته..

904. وعن محمد بن صبيح قال: كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشاطئ يقرأ { وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ }⁽³⁾.. فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات..

وذكر أن سلمان الفارسى أبصر شابا يقرأ، فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وفقدته فسأل عنه ف قيل له: مريض، فأتاه يعودوه فإذا هو فى الموت، فقال: يا عبد الله أرايت

(1) سورة الزمر آية 54.

(2) سورة لقمان آية 16.

(3) سورة ياسين آية 59.

تلك الشعريرة التي كانت بي، فإنها أتتني في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب..

وسمع رجل قارئاً يقرأ { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً }⁽¹⁾.. فاستعادها وقال: كم أقول لها ارجعي وليست ترجع، وتواجد وزعق زعقة فخرجت روجه..

وقال [بعضهم]: كنت أقرأ ليلة هذه الآية { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ }⁽²⁾.. فجعلت أردادها فإذا هاتف يهتف بي: كم تردد هذه الآية؟ فقد قتلت أربعة من الجن، ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا..

905. قال أبو عامر: كنت جالسا في مسجد النبي ﷺ فإذا أنا بغلام أسود قد جاءني برقعة فنظرت فيها فإذا مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، متعك الله بمسامرة الفكرة ونعمك بمؤانسة العبرة وأفردك بحب الخلوة، أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك فأحببت زيارتك فحجبت عن ذلك، فالتمست مخرج العذر من كتاب الله فوجدت الله قد منحني ثلاث خصال أذهب عني حرج أهلها، وبى من الشوق إلى مجالستك والاستماع لمحادثتك، ما لو كان فوقى لأظلني ولو كان تحتى لأقلني. فأسألك إلا ألحفتني جناح المتفضل على زيارتك والسلام.

قال أبو عامر: فقممت مع الغلام حتى أتى بي منزلا رحبا خربا فقال لي: قف حتى أستأذن لك فوقفت حتى خرج فقال لي: ليج، فدخلت فإذا أنا ببيت له باب من جريد النخل وإذا أنا بكهل مستقبل القبلة، تخاله من الورع مكروبا ومن الخشية محزونا، قد ظهرت في وجهه أحزانه وقد قرحت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه، فسلمت عليه فرد على السلام ثم تخلخل فلم يطق القيام فإذا هو أعرج أعمى مسقام، فقال لي: متع الله

(1) سورة الفجر الآيات 27 / 28.

(2) سورة ال عمران آية 185.

بالأحزان لبك وغسل من إدراة الذنوب قلبك لم تزل نفسى إليك مشتاقة وقلبي إليك تواقا، وبى جرح قد أعيا الناس دواؤه والمتطبين شفاؤه، فلاقى له أجود الترياق وإن كان مر المذاق، فإننى ممن أصبر على مضض الدواء مخافة ما يتوقع من عظيم البلاء. قال: فسمعت كلاما حسنا ورأيت منظرا أفظعنى، فأطرقت طويلا ثم تأتى من كلامى ما تأتى فقلت: يا شيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء فتمثل بحقيقة إيمانك جنة المأوى فسترى ما أعد الله فيها للأولياء، ثم أشرف بقلبك نارا تتلظى فسترى ما أعد فيها للأشقياء، شتان ما بين المنزلتين والدارين. أليس الفريقان فى الموت سواء؟ فأَنَّ أَنَّهُ وزفر زفرة والتوى ثم قال: قد وقع دواؤك على دائى وقد علمت أن عندك شفائى زدنى يرحمك الله؟ فقلت: إنه عالم بخفياتك مطلع على سرائرك، قال: فصرخ صرخة [ثم] خر ميتا.

فإذا أنا بجارية قد رفعت العبادة عليها جبة من صوف قد أفرح السجود حاجبيها وأنفها فلما نظرت إلى قالت: أحسنت يا هادى قلوب العارفين، ومثير أحزان المحزونين، لا أنسى لك هذا الموقف [عند] رب العالمين، هذا أبى مبتلى منذ عشرين سنة صلى حتى انحنى، وصام حتى أقعد، وبكى حتى عمى، وكان يتمناك على ربه عز وجل ويقول: سمعت كلام أبى عامر مرة فأحيا الله موات قلبى، فإن سمعته ثانيا قتلنى، قال أبو عامر: فرأيت فى المنام بعد ليالٍ كأنه فى روضة من رياض الجنة..

906- حدثنى بهز بن حكيم قال: أمنا زرارة بن أبى أوفى قاضى البصرة فى مسجد بنى قشير فقرأ المدثر، فلما انتهى إلى هذه الآية { فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ * ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً }⁽¹⁾.. شهق شهقة ثم خر ميتا فى محرابه. قال بهز: فحمل إلى داره فكننت فيمن حمله إلى داره..

907- وقال حفص الجعفى: اشتكى داود الطائى أياما، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار، فكررهما مرارا فى ليلته، فأصبح مريضا فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة..

(1) سورة المدثر الآيات 8/ 11.

- 908- وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الوهاب قال: بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ إذ مر رجل فنظر إلى النار في الكور فسقط، فقمنا ونظرنا فإذا هو قد مات..
- 909- عن البختری بن یزید عن حارثة الأنصاری: أن رجلا من العباد وقف على كور حداد وقد كشف عنه، فجعل ينظر إليه ويبكى، ثم شهق شهقة فمات..
- 910- وروى أن عبد الله بن أبي إسحاق الجبنياني، وهو دون الثلاثين، كان مجتهداً في العبادة قتله القرآن، كلما مرّ بوعد أو وعيد بكى حتى أذاب الحزن فؤاده. فمات..
- 911- وأخرج ابن الجوزي في كتاب عيون الحكايات بسنده عن عبد الله بن المبارك قال: بينما أنا ذات ليلة في الجبانة إذ سمعت حزينا يناجي مولاه ويقول: سيدي قصدك عبدك روحه لديك وقياده بيدك واشتياقه إليك وحسراته عليك، ليله أرق ونهاره قلق وأحشاؤه تخرق ودموعه تستبق شوقاً إلى رؤيتك وحنينا إلى لقاءك ليست له راحة دونك ولا أمل [له في] غيرك ثم بكى ورفع رأسه وشهق شهقة، فحركته فإذا هو ميت. فبينما أنا أراعيه، رأيت قوماً قد قصدوه فغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وارتفعوا نحو السماء..
- 912- حكاية: كان ببغداد رجل مسرف على نفسه [بالذنوب] وله أم صالحة، وكان كلما عمل معصية كتبها في ديوان! فبينما هو ذات ليلة إذا بالباب يطرق، فخرج فوجد امرأة جميلة قالت: عندي أيتام ما أكلوا طعاماً منذ ثلاثة أيام؟ فقال: ادخلي، [فلما] عرفت منه الفساد قالت: معاذ الله، فجنبتها كرها عنها، فبكت وقالت: يا رب أغثنى وخلصني من هذا الرجل، يا كاشف كل شدة اعصمني منه، فلما سمع كلامها بكى بكاء شديداً. فقالت: بالله عليك، إن كان حصل لك الصلح بينك وبين مولاك، فلا تنس كرامة البكاء [فأفرج عنها و] أعطاه نفقة وقال: أطعمي أولادك، واسألهم أن يدعوا لي بمحو ما في الديوان. قالت: نعم.

فلما صنعت لهم الطعام سألتهم أن يدعوا له، فقالوا: والله لا نأكل حتى ندعوا له فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل [فدعوا له]، ثم إن الرجل دخل ونظر في الديوان فوجده أبيض ما فيه سيئة!

فأخبر أمه بذلك، فسألته ما السبب؟ قال: جاءتنى امرأة تطلب قوت أولادها فجرى الصلح على يديها، ثم توضأ وقال: اللهم محوت الذنوب من المكتوب فألحقنى بك؟ ثم سجد، فحركته أمه فإذا هو قد مات..

رأى موسى عليه السلام شيخا يعبد نارا فقال: أما آن لك أن ترجع عنها إلى عبادة الله؟ فقال: إن رجعت إليه يقبلني؟ قال: نعم. فعرض عليه الإسلام فبكى حتى غشى عليه، فحركه موسى فوجده ميتا. فقال: يا رب عامله كما أنت أهله؟ فقال [تبارك وتعالى]: يا موسى، أما علمت أن من صالحنا صالحناه، ومن تقرب قربناه، وقد أنزلته منازل الموحدين وجعلته في منازل المقربين..

913. كان عبد الماجد بن أبى بكر الشعبى فقيها مباركا ورعا زاهدا عابدا خاشعا بكاء من خشية الله تعالى أثنى عليه كل من عرفه، وكانت وفاته خوفا من الله تعالى عندما قرأ بعضهم قوله تعالى { فَإِذَا جَاءَتْ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى }⁽¹⁾..

914. عن سلمة بن خالد المخزومى قال، وكان من خيار بنى مخزوم: كان هاهنا امرأة من بنى مخزوم مجاورة وكان يقال لها حكيمة، وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى، فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها، وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذى لا بد منه، ففتحت الكعبة يوما وهى بعض حاجتها، فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها، فتح اليوم بيت ربك، فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح، وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقرت عينك، فصرخت حكيمة صرخة ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت رحمها الله..

(1) سورة النازعات الآيات 34 / 35.

أبو جناب القصار قال: صلى بنا زرارة بن أوفى الفجر فلما بلغ { فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ }⁽¹⁾.. شهق شهقة فمات. رحمه الله..

وعن مالك بن دينار قال: رأيت أبا عبد الله مسلم بن يسار في منامى بعد موته بسنة؛ فقلت: ماذا لقيت بعد الموت؟ ودمعت عينا مالك عند ذلك فقال: لقيت والله أهوالا عظاما شدادا. فقلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات. قال: ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه. قال: فلبث بعد ذلك أياما مريضا من غشيته ثم مات فيرون أنه انصدع قلبه فمات رحمه الله..

وقال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحزمة هذا البيت ولا أحرص عليه من أهل البصرة، ولقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة فجعلت تدعو وتبكي وتتضرع حتى ماتت..

915. قال الخزاعي: قدم شيخ من المهالبة البصرة في حوائج له فلما فرغ منها انحدر ومعه غلام له وجارية، فلما صار في دجلة، إذا بفتى على ساحل دجلة عليه جبة صوف وبيده عكازة ومزود، فسأل الملاح أن يحمله ويأخذ منه الكراء، فأشرف الشيخ المهلبى فلما رآه رق له فقال للملاح: قرب واحمله معك، فحمله، فلما كان في وقت الغداء دعا الشيخ بالسفرة وقال للملاح: قل للفتى ينزل إلينا، فأبى عليه، فلم يزل يطلب إليه حتى نزل، فأكلوا حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم فمنعه الشيخ حتى دعا بركوة فيها شراب! فشرب قدحا ثم سقى الجارية ثم عرض على الفتى فأبى وقال: أحب أن تعفينى، قال: قد أعفيناك اجلس معنا وسقى الجارية وقال: هاتى ما عندك؟ فأخرجت عودا لها في كيس فهيأته وأصلحته ثم أخذت فغنت، فقال: يا فتى تحسن مثل هذا؟ قال: أحسن من هذا،

(1) سورة المدثر آية 8.

فافتح الفتى [بقوله تبارك تعالى] بسم الله الرحمن الرحيم { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَلَيْسَ تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ }⁽¹⁾ .. وكان الفتى حسن الصوت، فرج الشيخ بالقدح في الماء وقال: أشهد أن هذا أحسن مما سمعت، فهل غير هذا؟ قال: نعم { وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا }⁽²⁾ ..

فوقعت من قلب الشيخ موقعا، فأمر بالزكاة فرمى بها، وأخذ العود فكسره، ثم قال: يا فتى هل هاهنا فرج؟ قال: نعم { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }⁽³⁾ .. فصاح الشيخ صيحة خر مغشيا عليه، فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت وقد قاربوا البصرة. فضج القوم بالصراخ واجتمع الناس وكان رجلا معروفا، فحمل إلى منزله، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعا منها. قال: فبلغني أن الجارية المغنية تدرعت بالشعر وفوق الشعر جبة صوف، وجعلت تقوم الليل وتصوم النهار فمكثت بعده أربعين ليلة، ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي { وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا }⁽⁴⁾ .. فأصبحوا فأصابوها ميتة ..

(1) سورة النساء الآيات 77 / 78.

(2) سورة الكهف آية 29.

(3) سورة الزمر آية 53.

(4) سورة الكهف آية 29.

916. عن مطرف بن قدامة الرواس: عن مولى لنا قال: لما مات منصور بن المعتمر

صاحت أمه: واقتيل جهنما، ما قتل ابني إلا خوف جهنم..

917. وعن خالد بن خدّاش قال: قرئ على ابن وهب كتاب، أهوال يوم القيامة، من

تصنيفه [أى تصنيف ابن وهب نفسه] فخر مغشياً عليه، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام. قال: فنرى والله أعلم، أنه انصدع قلبه فمات، سنة سبع وتسعين ومائة بمصر..

918. روى أبو سعيد بإسناد له: أن عبد الله بن مرزوق [وزير المهدي] كان مع المهدي

في دنيا واسعة، فشرب ذات يوم على لهو وسماع فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، وفي كل ذلك تنبهه جارية حظية عنده، فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله، فانزعج وقال: ما هذا؟ قالت: جمرة من نار الدنيا. فكيف تصنع بنار الآخرة؟ فبكى بكاء شديدا ثم قام إلى الصلاة، ووقع في نفسه ما قالت الجارية، فلم ير شيئا ينجيهِ إلا مفارقة ما هو فيه. [فلما] جلس بين يدي المهدي قال له: يا أمير المؤمنين، لو استغاث بك رجل في رد عبد له هرب إليك، أكنت تردّه إليه؟ قال: بلى. قال: فأنا عبد الله فررت إلى خدمتك، فاتركني فقد أردت الرجوع [إلى الله]. قال المهدي: رجل نجا من بيننا ونحن جلوس فخلّى سبيله. [فتحلل] من ماله، فأعتق جواريه، وتحلل من معامليه، وتصدق بما بقي حتى صار يبيع البقل !! وتبعته على ذلك الجارية.

فدخل عليه سفيان بن عيينة وفضيل بن عياض، فوجدا تحت رأسه لبنة وليس تحته

شيء، فقال له سفيان: إنه لم يدع أحد لله شيئا إلا عوضه الله منه بدلا [وخيرا منه]، فما عوضك مما تركت له؟ قال: الرضى بما أنا فيه. وخرج محرما وهو يقول: لبيك اللهم لبيك، فلقيه الثوري في بعض الطريق، وهو قاعد على الأرض والريح تسفى عليه التراب! فسلم عليه وقال: يا عبدالله ما عوضك الله عما تركت؟ فقال: يا سفيان عوضت الرضا بما قسمه، ثم مضى إلى مكة، فلما بلغ شيوخ مكة والحرم قدومه خرجوا للسلام عليه، فأرأوا شعثه وجهده فقالوا: كيف رأيت شعثك وجهدك وصبرك على قطع المفاوز؟ قال: كيف يأتي العبد المجرم إلى باب مولاه [قد] قاد نفسه إليه، والله لو قدرت جئت أسعى إليه على

رأسى. ثم أخذ يبكى بكاء شديدا. فقالوا: ما هذا البكاء؟ فقال: شفيح قدمته لعله يقبلنى. فبكى القوم عن آخرهم فلما وقع نظره على البيت سقط ميتاً..

919- قال بندار بن الحسين سمعت الشبلى يقول يوم الجمعة وهو يتكلم على الناس وقد سأله شاب فقال يا أبا بكر: لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله؟ قال الشبلى: أخشى أن أؤخذ فى كلمة الجحود فلا أصل إلى كلمة الإقرار. قال الشاب: أريد حجة أقوى من هذه؟ فقال: قال الله تعالى { قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } ⁽¹⁾.. فزرق الشاب زعقة، فقال الشبلى: الله، فزرق الثانية، فقال الشبلى: الله، فزرق الثالثة فمات. فاجتمع إليه أبواه فقدماه إلى الخليفة وادعيا عليه الدم! فقال له الخليفة: يا أبا بكر ماذا صنعت؟! فقال يا أمير المؤمنين: روح جنت فرنت ودربت فعلمت ودعيت فأجابت فما ذنبى؟ فصاح الخليفة ثم أفاق فقال: خليا سبيله لا ذنب له هذا قتيل لا دية له ولا قود..

920- قال جعفر الخلدى: دخل رجل من أهل خراسان، على الجنيد وعنده جماعة، فقال للجنيد: متى يستوى عند العبد حامده وذامه؟

فقال الجنيد: إذا تحقق أنه مخلوق. فشقق الرجل شهقة ومات..

921- روى أبو طاهر بن العلاف فى كتابه المسمى بكتاب [زهر] الرياض أن حبشيا

أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى كنت أعمل الفواحش، فهل لى من توبة؟

قال: نعم.

فولى ثم رجع فقال: يا رسول الله، أكان الله يرانى وأنا أعملها؟

قال: نعم، يا حبشى.

فصاح الحبشى صيحة خرجت منها نفسه ⁽²⁾..

* * *

(1) سورة الأنعام آية 91.

(2) [الأحاديث التى فى الإحياء ولم يجد لها السبكي إسنادا ج 6 ص 356 من كتاب طبقات الشافعية الكبرى].

الفصل الثانى

من جنَّ أو هام على وجهه من خوف الله سبحانه

922. أخبرنا شعبة قال: بلغنى عن عبد العزيز بن يحيى النخعى، أنه كان يصلى فى مسجد على عهد عمر رضي الله عنه فقرأ الإمام ذات ليلة { وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ } ⁽¹⁾ .. فقطع صلاته وجن وهام على وجهه ولم يوقف له على أثر ..

923. وعن صالح المرى: أن رجلاً من الزهاد مر ذات ليلة برجل يقرأ { وَبَدَأَ هُمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } ⁽²⁾ .. فجعل يصيح، ثم مزق ثيابه وغلب على عقله، فأخذ وقيد ومات على ذلك ..

924. عن يونس بن محمد بن فضاله قال: خرجنا مع الربيع بن خيثم، فمررنا على حداد ومعنا فتى، فقام الربيع ينظر إلى حديدة فى النار، فوقع الفتى مغمى عليه فتركناه ومضينا لحاجتنا، فلما عدنا فإذا هو على تلك الحال ثم بلغنا أنه جن فمات فى جنونه ..

حدثنا مالك بن ضيغم قال: مر بكر بن معاذ برجل يقرأ { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } ⁽³⁾ .. فاضطرب وخر، ثم صاح: ارحم من أندر ثم لم يقبل إليك بعد النذير، ثم غلب على عقله فلم يفق حتى مات ..

925. وعن بشر بن عبد العزيز قال: كان عمر بن ذر لا يخرج إلا إلى الصلاة أو الجنائز، فسمع قارئاً يقرأ { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } ⁽⁴⁾ .. فصرخ صرخة فخلوط ⁽⁵⁾، فلم يزل على ذلك حتى مات ..

(1) سورة الرحمن آية 46 .

(2) سورة الزمر آية 47 .

(3) سورة غافر آية 18 .

(4) سورة القمر آية 50 .

(5) [خلوط: أى ذهب عقله].

926. وحدثنا هشام بن عبد الله قال: نظر الحارث بن سعيد في قبر منخسف، فوقع مغشياً عليه، ثم رفع وقد زال عنه عقله، فبقى كذلك حتى مات..
وعن محمد بن يونس البكري: سمع حذيفة العابد رجلاً يقرأ { وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا }⁽¹⁾.. فهام على وجهه ولم ير بعد..

وحدثنا الحسن بن محمد الصوري عن أبيه قال: قرأ رجل بين يدي معاذ بن نصر { وَأَنْذَرُهمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ }⁽²⁾.. فجعل يتمرغ في التراب ويضطرب ويصيح، ثم هام على وجهه ولم يوقف له على أثر..

927. عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أسلم فتى من الأنصار يقال له: ثعلبة بن عبد الرحمن قال: وكان يخدم النبي ﷺ ويخف له، وأن رسول الله ﷺ بعثه له في حاجة، فمر بباب رجل من الأنصار فرأى امرأة الأنصاري تغتسل فكرر النظر إليها. وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بما صنع، فخرج هارباً على وجهه، فأتى جبلاً بين مكة والمدينة فوجد فيها فقده النبي ﷺ أربعين يوماً، وأن جبريل صلوات الله عليه نزل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن رجلاً من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بي، فقال النبي ﷺ: يا عمر ويا سلمان انطلقا فأتيا ثعلبة بن عبد الرحمن. فخرجا من أنقاب المدينة، فلحقا راعياً من رعاة المدينة يقال له: ذفافة، فقال له عمر: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال، يقال له: ثعلبة بن عبد الرحمن؟ فقال: لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال له عمر: وما علمك أنه هارب من جهنم؟ قال: لأنه إذا كان في جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال واضعاً يده على رأسه، وهو ينادي: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح وجسدي في الأجساد ولم تجردني لفصل القضاء. فقال عمر: إياه نريد، فانطلق بهما، فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعاً يده على أم رأسه وهو ينادي: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح وجسدي في الأجساد قال: فعدي

(1) سورة الكهف آية 48.

(2) سورة مريم آية 39.

عليه عمر فاحتضنه، فقال: يا عمر، هل علم رسول الله ﷺ بذنبي؟ قال: لا علم لي، إلا أنه ذكرك بالأمس فأرسلني وسلمان في طلبك. قال:

يا عمر لا تدخلني عليه إلا وهو في الصلاة، فابتدر عمر وسلمان الصف، فلما سمع ثعلبة قراءة النبي ﷺ خر مغشيا عليه. فلما سلم النبي ﷺ قال: يا عمر، يا سلمان، ما فعل ثعلبة؟ قالوا: ها هو يا رسول الله، فقام النبي ﷺ فحركه فأنبهه، فقال له رسول الله ﷺ: ما غيبك عني؟ قال: ذنبي يا رسول الله. قال: أفلا أدلك على آية لمحو الذنوب والخطايا؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: قل: اللهم { آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }⁽¹⁾..

فقال: ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: بل كلام الله أعظم. ثم أمره بالانصراف إلى منزله، فمرض ثمانية أيام، ثم إن سلمان أتى رسول الله ﷺ، فقال: هل لك في ثعلبة؛ فإنه لما به، فقال رسول الله ﷺ: قوموا بنا إليه. قال: فدخل عليه، فأخذ رأسه فوضعه في حجره، فأزال رأسه عن حجر النبي ﷺ! فقال له: لم أزلت رأسك عن حجري؟ قال: لأنه ملاّن من الذنوب. قال: ما تشتكى؟ قال: مثل ديب النمل بين عظمي ولحمي وجلدي قال: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي، قال: فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك:

لو أن عبدی لقيني بقراب الأرض خطيئة لقيته بقرابها مغفرة، قال: فأعلمه النبي ﷺ ذلك فصاح صيحة فمات. فأمر رسول الله ﷺ بغسله، وكفنه، فلما صلى عليه جعل يمشي على أطراف أنامله، فلما دفنه، قيل له: يا رسول الله، رأيناك تمشي على أطراف أناملك قال: والذي بعثني بالحق، ما قدرت أن أضع قدمي على الأرض من كثرة من نزل من الملائكة لتشيعه⁽²⁾..

* * *

(1) سورة البقرة آية 201.

(2) [اعتلال القلوب ج 1 ص 292 وأسد الغابة في معرفة الصحابة ج 1 ص 358].

الفصل الثالث

من قُتل أو قُطِع أو سجن أو عُذِّب أو جُلِد أو هرب بسبب القرآن

928- في ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين، كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن [المنتظم ج 11 ص 20: أنه لا توحيد لمن لا يقر بأن القرآن مخلوق! فمن لم يقل منهم إنه مخلوق أبطلاً شهادته]، ومن أقر أنه مخلوق محدث خلى سبيله، ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه، وطول كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك!

وأمره بإنفاذ سبع نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستمل يزيدي ابن هارون ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل ابن أبي مسعود وأحمد بن الدورقي. فأشخصوا إليه، فسألهم وامتنحهم عن القرآن فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق!!

فأعادهم إلى بغداد فأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فخلى سبيلهم.

وورد كتاب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة والفقهاء، فأحضر إسحاق بن إبراهيم أبا حسان الزبدي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلى بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذيان بن الهيثم، وسجادة والقواريري، وأحمد بن حنبل، وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلى بن جعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن عليّة الأكبر، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة، وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، ومحمد بن نوح المضروب، وابن الفرخان وجماعة منهم النضر بن شميل، وابن علي بن عاصم، وأبو العوام البزاز، وابن شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق. فأدخلوا جميعاً على إسحاق فقراً

عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه. ثم قال لبشر بن الوليد: ما تقول في [خلق] القرآن؟ فقال: قد عرّفت مقالتي أمير المؤمنين غير مرة. قال: فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما ترى؟ فقال: أقول القرآن كلام الله. قال: لم أسألك عن هذا أخلق هو؟ قال: الله خالق كل شيء، قال: فالقرآن شيء؟ قال: نعم. قال: فمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق، قال: ليس هو عن هذا، أخلق هو؟ قال: ما أحسن غير ما قلت لك، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه وليس عندي غير ما قلت لك. فأخذ إسحاق رقعة فقرأها عليه ووقفه عليها فقال: أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ووجه من الوجوه، قال: نعم. قال للكاتب: اكتب ما قال. ثم قال لعل بن أبي مقاتل ما تقول؟ قال: قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير مرة وما عندي غيره، فامتحنه بالرقعة، فأقر بما فيها، ثم قال له: القرآن مخلوق؟ قال: القرآن كلام الله، قال: لم أسألك عن هذا، قال: القرآن كلام الله، فإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا! فقال للكاتب: اكتب مقالته.

ثم قال للذيال نحوا من مقالته لعل بن أبي مقاتل فقال: مثل ذلك. ثم قال لأبي حسان الزيادي: ما عندك؟ قال: سل عم شئت؟ فقرأ عليه الرقعة، فأقر بما فيها ثم قال: ومن لم يقل هذا القول فهو كافر. فقال: القرآن مخلوق هو؟ قال: القرآن كلام الله والله خالق كل شيء، وأمير المؤمنين إمامنا وبه سمعنا عامة العلم وقد سمع ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم! وقد قلده الله أمرنا فصار يقيم حجبنا وصلاتنا ونؤدي إليه زكاة أموالنا ونجاهد معه ونرى إمامته، فإن أمرنا ائتمرنا وإن نهانا انتهينا وإن دعانا أجبنا! قال: فالقرآن مخلوق فأعاد مقالته. قال إسحاق: فإن هذه مقالة أمير المؤمنين، قال: قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس، وإن خبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول، قلت ما أمرتني به، فإنك الثقة فيما أبلغتني عنه، قال: ما أمرني أن أبلغك شيئا. قال أبو حسان: وما عندي إلا السمع والطاعة فأمرني أئتمر! قال: ما أمرني أن آمركم وإنما أمرني أن أمتحنكم.

ثم قال لأحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: المخلوق هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها، فامتحنه بما في الرقعة فلما أتى إلى: ليس كمثله شيء قرأ وهو السميع البصير. وأمسك عن ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر، فقال: أصلحك الله إنه يقول سميع من أذن وبصير من عين فقال إسحاق لأحمد: ما معنى قولك سميع بصير؟ قال: هو كما وصف نفسه، قال: فما معناه قال: لا أدري هو كما وصف نفسه. ثم دعا بهم رجلا رجلا كلهم يقول القرآن كلام الله إلا قتيبة وعبيد الله بن محمد بن الحسن وابن علي الأكبر وابن البكاء وعبد المنعم بن إدريس ابن بنت وهب بن منبه والمظفر بن مرجا ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة وابن الأحمر. فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال: القرآن مجعول لقول الله عز وجل { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } ⁽¹⁾.. والقرآن محدث لقوله تعالى { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٌ } ⁽²⁾.. قال إسحاق: فالمجعول مخلوق؟ قال: نعم. قال: والقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول مخلوق ولكنه مجعول. فكتب مقالته ومقالات القوم رجلا رجلا ووجهت إلى المأمون. فأجاب المأمون يذمهم ويذكر كلا منهم ويعيبهم، وأمره أن يحضر بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي ويمتحنهما، فإن أجابا وإلا فاضرب أعناقهما! وأما من سواهما فإن أجاب إلى القول بخلق القرآن وإلا احملهم موثقين بالحديد إلى عسكري مع نفر يحفظونهم.

فأحضرهم إسحاق وأعلمهم بما أمر به المأمون، فأجاب القوم! إلا أربعة نفر، وهم أحمد بن حنبل، وسجادة، والقواريري، ومحمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد، فلما كان الغد دعاهم في الحديد فأعاد عليهم المحنة، فأجابه سجادة والقواريري! فأطلقهما. وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما فشدا في الحديد

(1) سورة يوسف آية 2.

(2) سورة الشعراء آية 5.

ووجههما إلى طرسوس ليقموا بها إلى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم فأحضرهم إسحاق وسيرهم جميعاً إلى العسكر وهم أبو حسان الزيادي، وبشر بن الوليد، والفضل ابن غانم، وعلى بن مقاتل، والذغال بن الهيثم، ويحيى بن عبدالرحمن العمري، وعلى بن الجعد، وأبو العوام، والنضر بن شميل، وأبو نصر التمار، وسعدويه الواسطي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وأبو معمر بن الهرش، وابن الفرخان، وأحمد بن شجاع، وأبو هارون بن البكاء. فلما صاروا إلى الرقة بلغهم موت المأمون فأرجعوا إلى بغداد..

وقيل: لما اشتد مرض [المأمون] وحضره الموت كان عنده من يلقيه فعرض عليه الشهادة وعنده ابن ماسويه الطبيب فقال للرجل: دعه فإنه لا يفرق في هذه الحال بين ربه وماني⁽¹⁾.

ففتح المأمون عينيه وأراد أن يبطش به فعجز عن ذلك وأراد الكلام فعجز عنه ثم توفي من ساعته. وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية [ولم ينافقوا ولم يستخدموا الألفاظ التي لها أكثر من معنى، وفضلوا الآخرة على الدنيا، وتمسكوا بقولهم ولم تأخذهم في الله لومة لائم، فلم يضعفوا أو يستكينوا أو يخضعوا، ولم تطمع أنفسهم للمناصب والشهرة وما سيعود عليهم من نعيم الدنيا وقربهم من السلطان إن وافقوه في قوله، فأثبت الله لنا قوة إيمانهم كما قال تعالى { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً }⁽²⁾..] خمسة: أحمد بن حنبل. ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري ومات في الطريق. ونعيم بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن. وأبو يعقوب البويطي وقد مات في سجن الوراق على القول بخلق القرآن وكان مثقلاً بالحديد. وأحمد بن نصر الخزاعي.

(1) [ماني: زنديق فارسي ظهر بمذهب فاسد اختلقه منادى بالنور والبراءة من الظلمة، وقسم العالم إلى قسمين، واختلق قصصاً عن الله تبارك وتعالى وبداية الخلق والملائكة وإبليس، ظهر في عهد سابور بن أردشير في بلاد فارس وكانوا مجوساً عبدة نيران].

(2) سورة الرعد آية 17.

929- محنة أحمد بن حنبل: في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل، [وما ناله من] سوء العذاب وأليم العقاب، وصبره وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم، وكان عالماً بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة والأخبار الماثورة، وبلغه ما أوصى به في المنام واليقظة، فرضى وسلم إيماناً واحتساباً وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة، وهياه الله بما آتاه من ذلك البلوغ منازل أهل البلاء في الله من أوليائه وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى.

قال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { أَلَمْ * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }⁽¹⁾.. وقال الله تعالى { وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }⁽²⁾..

روى الإمام أحمد في مسنده عن سعد قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الناس أشد بلاء؟ فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الله الرجل على حسب دينه، فإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذلك، وإن كان صلب الدين ابتلى على حسب ذلك، وما زال البلاء بالرجل حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة.

وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس قال رسول الله ﷺ: ثلاثة من كن فيه فقد وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يوقظ في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه. أخرجاه في الصحيحين.

(1) سورة العنكبوت الآيات 1 / 3.

(2) سورة لقمان آية 17.

وقال معاذ بن جبل: إنكم لم تروا إلا بلاء وفتنة، ولن يزداد الأمر إلا شدة، ولا الأنفس إلا شحاً. [أى] لن تروا من الأئمة إلا غلظة، ولن تروا أمراً يهولكم ويشد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه!

عن الربيع قال: بعثنى الشافعى بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل فأتيته و قد انفتل من صلاة الفجر، فدفعت إليه الكتاب، فأخذه فقرأه فدمعت عيناه فقلت: يا أبا عبد الله ما فيه؟ فقال: يذكر أنه رأى رسول الله ﷺ فى المنام فقال: اكتب إلى عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه السلام منى وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبه، ويرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة. قال الربيع: فقلت: حلاوة البشارة، فخلع قميصه الذى يلى جلده فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعى أخبرته، فقال: إني لست أفجعك فيه ولكن بله بالماء وأعطينيه حتى أتبرك به.

قال هلال العيسى: وملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة أثناهم الله الجنة: أن المأمون: قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاعوه عن طريق الحق، وزينوا له القول بخلق القرآن، ونفى الصفات عن الله عز وجل! لضعف إيمانه ونشأته فى بلاد المجوس وكانت أمه فارسية، ولرغبة الفرس فى القضاء على دين الإسلام، وإعادة أمجادهم الغابرة وعهدهم الماضى من خلاله، بما قلدهم ومكنهم من مناصب قيادية فى الدولة، بعد أن قضى الرشيد على أملهم فى تحقيق ذلك. ومما جاء مؤيداً لهذا القول ما قاله. [[محمد بن صالح السرخسى: فقد روى أن رجلاً من عرب الشام، تعرض للمأمون بالشام مراراً وقال: يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان. كتاب الكامل فى التاريخ ج6 ص8]].

قال البيهقى: ولم يكن فى الخلفاء قبله من بنى أمية وبنى العباس خليفة، إلا على مذهب السلف ومنهجهم [وإن كان ظاهرياً]. فلما ولى هو الخلافة [بعد قتله لأخيه محمد الأمين واستيلائه على الخلافة] اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له، واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب

يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن! وذلك قبل موته بشهور سنة ثمانى عشرة ومائتين، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهددهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم !! واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجند يسابورى، فحملا على بعير وسيرا إلى الخليفة وهما مقيدان متعادلان فى محمل على بعير واحد!

فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب يقال له: جابر بن عامر، فسلم على الإمام أحمد وقال له: إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجبهم إلى ما يدعونك إليه، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل. وإنك إن لم تقتل تمت وإن عشت عشت حميدا.

قال أحمد: كان كلامه مما قوى عزمى على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذى يدعونى إليه فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا بمرحلة، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: يعز على أبا عبدالله، إن المأمون قد سل سيفا لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ !! لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف.

فجئى الإمام أحمد على ركبته ورمى بطرفه إلى السماء وقال: سيدى غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن لم يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته. قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون فى الثلث الأخير من الليل [فيا لعظمة الله وقدرته سبحانه وتعالى اللهم فخذ كل ظالم فاجر جبار] قال أحمد: ففرحنا. ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولى الخلافة وقد ضم إليه أحمد بن أبى دؤاد وأن الأمر شديد، فردونا إلى بغداد فى سفينة مع بعض الأسارى نالنى منهم أذى كثير وكان فى رجليه القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح [رحمه الله] فى الطريق وصلى عليه أحمد.

فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان فأودع في السجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا وقيل نيفًا وثلاثين شهرًا، وكان هو الذي يصلى في أهل السجن والقيود في رجليه. ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم، ولما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده، قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في السكة وحملتها بيدي، ثم جاؤوني بدابة فحملت عليها فكدت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود، وليس معي أحد يمسكني، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم فأدخلت في بيت وأغلق على وليس عندي سراج، فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه، ثم قمت ولا أعرف القبلة، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة والحمد لله. ثم دعيت فأدخلت على المعتصم، فلما نظر إليّ وعنده ابن دؤاد قال: أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل، فلما دنوت منه وسلمت قال لي: ادن فلم يزل يدنيني حتى قربت منه فقال: اجلس، فجلست وقد أثقلني الحديد فمكثت ساعة ثم قلت: يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قلت: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله. ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه وذلك أني لم أفقه كلامه، ثم قال المعتصم: لولا أنك كنت في يد من قبلي لم أتعرض إليك، ثم قال: يا عبد الرحمن ألم آمرك أن ترفع المحنة؟ قال أحمد فقلت: الله أكبر هذا فرج المسلمين، ثم قال ناظره: يا عبد الرحمن كلمه؟ فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ فلم أجبه، فقال المعتصم: أجبه، فقلت: ما تقول في العلم؟ فسكت. فقلت: القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق، فقد كفر بالله. فسكت، فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كفرنا فلم يلتفت إلى ذلك. فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قرآن، فقلت: كان الله ولا علم! فسكت. فجعلوا يتكلمون من هاهنا وهاهنا، فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به؟ فقال ابن دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟ فقلت: وهل يقوم الإسلام إلا بهما!

وجرت مناظرات طويلة، واحتجوا عليه بقوله تعالى { مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ } **مُحَدَّثٌ** { (1) ..

وبقوله تعالى { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } (2) .. وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله { تَدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا } (3) .. فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع وهنا ((قضاتك والفقهاء !!)) فسألهم؟ فقال لهم: ما تقولون؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد! ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً، ثم في اليوم الثالث، وفي ذلك كله كان يعلو صوته عليهم وتغلب حجته حججهم، قال: فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد وكان من أجهلهم بالعلم والكلام، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج بها، وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها وقد تكلم معي ابن غوث بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه، فقلت: لا أدري ما تقول إلا أني أعلم أن الله أحد صمد وليس كمثله شيء فسكت عني.

وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة فحاولوا أن يضعفوا إسناده، ويلفقوا عن بعض المحدثين كلاماً يتساقون به إلى الطعن فيه، وهيهات وأني لهم التناوش من مكان بعيد، وفي ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول: يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي ومن يطأ بساطي؟ فأقول: يا أمير المؤمنين، يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها، واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصَرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً } (4) .. وبقوله { وَكَلَّمَ

(1) سورة الأنبياء آية 2.

(2) سورة الزمر آية 62.

(3) سورة الأحقاف آية 25.

(4) سورة مريم آية 42.

الله مُوسَى تَكْلِيماً⁽¹⁾.. ويقول { إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى }⁽²⁾.. ويقول { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }⁽³⁾.. ونحو ذلك من الآيات، فلما لم يقم لهم معه حجة، عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل. وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلى سبيله ويغلب خليفته فعند ذلك حمى واشتد غضبه وكان أليهم عريكة وهو يظن أنهم على شيء، قال أحمد: فعند ذلك قال لى: لعنك الله طمعت فيك أن تحيىنى فلم تحيىنى ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه.!!

قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجىء بالسياط وأنا أنظر، وكان معى شعرات من شعر النبى ﷺ مصرورة فى ثوبى، فجردونى منه وصرت بين العقابين فقلت: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قال: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث وتلوت الحديث وإن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم. فبم تستحل دمنى ولم آت شيئاً من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين [يدى] الله كوقوفى بين يديك، فكأنه أمسك.

ثم [لم] يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر، فأمر بى فقامت بين العقابين وجىء بكرسى فأقامت عليه، وأمرنى بعضهم أن آخذ بيدي بأى الخشبتيين، فلم أفهم فتخلعت يداى وجىء بالضرايين ومعهم السياط، فجعل أحدهم يضربنى سوطين ويقول له المعتصم: شد قطع الله يدك، ويجىء الآخر فيضربنى سوطين ثم الآخر كذلك فضربنى أسواطاً فأغمى علىّ وذهب عقلى مراراً، فإذا سكن الضرب يعود علىّ عقلى، وقام المعتصم إلىّ يدعونى إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك الخليفة على رأسك، فلم

(1) سورة النساء آية 164.

(2) سورة طه آية 14.

(3) سورة النحل آية 40.

أقبل، وأعادوا الضرب، ثم عاد إلى فلم أجبه، فأعادوا الضرب ثم جاء إلى الثالثة فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمرى.

وأمر بى فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا فى حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجلى. وكان ذلك فى اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله وكان جملة ما ضرب، قيل ثمانين سوطا، ضربا مبرحا شديدا جدا.

ولما حمل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم، أتوه بسويق ليفطر من الضعف فامتنع من ذلك وأتم صومه، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال ابن سبيعة القاضي: صليت فى دمك؟ فقال له أحمد: قد صلى عمر وجرحه يثعب دما. فسكت. ويروى أنه لما أقيم ليضرب انقطعت تكة سراويله، فخشى أن يسقط سراويله فتكشف عورته. ويروى أنه قال: يا غياث المستغيثين يا إله العالمين إن كنت تعلم أنى قائم لك بحق فلا تهتك لى عورة فعاد سراويله كما كان. ولما رجع إلى منزله جاءه الجرايحى فقطع لحما ميتا من جسده وجعل يداويه حتى برأ والله الحمد، ولزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة وامتنع من التحديث، فلما عوفى فرح المسلمون بذلك وبقي مدة وإبهاماه يؤذيها البرد، وجعل كل من آذاه فى حلّ إلا أهل البدعة. وكان يتلو فى ذلك قوله تعالى { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا }⁽¹⁾.. ويقول: ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك وقد قال تعالى { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }⁽²⁾.. وينادى المنادى يوم القيامة: ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال

(1) سورة النور آية 22.

(2) سورة الشورى آية 40.

رسول الله ﷺ: ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، ومن تواضع لله رفعه الله.

قال البخارى: لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول: لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لكان أحدوثه.

وقال المزنى: أحمد بن حنبل يوم المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار.

وقال قتيبة: مات سفيان الثورى ومات الورع، ومات الشافعى ومات السنن، وبموت أحمد بن حنبل تظهر البدع. وقال: إن أحمد بن حنبل قام فى الأمة مقام النبوة. قال البيهقى: يعنى فى صبره على ما أصابه من الأذى فى ذات الله.

وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك.

ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة:

فلما ولى المتوكل على الله الخلافة، استبشر الناس بولايته، فإنه كان محبا للسنة وأهلها ورفع المحنة عن الناس، وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد فى القول بخلق القرآن، ثم كتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم، أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه، فاستدعى إسحاق بالإمام أحمد إليه فأكرمه وعظمه، ثم جهزه إلى الخليفة بسر من رأى ثم سبقه إليه، (وقد كان الإمام أحمد كارها لمجيئه إليهم وجعل أياما يتألم من اجتماعه بهم ويقول: سلمت منهم طول عمرى ثم ابتليت بهم فى آخره. وكان قد جاع عندهم جوعا عظيما كثيرا حتى كاد أن يقتله الجوع!) فقال بعض الأمراء للمتوكل: إن أحمد لا يأكل لك طعاما ولا يشرب لك شرابا ولا يجلس على فرشك. فقال: والله لو نشر المعتصم [أى بعث من الموت] وكلمنى فى أحمد ما قبلت منه.

روى عن عبد الله [ابن أحمد بن حنبل] أنه قال: حين احتضر أبى جعل يكثر أن

يقول: لا بعد لا بعد! فقلت: يا أبة ما هذه اللفظة التى تلهج بها فى هذه الساعة؟

فقال: يا بنى إن إبليس واقف فى زواية البيت وهو عاض على إصبعه وهو يقول:
فاتنى أحمد. فأقول: لا بعد لا بعد، يعنى لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد.
كما جاء فى بعض الأحاديث، قال إبليس: يارب وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم ما
دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الله: وعزتى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى.
وكانت وفاته ﷺ يوم الجمعة، حين مضى منه نحو من ساعتين، فاجتمع الناس فى
الشوارع وبعث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان، وأرسل
يقول: هذا نيابة عن الخليفة فإنه لو كان حاضرا لبعث بهذا، فأبوا أن يكفنوه بتلك
الأكفان، وأتى بثوب كان قد غزلته جاريته فكفنوه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطا
واشتروا له رواوية [رَوَاوِيَّة: الحَوَامِلُ للماء، أى القرب] ماء وامتنعوا أن يغسلوه بماء
بيوتهم لأنه كان قد هجر بيوتهم، فلا يأكل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئا وكان لا يزال
متغضبا عليهم لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم [من السلطان] على بيت المال وهو فى كل
شهر أربعة آلاف درهم وكان لهم عيال كثيرة وهم فقراء [فلتتوقف قليلا ولتتمعن فى
وجهه نظر الإمام أحمد، ثم لننظر الآن لقصور بعض من ادعوا الدين وغرفهم لأموال
المسلمين غرfa كيف سيقفون غدا بين يدى الله].

وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم إلا الله،
ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف فى جملة الناس ثم تقدم فعزى أولاد الإمام
أحمد فيه. وكان هو الذى أمَّ الناس فى الصلاة عليه !! (وقد أعاد جماعة الصلاة عليه عند
القبر بعد أن دفن من أجل ذلك). ولم يستقر فى قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك
لكثرة الخلق. وقال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعا فى الجاهلية ولا فى الإسلام
اجتمعوا فى جنازة أكثر من الجمع الذى اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل.

وروى عن رجل من أهل العلم [وأحسبه على حق] أنه قال: يوم دفن أحمد ﷺ، دفن
اليوم [خامس] خمسة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعمر بن عبد العزيز وأحمد بن حنبل.
وكان عمره يوم مات سبعا وسبعين سنة..

930. قال موسى بن الحسن: أول من امتحن في خلق القرآن عفان بن مسلم، قال له إسحاق بن إبراهيم [نائب المأمون ببغداد بالسجن]: يا أبا عثمان، كتب إلى أمير المؤمنين أن أمتحنك. قال: في أى شيء؟ قال: تزعم أن القرآن مخلوق. قال: ما أقول، ثم قرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } سورة الإخلاص حتى ختمها. إذ لا أقول، قال الله عز وجل { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ }⁽¹⁾.. { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }⁽²⁾.. هذا الكفر بالله. فقال له [نائب المأمون ببغداد]: إذا تقطع أرزاقك! قال عفان: قال الله تبارك وتعالى { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ }⁽³⁾.. أما لك باب لا وقفت عليك أبدا. قال: فلما رجع إلى داره عدلوه ونساؤه ومن في داره !! وكان في داره نحو أربعين إنسانا. قال: فدق عليه داق الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات ومعه كيس فيه ألف درهم فقال: يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين وهذا في كل شهر. فما أقام إلا أياما حتى مات..

931. عن قائم بن معاوية قال: حضرت محمد بن الحكم الكبير وقد امتحن، فضرب بالسياط في مسجد مصر أقل من ثلاثين سوطا في غلالة، تولى ذلك منه الأصم، وابن أبي دؤاد يومئذ قاض في أيام المأمون..

932. قال أبو عمر الكندي: إن المعتصم كتب في أصبغ ليحمل في المحنة. فهرب إلى حلوان فاستتر بها. وقال يحيى بن عمر: اختفى أصبغ بن الفرج، أيام الأصم وأخذته الناس بالمحنة في القرآن، فطلبه الأصم فاختفى في داره، وكان إخوانه يأتونه فيها الواحد بعد الواحد، حتى مات..

(1) سورة التوبة آية 6.

(2) سورة النساء آية 164.

(3) سورة الذاريات آية 22.

933. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الموانر، المعول بمصر على قوله، كان من [أهل] الإسكندرية، تفقه بآبن الماخشون وابن عبد الحكيم واعتمد على أصبغ، طلب في المحنة فخرج من الإسكندرية هاربا إلى الشام ولزم حصنا من حصونها حتى مات. وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائتين..

934. محمد بن سحنون فقيه المغرب لما وصل إلى قصر الأمير أبي جعفر، جمع له قواده ووزرائه وقاضيه ابن أبي الجواد، وكان في القوم داود بن حمزة القائد فقال أبو جعفر لسحنون: ما تقول في القرآن؟ فقال سحنون: أصلح الله الأمير، أما شيء أبتديه من نفسي فلا، ولكن الذي سمعت ممن تعلمت منه وأخذت ديني عنه، فهم كانوا يقولون إن القرآن كلام الله وليس بمخلوق. فقال له ابن أبي الجواد: أيها الأمير، إنه قد كفر فاقتله ودمه في عنقي! وقال مثل ذلك نصر بن حمزة القائد وغيره! فقال لدواد بن حمزة: ما تقول يا داود؟ قال: أصلح الله الأمير، قتله بالسيف راحة له! ولكن اقتله قتل الحياة! يؤخذ عليه الحملاء وينادى عليه بسباط القيروان لا يفتى ولا يسمع أحدا ويلزم داره. ففعل ذلك أبو جعفر وترك قول من أشار عليه بقتله ومنع الله عز وجل القوم من قتله..

935. قال أبو محمد: سمعت أصبغ وكان مع أبي مسهر هو وابن أبي النجاء خرجا معه يخدمانه ويواسيانه، فحدثني أصبغ أنه أدخل يعني أبا مسهر على المأمون بالرقعة، وقد ضرب رقبة رجل وهو مطروح بين يديه، فأوقف أبو مسهر بين يديه في تلك الحالة، فامتحنه فلم يجبه، فأمر به فوضع في النطع ليضرب رقبتة، فأجاب إلى خلق القرآن وهو في النطع، ثم بعد أن أخرج من النطع رجع عن قوله، ثم أعيد إلى النطع فلما صار في النطع أجاب، [[وقيل إنه قال في ذلك الموقف: جزى الله أمير المؤمنين خيرا، علمنا ما لم نكن نعلم، وعلم علما لم يعلمه من كان قبله. وقال: قل: القرآن مخلوق وإلا ضربت رقبتك، ألا فهو مخلوق هو مخلوق]]. فأمر به أن يوجه إلى بغداد ولم يثق بقوله، فأقام عند إسحاق بن إبراهيم [نائب المأمون ببغداد بالسجن] أياما لا تبلغ مئة يوم ثم مات رحمه الله..

936. محمود بن غيلان المروزي: روى عنه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة وآخرون وقد حبس بسبب القرآن. قال المروزي: سألت الإمام أحمد عن محمود بن غيلان فقال: ثقة أعرفه بالحديث صاحب سنة قد حبس بسبب القرآن..

937. كان أبو عبدالله نعيم بن حماد ساكن مصر يقال له: الفارض لأنه يعرف الفرائض وقسمة المواريث معرفة حسنة واشتهر بهذه النسبة حتى كان يقال له: نعيم الفارض! وكان من العلماء، ثبت في المحنة حتى مات في الحبس، وسمع منه حمزة الكاتب في الحبس، وكان قد امتنع عن القول بخلق القرآن فحمل من مصر إلى العراق. وكان يقول: أنا كنت جهميا فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث علمت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل. ولما مات جر بأقياده وألقى في حفرة ولم يكفن ولم يصل عليه!

938. الإمام الصابر في المحنة الباذل روحه في السنة أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى (نسبة إلى بويط وهى قرية من صعيد مصر الأدنى)، صاحب الشافعى وخليفته بعده، كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة، اختص به في حياته وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته، سمع الأحاديث النبوية من عبدالله بن وهب الفقيه المالكي ومن الإمام الشافعى، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربى والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادى وغيرهم. وكان متعبدا صالحا زاهدا، وكان أبو الوليد بن أبى الجارود يقول: كان أبو يعقوب البويطى جارى، فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلى.

قال الربيع: كان أبو يعقوب أبدا يحرك شفتيه بذكر الله، [وله] من الشافعى منزلة وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول هو كما قال. وربما جاء إلى الشافعى رسول صاحب الشرطة، فيوجه الشافعى البويطى ويقول: هذا لسانى وقال الشافعى: البويطى يموت في الحديد. حمل إلى بغداد مقيدا في فتنة خلق

القرآن، ومات في السجن مقيدا ودفن كذلك !! أريد على القول بخلق القرآن الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل في السجن مقيدا حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا.

قال الربيع بن سليمان: دخلت على البويطى أيام المحنة فرأيت مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغلوله يده إلى عنقه، وقال: رأيت البويطى على بغل في عنقه غل وفي رجله قيد وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا، وهو يقول: إنما خلق الله سبحانه الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا، فوالله لأموتن في حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ولئن أدخلت عليه لأصدقنه يعنى الوائق.

وقال أبو عمر بن عبد البر الحافظ في كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء: إن ابن أبى الليث الحنفي قاضى مصر كان يحسده ويعاديه فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر إلى بغداد، ولم يُخرج من أصحاب الشافعى غيره وحمل إلى بغداد وحبس فلم يجب إلى ما دعى إليه في القرآن وقال: هو كلام الله غير مخلوق. وحبس ومات في السجن.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى في كتاب طبقات الفقهاء: كان أبو يعقوب البويطى إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجنان: أين تريد؟ فيقول: أجيب داعى الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أنى قد أجبت داعيك فمنعونى. ومات في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين..

939. قال الربيع بن سليمان: كان يوسف بن يحيى البويطى ومحمد بن عبد الله بن عبدالحكم والمزنى في حلقة الشافعى، حين مرض الشافعى فاختلفوا أيهم يقعد فيها وتنازعوا الرياسة فبلغ [ذلك] الشافعى فقال: الحلقة ليوسف البويطى من شاء يقعد فيها ومن شاء

قام ومات الشافعي، فكانت حلقة أعظم حلقة في المسجد ورجع الناس والسلطان إليه في الفتيا، فسعى به فيمن سعى به عند ابن أبي دؤاد [فكتب] إلى والي مصر، فأخذه فامتحنه، فأبى أن يجيب. وكان والي حسن الرأي فيه فقال: قل فيما بيني وبينك؟ فقال: لا [خوفاً من] أن يقتدى بي مائة ألف، يقولون: قال أبو يعقوب ولا يدرون المعنى والسبب فيضلون، لا أقوله أبداً. [انظر كيف كان العلماء الحق يضربون المثل للناس في أنفسهم وكيف كانوا يتقون الله في فتاويهم وتصرفاتهم] فأمر أن يحمل في أربعين رطل حديد! قال: ففعلوا له ذلك الحديد، قال أبو يعقوب: اجعلوا واحداً وأربعين؟ وحمل حتى ذهب به إلى بغداد..

940. قال أبو عمر الكندي: لما أمر الواثق الناس بالمحنة في القرآن. ورد كتابه إلى أبي بكر الأصم، قاضي مصر. [أصله من خراسان وكان من أصحاب ابن أبي دؤاد] فأخذ الناس بذلك. فلم يبق فقيه ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ بها! فهوى كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكرها، وأمر القاضي أن يكتب [أن القرآن مخلوق] على أبواب المساجد!!

941. [روى أنه لما] دخل عبادة المخنث: على الواثق [وكان قد جرى على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون - جزاهم الله بما يستحقون في القول بخلق القرآن وامتحان الناس في الدين - وكان يعاقب بشدة وقهر من امتنع عن القول بخلق القرآن، فرأى] بعض يضرب وبعض يقتل في خلق القرآن! وبعض يجبس!

فقال: والله إن امتحنني أمير المؤمنين ليقتلني ولكن أبدأه أنا. قال فقلت: أعظم الله أجرك يا سيدي، فقال لي: ويلك فيمن؟ قلت: في القرآن فقال: ويلك [والقرآن] يموت؟! قلت: نعم [أليس] كل مخلوق هو يموت، فإذا مات القرآن في شعبان، [بم] يصلى بالناس في رمضان؟ فقال: أخرجوه أخرجوه فإنه مجنون..

942. أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصرى مفتى الديار المصرية، تفقه بالشافعى ومن ابن وهب وأشهب من أصحاب مالك رحمه الله تعالى، وروى عن ابن وهب وغيره من أصحاب الإمام مالك، فلما قدم الإمام الشافعى مصر صحبه وتفقه عليه. قال الشافعى: وددت لو أن لى ولدا مثله وعلى ألف دينار ولا أجد لها قضاء! وانتهدت إليه الرياسة بمصر.

[روى أن] القاضى نصر بن أبى الليث الأصم، وكان معتزلياً، امتحن بنى عبد الحكم مع سائر الفقهاء وأهل الفضل فى القرآن. وشدد عليهم وسجنهم. فعذب عبد الحكم بن عبد الله حتى مات فى عذابه، واستصفى أموال بنى الحكم وأصحابهم ونهبت منازلهم وسجن أصحابه واستصفى أموالهم، ولعنه على المنبر وأمر بحلق رأسه ولحيته وضربه بالسوط. وحمله على حمار بأكافٍ، وتطويفه بالفسطاط، ففعل ذلك كله به !!

943. عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم أبو عثمان، أكبر بنى عبد الله بن عبد الحكم ولم يكن فيهم أفقه من عبد الحكم ولا أجود خطأ، وكان خيراً فاضلاً له سماع كثير من أبيه وابن وهب وغيرهما من رواة مالك، وكان من أكابر أصحاب ابن وهب، ولم يكن فى أصحاب ابن وهب أتقى منه. حدث عنه الرمادى، وتوفى بمصر فى سجن يزيد التركى، وقيل: إن موته كان بسبب المحنة فى القرآن، وأنه لم يرجع [فعذب و] ضرب ودخن عليه بالكبريت حتى مات !!

944. مقتل أحمد بن نصر الخزاعى رحمه الله وأكرم مثواه وكان له وجاهة ورياسة وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث، وقد بايعه العامة فى سنة إحدى ومائتين على القيام بالأمر والنهى حين كثرت الشطار والدعار، وكان من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد فى الخير، ومن أئمة السنة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وكان الواثق من أشد الناس فى القول بخلق القرآن! يدعو إليه ليلاً ونهاراً سرا وجهاراً اعتماداً على ما كان عليه أبوه قبله

وعمه المأمون [] قال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (1) ..

أخبرنا عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهبا يقول: قال الله تعالى { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي
الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ } (2) .. قال له: يا موسى: اعبدني ولا
تشرك معي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض، فإنهم خلقى كلهم، فإذا أشرك بى
غضبت، وإذا غضبت لعنت، وإن لعنتى تدرك الرابع من الولد، وإنى إذا أطعت رضيت،
فإذا رضيت باركت، والبركة منى تدرك الأمة بعد الأمة [إلى آخر الحديث القدسى] (3) ..

[عن] عبد الله بن زيد بن ربيع قال: نظر داود عليه السلام مبخلا يهوى بين السماء
والأرض فقال: يا رب ما هذا؟ قال: هذه لعنتى أدخلها بيت كل ظلام [(4)] ..

وكان هذا من غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ولا سنة ولا قرآن. فقام أحمد
ابن نصر يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله
منزل غير مخلوق. فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر
رجلان وهما: أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقى، وآخر يقال له طالب يدعو
أهل الجانب الغربى فاجتمع عليه من الخلائق، ألوف كثيرة وجماعات غزيرة، فلما كان
شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعى فى السير على القيام
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق
القرآن. ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصى والفواحش وغيرها.

(1) سورة البقرة آية 170 .

(2) سورة الأعراف آية 145 .

(3) تفسير ابن أبى حاتم ج 5 ص 1564 رقم 8965 .

(4) كتاب الدر المنثور ج 7 ص 174 .

فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان وهي ليلة الجمعة، يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه دينارا دينارا وكان من جملة من أعطوا رجلا من بنى أشرس كانا يتعاطيان الشراب! فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد، وكان ذلك قبله بليلة فقاما يضربان على طبل في الليل ليجمع إليهما الناس فلم ينج أحد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة، وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب وكان نائبا لأخيه إسحاق بن إبراهيم لغيبته عن بغداد، فأصبح الناس متخبطين واجتهد نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فأحضرا فعاقبهما، فأقرا على أحمد بن نصر، فطلبه وأخذ خادما له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان، فجمع جماعة من رؤوس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة بسّر من رأى.

فأحضر له جماعة من الأعيان، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلى، وأحضر أحمد بن نصر وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، قال: أخلق هو؟ قال: هو كلام الله، وكان أحمد بن نصر قد استقتل وباع نفسه وحضر وقد تخط وتنور وشد على عورته ما يسترها. فقال له: فما تقول في ربك أترأه يوم القيامة؟ فقال: قد جاء القرآن والأخبار بذلك، قال الله تعالى {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ⁽¹⁾.. وقال رسول الله ﷺ: إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فنحن على الخبر. زاد الخطيب قال الواثق: ويحك أيرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر! أنا أكفر برب هذه صفته !!

قلت: وما قاله الواثق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم. ثم قال أحمد بن نصر للواثق: وحدثني سفيان بحديث يرفعه، إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء. وكان النبي ﷺ يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

(1) سورة القيامة الآيات 22 / 23 .

فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويحك انظر ما تقول، فقال: أنت أمرتني بذلك، فأشفق إسحاق من ذلك وقال: أنا أمرتك؟ قال: نعم أنت أمرتني أن أنصح له.

فقال الواصل لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه! فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل، وكان موادا لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم! وقال أبو عبد الله الأرميني: صاحب أحمد بن أبي دؤاد اسقني دمه يا أمير المؤمنين! فقال الواصل: لا بد أن يأتي ما تريد، وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل!

فقال الواصل: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقوم من أحد معي فإني أحسب خطأي، ثم نهض إليه بالصمصامة وقد كانت سيفا لعمر بن معد يكرب الزبيدي، أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته، وكانت صفيحة مسحورة في أسفلها مسمومة بمسامير، فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم طعنه في بطنه، فسقط صريعا رحمه الله على النطع ميتا. [انظر كيف يضحى صالح العلماء بأعمارهم في سبيل رضى الله تعالى وطلب الآخرة]. فإنا لله وإنا إليه راجعون. رحمه الله وعفا عنه.

[[قيل: قتله الواصل بيده لا تمتناعه من القول بخلق القرآن، ولكونه أغلظ للواصل في الخطاب، وقال له: يا صبي ⁽¹⁾. ثم انتضى سيفا الدمشقي سيفه، فضرب عنقه وجز رأسه وحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة فصلب فيها وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقميص، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياما وفي الغربي أياما، وعنده الحرس في الليل والنهار، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي، ممن قتل على يدى عبد الله هارون الإمام الواصل بالله! أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفى التشبيه وعرض عليه التوبة والرجوع إلى

(1) جاء في كتاب العبر في خبر من غبر ج 1 ص 23.

الحق فأبى إلا المعاندة، فالحمد لله الذى عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه! ثم أمر الواثق بتتبع رؤوس أصحابه فأخذ منهم نحواً من تسع وعشرين رجلاً فأودعوا فى السجون وسموا الظلمة ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شئ من الأرزاق التى كانت تجرى على المحبوسين [أى منع عنهم الطعام] وهذا ظلم عظيم.

وقد كان أحمد بن نصر من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وهاشم بن بشير، وكانت عنده مصنفاته كلها وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديث جيدة، ولم يحدث بكثير من حديثه، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي وأخوه يعقوب، ويحيى بن معين، وذكره يوماً فترحم عليه وقال: قد ختم الله له بالشهادة. وكان لا يحدث ويقول إنى لست أهلاً لذلك.

وقال جعفر بن محمد الصائغ: بصرت عيناي وإلا فقتلتا وسمعت أذناي وإلا فصمتا، أحمد بن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه: لا إله إلا الله. وقد سمعه بعض الناس وهو مصلوب على الجذع، ورأسه يقرأ {الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} ⁽¹⁾.. فاقشعر جلدى. ورآه بعضهم فى النوم فقال له ما فعل بك ربك؟ فقال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلى. ورأى بعضهم رسول الله ﷺ فى المنام ومعه أبو بكر وعمر قد مروا على الجذع الذى عليه رأس أحمد بن نصر فلما جاوزوه أعرض رسول الله ﷺ بوجهه الكريم عنه! فقبل له: يا رسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر؟ فقال: أعرضت عنه استحياء منه حين قتله رجل يزعم أنه من أهل بيتى. ولم يزل رأسه منصوباً من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من سنة إحدى وثلاثين ومائتين، إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين

(1) سورة العنكبوت الآيات 1/2.

[أى: ما يزيد عن ست سنوات! لقوله كلمة الحق]. فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية. رحمه الله. وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولى الخلافة بعد أخيه الواثق..

945. [وفي قول آخر] قال الحافظ الذهبي في تاريخه: إن أحمد بن نصر الخزاعي أحد أئمة الحديث دعاه الواثق [هو هارون المدعو بأمر المؤمنين والملقب بالواثق بالله والذي أكمل ما بدأه المأمون والمعتصم في الدعوة بخلق القرآن وقتل وتعذيب وسجن من دعى بغير دعوتهم] إلى القول بخلق القرآن! فأبى. فضرب عنقه وصلب رأسه ببغداد ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح!! فذكر الموكل به أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يس بلسان طلق! قال الذهبي: رويت هذه الحكاية من غير وجه، ومن طرقها ما أخرجه الخطيب عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خالي، فلما قتل في المحنة وصلب، أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت قريبا منه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) فاقشعر جلدي..

946. قيل لخلف بن سالم، بعد ما قتل أحمد بن نصر: ألا تسمع ما الناس فيه، يا أبا محمد؟ قال: وما ذاك؟ قيل: يقولون إن رأس أحمد بن نصر يقرأ. قال: كان رأس يحيى بن زكريا يقرأ..

فلما ولى المتوكل على الله الخلافة بعد أخيه الواثق، كان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون، فإنهم أساءوا إلى أهل السنة وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة [والفرس المجوس والشيعة] وغيرهم. دخل عليه عبد العزيز بن يحيى المكي فقال: يا أمير المؤمنين ما رؤى أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن.

فوجل المتوكل من كلامه وساءه ما سمعه في أخيه الوائق. إذ دخل عليه الوزير محمد ابن عبد الملك الزيات فقال له: يا ابن عبد الملك، في قلبى شىء من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين أحرقتنى الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الوائق إلا كافرا!! ودخل عليه هرثمة فقال: يا هرثمة في قلبى من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين قطعنى الله إربا إربا إن قتله أمير المؤمنين الوائق إلا كافرا!! ودخل عليه القاضي أحمد بن أبى دؤاد [رأس الفتنة] فقال: يا أحمد، في قلبى من قتل أحمد بن نصر فقال: يا أمير المؤمنين ضربنى الله بالفالج إن قتله أمير المؤمنين الوائق إلا كافرا.

[فانظر إلى عجائب قدرة الله تعالى فيما حدث لبطانة السوء]:

قال المتوكل: فأما ابن الزيات: فأنا أحرقتة بالنار. سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر، فقبض أمواله وجميع ما كان له وقلد مكانه أبا الوزير، وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد [أسنان] مساميـره إلى داخل، قائمة مثل رؤوس المسال! [أى دولاـب دائرى مثل البرميل من حديد له مسامير حادة من الداخل له باب يغلق على من أراد تعذيبه، فتدخل المسامير إلى داخل جسده وتصل إلى أحشائه كالسكاكين، فتمزق لحمه ويسيل دمه وهو حى، وكلما تحرك حركة أو ضعف عن الوقوف اتسعت جراحه وازدادت حدة آلامه. وليت ابن الزيات اكتفى بهذه الطريقة التى اخترعها فى التعذيب، لكن الظالم لا يـرعوى ولا يكتفى، فكان يشعل النار تحت هذا الدولاـب المصنوع من الحديد حتى يموت من به ممزقا مختنقا متفحما! أمثل هؤلاء آمنوا أن هناك رباً يحاسبهم ومن نصبهم على رقاب المسلمين على أفعالهم { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ } (1)].

(1) سورة إبراهيم آية 42.

فأمر المتوكل بإدخاله في ذلك التنور [دون إشعال النار تحته]. وكان حبسه في ذلك التنور إلى أن مات أربعين يوماً [انظر كيف مد الله في عذابه، فهل يكون الجزاء إلا من جنس العمل فهل من متعظ]..

وأما هرثمة: فإنه هرب فاجتاز بقبيلة خزاعة، فعرفه رجل في الحى فقال: يا معشر خزاعة، هذا الذى قتل ابن عمكم أحمد بن نصر، فقطعوه إرباً إرباً !
وأما ابن أبى دؤاد: [رأس الفتنة] فقد سجنه الله في جلده يعنى بالفالج، ضربه الله قبل موته بأربع سنين [كما دعى على نفسه إن كان كاذباً أن يصاب بالشلل، فيا سبحان الله أين من يتعظ من أصحاب الدنيا] وصور من صلب ماله بهال جزيل جداً⁽¹⁾..

947. هلاك الخليفة الواثق بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد: كان هلاكه بعلّة الاستسقاء فلم يقدر على حضور العيد عامئذ، فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبى دؤاد الإيادى المعتزلى، وذلك أنه قوى به الاستسقاء، فأقعد في تنور قد أحمى له !! بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجعه، فلان عليه بعض الشيء اليسير، فلما كان من الغد، أمر بأن يحمى أكثر من العادة فأجلس فيه، ثم أخرج فوضع في محفة فحمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه، فمات وهو محمول فيها، فما شعروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت، فغمض القاضى عينيه وولى غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادى، عليهما من الله ما يستحقانه. وكان أبيض اللون مشرباً حمرة جميل المنظر خبيث القلب، حسن الجسم سيئ الطوية. ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام. فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة [وإن طالت]، وقد جمع الواثق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته، وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعى، فلما جمعهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما تقتضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته!

(1) مروج الذهب ج 4 ص 471.

فاجتمع عنده من رؤوسهم جماعة، منهم: الحسن بن سهل والفضل بن إسحاق الهاشمي وإسماعيل بن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطرلي وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة من ينظر في النجوم! فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم، فأجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرا طويلا، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة! فلم يعيش بعد قولهم وتقديرهم إلا عشرة أيام. حتى هلك. وروى الخطيب أن دعبل بن علي الشاعر لما تولى الواثق قال:

الحمْدُ لله لا صبرُ ولا جدلٌ ولا عزاءُ إذا أهلكَ الهوى رقدوا
خليفة ماتَ لم يحزنْ له أحدٌ وآخرُ قامَ لم يفرحْ به أحدٌ
فمرَّ هذا ومرَّ الشؤمُ يتبعه وقامَ هذا فقَامَ الويلُ والنكدُ

948. قال صالح بن علي الهاشمي: حضرت مجلس المهتدي وهو ينظر في المظالم فجعلت أنظر إلى المتظلمين، القوى والضعيف والشريف والوضيع، منهم ما تقرأ قصته عليه حتى تستوفي ثم يأمر بالتوقيع فيها بما يرى، لا يعدل عن الحق والإنصاف، وما فيه للمتظلم المقتنع وزيادة؛ فينشأ الكتاب على التوقيع من ساعته ويحرر ويعلم عليه ويرد إليه، فيختمه ويدفع إلى صاحبه. فأعجبني ذلك وجعلت أنظر إليه، ففطن لذلك ونظر إلى. ثم قال لي: يا صالح، فقممت وقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ادن؟ فدنوت، فقال: في نفسك شيء تحب أن تقوله؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: يا صالح تقول ما دار في نفسك أو أقوله أنا لك؟ قلت: ما رآه أمير المؤمنين.

قال: كأنني بك وقد استحسنت ما رأيت من أمرنا في العامة فقلت في نفسك: أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول بمقالة أبيه في القرآن. يا صالح، ما زلت برهة من خلافة الواثق أقول بهذه المقالة، حتى قدم ابن أبي دؤاد علينا في المحنة، شيخاً من أهل الشام فأحضره الواثق فأدخل شيخاً جميلاً تام بهي، وفي رجله قيدان ثقيلاً؛ فرأينا الواثق كالمستحي منه الراحم له فأسندناه حتى قرب منه؛ فسلم الشيخ فرد عليه، ودعا فأوجز في

الدعاء؛ فقال له الواصلق: يا شيخ؁ ناظر أأمد بن أبى دؤاد على ما يناظر ك علىه؛ فقال الشيخ: يا أمىر المؤمنىن أأمد يصبو وىضعف عن المناظرة وىقل عنها أىضاً؛ فغضب الواصلق وقال: وىلك أبو عبد الله يصبو وىضعف وىقل عن مناظرة مثلك واهمر ووجهه ودارت عىناه؛ فقال الشيخ: يا أمىر المؤمنىن هون علىك ولىسكن ما بك وائذن فى مناظرته تعلم صدق قولى.

قال الشيخ: يا أأمد؁ تسألنى أم أسألك؟ قال: سل.

قال: إلام تدعو الناس وتدعونى؟ قال: إلى أن ىقولوا إن القرآن مخلوق.

قال الشيخ: ولم يا أأمد؟ قال: لأن كل شىء دون الله مخلوق.

فقال الشيخ: يا أأمد؁ أخبرنى عن هذه المقالة هى داخله فى عقد الدين فلا ىكمل

الدين حتى ىقال بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أمىر المؤمنىن؁ إن رأىت أن تحفظ علىنا ما ىجرى؁ فافعل.

قال الواصلق: نعم.

قال الشيخ: يا أأمد؁ فأخبرنى عن رسول الله ﷺ لما بعثه الله إلى خلقه؁ ستر علىهم

شىئاً مما أمره الله به فى دىنهم؟

قال: لا.

قال: أفأأخذ رسول الله ﷺ بهذه المقالة؟

فسكت أأمد.

فقال الشيخ: يا أمىر المؤمنىن؁ هذه واحدة.

ثم قال الشيخ: يا أأمد؁ فدع ذا؛ زعمت أن الدين لا ىكون كاملاً حتى ىقال فىه بهذه

المقالة. فأخبرنى عن الله عز وجل حىن أنزل على رسوله ﷺ: الىوم أكملت لكم دىنكم

أكان الله تبارك وتعالى الصادق فى كماله؁ أو أنت الصادق فى نقصانه؟

فسكت.

فقال الشيخ: يا أحمد، أجب؟

فسكت.

فقال الشيخ: اثنتان يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

وقال الشيخ: ودع ذا؛ أتقول إن رسول الله ﷺ علم مقاتلك هذه فلم يطالب الأمة

بها لأنه اتسع له الإمساك عنها؟

قال أحمد: نعم.

قال: وكذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان، بعده؟

قال: نعم.

قال: فترك الشيخ ابن أبي دؤاد وأقبل بوجهه إلى الواصل فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم

يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة مما زعم ابن أبي دؤاد أنه اتسع لرسول الله ﷺ،

ولأبي بكر وعمر وعثمان، فلا وسع الله عليك.

فضحك الواصل ثم قال: نعم لا وسع الله على إذن.

قال: وكان بيد الواصل قلم فلم يزل يفركه حتى كسره، فظننا أن ذلك لغيبه على

أحمد. ثم قال: اقطعوا قيد الشيخ، فقطع.

فضرب الشيخ بيده إلى القيد فجذبه إليه، ومنع الحداد من أخذه، فجعله في كفه!!

فقال له الواصل: لم أخذته، أحاجة منك إليه؟

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لكنني عقدت في نيتي إذا حضرني الموت أن أمر من

يتولى أمري أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به يوم القيامة بين يدي ربي وأقول: يا

رب، سل عبدك، لم قيدني وروع ولدى وأهلي؟ وبكى بكاءً شديداً.

فقال له الواصل: يا شيخ، اجعلنى فى حل وسعة إكراماً لرسول الله عليه السلام إذ كنت رجلاً من أهله !! وإن لى إليك حاجة، قال: قل يا أمير المؤمنين؛ قال: تقيم عندنا فيتنفع بك أولادنا ومن معنا.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه أنفع لك من مقامى، رجوعى إلى الشجر الذى أخرجتنى منه، وأول منفعة ذلك أنى أكف دعاء ولدى وأهلى وإخوانى، فإنى تركتهم يدعون الله عليك. فقال الواصل: هاهنا حاجة أخرى، قال: قل يا أمير المؤمنين، قال: تذكر كل ما تحتاج إليه لمؤنتك ونفقتك ونفقة عيالك، فتأخذه ونجعله لك جارياً يقيمه العامل بتلك الناحية.

قال: يا أمير المؤمنين، أنا غنى عن ذلك وقد قال رسول الله ﷺ: لا تحل الصدقة لغنى. ولكن لى أنا حاجة يا أمير المؤمنين، قال: قل ما أحببت؟ قال: تأذن لى الساعة بالمسير؛ قال: قد فعلت فتزود منا نفقة، قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما لى إليها حاجة كبرت أم صغرت ولا يرانى الله متغنماً ماله. !!

وخرج الشيخ ورجعت أنا والله من ذلك اليوم عن هذه المقالة، ولم أشك فى أن أمير المؤمنين الواصل رجع عنها..

* * *

الباب التاسع

ما جاء عن القلب القاسى والرحيم والسقيم

وهو مكون من سبعة فصول:

- الفصل الأول: ما جاء عن القلب عموما وما قيل فيه.
- الفصل الثانى: علامات مرض القلب وصحته وانقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت.
- الفصل الثالث: ما جاء فى رقة القلب ورحمته.
- الفصل الرابع: ما جاء فى قسوة القلب وغلظته.
- الفصل الخامس: خلاصة أسباب قسوة القلب.
- الفصل السادس: خلاصة علاج قسوة القلب.
- الفصل السابع: أسباب وطرق تليين القلوب.

* * *

الفصل الأول

ما جاء عن القلب عموماً وما قيل فيه

949. الفؤاد: القلب، وقيل: وسطه. وقيل: الشَّغافُ غِلافُ القَلْبِ، وهو جلدة دونه كالحجاب وسُوَيْدَاؤُهُ. وشَغَفَهُ الحُبُّ يَشَغْفُهُ شَغْفًا وشَغْفًا وَصَلَ إِلَى شِغَافِ قَلْبِهِ. وقرأ { قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا }⁽¹⁾.. قيل: دخل حُبُّه تحت الشَّغاف وغَشَّى قَلْبَهَا. وقال أبو عبيد: الشَّغْفُ أَنْ يَبْلُغَ الحُبُّ شَغَافَ القلب، وهي جلدة دونه. يقال: شَغَفَهُ الحُبُّ أى بَلَغَ شَغَافَهُ. وقال الزجاج: فى قوله تعالى (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) ثلاثة أقوال: قيل الشَّغَافُ غِلافُ القلب، وقيل: هو حَبَّةُ القلب وهو سُوَيْدَاءُ القلب، وقيل: هو داء يكون فى الجوف فى الشَّرَاسِيفِ. وقال أبو منصور: سَمِيَ الداءُ شَغَافًا بِاسْمِ شَغَافِ القلب، وهو حِجَابُهُ. وقال الفراء: القَلْبُ: الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل، وقال فى قوله تعالى: { لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ }⁽²⁾.. أى عقل..

950. وقيل: تعلقت القلوب بعشرين:

الأول: الخوف من الله تعالى [قال تعالى { إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }⁽³⁾.. وهو اللجام القامع عن المعاصى، وسببه معرفة شدة عذاب الله، ويسمى خشية ورهبة وتقوى. والناس فيه على ثلاثة مراتب: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة. والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف مما يستقبل، والحزن على ما تقدم. وكلاهما يثير البكاء والانكسار ويبعث العبد على الرجوع إلى الله تعالى.

(1) سورة يوسف آية 30.

(2) سورة ق آية 37.

(3) سورة الأنفال آية 48.

الثاني: الرجاء، وسببه معرفة سعة رحمة الله، [قال تعالى { وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }⁽¹⁾ .. ويسمى طمعا ورغبة، وينبغي أن يكون الرجاء والخوف معتدلين، فإن الخوف إذا فرط، قد يعود إلى اليأس وهو حرام [فلا يجوز اليأس من رحمة الله وإن عظمت ذنوب العبد لقوله تبارك وتعالى { وَلَا تَيْسَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْسَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }⁽²⁾ .. والرجاء إذا فرط، قد يعود إلى الأمن وهو حرام.

الثالث: الصبر، وأجره بغير حساب [قال تبارك وتعالى { إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }⁽³⁾ ..]. بخلاف سائر الأعمال فإن أجورها بمقدار وهو أربعة أنواع: صبر على بلاء الله وهو المقصود بالذكر. وصبر على نعم الله أن لا يطغى بها. وصبر على طاعة الله. وصبر عن معاصي الله.

الرابع: الشكر، [قال تعالى { وَاشْكُرُوا لِي }⁽⁴⁾ ..]. وهو بالقلب واللسان والجوارح، فشكر اللسان الثناء، وشكر القلب معرفة المنة وقدر النعمة، وشكر الجوارح بطاعة المنعم.

الخامس: التوكل، [قال تعالى { إِنَّ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا }⁽⁵⁾ ..]. وهو الاعتماد على الله تعالى، في دفع المكاره والمخاوف وتيسير المطالب والمنافع، وخصوصا في شأن الرزق وسببه ثلاثة أشياء: المعرفة بأن الأمور كلها بيد الله. [قال تبارك وتعالى { قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ }⁽⁶⁾ ..]. وأن الخلق كلهم في قبضته [تحت قدرته]. وأنه لا يضيع من توكل عليه [قال تعالى { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }⁽⁷⁾ ..].

(1) سورة الأعراف آية 56.

(2) سورة يوسف آية 87.

(3) سورة الزمر آية 10.

(4) سورة البقرة آية 152.

(5) سورة يونس آية 84.

(6) سورة آل عمران آية 154.

(7) سورة الطلاق آية 3.

السادس: التفويض إلى الله تعالى، [قال تعالى { وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ } ⁽¹⁾..]. وهو خروج العبد عن مراد نفسه إلى ما يختاره الله له [راضيا مقتنعا بأن ما اختاره له الله هو الأفضل له وإن تعارض ذلك مع ما يشتهي ويرغب ويتمنى]، وسببه المعرفة بأن اختيار الله خير من اختيار العبد لنفسه، لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور والعبد لا يعلمها.

السابع: حسن الظن بالله، فإن الله تبارك وتعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وسببه المعرفة بفضل الله وكرمه وسعة رحمته.

الثامن: التسليم لأمر الله تبارك وتعالى [{ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا } ⁽²⁾..]. بترك الاعتراض ظاهرا وترك الكراهة باطنا.

التاسع: الرضا بالقضاء [{ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } ⁽³⁾..]. وهو سرور النفس بفعل الله زيادة على [التسليم]، وسببها ثلاثة أشياء: محبة الله تعالى. ومعرفة فعل المحبوب وحكمته في كل ما يفعل. وإن المالك يفعل في ملكه ما يشاء.

العاشر: الإخلاص لله تعالى، ويسمى نية وقصدا، وهو إرادة وجه الله تعالى بالأقوال والأفعال وضده الرياء. وسببه المعرفة، بأن الله لا يقبل إلا الخالص [لوجهه الكريم] وأنه يطلع على النيات والضمائر كما يطلع على الظواهر.

الحادى عشر: المراقبة، وهى معرفة العبد باطلاع الله عليه على الدوام، فيثمر ذلك [فى نفسه] الحياء والهيبه والتقوى.

الثانى عشر: المشاهدة، وهى النظر بالقلب إلى الله تعالى والاستغراق فى صفاته وأفعاله، وذلك مقام الإحسان الذى أشار إليه رسول الله ﷺ فى قوله: الإحسان أن تعبد

(1) سورة غافر آية 44.

(2) سورة التوبة آية 51.

(3) سورة الحج آية 18.

الله كأنك تراه. ثم أشار إلى مقام المراقبة بقوله ﷺ: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وبين المقامين فرق.

الثالث عشر: التفكير، وهو ينبوع كل حال ومقام، فمن تفكر في عظمة الله اكتسب التعظيم ومن تفكر في قدرته استفاد التوكل، ومن تفكر في عذابه استفاد الخوف، ومن تفكر في رحمته استفاد الرجاء [والرضى وراحة النفس]، ومن تفكر في الموت وما بعده، استفاد قصر الأمل [واتقى الله في تصرفاته وعمل لآخرته]. ومن تفكر في ذنوبه اشتد خوفه وصغرت عنده نفسه [واستغفر الله وتاب وأمل في سعة رحمته].

الرابع عشر: معرفة الله تعالى، وهى نوعان خاصة وعامة: فالعامة حاصلة لكل مؤمن والخاصة هى التى ينفرد بها الأنبياء والأولياء وهو البحر الأعظم الذى لا ساحل له، ولا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، والعجز عن درك الإدراك إدراك.

الخامس عشر: التوحيد، وهو نوعان عام وخاص: فالعام هو عدم الإشراك الجلى وذلك حاصل لجميع المسلمين، والخاص عدم الإشراك الخفى وهو مقام العارفين، وكلاهما داخل تحت قول لا إله إلا الله.

السادس عشر: اليقين، وهو صدق الإيمان حتى يطمئن به القلب بحيث لا يتطرق إليه شك ولا احتمال، وسببه شيئان: أحدهما قوة الأدلة وكثرتها، والآخر نور من الله يضعه فى قلب من يشاء.

السابع عشر: محبة الله تعالى، وهى نوعان عامة وخاصة: فالعامة لجميع المسلمين ولا يصح الإيمان إلا بها وهو مقام أصحاب اليقين، والخاصة مقام المقربين وهى أعلى المقامات وأرفع الدرجات ولا سيما المحب المحبوب.

الثامن عشر: التواضع، وهو ضد التكبر وسببه شيئان: التحقق بمقام العبودية، ومعرفة الإنسان بعيوب نفسه.

التاسع عشر: الحياء، وهو نوعان: حياء من الله وحياء من الناس، وهو مستحسن في كل حال لا [في] طلب العلم [أو قول الحق].

العشرون: سلامة الصدر للمسلمين [والنصح بإخلاص لهم]، وهو يثمر طيب النفس وسماحة الوجه وإرادة الخير لكل أحد، والشفقة والمودة وحسن الظن، ويذهب الشحناء والبغضاء والحقد والحسد. ولذلك ينال بهذه الخصلة ما ينال بالصيام والقيام..

951. إن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه. والمقصود أن صلاح القلب وسعادته وفلاحه، موقوف على هذين الأصلين. قال تعالى { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا }⁽¹⁾.. فأخبر أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به، إنما يحصل لمن هو حي القلب. وعن قتادة: حي القلب حي البصر. كما قال: في موضع آخر: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ }⁽²⁾..

وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }⁽³⁾.. فأخبر سبحانه وتعالى، أن حياتنا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا إليه الله والرسول، من العلم والإيمان فعلم أن موت القلب وهلاكه بفقد ذلك. وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور لقلوبهم، فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم. فقال الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ }⁽⁴⁾..

952. وقيل: حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم، لها سمع وبصر وهي تأكل وتشرب وتنكح ولهذا قال تعالى { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا

(1) سورة ياسين الآيات 69 / 70.

(2) سورة ق آية 37.

(3) سورة الأنفال آية 24.

(4) سورة فاطر آية 22.

يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً { (1) .. فشبههم بالغنم التي ينق بها الراعى وهى لا تسمع إلا نداء.
كما قال فى الآية الأخرى { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا { (2) .. وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ
قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ { (3) ..

953- وقيل: حياة القلب وصحته لا تحصل إلا بأن يكون مدركا للحق مریدا له
مؤثرا له على غيره، فلا سعادة للقلب ولا نعيم ولا صلاح، إلا بأن يكون إلهه وفطره
وحده هو معبوده وغاية مطلوبة وأحب إليه من كل ما سواه..

954- حياة القلب ونيمة وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبه والإجابة إليه
والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة..
955- حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب..

956- حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته ورسوله على الدوام..
957- [قال ﷺ]: عليكم بالحزن، أى الزموه، فإنه مفتاح القلب. قالوا: يا رسول
الله وكيف الحزن؟ قال: أجيءوا أنفسكم وأظمئوها إلى حد لا يضر، فإن بذلك تذل النفس
وتنقاد وتنكسر الشهوة ويتوفر الحزن ويتنور الباطن. الديلمى عن ابن عباس قال: الهيشمى
إسناده حسن (4) ..

(1) سورة البقرة آية 171 .

(2) سورة الفرقان آية 44 .

(3) سورة الأعراف آية 179 .

(4) فيض القدير ج 4 ص 339 .

958. قال الإمام أحمد: عن عياض أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط⁽¹⁾ متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، ورجل عفيف متعفف ذو عيال.. [والْقِسْطُ: العدل ومنه قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }⁽²⁾].

959. قال أنس رضي الله عنه: [إن] الله سبحانه إذا أراد أن يرحم عبدا، أسكن في قلبه الرأفة والرحمة، وإذا أراد أن يعذبه، نزع من قلبه الرحمة والرأفة وأبدله بها الغلظة والقسوة..

960. عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والمهرم وعذاب القبر. اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها⁽³⁾.. ومن أراد أن تدمع عينه فله أن يدعو الله بذلك..

961. وقال أبو سليمان الداراني: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبعت ورويت عمى القلب. مفتاح الدنيا الشيع ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل. وإن الله ليعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب..

962. وقيل: طهارة القلب [في البعد] عن الخلق المذموم، وعمارته بالخلق المحمود، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ طهارة الجوارح عن المناهى ويعمرها بالطاعات..

963. وقيل: طهارة القلب بتجديد الإيمان والتوبة والإخلاص..

964. وقيل: طهارة القلب [الابتعاد عن] كل معصية..

(1) والقِسْطُ أيضا الحصاة والنصيب، يقال: تَقَسَّطْنَا الشَّيْءَ بَيْنَنَا.

(2) سورة المائدة آية 42.

(3) رواه مسلم (2722).

965. قال تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }⁽¹⁾ .. قال أبو محمد: وهذا غاية البيان، في أن من لم يرد الله أن يطهر
قلبه، فقد أراد فساد دينه الذي هو ضد طهارة القلب..

966. وقيل: طهارة القلب وطهارة الجوارح، شرط في صحة السجود لله عز وجل..

967. وقيل: طهارة القلب، نزاهة النفس عن الدناءة والآثام..

968. وقيل: [إذا] طهر القلب من دنس المعاصي، دخل في كونه سليماً عن الشرك

وعن الشك وعن الغل والغش والحق والحسد..

969. وقالوا: طهارة القلب [بالاتبعاد] عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالى، وذلك

لأن الكفر والمعاصي نجاسة للأرواح. وكما أن إزالة النجاسات الجسدية تسمى طهارة
فكذلك إزالة العقائد الفاسدة والأخلاق الباطلة تسمى طهارة. ولهذا التأويل قال الله
تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ }⁽²⁾ .. فجعل رأيهم نجاسة، وقال { إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }⁽³⁾ .. فجعل براءتهم عن
المعاصي طهارة لهم.

وقال في حق عيسى عليه السلام { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا }⁽⁴⁾ ..

فجعل خلاصه عن طعنهم وعن تصرفهم فيه تطهيراً له..

970. قال أبو بكر الوراق: طهارة القلب في شيئين: إخراج الحسد والغش منه،

وحسن الظن بالمسلمين..

(1) سورة المائدة آية 41.

(2) سورة التوبة آية 28.

(3) سورة الأحزاب آية 33.

(4) سورة آل عمران آية 55.

971- وقيل: طهارة القلب سبب لكل خير، وهى أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل

سديد..

972- وقيل: الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها فى النار عرق طرفها الآخر، وكذلك

القلب إذا كانت فيه حرقة ندامة الذنوب، جادت العينان بالدموع ولانت الجوارح بالخضوع والقلب بالإنابة والخشوع.

كُتِبَتْ بِأَدْمَعِي فِي صَحْنِ خَدِّي كِتَابًا بِالتَّذَلُّ وَالْخُضُوعِ
فَقَالُوا قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ مَّا مَحَوْتَ قَبِيحَ فَعْلِكَ بِالْأَدْمُوعِ

973- وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم الصحيح هو قلب المؤمن..

974- قال النيسابورى: [القلب السليم] هو القلب الخالى من البدعة المطمئن على

السنة..

975- القلب السليم: [هو من] يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان..

976- سأل عوف الأعرابى محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ قال: الناصح لله فى

خلقه..

977- وقال بعض العارفين فى معنى قوله تعالى {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (1) ..

أى ليس فيه غير الله. وقيل: معنى القلب السليم: السليم من الشرك [والنفاق]، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد..

وفى الحديث قيل: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: كل مؤمن محموم القلب، ثم

فسره رسول الله ﷺ فقال: هو التقى الذى لا غش فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد (2) ..

978- قال النبى ﷺ: ذكر الله شفاء القلوب (3) ..

(1) سورة الشعراء آية 89.

(2) فتح القدير.

(3) جامع الأحاديث.

979- وقيل: شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب..

980- وقالوا: شفاء القلوب بالطهارة عن الذنوب..

وقال هلال العيسى: عمارة القلب بالتقوى والتطهر ليس من الدرن فقط، بل من كل صفة مذمومة..

981- وقال عليه السلام: من أذنب ذنباً ثم ندم عليه فهو كفارته⁽¹⁾..

وقال الحسن [البصري] التوبة على أربع دعائم: استغفار باللسان، وندم بالقلب، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود..

982- قالت فاطمة بنت الحسن الدقاق: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام الصفاء: رقة القلب وسرعة الدمع والانتفاع بالموعظة..

983- الترمذی قال: نور المعرفة في القلب وإشراقه في عيني الفؤاد في الصدر، فبذكر الله يرطب القلب ويلين بالرحمة. وما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك فهذا هو الأصل، والعبد ما دام في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمنطر. دعا الله الموحدين إلى الصلوات الخمس رحمة منه عليهم، هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار. وهيأ لهم فيها ألوان العبادة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطايه..

984- وقيل: علامة صدق الندم على ما مضى من الذنوب، شدة التحفظ فيما بقي من العمر وموابة الطاعة بالجد والاجتهاد، واستقلال كثير الطاعة واستكثار قليل النعمة مع رقة القلب وصفائه وطهارته. ودوام الحزن فيه وكثرة البكاء والتفويض إلى الله تعالى في جميع الأمور، والتبري إليه من الحول والقوة، ثم الصبر بعد ذلك على أحكام الله عز وجل والرضا عنه في جميعها والتسليم لأمره كلها..

(1) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث.

985- وقيل: مفاتيح رقة القلب ثلاثة: الرقة والإقبال على الله عز وجل وعلى الدار الآخرة والتيقظ لأمره، والتفكر في وعده ووعيده..

986- قيل: قلة الغذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب.

987- عن أبي موسى قال: إنما سمي القلب لتقلبه، ومثل القلب مثل ريشة في فلاة⁽¹⁾ أَلجأته..

عن الحسن [البصري] قال: كانوا يقولون: إن لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول يرجع إلى قلبه فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك. وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى القلب فما أتى على لسانه تكلم به. [لذا] قال أبو الأشهب: كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظه لسانه..

حدثنا حزم بن مهران قال: سمعت الحسن [البصري] يقول: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: ليس الغنى عن كثرة المال لكن الغنى غنى القلب⁽²⁾..

عن الحسن [البصري] قال رسول الله ﷺ: العلم علمان: علم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه⁽³⁾..

عن أبي الدرداء قال: كان ابن رواحة يأخذ بيدي ويقول: تعال نؤمن ساعة إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانا!

988- وعن مالك بن دينار قال: سألت الحسن [البصري] عن عقوبة العالم. قال: موت القلب. [قلت]: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة..

(1) [الفلاة: المفاضة. والفلاة: القفر من الأرض، لأنها فُليت عن كل خير فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة التي لا ماء بها ولا أنيس].

(2) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 357.

(3) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 407 رقم 1161.

989- عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح سائر جسده، وإذا فسدت فسد سائر جسده، ألا وهى القلب⁽¹⁾..
990- عن وابصة قال: أتيت رسول الله ﷺ: وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا أسأله عنه، فجعلت أتخطى الناس، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ، فقلت: دعوني أدنو منه فإنه من أحب الناس إلىّ.

فقال ﷺ: يا وابصة، أخبرك بما جئت تسألني عنه أو تسألني؟ فقلت: أخبرني يا رسول الله؟ فقال: جئت تسألني عن البر والإثم؟
قلت: نعم.

فجمع أصابعه فجعل ينكت بها صدرى ويقول: يا وابصة، استفت قلبك استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك⁽²⁾..
وفي حديث آخر:

991- عن وائلة بن الأسقع قال: تدانيت النبى ﷺ بمسجد الخيف فقال لى أصحابه: يا وائلة تنح عن وجه النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: دعوه إنما جاء يسأل، فدنوت فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لتفتنا عن أمر نأخذه عنك من بعدك؟
قال: لتفتك نفسك.

قلت: وكيف لى بذلك؟
قال: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون.
قلت: وكيف لى بعلم ذلك؟

قال: تضع يدك على فؤادك، فإن القلب يسكن للحلال ولا يسكن للحرام، وإن الورع المسلم يدع الصغير مخافة أن يقع فى الكبير.

(1) مسند الطيالسي ج 1 ص 106 رقم 788.

(2) الورع لابن حنبل ج 1 ص 196.

قلت: بأبى أنت وأمى، ما العصبية؟

قال: الذى يعين قومه على الظلم.

قلت: فمن الحريص؟

قال: الذى يطلب المكسبة من غير حلها.

قلت: فمن الورع؟

قال: الذى يقف عند الشبهة.

قلت: فمن المؤمن؟

قال: من آمنه الناس على أموالهم ودمائهم.

قلت: فمن المسلم؟

قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده.

قلت: فأى الجهاد أفضل؟

قال: كلمة حق عند إمام جائر⁽¹⁾..

992- وقيل: التواضع لله ذل القلب..

993- وقيل: أصل فساد القلب، ترك المحاسبة للنفس والاعتزاز بطول الأمل، فإذا

أردت صلاح قلبك فقف مع الإرادة وعند الخواطر فخذ ما كان لله ودع ما كان لغيره..

وروى فى معنى القلب أخبار: منها أن رسول الله ﷺ قال: إن من المؤمنين من يلين له

قلبى. وقال ﷺ: إن الحق يأتى وعليه نور فعليكم بسرائر القلوب⁽²⁾.

وقال ابن مسعود ؓ: للقلوب شهوة وإقبال وفترة وإدبار فاغتنموها..

قال ابن المبارك: القلب مثل المرأة إذا طالت فى اليد صددت. وكالدابة إذا غفل عنها

عدلت.

(1) مسند أبى يعلى ج 13 ص 476 رقم 7490.

(2) رسالة المسترشدين ج 1 ص 114.

وقال بعض الحكماء: القلب مثل بيت له ستة أبواب ثم قيل لك: احذر [أن] يدخل عليك من أحد الأبواب شئ يفسد عليك البيت، فالقلب هو البيت، والأبواب العينان واللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان! فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت..

994- وقيل: في القناعة راحة القلب..

995- عن وهب بن منبه قال: إن الحكمة تسكن القلب الوادع الساكن..

996- وقال عامر بن عبد قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان..

997- عن أسد بن موسى قال: في الجوع ثلاث خِلال: حياة القلب، ومَذَلَّة النفس، ويورث العقل الدقيق السهاوى..

998- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: ذو القلب المخموم واللسان الصادق، قلنا: قد عرفنا اللسان فما القلب المخموم؟ قال: هو التقى النقى لا إثم فيه ولا حسد. قلت: فمن على أثره؟ قال: الذى يستاء الدنيا ويجب الآخرة⁽¹⁾. قالوا: ما يعرف هذا فينا إلا أبو رافع مولى رسول الله، فمن على أثره؟ قال: مؤمن فى خلق حسن. قالوا: أما هذه فإنها فينا..

999- عن ابن مسعود أنه قال: إذا كره القلب عمى..

1000- عن طاوس: قال رسول الله ﷺ: الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فى الدنيا تطيل الهم والحزن⁽²⁾..

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا..

(1) المعرفة والتاريخ ج 2 ص 304.

(2) الزهد ج 1 ص 20.

قال أبو إسحاق الفزاري: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: خمسة من السعادة: اليقين في القلب، والورع في الدين، والزهد في الدنيا، والحياء، والعلم..

وقال صالح بن عبد الكريم: مثل القلب مثل الإناء إذا ملأته ثم زدت فيه شيئاً فاض، فكذلك القلب إذا امتلأ من حب الدنيا لم تدخله المواعظ..

عن عبد الله بن المبارك قال: [إذا كان] حب الدنيا في القلب والذنوب قد احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟

حدثني أحمد بن أبي الخوارى قال: سمعت مؤدباً لأهل البصرة يقال له: أبو غسان جاءه شاب فقال: يا أبا غسان متى ترتحل الدنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة رحلت الدنيا من القلب ودرج القلب في ملكوت السماء، وإذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع إلى الدنيا..

عن جعفر بن سليمان قال: همُّ الدنيا ظلمة في القلب، وهمُّ الآخرة نور في القلب..

1001. قال مالك بن دينار: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب. الدنيا والآخرة ضرطان..

وقال بعض الحكماء: الحزن انكسار القلب، فإذا علا الحزن قلباً أهبطه وحيره فانهدت منه القوة فسمى الكمد⁽¹⁾..

وقال سيار أبو الحكم: الفرح بالدنيا والحزن بالآخرة لا يجتمعان في قلب عبد، إذا سكن أحدهما القلب خرج الآخر..

1002. وقيل: [إذا] طهر القلب من المعاصي لم يشبع من ذكر الله..

1003. عن الحسن [البصري] قال: العمل بالحسنة نور في القلب وقوة في البدن، والعمل بالسيئة ظلمة في القلب ووهن في البدن..

(1) [الكَمَدُ: الحزن المكتوم].

1004. عن الأعمش قال: كنا عند مجاهد فقال: القلب بمنزلة الكف وبسط كفه،

فإذا أذنب الرجل ذنباً انقبض، هكذا فعقد [أصبع] واحداً، ثم إذا أذنب عقد اثنين، ثم ثلاثاً، ثم أربعاً، ثم رد الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس حتى قبض أصابعه كلها أصبعاً أصبعاً، فطبع على قلبه ثم يطبع عليه، فكانوا يرون أن ذلك الرين. قال الله تعالى { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }⁽¹⁾.. قال مجاهد: فأياكم يرى أنه لم يطبع على قلبه؟

وعن عاصم قال: سمعت الحسن [البصري يقول]: تدرّون ما الإراثة؟ الذنب بعد الذنب، والذنب بعد الذنب، حتى يموت القلب..

1005. كان الحسن [البصري] عليه السلام يقول: إن بين العبد وبين ربه عزّ وجلّ حداً من المعاصي معلوماً إذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير.

وفي حديث ابن عمر: الطابع معلق بقائمة العرش، فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله تعالى الطابع فطبع على القلوب بما فيها. ويقال: لكلّ ذنب نبات ينبت على القلب فإذا كثرت الذنوب قام النبات حول القلب مثل الكمّ للثمرة، فانضمّ على القلب فذلك هو الغلاف. ويقال: إنه الكنان أحد الأكنة التي ذكر الله تعالى أن القلب لا يسمع معها ولا يفقه..

1006. وفي هذا المعنى قال الشاعر:

ابكِ لذنْبِكَ طَوْلَ اللَّيْلِ مُجْتَهِداً إِنَّ الْبِكَاءَ مَعْلُومُ الْأَحْزَانِ

لَا تَنْسَ ذَنْبَكَ فِي النَّهَارِ وَطَوْلِهِ إِنَّ الدُّنُوبَ تَحِيطُ بِالْإِنْسَانِ

1007. وقيل: الذي يحرم العبد به قيام الليل أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث:

أكل الشبهات، وإصرار على الذنب، وغلبة هم الدنيا على القلب..

(1) سورة المطففين آية 14.

وقال بعضهم: كلما ازداد العبد عبادةً واجتهاداً ازداد القلب قوّة ونشاطاً، وكلما ملّ العبد وفتر ازداد القلب ضعفاً ووهناً..

وقال بعض العلماء: لما خلق الله تعالى اللسان قال: هذا معقل خبري، إن صدقني نجيته. ولما خلق الله تعالى القلب قال: هذا موضع نظري إن صفا لي صافيته..

وفي الخبر قلنا: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال: مجوم القلب صدوق اللسان، قلنا: يا رسول الله وما مجوم القلب؟ قال: التقى النقى الذى لا غلّ فيه ولا غشّ ولا حسد ولا بغى. قيل: يا رسول الله فمن على أثره؟

قال: الذى يشنأ [يشنأ: يكره ويبغض] الدنيا ويحبّ الآخرة والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله.. وضد الشنئان المحبة وضد الزهد الرغبة⁽¹⁾..

وقال بشر بن الحرث: سكون القلب إلى قبول المدح أضّر عليه من المعاصي!!

وقيل: أول خطايا الفرج شهوة القلب بمسامرة الفكر..

1008. عن الحسن [البصرى] قال: كان يقال: إن الإيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى،

وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل..

1009. عن بلال بن سعد: قال أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب!

قالوا: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يجعل لى في كل واد مال..

1010. قال مجاهد: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب (يعنى

السجود)، ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة الله..

1011. قال شهر: سمعت أم سلمة تحدث: أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن

يقول: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قال قلت: يا رسول الله وإن القلب

ليقلب؟ قال: نعم ما خلق الله من بشر من بنى آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابعه، فإن

شاء أقامه وإن شاء أزاغه. فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب

(1) قوت القلوب ج 1 ص 406.

لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. قالت: يا رسول الله ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: بلى قولى: اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن⁽¹⁾..

1012- وقيل [إن] للحسنة نورا فى القلب وزينا فى الوجه وقوة فى العمل، وللخطيئة سوادا فى القلب وزهدا فى العمل وشينا فى الوجه..

1013- ويقال: المرض فى القلب الفتور عن الحق، والمرض فى الأبدان فتور الأعضاء، والمرض فى العين فتور النظر..

1014- قال أبو سليمان: ينبغى للخوف أن يكون أغلب على الرجاء، فإذا غلب الرجاء على الخوف؛ فسد القلب..

قال بعض الحكماء: ثلاثة أشياء تميم القلب: مجالسة الأندال، ومجالسة الأغنياء، ومجالسة النساء..

1015- وروى عن النبى ﷺ أنه قال: للقلب أذنان وعينان، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرا فتح عينيه اللتين فى قلبه..

1016- عن أبى أمامة: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالتواضع، فإن التواضع فى القلب، ولا يؤذين مسلم مسلما، فلربما متضاعف فى أطمار لو أقسم على الله لأبره⁽²⁾..

عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى؟ قلت: نعم. وترى أن قلة المال هو الفقر؟ قلت: نعم يا رسول الله هو الفقر، فقال: ليس كذلك، إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب.. [إلى آخر الحديث]⁽³⁾..

(1) تفسير الطبرى ج 3 ص 94.

(2) مسند الشاميين ج 1 ص 302 رقم 529.

(3) مسند الشاميين ج 3 ص 174 رقم 2020.

1017. عن علقمة عن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة أحد في قلبه

مثقال حبة خردل من كبر، ولا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان⁽¹⁾..

1018. قال أبو عثمان: صلاح القلب في أربع خصال: في التواضع لله، والفقر إلى

الله، والخوف من الله، والرجاء في الله..

1019. وقال بعضهم: لا يصل أحد إلى حياة القلب ما لم يمت نفسه بنزاع الشهوات

عنها ومخالفتها في جميع الأحوال..

1020. وقيل: التثقل على القلب مضرة بالرأى..

1021. أبو حاتم يقول: الماء البارد العذب يستخرج الحمد من جوف القلب..

1022. عن مطرف قال: صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصحة النية..

1023. عن محمد بن واسع قال: أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة

مثاقنة النساء⁽²⁾ وحديثهن، وملاحاة الأحق، ومجالسة الموتى!!

قيل: وما مجالسة الموتى؟!

قال: مجالسة كل غنى مترف وسلطان جائر..

قال ثور بن يزيد: قرأت في التوراة، إن القلب المحب لله عز وجل يحب النَّصَب⁽³⁾

لله عز وجل..

قال إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح والحزن والسرور، فإذا فرحت

بالموجود فأنت حريص والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط

(1) شعار أصحاب الحديث ج 1 ص 174 رقم 5.

(2) [وَنَافَقَتْ الرَّجُلَ مَثَاقِنَةُ أَيْ صَاحِبَتُهُ وَجَالِسَتُهُ وَلَا زِمَتُهُ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ. وَالمُثَاقِفُ:

المُوَاطِبُ. وَيُقَالُ: نَافَقْتُ فَلَانًا إِذَا حَابَيْتَهُ مُحَادَثُهُ وَتَلَازِمُهُ وَتَكَلُّمُهُ].

(3) [النصب: التعب].

معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل. ودليل ذلك كله قوله تبارك وتعالى { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } ⁽¹⁾ ..

قال الفضيل بن عياض: كما أن القصور لا تسكنها الملوك حتى تفرغ، كذلك القلب لا يسكنه الحزن من الخوف حتى يفرغ..

وقيل: ثلاثة من علامات حسن الظن بالله: قوة القلب، وفسحة الرجا في الزلة، ونفى الإياس بحسن الإنابة..

قال سعدون لذي النون: متى يكون القلب أميرا بعد ما كان أسيرا؟ فقال: إذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فى الضمير إلا حبه لأنه الجليل العزيز..

قال يحيى بن معاذ: جماع الأمر كله فى شيئين: سكون القلب على رزق هذه الناحية والاجتهاد فى طلب رزق تلك الناحية. ولا يفلح من شمت منه رائحة الرياسة وسمعته! وقال: تولد الخوف فى القلب من ثلاث خصال: إدامة الفكر معتبرا والشوق إلى الجنة مشفقاً وذكر النار متخوفاً..

يقول السرى: خمسة أشياء لا يسكن فى القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء من الله وحده، والحب لله وحده، والحياء من الله وحده، والأنس بالله وحده..

وسئل الجنيد عن الدنيا ما هي؟ فقال: ما دنا من القلب وشغل عن الله..

وقيل: من علامة الصدق رضى القلب بحلول المكروه..

يقول على بن عبد الحميد: سمعت ابن أبى الورد يقول: آفة الخلق فى حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة. وعمل جوارح بلا مواطأة القلب، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول..

وقيل لحكيم: ما خير ما أعطى العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ إلى ما يعنيه..

(1) سورة الحديد آية 23.

قال الشبلي: [حولوا] القلب من الأشياء إلى رب الأشياء..

وقيل: إذا كسى الله القلب نور المعرفة قلده قلائد الحكمة، ومن كان الصدق وسيلته

كان الرضا من الله جائزته..

وقيل إذا سكنت الخشية في القلب رأى علم التوفيق في الجوارح..

1024. سئل بعض الصالحين عن المحبة ما هي؟ فقال: مواطأة القلب لمراد الرب،

فتحب ما أحب وتكره ما كره..

1025. عن جد زيد بن خالد قال: تلقفت هذه الخطبة، من في رسول الله ﷺ بتبوك

سمعته يقول في خطبة طويلة فيها: خير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتبع وخير ما ألقى في

القلب اليقين.. [إلى آخر الحديث] ⁽¹⁾..

قال عقبة بن عامر: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وذكر حديثا طويلا فيه

خطب له ﷺ فيها شر الأمور محدثاتها، وشر العمى عمى القلب، وشر المعذرة حين يحضر

الموت وشر الندامة يوم القيامة، وشر المآكل أكل مال اليتيم، وشر المكاسب كسب الزنى ⁽²⁾..

1026. قال سعيد الحواط: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من علامات موت القلب:

الأنس مع الخلق، والوحشة في الخلوة مع الله، وافتقاد حلاوة الذكر المقسوم. وثلاثة من

أعلام الوله إلى الله: اضطراب الروح في البدن عند الذكر تشوقا، وارتياح العقل عند

النجوى تملقا، وولوج الهمة في الغيوب نحو الله تملقا..

قال أبو عثمان الحنات: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام الخير في العالم التقى:

قمع الطمع عن القلب في الخلق، وتقريب الفقير والرفق به في التعليم، والتباعد من

السلطان..

(1) مسند الشهاب ج 2 ص 222.

(2) مسند الشهاب ج 2 ص 269.

وكان عبد الحميد يقول: سمعت السري يقول: من أدى الفرائض واجتنب المحارم وشكر النعمة فما لأحد عليه سبيل.

وقال: الشكر على ثلاثة أوجه: شكر اللسان وشكر البدن وشكر القلب:

فشكر القلب: أن تعلم أن النعم كلها من الله عز وجل.

وشكر البدن: أن لا تستعمل جارحة من جوارحك إلا في طاعته بعد أن عافاك الله.

وشكر اللسان: دوام الحمد عليه..

عن أنس بن مالك: عن النبي ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة فزوروا ولا تقولوا هجرا⁽¹⁾..

1027. قال سليمان بن أبي سلمة الفقيه: سمعت الجنيد وسئل عن القلب ما

يفسده؟ قال: الطمع، قيل: فما يصلحه؟ قال: الورع..

1028. عن أبي عثمان المغربي قال: من أثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه

الله بموت القلب..

وقال حفص: الخوف سراج القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر..

قال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع خطأ،

وإلا رحلا..

1029. وقيل: الرضا سرور القلب بمر القضا. أي سكون القلب تحت جريان الحكم..

1030. حدثنا محمد بن زياد أبو مسعود من أهل بيت المقدس قال: سمعت إبراهيم

ابن أبي عبله وهو يقول لمن جاء من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في

الجهاد الأكبر؟ قالوا: يا أبا إسماعيل وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب..

(1) شعب الإيمان ج 7 ص 15 رقم 9289.

أخبرنا عوف قال: قلت لمحمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ قال: أن تعلم أن الله عز وجل حق، [والموت حق]، وأن الساعة حق قائمة، وأن الله تعالى يبعث من في القبور..
1031. قال النبي ﷺ: لا يقبل الله الدعاء من قلب غافلٍ لاهٍ⁽¹⁾..

1032. وقيل: ليست التوبة نطق اللسان [بها]، إنما هي ندم القلب وعزمه أن لا يعود، ومن شرط صحتها: أن تكون قبل معاينة أمور الآخرة فمن باشره العذاب أو عاينه فقد [فاته] القبول..

1033. واعلم أن حاصل الكلام أن حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة، فبقدر ما يزداد أحدهما ينتقص الآخر، لأن سعادة الدنيا لا تحصل إلا باشتغال القلب بطلب الدنيا، وسعادة الآخرة لا تحصل إلا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وحب الله وهذان الأمران مما لا يجتمعان.

1034. ومن أحسن قول بعضهم في ذلك:
وَكُنْ لِرَبِّكَ ذَا حُبٍّ لَتُخْدَمَهُ إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلْأَحْبَابِ خُدَّامُ
1035. ولأن عمى القلب أعظم من عمى العين، قال الله تعالى { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }⁽²⁾..

1036. عن مالك رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: الإسلام علانية والإيمان في القلب⁽³⁾..

1037. قال الروذباري: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه..

وقيل: أشد من مرض البدن مرض القلب، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب..

1038. قيل لشيخ: أيسجد القلب؟ فقال الشيخ: إلى الأبد..

(1) تنوير الغيش في فضل السودان والحبش ج 1 ص 255 رقم 178.

(2) سورة الحج آية 46.

(3) التدوين في أخبار قزوين ج 3 ص 441.

1039. وقالوا: القلب يؤمر بالإخلاص واليقين والتقوى، والصبر والرضا والقناعة والزهد والورع، والتوكل والتفويض وسلامة الصدر وحسن الظن، وسخاوة النفس ورؤية المنّة وحسن الخلق. ويُنهى عن: الغل والحسد والبغى والغضب لغير الله، والغش والكبر والرياء والسمعة والبخل والإعراض عن الحق استكباراً، والخوض فيما لا يعنى، وميل الطمع وخوف الفقر وسخط المقدور، والبطر والتعظيم للأغنياء لغناهم والاستهانة بالفقراء لفقرهم، والفخر والخيلاء والمباهاة، والتزين للمخلوقين، والمداهنة وحب المدح بما لم يفعل، والاشتغال بعيوب الخلق عن عيوب النفس، ونسيان النعمة، والحمية والرغبة والرهبة لغير الله..

1040. وعنه عليه السلام: العقل نور في القلب يفرق له بين الحق والباطل ⁽¹⁾..

وعن أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب! فقال صلى الله عليه وآله: ما من بشر إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها، فمن كانت سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك. [أى يسرع بالاستغفار وطلب العفو والرحمة من الله] ⁽²⁾..

1041. عن أبي أمامة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لقمان قال لابنه: يا بنى، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر ⁽³⁾..

1042. وقيل: لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك

وجوده..

(1) شرح نهج البلاغة ج 20 ص 23.

(2) شرح نهج البلاغة ج 20 ص 23.

(3) الترغيب والترهيب ج 1 ص 63 رقم 162.

1043. يقال: القلب بيت الرب، وهذا هو نصيب العباد من ربهم وحظهم من الإيمان به. كما جاء عن بعض السلف أنه قال: إذا أحب أحدكم أن يعلم كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله من قلبه. فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه..

إذا ما القلبُ أُشربَ حُبَّ شَيْءٍ فَلَا تَأْمَلْ لَهُ الدَّهْرَ أَنْصِرَافًا
وعبر بالشرب دون الأكل، لأن الشرب يَتَغَلَّغُ في باطن الشيء بخلاف الأكل فإنه مجاور..

1044. وقيل: اعلم أنه لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه..

1045. وقيل: القلب مثل قبة لها أبواب تنصب إليها الأحوال من كل باب..

1046. وقيل: التوبة صفة القلب [الصالح]..

1047. قال النبي ﷺ: الإيمان ثابت في القلب واليقين خطوات⁽¹⁾..

1048. قال النبي ﷺ: الجبروت في القلب⁽²⁾..

1049. قال النبي ﷺ: خير الزاد التقوى وخير ما ألقى في القلب اليقين⁽³⁾..

1050. قال النبي ﷺ: ستة أشياء تحبط الأعمال: الاشتغال بعيوب الخلق وقسوة القلب وحب الدنيا وقلة الحياء وطول الأمل وظالم لا ينتهي⁽⁴⁾..

1051. عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: القلب ملك وله جنود، فإذا صلح الملك صلحت جنوده وإذا فسد الملك فسدت جنوده. والأذنان قمع، والعينان مسلحة، واللسان ترجمان، واليدان جناحان، والرجلان بريد، والكبد رحمة، والطحال ضحك،

(1) جامع الأحاديث ج 3 ص 467 رقم 9842.

(2) جامع الأحاديث ج 4 ص 204 رقم 11019.

(3) جامع الأحاديث ج 4 ص 301 رقم 11738.

(4) جامع الأحاديث ج 4 ص 476 رقم 12884.

والكليتان مكر، والرثة نفس.. قال البيهقي: هكذا جاء موقوفا، ومعناه في القلب. جاء في حديث النعمان بن بشير مرفوعا وقد رواه عبد الله بن المبارك عن معمر بإسناده وقال رفعه⁽¹⁾.

1052. قال عبد الرحمن بن غنم: بينما نحن جلوس يوما عند معاذ بن جبل رضي الله عنه: إذ دعا بدعاء لم أسمع داعيا يدعو مثل دعائه، فقلت له: رحمك الله يا أبا عبد الرحمن لو علمتني بعض ما تدعو به؟ فقال: لو كنت أعلم لك فيه خيرا كنت علمتك! فقلت: سبحان الله لم لا تعلم لي فيه خيرا؟!

قال: [كان] رسول الله ﷺ، يدعو بالدعاء الكبير الحسن الجميل، الذي لا يستطيع أحد أن يقول مثله، فقلت له يوما: يا رسول الله لو علمتني بعض ما تدعو به؟ فقال رسول الله ﷺ: لو كنت أعلم لك فيه خيرا لعلمتك، فقلت: سبحان الله يا رسول الله، لم لا تعلم لي فيه خيرا؟ قال: لأن أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجهد واجتهاد، فذاك الذي يسمع ويستجاب وإن قل. فالجد أن يقف العبد بقلبه في محل الدعاء والاجتهاد مفتقر القلب إلى الله متبائس النفس⁽²⁾..

1053. عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة وأذنه مستمعة وعينه ناظرة، فأما الأذن فقمع، والعين مقرة لما يوعى القلب، وقد أفلح من جعل قلبه واعيا⁽³⁾..

1054. وقيل: الجهاد ثلاثة: جهاد بيد، وجهاد بلسان، وجهاد بقلب..

1055. قال داود الطحاوي: فيما يخاطب ربه عز وجل: يا رب، أي عبادك أحب إليك أحبه بحبك؟ قال: يا داود أحب عبادي إلى تقى القلب نقى الكفّين، لا يأتي إلى أحد سوءا ولا يمشى بالنميمة تزول الجبال ولا يزول، أحبنى وأحب من يحبني وحبيبي إلى عبادي.

(1) شعب الإيمان ج 1 ص 133.

(2) نواذر الأصول في أحاديث الرسول ج 3 ص 201.

(3) أخرجه أحمد والبيهقي في الدر المنثور ج 2 ص 724.

قال: يا رب، إنك لتعلم أنى أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحبيك إلى عبادك؟ فقال: ذكرهم بالآئى وبلائى ونقمائى. يا داود، إنه ليس من عبد يعين مظلوماً أو يمشى معه فى مظلمته، إلا أثبت قدميه يوم تزول الأقدام⁽¹⁾..

1056. وقيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح..

1057. وقيل: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين..

1058. وقيل: دواء القلب الرضا بالقضا..

1059. وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة، آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة..

1060. وقيل: نور التوحيد فى القلب، وظلمة الشهوة فى الصدر، فإذا أكثر ذكر الموت بقلبه انقشعت الظلمة واستنار الصدر بنور اليقين..

1061. وقيل: أصل الطاعة انقياد القلب لحكم الله ومؤاخذه النفس بتعظيم الله..

1062. وقال الفضيل بن عياض: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام وكثرة [الطعام]..

وقال ابن القيم: إن المهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته وإجلاله، فإذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فأخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة، فحنت إليه الأفئدة، وقرت به العيون وأنست به القلوب، فكلامه نور ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور، إن سكت علاه الوقار وإن تكلم أخذ بالقلوب والأسماع..

1063. وقال إبراهيم بن أدهم: إن للذنوب ضعفاً فى القوة وظلمة فى القلب، وإن للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب.

(1) رواه البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ج 1 ص 112 رقم 258.

وقيل لسفيان الثوري رحمه الله: لو دعوت الله عز وجل؟ فقال: ترك الذنوب هو الدعاء. وعن عون بن عبد الله قال: جرائم التوايين منصوبة بالندامة نصب أعينهم، لا تقر للتائب بالدنيا عين كلما ذكر ما اجترح على نفسه..

1064. عن أبي الدرداء: قال رسول الله ﷺ: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويجب كل قلب خاشع حلیم رحيم يعلم الناس الخير ويدعو إلى طاعة الله. ويبغض كل قلب قاس ينأى الليل كله فلا يذكر الله تعالى ولا يدري يرد عليه روحه أم لا⁽¹⁾..

1065. وقال السري: القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل: لا يزيه شيء، [وهو القلب القاسى الذى انعدمت منه الرحمة]. وقلب مثل النخلة: أصلها ثابت والريح تميلها [وهو قلب المؤمن الثابت الإيمان الراضى بما يأتى من عند الله]. وقلب كالريشة: يميل مع الريح يمينا وشمالا [وهو قلب المنافق العليم]..

1066. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية [القلوب ثلاثة]: الأول: هو القاسى وهو الجامد اليابس لا يلين للحق اعترافا وإذعانا [وهو] بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يكتب فيه الإيمان ولا يرتسم فيه العلم لأن ذلك يستدعى محلا لنا قابلا. والثانى: أن يكون لينة مع ضعف وانحلال هو الذى فيه مرض.

والثالث: لا يخلو إما أن يكون الحق ثابتا فيه لا يزول عنه لقوته مع لينة، وهو القوى اللين، وذلك أن القلب بمنزلة أعضاء الجسد، كاليد مثلا فإما أن تكون جامدة يابسة لا تلتوى ولا تبطش أو تبطش بعنف فذلك مثل القلب القاسى، أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك مثل الذى فيه مرض، أو تكون باطشة بقوة ولين فهو مثل القلب العليم الرحيم فبالرحمة خرج عن القسوة وبالعلم خرج عن المرض..

1067. [وقيل عن القسوة]: ييس فى القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثر بالنوازل فلا يأبه بها لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله. وتحقيق هذا أن القلوب

(1) تفسير الثعلبي ج 8 ص 230.

ثلاثة: قلب قاس غليظ. وقلب مائع رقيق جدا. وقلب رقيق صافي الصلب. فالأول:
[الذى] لا يفعل بمنزلة الحجر. والثانى: بمنزلة الماء. وكلاهما ناقص. [والثالث]: أصح
القلوب الرقيق الصافي الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفائه وبقلبه ويؤثره برقته
ويحفظه، ويحارب عدوه بصلابته. وفى الأثر: القلوب آنية الله فى أرضه فأحبها إليه أرقها
وأصلبها وأصفها. وهذا القلب الزجاجى فإن الزجاجه جمعت الأوصاف الثلاثة..
1068. وقيل: القلوب أربعة:

قلب قاس: كقلوب الكفار والمنافقين، فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها، رضوا بالحياة
الدنيا واطمأنوا بها.

وقلب ناس: وهو قلب المسلم المذنب كقوله { فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً }⁽¹⁾..
فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى.

وقلب مشتاق: وهو قلب المؤمن فاطمئنانه بذكر الله كما فى الآية.
وقلب وحدانى: وهو قلب الأنبياء، وخواص الأولياء، فاطمئنانه بالله وصفاته
كقول الخليل ﷺ { وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي }⁽²⁾..

1069. وقالوا: متى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه، وحل
فيه حب المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها. فاعلم أنه قد خسف به.
ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب.
ومتى رأيت نفسك تهرب من الأنس به إلى الأنس بالخلق، ومن الخلوة مع الله إلى
الخلوة مع الأغيار فاعلم أنك لا تصلح له.
ومتى رأيت العقل يؤثر الفانى على الباقي فاعلم أنه قد مسخ.

(1) سورة طه آية 115.

(2) سورة البقرة آية 260.

ومتى رأيته يستزيد غيرك وأنت لا تطلب، ويستدنى سواك وأنت لا تقرب، فإن تحركت لك قدم في الزيارة تخلف قلبك في المنزل. فاعلم أنه الحجاب والعذاب..
1070. وقيل: خير القلوب أوعاها..

1071. قال أبو عبد الله: [إذا] اتبع العبد هواه وأمعن في شهواته بعد من الرحمة، فإذا بعد القلب من الرحمة عطش وإذا عطش يبس وإذا يبس قسا..

1072. قال أبو مصعب الزهري: قيل لمالك، لم صار لأهل المدينة لين القلب وفي أهل مكة قساوة القلب؟! فقال: لأن أهل مكة أخرجوا نبيهم وأهل المدينة آووه..

1073. حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن [البصري في قوله تبارك وتعالى] {وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} ⁽¹⁾.. قال يقول تبارك وتعالى: إذا سر الرجل بقلبه، طار السرور حتى يرى في وجهه، فالنضرة في الوجه والسرور في القلب وهو الفرح..

1074. أنبأ عروة بن رويم اللخمي: أن عيسى ابن مريم عليه السلام: دعا ربه تبارك وتعالى أن يريه موضع إبليس من بنى آدم، فتجلى له إبليس، فإذا رأسه مثل رأس الحية واضعا رأسه على ثمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه عز وجل خنس إبليس برأسه، وإذا ترك الذكر مناه..

1075. وقال الدينوري: [قلب] الكريم يلين إذا استعطف والليثيم يقسو إذا ألطف..

1076. عن ابن مسعود: كونوا من الله على حذر، فمن كان يأمل أن يعيش غدا يأمل أن يعيش أبدا، فيقسو قلبه ويرغب في الدنيا ويزهد فيها لدى ربه عز وجل..

1077. وقد قال رسول الله ﷺ: في وصف الهداية حين تلا قوله عز وجل {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} ⁽²⁾.. فقيل: يا رسول الله ما هذا الشرح؟

(1) سورة الإنسان آية 11.

(2) سورة الأنعام آية 125.

فقال: إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح.

قيل: فهل لذلك من علامة؟

قال: نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل

نزوله. فذكر سببه الزهد في الدنيا والإقبال على خدمة المولى وحسن التوفيق والإصابة في

العلم، مواهب من الله عزّ وجلّ وأثرة يختص بها من يشاء⁽¹⁾..

* * *

(1) قوت القلوب ج 1 ص 255.

الفصل الثانى

علامات مرض القلب وصحته

وانقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت

1078. يقول محمد بن أبى بكر أيوب الزرعة: لما كان القلب يوصف بالحياة

وضدها، انقسم بحسب ذلك إلى أحوال ثلاث:

الأول: القلب الصحيح السليم: هو الذى لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به. كما قال تبارك وتعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }⁽¹⁾.. والسليم هو السالم وجاء على هذا المثل لأنه للصفات كالطويل والقصير والظريف، فالسليم، القلب الذى قد صارت السلامة صفة ثابتة له، كالعليم والقدير، وأيضا فإنه ضد المريض والسقيم والعليل.

وقد اختلفت عبارات الناس فى معنى القلب السليم. والأمر الجامع لذلك: أنه الذى قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم فى محبة الله مع تحكيمه لرسوله فى خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته فى كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذه حقيقة العبودية التى لا تصلح إلا لله وحده.

فالقلب السليم: هو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وخشية ورجاء، وخلص عمله لله. فإن أحب أحب فى الله وإن أبغض أبغض فى الله، وإن أعطى أعطى الله، وإن منع منع الله، ويسلم الانقياد والتحكيم لرسوله، فيعقد قلبه معه على الائتتام والاقتران به وحده فى الأقوال والأعمال. فيكون الحاكم عليه فى ذلك ما جاء به الرسول ﷺ ..

(1) سورة الشعراء الآيات 88 / 89.

القلب الثاني: القلب الميت: الذى لا حياة به. فهو لا يعرف ربه ولا يعبد. [بها أمر وبما يحبه ويرضاه بعيدا عنه، آلهته الدنيا فهو] واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته رضى ربه أم سخط! فهو متعبد لغير الله: حبا وخوفا ورجاء ورضا وسخطا وتعظيما وذلا، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه، لا يستجيب للناصح ويتبع كل شيطان مريد.

القلب الثالث: القلب المريض: قلب له حياة وبه علة، فله مادتان تمده، هذه مرة وهذه أخرى! وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته. وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو والفساد فى الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه. وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعو إلى الله ورسوله والدار الآخرة. وداع يدعو إلى العاجلة وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا وأدناهما إليه جوارا.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة فى قوله: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }⁽¹⁾.

فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب فى هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين وقلبا ناجيا. فالفتونان القلب الذى فيه مرض والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه وهو المطمئن المستسلم المنقاد الخاضع له. فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول

(1) سورة الحج الآيات 52 / 54.

الحق ومحبتة وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد والقبول له. والقلب الميت القاسى: لا يقبله ولا ينقاد له. والقلب المريض: إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسى وإن غلبت عليه صحته، التحق بالسليم. فما يلقيه الشيطان فى الأسعاع من الألفاظ وفى القلوب من الشبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، وقوة للقلب الحى السليم، لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه ويعلم أن الحق فى خلافه، فيخبت للحق ويطمئن وينقاد ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان، فيزداد إيمانا بالحق ومحبة له وكفرا بالباطل وكراهة له.

[قال حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير، عودا عودا، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ويصير الآخر مربادا كالكوز مجخيا⁽¹⁾.. لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه⁽²⁾].

وقد قسم رضى الله تعالى عنه القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان: القلوب أربعة: [فعن أبى سَعِيدٍ: قال ﷺ: القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر. وقلب أغلف مربوط على غلافه. وقلب منكوس. وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراج فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر. وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثّل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثّل القرحة يمدّها القيح والدم فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه⁽³⁾].

(1) [مجخيا مكبوبا منكوسًا، المجخي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذى لا يعي خيرا بالكوز المائل الذى لا يثبت فيه شيء].

(2) المسند المستخرج على صحيح مسلم ج 1 ص 210.

(3) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 17 رقم 11145.

فقلوله: قلب أجرد: أى متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق، وفيه سراج يزهر وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغى، وبحصول السراج فيه [أدى] إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان. وأشار بالقلب الأغلف: إلى قلب الكافر لأنه داخل فى غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكيا عن اليهود {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} ⁽¹⁾.. وهو جمع أغلف، وهذه الغشاوة هى الأكنة التى ضربها الله على قلوبهم عقوبة على رد الحق والتكبر عن قبوله فهى أكنة على القلوب ووقر فى الأسماع وعمى فى الأبصار، وهى الحجاب المستور عن العيون فى قوله تعالى { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } ⁽²⁾.. فإذا ذكر لهذه القلوب التوحيد ولى أصحابها على أدبارهم نفورا.

وأشار بالقلب المنكوس: وهو المكبوب إلى قلب المنافق كما قال تعالى { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَزَكَهُمْ بِمَا كَسَبُوا } ⁽³⁾.. أى نكسهم وردهم فى الباطل الذى كانوا فيه بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة وهذا شر القلوب وأخبثها فإنه يعتقد الباطل حقا ويوالى أصحابه! [ويعتقد] الحق باطلا ويعادى أهله! فالله المستعان.

وأشار بالقلب الذى له مادتان: إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب وإليه يرجع.

(1) سورة البقرة آية 88.

(2) سورة الإسراء الآيات 45 / 46.

(3) سورة النساء آية 88.

وقيل: مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال: وهو النوع المتقدم كمرض الجهل والشبهات والشكوك والشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، لأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما [وصاحبه إن لم يهده ويشفه الله فمصيره جهنم والله أعلم].

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالهـم والغـم والغـيظ. وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب وما يدفع موجبها. وكما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب ويشقى ما يشقى به..

* * *

الفصل الثالث

ما جاء فى رقة القلب ورحمته

الرقة فى اللغة:

1079. الرَّقِيقُ ضد الغليظ والثخين، وقد رَقَّ الشيء يرق رِقَّةً، وأَرَقَّهُ غيره ورَقَّقَهُ تَرْقِيقاً وتَرْقِيقُ الكلام تحسينه، وتَرَقَّقَ له أى رق له قلبه، واستَرَقَّ الشيء ضد استغلظ، ومَرَأُ البطن ما رق منه ولان، وتَرَقَّرَ الشيء تَلَألاً ولمع، ورَقْرَأُ السحاب ما تَلَألاً منه، وكل شىء تَلَألاً فهو رَقْرَأُ، ورَقَّرَ الماء فترَقَّرَ أى جاء وذهب وكذا الدمع إذا دار فى الحملات..

الرحمة فى اللغة:

الرَّحْمَةُ الرقة والتعطف والمَرْحَمَةُ مثله، وتَرَحَّمَ عليه وتَرَأَّحَ القوم رَحِمَ بعضهم بعضاً، والرَّحِمُ القرابة والرحم أيضاً بوزن الجسم مثله، والرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسمان مشتقان من الرحمة، إلا أن الرحمن اسم مختص بالله تعالى ولا يجوز أن يسمى به غيره، ألا ترى أنه سبحانه وتعالى قال { ادْعُوا الرَّحْمَنَ }⁽¹⁾.. فعادل به الاسم الذى لا يشركه فيه غيره، والرَّحِيمُ قد يكون بمعنى المرحوم، كما يكون بمعنى الراحم، والرَّحْمُ بالضممة الرحمة قال الله تعالى { وَأَقْرَبَ رُحْمًا }⁽²⁾.. والرَّحْمُ بضمتين مثله. الأزهرى: الرَّحِمُ القرابة تَجْمَعُ بنى أب وبينهما رَحِمٌ أى قرابة قريبة وقوله عز وجل { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ }⁽³⁾.. أراد: واتقوا الأرحام أن تقطعوها ومن خَفَضَ أراد تَسَاءَلُونَ به وبالأرحام، وهو قولك: نَشَدْتُكَ بِالرَّحِمِ..

(1) سورة الإسراء آية 110.

(2) سورة الكهف آية 81.

(3) سورة النساء آية 1.

1080. حدثنا أبو حفص عمر بن صالح الطرسوسى قال: ذهبت أنا ويحيى الجلاء، وكان يقال إنه من الأبدال، إلى أبى عبد الله فسألته فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا بنى بأكل الحلال.

فمررت كما أنا إلى أبى نصر بشر بن الحارث، فقلت له: يا أبا نصر، بم تلين القلوب؟ قال: {أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ} ⁽¹⁾.. قلت: فإنى جئت من عند أبى عبد الله، فقال: إيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال. فقال: جاء بالأصل.

فمررت إلى عبد الوهاب بن أبى الحسن فقلت: يا أبا الحسن، بم تلين القلوب؟ قال: (أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ) قلت: فإنى جئت من عند أبى عبد الله فاحمرت وجنتاه من الفرح، وقال لى: إيش قال أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال، فقال: جاءك بالجوهر جاءك بالجوهر، الأصل كما قال الأصل كما قال..

1081. عن مكحول الشامى: أرق الناس قلوباً أقلهم ذنباً..

1082. وقال النبى ﷺ: جاءكم أهل اليمن أرق قلوباً وألين أفئدة. ففرق بينهما ووصف القلب بالركة التى هى ضد القساوة والغلظة، والأفئدة باللين الذى هو ضد اليبس والقسوة. فإذا اجتمع لين الفؤاد إلى رقة القلب، حصل من ذلك الرحمة والشفقة والإحسان ومعرفة الحق وقبوله، وبهما كمال الإنسان. وربنا وسع كل شىء رحمة ⁽²⁾..

1083. قال أبو عمران موسى بن هارون: سمعت أحمد بن صالح يقول: رأيت الخير كله فى رقة القلب والرحمة، وذلك قوله عز وجل { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ } ⁽³⁾.. ورأيت الشر كله فى اثنتين: فى الغضاظة وغلظ القلب، وذلك قول الله عز وجل { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } ⁽⁴⁾..

(1) سورة الرعد آية 28.

(2) التبيان فى أقسام القرآن ج 1 ص 239.

(3) سورة آل عمران آية 159.

(4) سورة آل عمران آية 159.

1084. وقيل: الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدءاً للانعطاف النفساني الذي هو مبدء الإحسان [وهي نعمة من نعم الله التي تساعد من وصف بها باطنا وظاهراً على النجاة من النار بإذن الله]..
1085. وقيل: أحد أسباب الحلم، رقة القلب وشدة العطف..
1086. وقيل: معنى الرأفة رقة القلب وشدة الرحمة.
1087. قال القرطبي: يقال شيء شفيق أي لا تماسك له لرقته، والشفقة من الإشفاق وهو رقة القلب..
1088. قال الطيبي: من لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي. وقال: الرحمة في الخلق رقة القلب والرقة في القلب علامة الإيمان..
1089. وقيل: [إنها] يرحم الله من عباده الرحماء..
1090. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل في الأرض آنية وهي القلوب، فأحبها إلى الله ما رق وصفا وصلب، فأما الرقة فعلى الإخوان، وأما الصفاء فمن الذنوب، وأما الصلابة أن يتكلم بالحق لا يخاف في الله لومة لائم..
1091. محمد بن السهالك قال: قلت لعمر بن ذر، أيها أعجب إليك للخائفين طول الكمد أو إسبال الدمعة؟ فقال: إذا رق قلب أسفا فمم سلا وإذا كمد غص فسجا، والكمد أعجب إليّ. قال في مثله الشاعر:
- إذا رَقَّ قلبُ المرءِ أَذْرَتْ جَفُونُهُ دُمُوعاً لَهُ فِيهَا سَلَوٌ مِنَ الْكَمَدِ
وإنْ غَصَّ بِالْأَشْجَانِ مِنْ طُولِ حُزْنِهِ عَلاَهُ اصْفِرَارُ اللَّوْنِ فِي الْوَجْهِ وَالْجَسَدِ
1092. عن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: كان إبراهيم الإمام يقول: السخاء من رقة القلب والرحمة أصل كل حسنة..
1093. قيل: حقيقة الرحمة، رقة القلب..
1094. وقيل: من رق قلبه لا يميل إلى المعاصي..
1095. وقيل: من رق قلبه استنار لبه..

- 1096- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة منكم إلا رحيم. قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: ليس رحمة أحدكم نفسه وأهل بيته حتى يرحم الناس⁽¹⁾..
- 1097- وقيل: علامة صحة الندم: رقة القلب وغزارة الدمع.
- وفي الخبر: جالسوا التوايين فإنهم أرق أفئدة⁽²⁾.. قال: جالسوا التوايين فإن رحمه الله إلى النادم أقرب، والموعظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب. وقال أيضا: التائب أسرع دمعا وأرق قلبا، ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها، فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة.
- وفي الإسرائيليات: إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه: وقد سأله قبول توبة عبد اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته، فقال: وعزتي وجلالي، لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه..
- 1098- وقيل: ما رق قلب الله عز وجل إلا كان صاحبه سابقا إلى الخيرات.
- وما رق قلب الله عز وجل وانكسر، إلا وجدته أحرص ما يكون على طاعة الله ومحبة الله، فما ذكر إلا تذكر ولا بُصر إلا تبصر.
- وما رق قلب الله عز وجل، إلا وجدت صاحبه أبعد ما يكون عن معاصي الله عز وجل. فالقلب الرقيق قلب ذليل أمام عظمة الله [وغضبه] تبارك وتعالى.
- وما رق قلب، إلا وجدته مطمئنا بذكر الله، يلهج لسانه بشكره والثناء عليه سبحانه وتعالى..
- 1099- وقيل: الرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه.
- ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه..

* * *

(1) شعب الإيمان ج 7 ص 478.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في التوبة.

الفصل الرابع

ما جاء فى قسوة القلب وغلظته

القسوة فى اللغة ومعنى قاسٍ وفظٌ وغلِظ القلب:

1100- القاسى: ق س و قَسَا قلبه غلظ واشتد، يقسو قَسَاءً وقَسُوَةً وقَسَاوَةً أيضاً، وأَقْسَاهُ الذنب، ويقال: الذنب مَقْسَأٌ للقلب، وحجر قاس أى صلب، وقاسى الأمر كابده، ودرهم قَسِى وهو ضرب من الزيوف أى فضته صلبة رديئة وجمعه قَسِيَانٌ..
الْفَطُّ: من الرجال الغليظ. والغَلَطُ: ضدُّ الرِّقَّةِ فى الحَلْقِ والطَّبْعِ والفِعْلِ والمنْطِقِ والعَيْشِ ونحو ذلك. غَلَطَ يَغْلُطُ غَلْطًا: صار غَلِيظًا، واستغلظ مثله، وهو غَلِيظٌ وغُلَاطٌ، والأنثى غَلِظَةٌ وجمعها غِلَاطٌ، وغَلَطَ الشَّيْءَ: جعله غَلِيظًا. واستَغْلَظَه: ترك شراءه لِغَلْظِهِ.
وقوله تعالى {وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} ⁽¹⁾.. أى مؤكِّدًا مشدَّدًا، وأرض غَلِظَةٌ: غير سهلة، والغَلَطُ من الأرض: الصُّلْب من غير حجارة؛ والتغليظ: الشدَّة فى اليمين وتوكيدها، وأغْلَظْتُ له وفيه غَلْظَةٌ وغُلْظَةٌ وغِلَاطَةٌ، أى شِدَّةٌ واستطالة.
قال الله تعالى {وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} ⁽²⁾.. قال الزجاج: فيها ثلاث لغات غِلْظَةٌ وغُلْظَةٌ وغَلْظَةٌ؛ وقد غَلَطَ عليه وأغْلَطَ وأغْلَظَ له فى القول لا غير. ورجل غَلِيظٌ: فَظٌّ فيه غِلْظَةٌ ذو غِلْظَةٍ وفَظَاظَةٍ وقَسَاوَةٍ وشِدَّة. وأمر غَلِيظٌ: شَدِيدٌ صَعْبٌ، وعَهْدٌ غَلِيظٌ كذلك ومنه قوله تبارك وتعالى {وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} ⁽³⁾.. وبينهما غِلْظَةٌ ومغالْظَةٌ أى عداوة. وماء غَلِيظٌ: مُرٌّ..

1101- وقيل: فظ غليظ القلب: الفظ الجافى، والغليظ القلب القاسى غير ذى رحمة

ولا رأفة وكذلك صفته..

(1) سورة النساء آية 21.

(2) سورة التوبة آية 123.

(3) سورة النساء آية 21.

ما جاء عن القسوة من الآيات في القرآن الكريم:

قوله تبارك وتعالى { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }⁽¹⁾ ..

1102. القسوة: الصلابة والشدة واليبس، وخلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله

تعالى! [أى: غلظت وجفت من كل رحمة وشفقة، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تحشعه] ..

قوله تبارك وتعالى { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }⁽²⁾ .. { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }⁽³⁾ .. { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }⁽⁴⁾ ..

قوله تعالى { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }⁽⁵⁾ ..

1103. فيه سؤال وهو أن ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان

كما قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }⁽⁶⁾ ..

(1) سورة البقرة آية 74.

(2) سورة الأنعام آية 43.

(3) سورة الحديد آية 16.

(4) سورة المائدة آية 13.

(5) سورة الزمر آية 22.

(6) سورة الرعد آية 28.

فكيف جعله في هذه الآية سبباً لحصول قسوة القلب، والجواب أن نقول إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر شديدة الميل إلى الطباع البهيمية والأخلاق الذميمة، فإن سماعها لذكر الله يزيد لها قسوة وكدرًا..

1104- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تنزع الرحمة إلا من شقى. وإسناده صحيح⁽¹⁾..

1105- عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ: فشكا إليه قسوة القلب، فقال: اطلع في القبور واعتبر بالنشور⁽²⁾..

1106- عن محمد بن واسع قال: كتب أبو الدرداء إلى سلمان: أما بعد يا أخى، أدن اليتيم منك وامسح رأسه والطف به وأطعمه من طعامك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول - وجاءه الرجل يشكو إليه قسوة القلب - : أدن اليتيم منك والطف به وامسح برأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك وتدرك حاجتك⁽³⁾..

1107- وعن أم المؤمنين صفية رضي الله تعالى عنها: أن امرأة أتت عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها، تشكو إليها القسوة، فقالت: أكثرى ذكر الموت يرق قلبك وتقدرين على حاجتك. قالت: ففعلت، فوجدت أن قلبها رق، فجاءت تشكر لعائشة رضي الله عنها..

1108- وقد روى أن رجلا سأل عائشة رضي الله عنها: ما دواء قسوة القلب؟ فأمرته بعبادة المرضى وتشجيع الجنائز وتوقع الموت.

وشكا ذلك رجل إلى مالك بن دينار فقال: أدمن الصيام فإن وجدت قسوة فأطل القيام فإن وجدت قسوة فأقل الطعام.

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 301 رقم 7988.

(2) كنز العمال ج 15 ص 322 رقم 42999.

(3) كنز العمال ج 16 ص 92 رقم 44241.

وسئل ابن المبارك: ما دواء القلب؟ فقال: قلة الملاقة [للناس]..

1109. قال ابن القيم: إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله تعالى. إن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه فالقلوب مريضة وشفائوها ودواؤها في ذكر الله تعالى. وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلاً قال للحسن [البصري]: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال: أذبه بالذكر. وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل..

1110. كان محمد بن عبد الملك بن الزيات يقول: رقة القلب من خور الطبيعة⁽¹⁾. فلما أمر الواثق بتعذيبه وبحبسه في تنور من الحديد وإطباقه عليه، قال لمعذبه: ارحمني! فرد الخبر إلى الواثق، فقال: أين قوله لا تكون الرحمة إلا من خور؟! ثم تمثل بقوله: فلا تجزعن من سنة قد أسرتها وأول راض سنة من يسيرها⁽²⁾..

1111. قسوة القلب تورث الانهك في المعاصي..

1112. وقيل: من علامة النفاق، جمود العبرة وقساوة القلب والإصرار على الذنب والحرص على الدنيا..

1113. وقيل [لظالم]: يا مظلم القلب متى تجلوه؟

1114. وقيل: [من أسباب] غلظة القلب وقسوته الجرأة على المعصية والانبعاث

للشهوة..

(1) [الخَوَرُ: الضعف. وخَارَ الرجلُ يُخَوِّرُ خَوْراً و خَوَّرَ خَوَراً و خَوَّرَ: ضَعُفَ وانكسر؛ ورجل خَوَّارٌ: ضعيف. وكل ما ضعف فقد خار. والخَوَّار الضعيف الذي لا بقاء له على الشدة إذا ضعفت قوّته وَوَهَتْ و الخَوَّارُ في كل شيء عيب].

(2) [انظر قصته ذكرتها للعظة في تقلب الأيام بأصحابها، وموعظة للظالمين قساة القلوب وأن الله قادر على أن يذيقهم العذاب في الدنيا وفي الآخرة ص 469].

1115. قال أبو إسحاق الفزاري: سمعت فضيل بن عياض، يقول: من علامة الشقاء قلة الحياء [من الله]..

1116. وقيل: من علامات موت القلب: عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من الزلات..

1117. وقال ابن القيم: قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت..

وقال هلال العيسى: من كثرة الذنوب تكون قسوة القلب..

1118. وقيل: ما وجد قلب قاسٍ إلا وجد صاحبه أجهل العباد بالله عز وجل، وأبعدهم عن المعرفة ببطش وعذاب الله، حتى إنك تجد بعض العصاة أقنط ما يكون من رحمة الله، وأياس ما يكون من روح الله للجهل بالله. فلما جهل الله، تجرأ على حدوده وعلى محارمه فسوقا وفجورا..

1119. حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار رحمته الله يقول: إن الله عقوبات في القلوب والأبدان، ضنك في المعيشة ووهن في العبادة، وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة..

1120. وقيل: القلب القاسى هو أبعد القلوب من دعاء لا يسمع. [أى لا يستجاب له إذا دعى الله]..

1121. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمته الله:

ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله.

خلقت النار لإذابة القلوب القاسية.

أبعد القلوب من الله القلب القاسى.

إذا قسى القلب قحطت العين..

وقيل قسوة القلب من أربعة أشياء: إذا جاوزت قدر الحاجة الأكل والنوم والكلام والمخالطة، كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب [إلا باتباع الحمية] فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ [إلا بالاستغفار والطاعة]، ومن أراد صفاء قلبه، فليؤثر [رضى] الله على شهوته.

1122. وقيل: أبغض القلوب إلى الله القلب القاسى..

1123. وقال الغزالي: تواتر الصغائر عظيم التأثير في سواد القلب، وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر فإنه يحدث فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر.. وقال هلال العيسى: من سواد القلب أن لا يجد المرء ألماً فيما ارتكب ويرتكب من آثام، بل يتلذذ بذلك !.

1124. قال مجاهد: قوله تعالى {فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} ⁽¹⁾.. ثلاث تأويلات: أحدها أنه إخلاص القلوب، والثاني أنه قصد الثواب، والثالث أنه ما أَرْضَى الله تعالى..

1125. وقال الجنيد: قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر..

1126. قال يحيى بن معاذ: قسوة القلب من اتباع الهوى..

1127. قال أبو عثمان: علامة قسوة القلب أن لا تعمل فيه الموعظة، ولا تؤثر فيه النصيحة، ولا تظهر به بركة مجالسة الصالحين..

1128. عن عائشة رضى الله تعالى عنها: ثلاث خصال تورث قسوة القلب: حب الطعام وحب النوم وحب الراحة..

1129. قال الطيبي: كثرة الضحك تورث قسوة القلب وهى مفضية إلى الغفلة وليس موت القلب إلا الغفلة.

وقال الماوردى: اعتياد الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة والنوائب المسلمة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار.

(1) سورة الحج آية 32.

وقال حجة الإسلام: كثرة الضحك والفرح بالدنيا، سم قاتل يسرى إلى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال القيامة، وهذا هو موت القلب {وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} ⁽¹⁾ ..

1130. وقيل: إن [أكل] الحرام يورث قسوة القلب..

1131. وقيل: قسوة القلب هي غلظته حتى لا يقبل الموعظة ولا يخاف العقوبة ولا

يرحم من يستحق الرحمة..

1132. وتكلم الشيخ تقي الدين بن تيمية على الخشوع وعلى ذم قسوة القلب

فقال: فإن قيل فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب؟ قيل: نعم، لكن الناس فيه على قسمين مقتصد وسابق: فالسابقون يختصون بالمستحبات، والمقتصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة، ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه..

1133. وقيل: كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا وشهواتها ولذاتها..

1134. وقال خالد الأصفهاني: الصخور [رؤيتها في الأحلام تعبر عن]، رجال

قساة القلوب لقوله تعالى {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ} ⁽²⁾ .. ومن رأى أنه علا صخرة ليقلعها فإنه يحاول أمرا صعبا ويكون مبلغه منه بقدر ذلك..

1135. قال إبراهيم بن الشماس: قال رجل للفضيل بن عياض: أوصني، قال: أخف

مكانك لا تعرف فتكرم بعملك، واخزن لسانك إلا من خير، وتعاهد قلبك أن لا يقسو..

1136. وقيل: قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القرآن..

1137. قيل لعالم: كيف يقسو القلب من ذكر الله عز وجل؟ قال: لأنه كلما تلى

عليهم ذكر الله يكذبون به، فقست قلوبهم عن الإيمان به.

وقال الفراء: إنما قست قلوبهم من ذكر الله لأنهم جعلوه كذبا فأقسى قلوبهم..

(1) سورة الرعد آية 26.

(2) سورة البقرة آية 74.

1138. وفي المستدرک عن أبی جعفر محمد بن علی قال: من وجد فی قلبه قسوة

فلیکتب یس فی جام بهاء ورد وزعفران ثم یشربه..

1139. قال أحمد: إذا رأیت من قلبک قسوة، فجالس الذاکرین، واصحب

الزاهدین، وأقلل مطعمک، واجتنب مرادک، وروض نفسك على المکاره..

1140. وقيل: حفر الربیع بن خيثم فی داره قبراً، فكان إذا وجد فی قلبه قسوة، جاء

فاضطجع فی القبر فمکث ما شاء الله..

1141. وقال محمد بن قدامة: كان الربیع بن خيثم إذا وجد من قلبه قسوة أتى منزل

صديق له قد مات، فنادی يا فلان بن فلان یا فلان بن فلان، ثم يقول: ليت شعری ما

فعلت وما فعل بك؟ ثم يبکی حتى تسيل دموعه فيعرف ذاك فيه إلى مثلها..

1142. قيل: [إن] أصل كل قسوة متابعة الشهوات..

1143. عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة من الشقاء، جمود العين

وقساوة القلب وحرص على الدنيا وطول الأمل⁽¹⁾..

1144. أى: أربعة من علامات الشقاء: [والشقاء] ضد السعادة: جمود العين [أى]

قلة دمعها كناية عن قسوة القلب. إشارة إلى أن قلة دمع العين إنما يكون من علامة الشقاء

إذا كان ناشئاً عن قسوة القلب، وأنه لا تلازم بينهما، وقسوته غلظته وشدته وصلابته في

غير الله، والحرص أى الرغبة في الدنيا والانهماك في تحصيلها، والحرص يحتاجه الإنسان

لكن بقدر..

1145. وقال شعيب بن إسراييل: إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة ليناً وقلوبكم

لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة! إنَّ الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام وإن

القلب إذا صح كفاه القليل من الحكمة..

(1) أخبار أصبهان ج 3 ص 405.

1146. الترمذى قال: إذا شغل القلب عن ذكر الله بذكر الشهوات كان بمنزلة الشجرة [فى] رطوبتها ولينها من الماء، فإذا منعت الماء، يبست عروقها وذبلت أغصانها، فإذا مددت غصنا منها انكسر فلا يصلح إلا للقطع فيصير وقود النار. فكذلك القلب إذا يبس وخلا من ذكر الله فأصابته حرارة النفس ونار الشهوة، امتنعت الأركان من الطاعة، فإذا مددتها انكسرت فلا تصلح إلا أن تكون حطباً للنار.. [ويناسب ما قاله الترمذى، قول الله تبارك وتعالى فى من كفر به { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } ⁽¹⁾.. والحصب هو ما رميت به فى النار]..

1147. قال سهل: الطهارة على سبعة أوجه: طهارة العلم من الجهل، وطهارة الذكر من النسيان، وطهارة الطاعة من المعصية، وطهارة اليقين من الشك، وطهارة العقل من الحمق، وطهارة الظن من التهمة، وطهارة الإيمان مما دونه. وكل عقوبة طاهرة، إلا عقوبة القلب فإنها قسوة..

1148. قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور: أحدها: الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكر والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين. فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثانى: ذكر الموت يرق [القلب] ويردع عن المعاصى ويلين القاسى ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها. الثالث: مشاهدة المحتضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته، [والوقوف على حمله ودفنه وتركه فى قبره] ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرده عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد والتعب. [والخوف والرغبة فى رضى الله].

(1) سورة الأنبياء آية 98.

يروى أن الحسن البصري: دخل على مريض يعود، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم. فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه. فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه..

1149. وقال مالك بن دينار: إذا رأيت قسوة في قلبك وحرماناً في رزقك، فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعينك..

وقيل: إن [نبي الله] سليمان عليه السلام بعث بعض العفاريت [في أمر] وبعث نفرا ينظرون ما يقول العفريت ويخبرونه. فأخبروه أنه مر على السوق، فرفع رأسه إلى السماء وهز رأسه! [متعجباً] فسأله عن ذلك؟

فقال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون. وعجبت من الذين أسفل منهم [أي الناس] ما أسرع ما يملون! أي عجبت من الناس فإنهم لا يتركون الكلام والملائكة يكتبون كلامهم..

* * *

الفصل الخامس

خلاصة أسباب قسوة القلب

اجتهدت أن أجمع في هذا الفصل الأسباب والمسببات الدافعة إلى قسوة القلب، التي ينفذ من خلالها الشيطان للإنسان، فيبعده عن ربه ليكون مصيره الهلاك وأن أقيم على كل منها البينة من القرآن والسنة وما روى من الأقوال.

• أولاً: البعد عن الله:

1150. قال تعالى { الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }⁽¹⁾..

العبادة هنا عين الدعاء والدعاء مخ العبادة، وبالمخ تكون القوة للأعضاء وبه تقوى عبادة العابدين فإنه روح العبادة (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) لبعدهم عن الله. [وقد شرع تعالى لهم طرق القرب إليه فطلبوا البعد عن الله بالميل إلى ما سواه].. والبعد عن الله: الطرد من قبل الله، وذلك جزاء مَنْ أَثَّرَ على الله غير الله..

• ثانياً: الحكم بغير ما أنزل الله:

1151. قال البراء بن عازب: نزلت { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ }⁽²⁾..

{ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }⁽³⁾.. { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }⁽⁴⁾.. في الأديان كلها. فقال رجل من القوم: هذا في بنى إسرائيل؛

فقال حذيفة رضي الله عنه: نعم الإخوة لكم إن كان لكم الحلو والمر لهم؛ كلا والذي نفسى بيده حتى حذو السية بالسية وحذو القذة بالقذة.

(1) سورة غافر آية 60.

(2) سورة المائدة آية 44.

(3) سورة المائدة آية 45.

(4) سورة المائدة آية 47.

وعن سالم عن مسروق أنه سأل ابن مسعود عن الجور في الحكم؛ قال: ذاك الكفر. ثم تلا (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ..

• ثالثاً: كثرة الكلام بغير ذكر الله:

1152. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي⁽¹⁾ ..

وقال عمر رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به ..

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد. وقال ابن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو، ما على الأرض أحق بطول سجن من اللسان. وقال وهب بن منبه: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وقال شميظ بن عجلان: يا ابن آدم، إنك ما سكت فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرَكَ إما لك وإما عليك ..

عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب⁽²⁾ ..

وعن سفيان بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به؟ قال: قل ربى الله ثم استقم. قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا⁽³⁾ ..

(1) رواه الترمذى، رياض الصالحين ج 1 ص 277 رقم 1518.

(2) رواه البخارى في الصحيح عن إبراهيم بن حمزة عن ابن أبي حازم ورواه مسلم عن ابن أبي عمر عن عبد العزيز بن محمد 16426، سنن البيهقى الكبرى ج 8 ص 164 رقم 16441.

(3) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .. رياض الصالحين ج 1 ص 277 رقم 1517.

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة⁽¹⁾ ..

وعن عقبة بن عامر: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك⁽²⁾ ..

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا⁽³⁾ ..

وعن معاذ رضي الله عنه: قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ [جاء في الحديث] قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا. قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم⁽⁴⁾ ..
وقيل: أكثر الناس ذنوبا أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه ..

• رابعاً: التعلق والقسم والاستعانة بغير الله تعالى:

كما يفعل الرافضة وغيرهم من الاستعانة بالأموال وطلب النصرة والفرج والشفاء والشفاعة منهم والنذر لهم، وهذا من الشرك الخفي. قال تعالى { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ }⁽⁵⁾ ..

قال تعالى { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }⁽⁶⁾ ..

(1) رواه الترمذی وقال حديث حسن.. رياض الصالحين ج 1 ص 277 رقم 1519.

(2) رواه الترمذی وقال حديث حسن. رياض الصالحين ج 1 ص 277 رقم 1520.

(3) رواه الترمذی، معنى تكفر اللسان: تذلل وتخضع له. رياض الصالحين ج 1 ص 277 رقم 1521.

(4) رواه الترمذی وقال حديث حسن صحيح.. رياض الصالحين ج 1 ص 277 رقم 1522.

(5) سورة يوسف آية 106.

(6) سورة البقرة 22.

قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } (1) ..

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ } (2) ..

قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } (3) ..

قال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } (4) ..

1153. قال النبي ﷺ: إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله. وهو خطاب شامل لجميع الأمة، وفي ذلك نهى عن الاستعانة بغير الله عز وجل، لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدره الله تعالى عليه، فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره (5) ..

• خامساً: التساهل في الولاء والبراء والتكفير والتفسيق:

1154. قال الله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ

(1) سورة البقرة آية 165 .

(2) سورة الأعراف آية 194 .

(3) سورة الحج آية 73 .

(4) سورة الزمر آية 3 .

(5) معارج القبول ج 1 ص 65 .

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { (1) .. وهى من قواعد هذا الباب والدواعى إلى المحافظة عليه.

وقال تعالى { تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ } (2) .. وصح بلا خلاف حديث: المرء مع من أحب. وشواهده وطرقه كثيرة. وفي سنن أبي داود من حديث أبي ذر مرفوعاً، أفضل الأعمال الحب في الله تعالى والبغض في الله تعالى. وللحاكم من حديث عائشة مرفوعاً، الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل، وأدناه أن يحب على شيء من الجور ويبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ رواه الحاكم في تفسير آل عمران من المستدرک وقال صحيح الإسناد.

وفي مسند أحمد عن البراء بن عازب قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: أى عرى الإسلام أوثق؟ قالوا: الصلاة، قال: حسنة وما هى بها. قالوا: الزكاة، قال: حسنة وما هى بها. قالوا: صيام رمضان، قال: حسن وما هو به. قالوا: الحج، قال: حسن وما هو به، قالوا: الجهاد، قال: حسن وما هو به. قال: إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله عز وجل. وفي هذا فروع مفيدة: الأول: أن هذا كله في الحب الذى هو في القلب وخالصة لأجل الدين وذلك للمؤمنين المتقين بالإجماع، وللمسلمين الموحدين. إذا كان لأجل إسلامهم وتوحيدهم عند أهل السنة كما يأتى، وأما المخالفة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف ونحو ذلك، فيستحب بذله لجميع الخلق إلا ما كان يقتضى مفسدة كالذلة فلا يبذل للعدو في حال الحرب كما أشارت إليه الآية { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ } (3) .. كما يأتى.

(1) سورة المجادلة آية 22.

(2) سورة المائدة آية 80.

(3) سورة الممتحنة آية 8.

وأما التقية: فتجوز للخائف من الظالمين القادرين، وأما الفرق بين ما يجوز من المنفعة والمداينة وما لا يجوز من الرياء، فما كان من بذل المال والمنافع فهو جائز وهو المنفعة وربما عبر عنه بالمداينة والمداراة والمخالفة، وما كان من أمر الدين فهو الرياء الحرام ويأتى ما يدل على ذلك في الأدلة المذكورة في هذه المسألة.

ومن كلام يحيى بن المحسن في الرسالة المخرسة لأهل المدرسة لا يجوز أن تكون الموالاتة هي المتابعة فيما يمكن التأويل فيه، لأن كثيرا ممن [تسموا أو من أطلقوا عليهم آل البيت، هم كما ذكر ابن كثير]: في قوله تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }⁽¹⁾.. فروى عن ابن جرير عن عكرمة رضي الله عنه أنه كان ينادى في السوق: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة⁽²⁾. وهكذا روى ابن أبي حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ } قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة. [وليست كما يدعى الرافضة]. وقال عكرمة رضي الله عنه: من شاء باهله.. إنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ.. فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح.

قال الإمام أحمد 2853: حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }⁽³⁾..

(1) سورة الأحزاب آية 33.

(2) في تفسير ابن كثير ج 3 ص 484.

(3) ورواه الترمذى 3206 عن عبد بن حميد 1223 عن عفان به وقال (حسن غريب).

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحاق أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال: رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة الصلاة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)⁽¹⁾.. أهل البيت قد عرفوا بمتابعة الظلمة لوجه يوجب ذلك، فتولى الناصر الكثير منهم، وصلى بهم الجمعة جعفر، وصلى الحسن على جنازتهم، وأقام على بن موسى الرضا مع المأمون، وتزوج ابنه محمد ابنة المأمون وغير ذلك! والوجه فيه أن الفعل لا ظاهر له! فتأويله ممكن. وذكر محمد بن المطهر: أن الموالة المحرمة بالإجماع هي موالة الكافر لكفره والعاصي لمعصيته ونحو ذلك قلت: وهو كلام صحيح والحجة على صحة الخلاف فيما عدا ذلك أشياء كثيرة منها قوله تعالى في الوالدين المشركين بالله { وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا }⁽²⁾.. ومنها قوله تعالى { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }⁽³⁾..

وفي الحديث: أنها نزلت في قتيلة أم أسماء، بعد آيات التحريم رواه أحمد والبخاري والواحدى وتأخرهما واضح في سياق الآيات، وقرينة الحال مع هذا الحديث ومع حديث ابن عمر الآتى ولو لم يصح تأخر ذلك في هذين الحديثين وغيرهما، فالخاص مقدم على العام عند جهل التاريخ عند الجمهور ورجحه ابن رشيد في نهايته بالنصوصية على ما هو

(1) أبو داود الأعمى هو نفع بن الحارث كذاب.

(2) سورة لقمان آية 15.

(3) سورة الممتحنة الآيات 8 / 9.

خاص فيه ويدل عليه ما ثبت في القرآن والسنة الصحيحة المتفق عليها من حديث علي، في قصة حاطب على ما ذكره الله تعالى في أول سورة الممتحنة وذكره أهل الحديث وأهل التفسير جميعاً فإن رسول الله ﷺ قبل عذره بالخوف على أهله في مكة والتقية بما لا يضر في ظنه، فإن قيل: القرآن دال على أنه قد أذنب لقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }⁽¹⁾.. فكيف يقبل ما جاء من قبول عذره؟ قلت: إنما قبل عذره في بقاءه على الإيمان وعدم موالاته المشركين لشركهم ولذلك خاطبه الله بالإيمان فقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } والعموم نص في سببه فاتفق القرآن والحديث. وأما ذنبه فإنه لا يحل مثل ما فعله لأحد من الجيش إلا بإذن أميرهم لقوله تعالى { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ }⁽²⁾.. ولأن تحريم مثل ذلك بغير إذن الأمير إجماع ومع إذنه يجوز، فقد أذن في أكثر من ذلك لرسول الله ﷺ حيلة في حفظ المال.

فلو كان مثل ذلك موالاته لم يأذن فيها ﷺ فدل على أن ذنب حاطب هو الكتم لما فيه من الخيانة لا نفس الفعل لو تجرد من الكتم والخيانة والله أعلم. ويدل عليه قوله تعالى { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }⁽³⁾.. وقوله تعالى { فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ }⁽⁴⁾.. فأمره بالبراءة من عملهم القبيح لا منهم وكذلك تبرأ النبي ﷺ مما فعل

(1) سورة الممتحنة آية 1.

(2) سورة النساء آية 83.

(3) سورة الفتح آية 29.

(4) سورة الشعراء آية 216.

خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولم يبرأ منه. بل لم يعزله من إمارته. ولأن الله تعالى علل تحريم الاستغفار للمشركين بقوله { مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } ⁽¹⁾.. فكل ذنب يستغفر أو نحو ذلك فيه لم تلزم لذنب الشرك في ذلك حتى احتج بها بعضهم على جواز الاستغفار للمشركين قبل أن يموتوا على الشرك، وتأولوا عليه حديث: اللهم اغفر لقومي فإنهم كانوا جاهلين. وحديثا آخر في تأويل استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه كذلك رواه أحمد ويدل عليه قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ⁽²⁾.. عن ابن عباس هم الذين منعهم أهلهم عن الهجرة، ولما رأوا الناس قد فقهوا، هموا أن يعاقبوا أهلهم الذين منعوهم. ومن قال: كانوا مشركين فليس بشيء، لأنها مدنية. وقد كان حرم نكاح الكوافر وفيه نظر، ويدل عليه ما تقدم في حديث الحب على شيء من الجور والبغض على شيء من العدل. ويدل عليه جواز نكاح الفاسقة بغير الزنا وفاقا ونكاح الكتابية عند الجمهور وظاهر القرآن يدل عليه، وفعل الصحابة، ومنه امرأة نوح وامرأة لوط وقوله للكفار { هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ } ⁽³⁾.. ومن هاهنا أجاز المشددون في الولاء والبراء، أن يجب العاصي لخصلة خير فيه ولو [كان] كافرا كأبي طالب في أحد القولين. وحب النبي صلى الله عليه وسلم له قبل الإسلام، ويدل لهم في المسلم حديث شارب الخمر الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبه بعد حده، وقال: لا تعينوا الشيطان على أخيكم أما إنه يحب الله ورسوله. رواه البخاري.

وكذلك حديث ضمضم عن أبي هريرة في المتأخين المجتهد في العبادة والمسرف على نفسه بل يدل عليه في حق أهل الإسلام، قوله تعالى { وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ

(1) سورة التوبة آية 113 .

(2) سورة التغابن آية 14 .

(3) سورة هود آية 78 .

أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ⁽¹⁾.. فجعل الإيمان بالله وحده غاية ينقطع عندها وجوب العداوة والبغضاء ومنه استثنائه ﷺ [ربه] في زيارة قبري والديه وزيارته لهما، وشفاعة إبراهيم لأبيه. فإن الباعث على تخصيصهم بذلك هو الحب للرحامة ومنه قوله تبارك وتعالى {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ⁽²⁾}.. {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ⁽³⁾}.. لشدة شفقتة ورفقه.

ومن ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ⁽⁴⁾}.. [وقول] النبي ﷺ: إني ادخرت دعوتي شفاعاة لأهل الكبائر من أمتي، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا. ثم نطقنا بعد ورجونا. رواه في مجمع الزوائد في موضعين من خمس طرق أحدها صحيح وله شاهد عن ابن مسعود بل أحاديث الشفاعاة المتواترة تشهد له والله أعلم..

• سادساً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين:

1155- يقول النووي: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح..
قال الله تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ⁽⁵⁾}.. وقال تعالى {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ⁽⁶⁾}.. وقال تعالى {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ⁽⁷⁾}..

(1) سورة الممتحنة آية 4 .

(2) سورة فاطر آية 8 .

(3) سورة الكهف آية 6 .

(4) سورة النساء آية 48 .

(5) سورة آل عمران آية 104 .

(6) سورة الأعراف آية 199 .

(7) سورة التوبة آية 71 .

1156. قال أبو بكر رضي الله عنه: أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخبار متواترة عنه، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه، وإن كان قد تعرض أحوال من التقية يسع معها السكوت.

فمما ذكره الله تعالى حاكيا عن لقمان { يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } ⁽¹⁾.. يعنى والله أعلم واصبر على ما ساءك من المكروه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما حكى الله تعالى لنا ذلك عن عبده لنقتدى به وننتهى إليه..

1157. عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: كيف أصنع بهذه الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } ⁽²⁾.. فقال: سألت رسول الله عنها، فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ⁽³⁾ وإعجاب كل ذي رأى برأيه، ورأيت أمرا لا يدان يدان به، أو قال: لا يد لك به، فعليك نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياما، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله..

حدثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني، أن أبا الدرداء، وكعبا، كانا جالسين بالجابية، فأتاهما آت، فقال: لقد رأيت اليوم أمرا إن كان لحقا على من رآه أن يغيره، فقال رجل: إن الله يقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ). [فقال كعب]: هذا لا يقول شيئا، ذب عن محارم الله كما تذب عن عينيك حتى يأتي تأويلها. فانتبه لها أبو الدرداء فقال: متى يأتي تأويلها؟ قال: إذا هدمت كنيسة دمشق وبنى مكانها مسجد، فذاك من تأويلها، وإذا رأيت الكاسيات العاريات، فذلك من تأويلها. وذكر

(1) سورة لقمان آية 17.

(2) سورة المائدة 105.

(3) مؤثرة: مفضلة على الآخرة.

خصلة ثالثة لا أحفظها ذلك من تأويلها، قال أبو مسهر: وكان هدم الكنيسة بعهد الوليد بن عبد الملك، أدخلها في مسجد دمشق، فزاد في سعتة بها. قال أبو عبيد: وقد أروني مكانها هناك والناحية التي كانت بها قبل الهدم..

وعن عبد الله بن مسعود، أنه ذكرت عنده هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال: لم يجرى تأويل هذه بعد، إن القرآن أنزل حين أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن وكان منه آى قد وقع تأويلهن على عهد النبى ﷺ، وكان منه آى وقع تأويلهن بعد النبى ﷺ بيسير. ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آى يقع تأويلهن عند الساعة، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب بين الجنة والنار. فأما ما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعا⁽¹⁾ ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمرؤا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فاجروا وتقدموا، عند ذلك جاء تأويل هذه الآية..

1158. عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم⁽²⁾..

وعن قيس بن أبى حازم: قام أبو بكر ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }⁽³⁾.. وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكرا لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه⁽⁴⁾..

(1) الشيع: الفرق والجماعات.

(2) سنن ابن ماجه ج 2 ص 456 رقم 4004.

(3) سورة المائدة 105.

(4) سنن ابن ماجه ج 2 ص 456 رقم 4005.

عن أبي عبيدة: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص، كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (1) .. قال: وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس وقال: لا، حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطرا (2) ..

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال: ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه. قال: فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا (3) .. وعنه أيضاً: قال رسول الله ﷺ: لا يحقر أحدكم نفسه، قالوا: كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمر الله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول: فيأبى كنت أحق أن تخشى (4) .. عن جابر قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ من مهاجرة البحر قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟

قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها

(1) سورة المائدة الآيات 81/78.

(2) سنن ابن ماجه ج 2 ص 456 رقم 4006.

(3) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1328 رقم 4007.

(4) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1328 رقم 4008.

ثم دفعها! فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غَدْرُ إذا وضع الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيادي والأرجل بما كانوا يكسبون. فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً. فقال رسول الله ﷺ: صدقت، كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟⁽¹⁾..

1159. عن عبد الله بن مسعود قال: إن من أكبر الذنب، أن يقول الرجل لأخيه اتق الله. فيقول: عليك نفسك، أنت تأمرني؟! وعنه أيضاً قال: كفى بالمرء إثماً إذا قيل له: اتق الله غضب..

1160. وعن النعمان قال رسول الله ﷺ: مثل الواقع في حدود الله والمداهن فيها كمثل قوم ركبوا في السفينة فاستهموا عليها، فركب قوم علوها وركب قوم سفلهما، وكانوا إذا استقوا آذوهم وأصابوهم بالماء.

فقالوا: إنكم قد آذيتونا مما تمرون علينا، فأعطوا رجلاً فأساً فنقب عندهم نقباً، قالوا: ما هذا الذي تصنعون؟ قالوا: تأذيتم بنا، فنقب عندنا نقباً نستقي منه، فإن تركوهم هلكوا وأهلكوا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا⁽²⁾..

• سابعاً: التساهل في إتيان الذنوب ونسيان الذنب الماضي ووضع الذنب على الذنب والاستهانة بالصغائر ونقض العهد مع الله تعالى بفعل المعاصي وترك الواجبات وعدم المسارعة في التوبة والاستغفار:

1161. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت، فإن عاد زيد فيها وإن عاد زيد فيها حتى تعلو فيه، فهو الران الذي ذكر الله جل وعلا { رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }⁽³⁾..

(1) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1328 رقم 4010.

(2) حديث صحيح أخرجه محمد بن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش شرح السنة ج 14 ص 154 رقم 4151.

(3) سورة المطففين آية 14. الحديث صحيح ابن حبان ج 7 ص 27 رقم 2786.

[وفي قول آخر جاء في] تفسير الطبري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه (رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)⁽¹⁾..

1162. إن الذنوب يجب أن يقترن بها الخوف والتوبة. والأعمال الصالحة يجب أن يقترن بها الرجاء. ويخطئ كثير جداً من الناس فيستعملون الرجاء في غير موضعه، إذ يرجون، وهم مقيمون على الذنوب، ويقولون: إن الله واسع المغفرة وهو الغفور الرحيم، وليس هذا رجاء وإنما هو الغرة بالله، وفرق بين الغرة والرجاء.

وقد ضرب المحاسي مثلاً لهؤلاء المخطئين في استعمال الرجاء فقال: مثلهم كمثل سيد قال لعبده: إن فعلت ما أمرتك به أعطيتك ألف درهم وبيتاً تسكنه، وإن لم تفعل حبستك وضربتك ألف سوط، فلم يفعل العبد ما أمر به، وقال: إن سيدي يحبني وسيعطيني ما وعدني، وذهب إليه بهذا الأمل الكاذب، فضربه وحبسه ولم يعطه شيئاً. فالاستعمال الصحيح للرجاء هو الإقلاع عن الذنب والبدء في الأعمال الصالحة وهنا يكون الرجاء الحق. أما الخوف: فيجب أن يقترن بالخطأ واقتراف الذنوب، فربما أدى الخوف إلى التوبة. أما الرجاء مع الذنب فيؤدي إلى الغرة. ثم الانسلاخ من الدين..

1163. قال الحسن [البصري]: الذنب على الذنب يسود القلب.

1164. محمد بن واسع، قال: الذنب على الذنب يميت القلب..

1165. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن

الذنوب على الذنب يوقد على صاحبه جحيماً ضخماً⁽²⁾..

(1) تفسير الطبري ج 1 ص 112، رواه أحمد 7892 والترمذي 3334، وابن ماجه 4244 وحسنه الشيخ

الألباني في صحيح ابن ماجه 3422.

(2) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج 31 ص 86.

وعن مجاهد: القلب كالکف فإذا أذنب الذنب انقبض، وإذا أذنب ذنباً آخر انقبض، ثم يطبع عليه وهو الرين. وقال آخرون: كلما أذنب الإنسان حصلت في قلبه نقطة سوداء حتى يسود القلب كله..

1166- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً في النار⁽¹⁾..

• ثامناً: هجر القرآن قراءة وحفظاً وسماعاً وتدبراً وعملاً وتحكياً:

1167- يقول الله تبارك وتعالى في قرآنه، { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }⁽²⁾.. فبين سبحانه، أن من هجر القرآن فهو من أعداء الرسول، وأن هذه العداوة أمر لا بد منه ولا مفر عنه. ألا ترى إلى قوله تعالى، { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا }⁽³⁾..

أنواع هجر القرآن:

1168- أحدها: هجر سماعه والايان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاداً أنه لا يفيد

اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم! [أو مدعياً أنه لا يصلح لهذا الزمان!].

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 297 رقم 7945.

(2) سورة الفرقان الآيات 30 / 31.

(3) سورة الفرقان الآيات 27 / 29.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوى به في جميع أمراض القلب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوى به. وكل هذا داخل في قوله تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) وإن كان بعض الهجر أهون من بعض، وكذلك الحرج الذى فى الصدور منه. فإنه تارة يكون حرجا من إنزاله وكونه حقا من عند الله، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفى العباد بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات. وتارة يكون من جهة دلالة وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة. وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة فهي ثابتة فى نفس الأمر، أو أوهم أنها مرادة لضرب المصلحة. فكل هؤلاء: فى صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدون فى صدورهم، ولا تجد مبتدعا فى دينه قط. إلا وفى قلبه حرج من الآيات التى تخالف بدعته. [وتفضحه وتوعده]. كما أنك لا تجد ظالما فاجرا إلا وفى صدره حرج من الآيات التى تحول بينه وبين إرادته. فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء [فأنت المخير، واعلم بأن هناك ثواباً لا يتخيلة عقلك، وعقاباً لا يتحملة جلدك، من رب لا يظلم أحدا ولا تخفى عنه خافية، لا مفر لك منه مهما علا سلطانك فى الدنيا ولو ملكت الأرض، أكان هناك ملك أعظم من ملك سليمان عليه السلام فقس سلطانك به ثم انظر مصيرك إما إلى جنة أو نار. فإن كنت تظن أنك بك أو لك قدرة، فامنع عن نفسك الموت إن استطعت إلى ذلك سبيلا]..

• تاسعاً: ضعف الإيمان:

1169. حدثنا أبو عثمان الخياط قال: سمعت السرى يقول لبعض جلسائه: لا تلزم نفسك طول الفكر فى ما يورث قلبك ضعف الإيمان، فإن ضعف الإيمان أصل لكل إثم وهم وغم، ولكن اشغل قلبك بكل ما يورث اليقين، فإن اليقين يورث كل طاعة، ويباعد من كل غم وهم ويؤمنك من كل خوف ويقربك من كل روح وفرح..

1170. قساوة القلب أثمرت بها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك، ضعف الإيمان..

1171. والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات، تخذل صاحبها عند الموت مع

خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان..

• عاشرًا: اتباع الفتاوى المشبوهة:

اتباع الفتاوى والآراء الشاردة ممن أطلق عليهم جزافا مفتين أو علماء أو مشايخ، وما أكثرهم في كل زمان، وخاصة هذا الزمان، الذي ابتليت بهم وبفتياهم وبآرائهم ونفاقهم الأمة الإسلامية جزاهم الله بما يستحقونه، وأرانا فيهم عجائب قدرته في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب فهو المطلع على بواطن أمورهم، واعتبارها حجة ودليلا إن صادفت ما تهوى نفسه الضعيفة. وما أكثر ما جاء من أحاديث عن الرسول ﷺ وتحذيره منهم..

1172. أكثر ما أتى الناس في البدع [جهلهم بالدين و] بسبب، الظن في شخص أنه من أهل العلم والتقوى وليس هو كذلك، فيرمقون أقواله وأفعاله فيتبعونه في ذلك فتفسد أمورهم.

ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن مما أخاف على أمتي الأئمة المضلين⁽¹⁾..

1173. عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله فذكر نحوه إلا أنه قال: وقال النبي: إنى لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين⁽²⁾..

1174. عن أبي تميم الجبشاني قال: سمعت أبا ذر يقول: كنت مخاصر النبي ﷺ يوما إلى منزله فسمعتة يقول: غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، فلما خشيت أن يدخل قلت: يا رسول الله، أى شئ أخوف على أمتك من الدجال؟ قال: الأئمة المضلين⁽³⁾..

(1) أخرجه ابن ماجة والترمذى وقال هذا حديث صحيح.

(2) تفسير الطبري ج 7 ص 223.

(3) مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 145 رقم 21335.

1175. عن عبد الرحمن بن زياد: عن بعض أشياخهم: أن النبي ﷺ قال: ليس أشد ما أخوف على أمتي الشيطان ولا الدجال، ولكن أشد ما أتقى عليهم الأئمة المضلون⁽¹⁾..
1176. قال رسول الله ﷺ: أتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفّت قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون⁽²⁾..
1177. عن زياد بن حدير: قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين⁽³⁾..
1178. حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله قال: قال سفيان الثوري: النظر إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم، لئلا تحبط أعمالكم..
1179. عن كعب عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون. قال كعب: فقلت والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم⁽⁴⁾..
1180. لما مات عمر بن عبد العزيز [ال خليفة العادل رحمه الله تعالى] وأراد القائم من بعده [وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك⁽⁵⁾] أن يمشى على نمطه [في العدل، فلم يستطع ولم تتركه بطانة السوء] حتى شهد له أربعون شيخاً، بأن الخليفة، لا حساب عليه ولا عقاب!!! [فأضلوه بعلم، فضلل وأضلّ وضاع وأضاع، وكانت هذه من أسباب بداية انحدار الدولة الإسلامية الأموية وابتعاد الناس عنها]..

(1) السنن الواردة في الفتن ج 1 ص 273 رقم 6.

(2) تفسير القرطبي.

(3) كنز العمال ج 16 ص 105 رقم 44338.

(4) حلية الأولياء ج 6 ص 46.

(5) انظر كتابي: كشف الخفاء عماء جاء في ذم النساء، فقد ذكرت به قصته بالكامل.

خلاصة الأحاديث والأقوال السابقة:

1181. قوله ﷺ: أخوف ما أخاف على أمتي، قال الطيبي: يدل على أنه إذا استقصى الأشياء المخوفة لم يوجد أخوف من قول كل منافق عليم اللسان، أى كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، ذا هيبة وأبهة، يتعزز ويتعاضد بها، يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه!! ويستقبح عيب غيره ويفعل ما هو أقبح منه، ويظهر للناس التنسك والتعبد ويسارر ربه بالعظائم إذا خلا، ذئب من الذئاب لكن عليه ثياب. فهذا هو الذى حذر منه الشارع هنا. فاحذر: من أن يخطفك بحلاوة لسانه، ويحرك بنار عصيانه، ويقتلك بنتن باطنه وجنانه.

قال الزنجشري رحمه الله: والمنافقون أحبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا، وبالشكر استهزاء وخداعا، ولذلك أنزل فيهم { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } (1).. انتهى.

وكان يحيى بن معاذ يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب القصور، قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأبوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية؟ وأكثر علماء الزمان ضربان: ضرب منكب على حطام الدنيا، لا يمل من جمعه ونراه شهره ودهره يتقلب فى ذلك كالهج فى المزابل يطير من عذرة إلى عذرة، وقد أخذت دنياه بمجامع قلبه ولزمه خوف الفقر وحب الإكثار، واتخذ المال عدة للنوائب، لا يتنكر عليه تغلب الدنيا!.. وضرب: هم أهل تصنع ودهاء وخداع وتزين للمخلوقين، وتملق للحكام، شحا على رئاستهم يلتقطون الرخص ويخادعون الله بالحيل! دينهم المداينة وساكن قلوبهم المنى، طمأنيتهم إلى الدنيا وسكونهم إلى أسبابها، اشتغلوا بالأقوال عن الأفعال وسيكافئهم الجبار المتعال. عن عمر

(1) سورة النساء آية 145.

بن الخطاب ورواه عنه أيضا البزار وأبو يعلى قال المنذرى رواه محتج بهم في الصحيح وقال الهيثمي رجاله موثقون انتهى..

• الحادى عشر: التكاثر عن الطاعات:

دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلَانُ
وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يُغْنَى عَنْ ثَقَى وَرِضَا وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْزَاقُ وَأَفْنَانُ
قَالَ تَعَالَى { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً } (1) ..

1182. أى يصلون مراعاة وهم متكاسلون متثاقلون، لا يرجون ثوابا ولا يعتقدون تركها عقابا. وفى صحيح الحديث: (إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح). فإن العتمة تأتي وقد أتعبهم عمل النهار فيثقل عليهم القيام إليها، وصلاة الصبح تأتي والنوم أحب إليهم من مفروح به، ولولا السيف ما قاموا. والرياء: إظهار الجميل ليراه الناس، لا لاتباع أمر الله..

1183. قيل: الجنوح إلى التكاثر والاسترواح إلى التثاقل أمارات ضعف الإيمان، إذ الإيمان غريم ملازم لا يرضى من العبد بغير ممارسة الأشق، وملابسة الأحق..
وقال تبارك وتعالى { أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (2) ..

1184. قال الشيخ عبد الحق فى اللمعات: الظاهر أن المراد بالتهاون التكاثر وعدم الجد فى أدائه، لا الإهانة والاستخفاف فإنه كفر، والمراد ببيان كونه معصية عظيمة..
1185. وقيل: من صدق العزيمة: ترك التكاثر والتوانى وبذل الجهد فى أن يصدق قوله بفعله..

(1) سورة النساء آية 142.

(2) سورة التوبة آية 38.

1186. عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا ما كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، أنت خير من زكاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع، ودعاء لا يستجاب⁽¹⁾..

• الثاني عشر: التعصب والتطرف والمغالاة بغير تعقل:

قال سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ }⁽²⁾..

1187. من اللباس والنساء [ومما أحله عموماً ولم يحرمه، وقيل إنها] نزلت في عشر نفر منهم: عمر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، ورجل آخر وعلى، اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، ثم قالوا: تعالوا حتى نحرم على أنفسنا الطعام واللباس والنساء، وأن يقطع بعضهم مذاكيره ويلبس المسرح ويبنوا الصوامع فيترهبوا فيها، فتفرقوا وهذا رأيهم [حبا في التقرب إلى الله بحرمانهم أنفسهم ما أباحه الله لهم]. فجاء جبريل عليه السلام، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأتى منزل عثمان بن مظعون عليه السلام فلم يجدهم، فقال النبي ﷺ لامرأة عثمان: أحق ما بلغني عن عثمان وأصحابه؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ فأخبرها النبي ﷺ الذي بلغه، فكرهت أن تكذب النبي ﷺ أو تفضي سر زوجها! فقالت: يا رسول الله، إن كان عثمان أخبرك بشيء، فقد صدقك، أو أخبرك الله عز وجل بشيء، فهو كما أخبرك ربك تعالى ذكره. فقال النبي ﷺ: قولي لزوجك إذا جاء: إنه ليس مني من لم يستن بسترى، ويبتد بهدينا، ويأكل من ذبائحنا، فإن من ستنا اللباس، والطعام، والنساء فأعلمي زوجك وقولي له: من رغب عن سنتي فليس مني. فلما رجع

(1) مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 17 رقم 29124.

(2) سورة المائدة آية 87.

عثمان وأصحابه أخبرته امرأته بقول النبي ﷺ فما أعجبه، فذروا الذى ذكره النبي ﷺ. فأنزل الله عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ }⁽¹⁾ ..
 أى: لا تعتدوا فتحرموا حلاله إن الله لا يحب من يحرم حلاله ويعتدى فى أمره عز وجل، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا (اللباس والنساء والطعام) واتقوا الله ولا تحرموا ما أحل الله لكم [إن] كنتم به مؤمنين مصدقين..
 وفى حديث آخر:

1188. عن عائشة رضى الله عنها قالت: بعث رسول الله ﷺ: إلى عثمان بن مظعون: أرغبة عن سنتي؟ فقال: لا والله يا رسول الله ولكن ستك أطلب، قال: فإنى أنا وأصلى وأصوم وأفطر وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا فصم وأفطر وصل ونم⁽²⁾ .. ووجدت فى كتاب رزين: زيادة لم أجدها فى الأصول، وهى: قالت عائشة: وكان حلف أن يقوم الليل كله ويصوم النهار ولا ينكح النساء، فسأل عن يمينه فنزل { لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ }⁽³⁾ .. وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من العمل بما يطيقون، قالوا: لسنا كهيتك، إن الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب فى وجهه، ثم يقول: إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا..
 1189. عن سعيد بن المسيب قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئا حتى أذكر لك ذلك، فقال رسول الله

(1) سورة المائدة الآيات 87 / 88.

(2) أخرجه أبو داود. معجم جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج 1 ص 295 رقم 86.

(3) سورة المائدة آية 89.

ﷺ: وما تحدثك نفسك يا عثمان؟ قال: تحدثنى نفسى بأن أختصى، فقال: مهلا يا عثمان، فإن خصى أمتى الصيام.

قال: يا رسول الله، فإن نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال.

قال: مهلا يا عثمان، فإن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

قال: يا رسول الله، فإن نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض.

قال: مهلا يا عثمان، فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة.

قال: يا رسول الله، فإن نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله.

قال: مهلا يا عثمان، فإن صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه، أفضل من ذلك.

قال يا رسول الله، فإن نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة امرأتى.

قال: مهلا يا عثمان، فإن هجرة أمتى من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إلى فى حياتى أو زار قبرى بعد موتى أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع.

قال: يا رسول الله، فإن نفسى تحدثنى أن لا أغشاها.

قال: مهلا يا عثمان، فإن الرجل المسلم إذا غشى أهله فإن لم يكن من وقته تلك ولد، كان له وصيف فى الجنة، فإن كان من وقته تلك ولد فإن مات قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيامة، وإن كان بعده كان له نورا يوم القيامة.

قال: يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن لا أكل اللحم.

قال: مهلا يا عثمان، فإنى أحب اللحم وأكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمنى إياه كل يوم لأطعمنى.

قال: يا رسول الله، فإن نفسى تحدثنى أن لا أمس طيبا.

قال: مهلا يا عثمان، فإن جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لا مترك له، يا عثمان لا ترغب عن سنتي، فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب، صرفت الملائكة وجهه عن حوضي⁽¹⁾..

1190. عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا..

1191. عن كهمس الهلالي قال: أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي، فمكثت حولا ثم أتيتهم وقد ضممت ونحل جسمي، فخفض في البصر ثم صعدته، قلت: أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قلت: أنا كهمس الهلالي، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قلت: ما أفطرت بعدك نهارا ولا نمت ليلا.

قال: ومن أمرك أن تعذب نفسك؟ صم شهر الصبر، ومن كل شهر يوما.

قلت: زدني؟ قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين.

قلت: زدني؟

قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام⁽²⁾..

1192. عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني⁽³⁾..

(1) قال المصنف هذا حديث عمير بن مرداس.. تلبس إبليس ج 1 ص 270.

(2) تلبس إبليس ج 1 ص 272.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

وخرج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه، فمر رجل بغار فيه شيء من الماء فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا، قال: لو أني أتيت إلى النبي ﷺ فذكرت له ذلك فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى عن الدنيا. فقال له النبي ﷺ إني لم أبعث باليهودية ولا النصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفس محمد بيده، لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة⁽¹⁾..

1193. عن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ: فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه! فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدّهم له خشية.. والتنزه: التباعّد عن الشيء، أي: أنهم تركوه ولم يعملوا به، ولا اقتدوا برسول الله ﷺ فيه. أخرجه البخاري ومسلم⁽²⁾..

1194. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصوم من النهار ولأقوم من الليل ما عشت. فقال رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلته، بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر. قلت: إني أطيع أفضل من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يومين، قلت: فإني أطيع أفضل من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام وهو

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(2) معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول ج 1 ص 295 رقم 85.

أعدّل وأفضل صيام [قال]: فإنى أطيق أفضل من ذلك، فقال: رسول الله ﷺ: لا أفضل من ذلك⁽¹⁾..

• الثالث عشر: بغض رسول الله ﷺ أو زوجاته أو الشيخين أو أصحابه:

دل الكتاب والسنة على أن من فى قلبه بغض لله سبحانه وتعالى، أو لأحد من رسله أو ملائكته أو لنبىه محمد ﷺ أو بغض ما جاء به، أنه كافر بالله ورسوله..
قال الله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }⁽²⁾..
فحب أولئك أعنى آلهم ﷺ وهم أمهات المؤمنين زوجاته ﷺ، وأصحابه، من الواجبات المتعينات ومن محبتهم توقيرهم والاقتداء بهم..

1195. قال ﷺ: الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى من أحبهم فقد أحبنى، ومن أبغضهم فقد أبغضنى ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه⁽³⁾..

1196. سب عبيد الله بن عمر المقداد بن الأسود، فهم عمر رضي الله عنه، بقطع لسانه. فكلمه فيه أصحاب محمد فقال: ذرونى أقطع لسان ابنى حتى لا يجترئ أحد من بعدى، يسب أحدا من أصحاب محمد أبدا..

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى: قلت لأبى: لو أتيت برجل يسب أبا بكر ما كنت صانعا؟ قال: أضرب عنقه. قلت: فعمر؟ قال: أضرب عنقه..
وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبى عن رجل سب رجلا من أصحاب النبى؟ قال: أرى أن يضرب، فقلت له: حدا؟ فلم يقف على الحد إلا أنه قال: يضرب وما أراه على الإسلام..

(1) معجم جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج 1 ص 297 رقم 87.

(2) سورة المجادلة آية 22.

(3) ورواه الذهبى فى الصواعق المحرقة على أهل الرضى والضلال والزندقة ج 2 ص 619.

وعن أبي وائل: أن رجلاً خرج على أم سلمة قوله، فأمر عمر أن يجلد مائتي جلدة..
وعن الحارث بن عيينة: إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أتى برجل [من الروافض] سب
عثمان فقال: ما حملك على أن سببت؟ قال: أبغضته، قال: أبغضت رجلاً وسببت، فأمر به
فجلد ثلاثين سوطاً..

وقال عاصم الأحول: أتيت برجل [من الروافض] قد سب عثمان فضربته عشرة
أسواط. قال: ثم عاد لما قال، فضربته عشرة أخرى، فلم يزل يسبه حتى ضرب سبعين
سوطاً..

وعن الحسن بن عمرو: قال طلحة بن مصرف: لولا أني على وضوء، لأخبرتكم
ببعض ما تقول الشيعة.. [أي أنه رضي الله عنه اعتبر أن الخوض فيما يدعون من باطل نجاسة
تستوجب تجديد الوضوء]..

قال أبو السائب عتبة بن عبد الله الهمداني قاضي القضاة: كنت يوماً بحضرة الحسن
ابن زيد الداعي بطبرستان، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويوجه في كل سنة
بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام، تفرق على صغار ولد الصحابة، وكان بحضرته
رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة! فقال: يا غلام اضرب عنقه. فقال له العلويون:
هذا رجل من شيعتنا فقال: هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل { الْحَبِيثَاتُ
لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا
يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (1).. فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي خبيث، فهو كافر
فاضربوا عنقه، فاضربوا عنقه وأنا حاضر..

1197. قال أبو عمر في كتاب قضاة مصر: ولي الحارث بن مسكين قضاء مصر من
قبل المتوكل [وفي أثناء ولايته للقضاء] قتل نصرانياً سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن جلده
الحد..

(1) سورة النور آية 26.

1198. قال محمد بن سعد: عدى بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم، وبنو الأرقم بطن لهم مسجد بالكوفة، لما قدم على بن أبي طالب الكوفة، جعل أصحابه يتناولون عثمان فقالت بنو الأرقم: لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان. فخرجوا إلى الجزيرة، وخرج معهم من ولدوا من كندة فخرج بنو أحمز بن عمرو وبعض بنى الحارث بن عدى، وبنو الأحزم من بنى حجر بن وهب بن ربيعة، فقدموا على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فحمد معاوية الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الشام هذا حى عظيم من كندة قدموا على، ناقلين على بن أبي طالب، فأنزلهم نصيبين فأنزلهم الرها، وأقطعهم قطائع وشهدوا صفين مع معاوية رضي الله عنه..

1199. قال عثمان بن سعيد: كان محمد بن عبد العزيز ثقة وكان أحمد بن يونس يذكر عنه خيرا وفضلا، خرج من الكوفة وقال: لا أقيم ببلد يشتم فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم..

• الرابع عشر: الغش للمسلمين وخداعهم وإفساد ذات بينهم:

1200. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار⁽¹⁾..

قال قيس بن أبى غرزة: مر النبى صلى الله عليه وسلم: برجل يبيع طعاما فقال: يا صاحب الطعام أسفل هذا مثل أعلاه؟ فقال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غش المسلمين فليس منهم⁽²⁾..

1201. عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر حديثا طويلا [وفيه]: ومن مات وفى قلبه غش لمسلم، بات وأصبح فى سخط الله حتى يتوب ويراجع، فإن مات على ذلك، مات على غير الإسلام. ثم قال: ألا إنه من غشنا فليس منا، قال ذلك ثلاثا⁽³⁾..

(1) رواه الطبرانى فى الكبير والصغير ورجاله ثقات.

(2) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج 4 ص 204.

(3) مسند الحارث (زوائد الهيثمى) ج 1 ص 313 رقم 205.

1202. قال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حضر سلطانا

يتكلم بما يهوى خلافا للحق. كان قرينه في نار جهنم⁽¹⁾..

عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم رضي الله عنه يقول: ثلاثة يحشرون يوم القيامة مغلولة أيديهم إلى أعناقهم: الأمير والقاضى والعريف، لا يفكهم من الغل إلا العدل، وجائرهم في النار أشدها حرا وأبعدها قعرا⁽²⁾..

1203. قوله ﷺ: ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته

إلا حرم الله عليه الجنة. وفي رواية أخرى: ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة.

أما فقه الحديث في قوله ﷺ: (حرم الله عليه الجنة) فيه التأويلان المتقدمان في نظائره، أحدهما: أنه محمول على المستحل [دخوله الجنة].

والثانى: حرم عليه دخولها مع الفائزين السابقين.

ومعنى التحريم هنا المنع. قال القاضى عياض: معناه التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئا من أمرهم، واسترعاه ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيها أو تأن [أي كان موقعه سواء كبر أو صغر شأنه على أى مستوى كان عمله حاكما أو مفتيا أو موظفا أو عاملا، طالما أنه يتقاضى راتبه من بيت مال المسلمين ويؤدى عملا له علاقة بمصالح المسلمين] فلم ينصح فيها قلده، إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما [بعدم] القيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال داخله فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم - فقد غشهم. قال القاضى وقد نبه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة⁽³⁾..

(1) مسند الشهاب ج 1 ص 272 رقم 443.

(2) مسند الشهاب ج 1 ص 272 رقم 443.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم ج 2 ص 165 رقم 42.

1204. وقيل: لا يحل أن تكتم النصيحة أحدا من المسلمين برهم وفاجرهم في أمر

الدين، فمن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين..

1205. قال علي بن أبي طالب يا رسول الله، ما منزلة الأمير الجائر المعتدى الذي لم

يصلح إلى رعيته ولم يقم فيهم بأمر الله؟ قال: هو رابع أربعة، وأشد الناس عذاباً يوم القيامة إبليس وفرعون وقابيل قاتل النفس والأمير الجائر رابعهم⁽¹⁾..

• الخامس عشر: الغفلة والجهل بأمور الدين والدنيا والآخرة:

قال تبارك وتعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ }⁽²⁾..

وقال الله عز وجل (طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)⁽³⁾..

وقال سبحانه { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }⁽⁴⁾..

قال تعالى { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ }⁽⁵⁾..

1206. اعلم أن علم الدين مفترض طلبه على كافة المسلمين دون غيره، فإن الجهل

بالدين مهلك والعلم طريق نجاته..

(1) مسند الحارث (زوائد الهيتمي) ج 1 ص 315 حديث موضوع.

(2) سورة الأنبياء آية 1.

(3) سورة النحل آية 108.

(4) سورة الأعراف آية 179.

(5) سورة الأعراف آية 205.

1207. عن عبد الله بن عمرو: عن رسول الله ﷺ قال: الغفلة في ثلاث: الغفلة عن ذكر الله عز وجل، والغفلة من لدن أن يصلى الصبح إلى طلوع الشمس، وأن يغفل الرجل عن نفسه في الدين حتى يركبه⁽¹⁾..

1208. قالوا: التيقظ أصل كل خير كما أن الغفلة أصل كل شر، فما أكثر من يكون عند نفسه متيقظا وهو غافل. واعلم أن أبين علامات التيقظ الهم والحزن ثم حسن الاستعداد لما اهتم له وحزن عليه، وأبين علامات الغفلة البطر والمرح لأنهما يسهيان وينسيان التيقظ وفي ترك التيقظ ترك الاستعداد لما بعد الموت..

1209. قيل لبعض الحكماء: من أشد الناس اغترارا؟ قال: أشدهم تهاونا بالذنوب، قيل: علام نبكي؟ قال: على ساعات الذنوب، قيل: علام نأسف؟ قال: على ساعات الغفلة..

1210. عن وهب قال: ثلاث من مناقب الكفر: الغفلة عن الله وحب الدنيا والطيرة..

1211. وقيل: الغفلة حجاب أصله من شهوات النفس، وهى كالدخان في الصدر، ظلمات تحجب عيني الفؤاد عن معاينة الحق..

1212. عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: ثلاث صاحبهن جواد مقتصد: فرائض الله يقيمها، ويتقى السوء، ويقل الغفلة. وثلاث لا تحقرن: خيرا تبتغيه، ولا شرا تتقيه، ولا تكبرن عليك ذنب أن تستغفره. وإياك واللعب فإنك لن تصيب به دنيا ولن تدرك به آخرة ولن ترضى به المليك، وإنما خلقت النار للسخطة وإنى أحذرك سخط الله عز وجل..

1213. واعلم يا أخى: أن الذنوب تورث الغفلة، والغفلة تورث القسوة، والقسوة تورث البعد من الله، والبعد من الله يورث النار. وإنما يتفكر فى هذه الأحياء. وأما

(1) مسند عبد بن حميد ج 1 ص 138 رقم 351.

الأموات فقد أमतوا أنفسهم بحب الدنيا. واعلم أنه كما لا يغنى ضوء النهار الأعمى، كذلك لا يضيء بنور العلم إلا أهل التقى. وكما أن الميت لا ينفعه الدواء، كذلك لا يفيد الأدب في أهل الدعوى. وكما لا يثبت الوابل الصفا، كذلك لا تثمر الحكمة بقلب محب الدنيا! ومن ألف هواه قل أدبه..

• السادس عشر: التجسس والتحسس واسترقاق السمع على المسلمين، وهو عند الله ورسوله عظيم اقتصرت منه على الآتى:

1214. وأما التجسس والتحسس فقد نهى الله ورسوله عنهما، وجعلهما رسول الله ﷺ من شرط الأخوة مع ترك التدابر والتقاطع، فقد روى في الخبر السائر: لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً⁽¹⁾..

1215. قال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ومن سعى بأخيه عند سلطان حرم الله عليه رحمته يوم القيامة⁽²⁾..

1216. وعن أبى قلابة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدث أن أبا محجن الثقفى يشرب الخمر في بيته هو وأصحابه، فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل. فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين، إن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس! فقال عمر: ما يقول هذا؟

فقال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم: صدق يا أمير المؤمنين، هذا التجسس. فخرج عمر وتركه..

وعن عبد الرحمن بن عوف: أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدينة، فبينما هم يمشون، شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه، إذا باب مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط.

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحید ج 2 ص 383.

(2) مسند الشهاب ج 1 ص 272 رقم 443.

فقال عمر، وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدرى بيت من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب، فما ترى؟ فقلت: أرى أن قد أتينا ما نهانا الله عنه، قال تعالى: { وَلَا تَجَسَّسُوا }⁽¹⁾.. فقد تجسسنا. فانصرف عمر عنهم وتركهم..

1217. عن زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هلك الوليد بن عقبة، تقطر لحيته خمرًا. قال: قد نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا نقم عليه..

1218. عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم. فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها⁽²⁾..

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم⁽³⁾..

1219. روى أن عمر رضي الله عنه كان يعس ليلة مع ابن مسعود، فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين زق خمر وقينة تغنيه، فتسور عليه وقال: ما أقبح بشيخ مثلك أن يكون على مثل هذه الحال، فقام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله ألا أنصفتني حتى أتكلم، فقال له: قل، فقال: إن كنت قد عصيت الله عز وجل في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث! قال: وما هي؟ قال: قد تجسست، وقد نهاك الله عز وجل عن ذلك. [وقد قال عز وجل: { وَلَا تَجَسَّسُوا }⁽⁴⁾. وتسورت، وقد قال الله تعالى { كَيْسَ الْبِرِّ بَأْنْ تَأْتُوا النُّبُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا }⁽⁵⁾.. ودخلت بغير إذن، وقد قال الله عز وجل { لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا }⁽⁶⁾..

(1) سورة الحجرات آية 12.

(2) سنن أبي داود ج 4 ص 232 رقم 4888.

(3) سنن أبي داود ج 4 ص 232 رقم 4889.

(4) سورة الحجرات آية 12.

(5) سورة البقرة آية 189.

(6) سورة النور آية 27.

فقال عمر: صدقت، فهل أنت غافر لى ذلك؟ فقال: غفر الله لك. فخرج عمر وهو يبكى حتى علا نسيجه وهو يقول: ويل لعمر إن لم يغفر الله له.. [هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم، عرف وعلم حدود ما أعطاه الله وما أباحه له على الرعية، فتوقف عند حدود الله ولم يتجاوزها ويتحايّل عليها بأى مسمى من الأسماء]..

1220. قال أبو حاتم: التجسس من شعب النفاق..

1221. عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه⁽¹⁾..

1222. عن عمار بن ياسر عن النبى ﷺ قال: من كان ذا وجهين فى الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة⁽²⁾..

1223. أخبرنا معمر عمّن سمع الحسن يقول: من وجد دون أخيه سترًا فلا يكشف، لا تتجسس أخاك فقد نهيت أن تتجسسه، ولا تحقر عليه ولا تنفر عنه، الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقائصهم وجعل أعراض الناس مادة للفكاهة والتسلية [هلكة]..

1224. عن ابن عباس: من سعى بأخيه إلى سلطان (أحبط الله عمله كله) وإن وصل إليه مكروه أو أذى. جعله الله مع هامان فى درجة من النار..

1225. عن الحسن: قال رسول الله ﷺ: من سعى بأخيه المسلم إلى سلطان جائر، فلم ينده منه شىء يكرهه حبط عمله. فإن نديه منه شىء يكرهه، كان فى أسفل درك من جهنم مع فرعون وهامان⁽³⁾..

(1) صحيح ابن حبان ج 13 ص 66 رقم 5754.

(2) صحيح ابن حبان ج 13 ص 68 رقم 5756.

(3) أخبار أصبهان ج 3 ص 548.

1226. قال ﷺ: إياك ومهلك الثلاثة، قيل: وما مهلك الثلاثة؟ قال: رجل سعى بأخيه المسلم فقتله فأهلك نفسه وأخاه وسلطانة⁽¹⁾..

1227. قال ﷺ: ومن مشى في غيبته وبث عورته، كانت أول قدم يخطوها كأنها يضعها في جهنم، ويكشف عورته يوم القيامة على رؤوس الخلائق.. [المقصود التجسس على المسلم لفضح ما خفى من أمره والتقرب بذلك لنيل الخطوة من السلطان]⁽²⁾..

1228. عن ابن عمر ؓ قال: صعد رسول الله ﷺ هذا المنبر فنادى بصوت رفيع وقال: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه. لا تؤذوا المسلمين. ولا تعيروهم. ولا تطلبوا عثراتهم. فإنه من يطلب عورة المسلم يطلب الله عورته. ومن يطلب الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته⁽³⁾..

نظر ابن عمر ؓ يوما إلى البيت [أى إلى بيت الله الحرام بمكة] فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم عند الله حرمة منك..

1229. عن عقبه بن عامر عن النبي ﷺ قال: من رأى عورة فسترها، كان كمن أحيا مؤودة⁽⁴⁾..

1230. عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع أحدكم على بيع أخيه، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه⁽⁵⁾..

(1) طوق الحمامة في الألفة والألاف ج 1 ص 176.

(2) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ج 11 ص 465.

(3) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج 13 ص 75 رقم 5763.

(4) سنن أبي داود ج 4 ص 273 رقم 4891.

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 2 ص 277 رقم 7713.

• السابع عشر: قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وما يندرج تحت ذلك من ظلم وسجن وعذاب وقهر وبغى وبغى غير حق. وذكر بعض ما جاء في التشديد والترهيب وما أعده الله لمن يفعل ذلك من ألوان النكال. فلا ينبغي لبشر أن يطاع في معصية الله:

1231. عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: نزلت آية التشديد [في قتل النفس] { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } ⁽¹⁾.. بعد التي في [سورة] الفرقان بستة أشهر [وهي] قَوْلُهُ وتعالى { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا } ⁽²⁾..

1232. حدثنا المغيرة بن النعمان قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: اختلف أهل الكوفة في قوله { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا } فرحلت فيها إلى ابن عباس فسأله عنها، فقال: نزلت هذه الآية (فجزاؤه جهنم) لا توبة له، آخر ما نزلت فما نسخها شيء ⁽³⁾.

قال الشافعي: قال الله جل ثناؤه { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } ⁽⁴⁾.. وقال تبارك وتعالى { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا } ⁽⁵⁾..

وعن عبد الله قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو الله ندا وهو خلقك، قال: ثم أي؟ قال: تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال:

(1) سورة النساء آية 93.

(2) سورة الفرقان آية 68.

(3) سنن البيهقي الكبرى ج 8 ص 16.

(4) سورة الأنعام آية 151.

(5) سورة الفرقان آية 68.

أن تزانى حليلة جارك. فأنزل الله تصديقها (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)⁽¹⁾...

وقال الشافعي قال الله تعالى { أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا
قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }⁽²⁾..

وقال { وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ
الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا
بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ
فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ
مِنَ الْخَاسِرِينَ }⁽³⁾..

عن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: ما من نفس تقتل نفسا ظلما إلا كان على
ابن آدم الأول [قاييل] كفل منها، لأنه سن القتل أولا. [أى سن القتل ظلماً] ⁽⁴⁾..

1233. قال أبو سعيد الخدري رحمه الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ضجت الأرض
ضجيجها من غسل جنابة أو سفك دم حرام ⁽⁵⁾..

1234. عن ابن مسعود رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: أول ما يقضى بين الناس يوم
القيامة في الدماء ⁽⁶⁾..

(1) سنن البيهقي الكبرى ج 8 ص 16 .

(2) سورة المائدة آية 32 .

(3) سورة المائدة الآيات 27 / 30 .

(4) سنن البيهقي الكبرى ج 8 ص 16 .

(5) مسند الشهاب ج 1 ص 272 رقم 443 .

(6) الترغيب والترهيب ج 3 ص 200 رقم 3671 .

1235. عن أبي معشر عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: ما حل

دم أحد من أهل هذه القبلة إلا من استحل ثلاثة أشياء:

قتل النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمفارق جماعة المسلمين، أو الخارج من جماعة

المسلمين..

1236. عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: الكبائر الإشراف

بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس⁽¹⁾..

1237. عن عطاء قال: الكبائر سبع:

قتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم ورمى المحصنة وشهادة الزور وعقوق

الوالدين والفرار يوم الزحف. وقال آخرون: هي تسع..

1238. جاء في الحديث أن سليمان النبي صلوات الله عليه قال: من هدم بنيان ربه

فهو ملعون بين يديه.. يعنى من قتل النفس لأن الجسم بنيان الله وتركيبه فإذا أبطله فقد

هدم بنيان ربه..

1239. عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فذكر حديثاً طويلاً [وفيه]: ومن

(لطم) خد مسلم لكمة، بدد الله عظامه يوم القيامة، ثم سلط عليه النار. ويبعث حين

يبعث مغلولاً حتى يرد النار⁽²⁾..

1240. عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فذكر حديثاً طويلاً [وفيه]: ومن

تعلق سوطاً بين يدي سلطان جائر، جعله الله حية طولها سبعون ألف ذراع، فتسلط عليه

في نار جهنم خالداً مخلداً⁽³⁾..

(1) الديات ج 1 ص 16.

(2) (زوائد الهيتمى) ج 1 ص 313 رقم 205.

(3) (زوائد الهيتمى) ج 1 ص 313 رقم 205.

1241. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: من أعان على قتل امرئ

مسلم (بشطر كلمة) لقي الله عز وجل يوم القيامة، مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ⁽¹⁾..

1242. ولهذا قيل: من أعان ظلما سلطه الله عليه..

1243. ذكر أهل التفسير أن الظلم في القرآن على ستة أوجه:

أحدها: الظلم بعينه: ومنه قوله تعالى في سورة البقرة { فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } ⁽²⁾..

وفي سورة آل عمران { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } ⁽³⁾..

وفي سورة النساء: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا } ⁽⁴⁾..

وفيها: { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا } ⁽⁵⁾..

وفي سورة الأنبياء: { سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ⁽⁶⁾..

وفي حم: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } ⁽⁷⁾..

وفي حم عسق { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ } ⁽⁸⁾..

والثاني: الشرك: ومنه قوله تعالى في الأنعام { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } ⁽⁹⁾..

وفي سورة الأعراف { أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } ⁽¹⁰⁾..

(1) [معنى آيس: أى لا وُجِدَ]. (زوائد الهيثمي) ج 1 ص 313 رقم 205 .

(2) سورة البقرة آية 35 .

(3) سورة آل عمران آية 57 .

(4) سورة النساء آية 10 .

(5) سورة النساء آية 30 .

(6) سورة الأنبياء آية 87 .

(7) سورة فصلت آية 46 .

(8) سورة الشورى آية 42 .

(9) سورة الأنعام آية 82 .

(10) سورة الأعراف آية 44 .

والثالث: النقص: ومنه قوله تعالى في سورة النساء { وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا }⁽¹⁾ ..
وفي سورة الكهف { أَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا }⁽²⁾ ..
وفي سورة الأنبياء { فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا }⁽³⁾ ..
والرابع: الجحد: ومنه قوله تعالى في الأعراف { بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ }⁽⁴⁾ ..
وفيها { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا }⁽⁵⁾ ..
وفي سورة الإسراء في بنى إسرائيل { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا }⁽⁶⁾ ..
والخامس: السرقة: ومنه قوله تعالى في المائدة { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }⁽⁷⁾ ..
وفي سورة يوسف { مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }⁽⁸⁾ ..
والسادس: الإضرار بالنفس. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة { وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }⁽⁹⁾ ..

(1) سورة النساء آية 49.

(2) سورة الكهف آية 33.

(3) سورة الأنبياء آية 47.

(4) سورة الأعراف آية 9.

(5) سورة الأعراف آية 103.

(6) سورة الإسراء آية 59.

(7) سورة المائدة الآيات 38 / 39.

(8) سورة يوسف آية 75.

(9) سورة البقرة آية 57.

وفي سورة الأعراف { وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }⁽¹⁾ ..

وفي سورة هود { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ }⁽²⁾ ..

وعن النبي ﷺ أنه قال: لا تمكر ولا تعن ماكرا، ولا تبغ ولا تعن باغيا، ولا تنكث

ولا تعن ناكثا⁽³⁾ ..

قال هلال العيسى: كذلك نهى الله تعالى ورسوله، عن الظلم والتعدي على الآخرين

والبغي عليهم بغير حق في قرآنه الكريم، وما أكثر الآيات والأحاديث التي وردت في هذا الشأن.

لا تمكر ولا تعن ماكرا، فإن الله يقول { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }⁽⁴⁾ ..

ولا تبغ ولا تعن باغيا، فإن الله يقول { إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ }⁽⁵⁾ ..

ولا تنكث ولا تعن ناكثا، فإن الله يقول { فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ }⁽⁶⁾ ..

ذلك يوم لا يرحم فيه من شكّا، ولا يعذر من بكى، ولا يجد الظالم لنفسه مسلكاً،

يوم تنقل على أهلها الأوزار، وتلفح وجوه العصاة النار، ولا يقال فيه من ندم، ولا ينجو

من عذاب الله إلا من رحم. وهدد بعقاب كل من يفعل ذلك: حتى بين لهم مواقعهم في

أى درجات النار السبع قال تعالى: { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ }⁽⁷⁾ .. بعضها أسفل من بعض، كل

باب أشد حراً من الذى فوقه بسبعين جزءاً بين كل بايين سبعين سنة.

(1) سورة الأعراف آية 160 .

(2) سورة هود آية 101 .

(3) تخريج الأحاديث والآثار ج 2/ ص 121 رقم 591 .

(4) سورة فاطر آية 43 .

(5) سورة يونس آية 23 .

(6) سورة الفتح آية 10 .

(7) سورة الحجر آية 44 .

أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ثم سقر، { لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ }⁽¹⁾.. عدد معلوم من الكفرة والفجرة، وجابرة الأرض ومنافقيها من الجن والإنس. والباب الثاني: يضعف على الباب الأعلى في شدة العذاب سبعين ضعفاً⁽²⁾. ومن الاغترار أن يظن المذنب إذا لم ير عقوبة أنه قد سومح، وربما جاءت العقوبة بعد مدة، فاتقى الله يا شقى فإنك لا تعلم كيف تتقلب الأيام بأهلها، ولا تعلم ما تكون عليه غدا، فرب مطلوب يصير طالبا، ومرغوب فيه يصير راغبا، ومسؤول يصير سائلا..

1244. عن أبي ذر: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته عليكم محرما فلا تظلموا العباد..

1245. وعن أبى موسى: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملى للظالم) من الإملاء أى يمهلهم ويؤخره ويطول عمره حتى يكثر منه الظلم (حتى إذا أخذه لم يفلته) [الأنفلات: التخلّص من الشيء فجأة من غير تمكّث، لذا جاء المعنى الدال على أنه] لم يتركه بل أخذه أخذاً شديداً⁽³⁾..

1246. عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ: فذكر حديثا طويلا [وفيه]: ومن خف لسلطان جائر فى حاجة فهو قرينه فى النار، ومن دل سلطاناً على جور، قرن مع هامان فى النار، وكان هو وذلك السلطان من أشد الناس عذاباً⁽⁴⁾..

1247. عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم، فقد تودع منهم⁽⁵⁾..

(1) سورة الحجر آية 44.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان ج 2 ص 204.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج 9 ص 311.

(4) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ج 1 ص 310 رقم 205.

(5) رواه أحمد والبخاري بإسنادين ورجال أحمد وإسنادى البزار رجال الصحيح وكذلك رجال أحمد، مجمع الزوائد.

1248. قال رسول الله ﷺ: إن من الظلم مطل الغنى وإن أتبع أحدكم على ملىء فليتبع⁽¹⁾ ..

1249. وعن ابن عمر أن النبي لما مر بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي⁽²⁾ ..

1250. قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان يكثر فيه الظلم من ولائهم حتى يكاد الموت أن يصدع مراره، يعنى المؤمن مما يرى من الجور، ولا يكون مغيث إلى تغييره، فاصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر⁽³⁾ ..

1251. حدثنا عبيد الله بن مقسم قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم⁽⁴⁾ ..

1252. حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر أمتي مسخ وقذف وخسف ويبدأ بأهل المظالم⁽⁵⁾ ..

1253. عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه⁽⁶⁾ ..

(1) صحيفة همام بن منبه ج 1 ص 44.

(2) متفق عليه. مشكاة المصابيح ج 3 ص 311.

(3) كتاب الأمالي المعروفة بالأمالى الخميسية ج 2 ص 313.

(4) الأدب المفرد ج 1 ص 170 رقم 483.

(5) الأدب المفرد ج 1 ص 170 رقم 484.

(6) شرح صحيح البخارى لابن بطال ج 6 ص 577 رقم 8.

1254. بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: اتق دعوة المظلوم، فإنها

ليس بينها وبين الله حجاب⁽¹⁾..

1255. [وفي حديث آخر] عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: دعوة المظلوم مجابة،

وإن كان فاجراً، فجوره على نفسه⁽²⁾..

وقال عون بن عبد الله: أربع دعوات لا ترد ولا يحجب عن الله: دعوة والد راض،

وإمام مقسط، ودعوة مظلوم، ودعوة رجل دعا لأخيه بظهر الغيب..

1256. عن الحسن [البصري] قال: الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك،

وظلم يغفر:

فأما الظلم الذي لا يغفر: فالشرك بالله.

وأما الظلم الذي لا يترك: فظلم الناس بعضهم بعضاً.

وأما الظلم الذي يغفر: فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه..

1257. وقيل: الظلم على ثلاثة أقسام: أحدها: أكل المال بالباطل. وثانيها: ظلم

العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح. وثالثها: ظلم العباد بالشتيم واللعن والسب والقذف..

1258. وعن ابن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجاً،

فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى

دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس، فخرج ذات ليلة

حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم، وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك

ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع. فأسرع

المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل

إليه فدعاه فأثاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين، فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل

مع الرسول فسلم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي

(1) روه ابن أبي شيبة.. شرح صحيح البخارى لابن بطال ج 6 ص 577 رقم 9.

(2) شرح صحيح البخارى لابن بطال ج 6 ص 578.

والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى.

فقال: يا أمير المؤمنين إن أمتنى على نفسى أنبأتك بالأمر من أصولها، وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على نفسك.

فقال: الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت.

فقال: ويحك وكيف يدخلنى الطمع، والصفراء والبيضاء فى يدى، والحلو والحامض

فى قبضتى؟!

قال: وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاح، ثم سجت نفسك فيها منهم، وبعثت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة. إن نسيت لم يذكروك. وإن ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، (ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير).

ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق. فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيك وأمرت أن لا يجربوا عنك، تجبى الأموال ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا؟ فائتمروا على أن لا يصل إليك من أخبار الناس شىء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره [ويكون عبرة لغيره] فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك، بالهدايا والأموال [وتنفيذ طلباتهم وتحقيق رغباتهم] ليتقوا بهم على ظلم رعيك. ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية. فامتلاّت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء

القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل. فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك، وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل [يشكو أحدا ظلمه من] بطانتك، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته!

وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك [طالباً العدل والإنصاف] فيضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره، وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير!! فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟

لقد كانت بنو أمية لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف. ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي: يا أهل الإسلام، فيتدرونه مالك مالك؟ فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينصف.

ولقد كنت يا أمير المؤمنين، أسافر إلى أرض الصين وبها ملك، فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي!! فقال له وزراؤه: مالك تبكي لا بكت عيناك؟! فقال: أما إنني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي، ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته!!!

ثم قال: أما إن كان قد ذهب سمعي، فإن بصرى لم يذهب، نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم. فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوماً فينصفه!!

هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله [كافر لا يعبد الله طرفه عين ولم يسجد له سجدة واحدة] قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه!!!

وأنت مؤمن بالله! وابن عم نبي الله! لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك؟! فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة:

إن قلت: أجمعها لولدي، فقد أراك الله عبداً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه، وما له على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله تعالى يلفظ بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست الذي تعطى بل الله يعطى من يشاء.

وإن قلت: أجمع المال لأشيد سلطاني، فقد أراك الله عبداً فيمن كان قبلك، ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع، وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد. وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية، هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح.

يا أمير المؤمنين: هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل؟
قال: لا.

قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا، وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه (بالخلود في العذاب الأليم). وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك.

فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين، ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب، هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا؟

فبكى المنصور بكاء شديداً حتى نحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً، ثم قال: كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائناً؟

قال: عليك بالعلماء [الصادقين].

قال: قد فروا مني.

قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم، وخذ الشيء مما حل واقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعتك⁽¹⁾..

1259. عن مكحول: قال رسول الله ﷺ: أعجل الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم⁽²⁾..
الزهد لو كيع..

1260. حدثنا بكار بن عبد العزيز عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: كل ذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا البغى وعقوق الوالدين أو قطيعة الرحم، يعجل لصاحبها في الدنيا قبل الموت⁽³⁾..

1261. عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: إن الله أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض⁽⁴⁾..

1262. عن مجاهد: قال رسول الله ﷺ: لو أن جبلا بغى على جبل لدك الباغي⁽⁵⁾ منها..

قال تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ }⁽⁶⁾..

(1) [إن أردت المزيد عن قصص العدل: فانظر كتابي العدل في القرآن والسنة وأشهر قصص العدل في

الأدب والتاريخ، فقد احتوى على قصص عن العدل يذرف عند قراءتها دمع العيون].

(2) أعجل: أسرع. البغى: الظلم والتعدي. القطيعة: الهجران والصد وترك الإحسان.

(3) الأدب المفرد ج 1 ص 207 رقم 591.

(4) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ج 4 ص 239.

(5) الباغي: الظالم المتعدي. الزهد لو كيع.

(6) سورة البقرة آية 175.

1263. هو تعجب، يعنى فما أشد جرائتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار، فمن قال: هو تعجب، وجه تأويل الكلام إلى (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فما أشد جرائتهم بفعلهم ما يوجب لهم النار. كما قال تعالى ذكره { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ }⁽¹⁾.. تعجبا، من كفره بالذى خلقه فأما الذين وجهوا تأويله إلى الاستفهام فمعناه: هؤلاء (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) والنار لا صبر عليها لأحد [حتى من خلقوا منها كالجان]. حتى استبدلوها بمغفرة الله بدلا. وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) بمعنى: ما أجرأهم على عذاب النار وعملهم بأعمال أهلها [حتى يلقوا فيها فيعذبوا ويتركوا الجنة ونعيمها] وذلك أنه مسموع من [كلام] العرب، ما أصبر فلانا على الله، بمعنى ما أجرأ فلانا على الله. فالتعجب من إقدامهم على ذلك مع علمهم بأن ذلك موجب لسخط الله وأليم عقابه..

قال هلال العيسى: خلاصة الحديث هنا، عن النار التى أعدت للعذاب يوم القيامة، والتعجب من قلة عقل وجراءة الكفار والطغاة الظلمة ومن فى ركا بهم وتماذيمهم، رغم صبر الله عليهم وهم لا يستطيعون أصلا الصبر على نار الدنيا، التى هى جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم.

فإن كانوا لا يستطيعون تحمل نار الدنيا ولا يقووا عليها، فليرونا ماذا سيفعلون وكيف سيصبرون عندما يذوقون الخلود فى عذاب نار الآخرة. وهى النار التى خلقت وأعدت أصلا للعذاب، نعوذ بالله الواحد الأحد أن نكون من أهل إحدى النارين..

1264. قال حجة الإسلام: نار الدنيا لا تناسب [نار] جهنم، لكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب النار، عرف عذاب جهنم بها، وهيئات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هربا مما هم فيه..

(1) سورة عبس آية 17.

1265. قال عليه ﷺ: إن ناركم هذه التى توقدونها يا بنى آدم، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها⁽¹⁾..

1266. وقيل: إنه لو جمع كل ما فى الوجود من النار التى يوقدها الآدميون، لكانت جزءاً من أجزاء نار جهنم. ولو جمع حطب الدنيا وأوقد كله حتى صار ناراً، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذى هو من سبعين جزءاً أشد منه!!

• الثامن عشر: سوء الظن بالمسلمين وضيق الصدر بهم وعدم النصرة لهم:
قال تعالى { اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ }⁽²⁾..

1267. قالوا: نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شراً. وقال سعيد بن جبیر: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً فيظن به سوءاً.

وقال الزجاج: هو أن يظن بأهل الخير سوءاً، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذى ظهر منهم.

قال القاضى أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن، والظن على أربعة أضرب: محذور ومأمور به ومباح ومندوب إليه:

فأما المحذور: فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب حسن الظن بالله. وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة.

وأما الظن المأمور به: فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى العلم به، وقد تعبدنا بتنفيذ الحكم فيه والاقتصار على غالب الظن وإجراء الحكم عليه واجب وذلك نحو ما

(1) الباب فى علوم الكتاب ج 18 ص 426.

(2) سورة الحجرات آية 12.

تعبدنا به من قبول شهادة العدول وتحري القبله وتقويم المستهلكات وأروش الجنایات التي لم يرد بمقاديرها توقيف، فهذا وما كان من نظائره قد تعبنا فيه بأحكام غالب الظنون.

فأما الظن المباح: فكالشاك في الصلاة إذا كان إماما، أمره النبي ﷺ بالتحري والعمل على ما يغلب في ظنه، وإن فعله كان مباحا، وإن عدل عنه إلى البناء على اليقين كان جائزا. وروى أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: إذا ظننتم فلا تحققوا، وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الريبة فلا ينبغي له أن يحققه⁽¹⁾..

وأما الظن المندوب إليه: فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يندب إليه ويثاب عليه، فأما ما روى في الحديث احتسوا من الناس بسوء الظن، فالمراد الاحتراس بحفظ المال مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحا خشيت السراق..

1268. قال أبو حاتم: سوء الظن على ضربين: أحدهما منهي عنه بحكم النبي ﷺ والضرب الآخر مستحب. وأما الذي نهى عنه: فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة. والذي يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبين [آخر] عداوة أو شحناء في دين أو دنيا يخافه على نفسه، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده لئلا يصادفه على غرة فيهلكه..

1269. قال الغزالي: من يحكم بشر على غيره بالظن، بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات، ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم [بالظن فقط] وقيل: اتقوا مواضع التهم..

1270. عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث.

فهذا من الظن المحذور وهو ظنه بالمسلم سوءا من غير سبب يوجبه..

(1) زاد المسير في علم التفسير ج 7 ص 469.

• التاسع عشر: عقوق الوالدين وعدم طاعتها أو البر بهما أو الدعاء لهما:

قال تعالى { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }⁽¹⁾.. فإن الله وصى بهما في طاعتها مما لا يكون شركا ومعصية. وقيل: وصينا الإنسان بوالديه حسنا أى: أمرنا الناس بهذا، فالشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية..

1271. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ: إن أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه، قيل: وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه⁽²⁾..

1272. وعن عروة عن أبيه قال: مكتوب في التوراة، ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من برع تخوم الأرض، ملعون من صد عن سبيل الله، أو نهر سائلا..

1273. عن مكحول: أوصى رسول الله ﷺ بعض أهله فقال: لا تشرك بالله شيئا وإن حرقت وإن عذبت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تختلع لهما من مالك فانخلع لهما. ولا تدع صلاة مكتوبة عمدا فإن من تركها عمدا برئت منه ذمة الله ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر، وإياك والمعصية فإنها من سخط الله، ولا تنزع الأمر أهله وإن رأيت أنه لك، وإذا كنت في قوم كثر فيهم القتل أو الموت فاثبت، وإياك والفرار من الزحف، وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم في الله⁽³⁾..

(1) سورة لقمان الآيات 14 / 15.

(2) البر والصلة ج 1 ص 51 رقم 100.

(3) البر والصلة ج 1 ص 53 رقم 105.

1274. سأل رجل كعبا عن العقوق ما تجدونه في كتاب الله من عقوق الوالد؟ قال:

إذا أقسم عليه لم يبرره، وإن سأل لم يعطه، وإذا ائتمنه خانه. فذلك العقوق..

1275. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه، قالوا: يا

رسول الله من؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما فدخل النار⁽¹⁾..

1276. عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة: من

قتل نبيا أو قتله نبي، أو قتل أحد والديه، والمصورون، وعالم لم يتتبع بعلمه⁽²⁾..

1277. وقيل: ويلهم في العذاب: من قتل إماما عادلا، أو عالما يأمر الناس بالقسط

ويدعوهم إلى الله وينصحهم في دينهم..

1278. وأخرج الحاكم وصححه وتعبه الذهبي والبيهقي والخرائطى في مساوئ

الأخلاق من طريق بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن جده أبي بكرة عن النبي

ﷺ قال: كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين. فإنه يعجله

لصاحبه في الحياة قبل الممات. ومن رايأ رايأ الله به، ومن سمع سمع الله به⁽³⁾..

وأخرج عبد الرزاق في المصنف والبيهقي عن طاوس ؓ قال: إن من السنة أن تقرر

أربعة: العالم وذو الشيبة والسلطان والوالد..

وقال: إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه..

1279. عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ثلاث دعوات

مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده⁽⁴⁾..

(1) الأدب المفرد ج 1 ص 21 رقم 21.

(2) شعب الإيمان ج 6 ص 197 رقم 7888.

(3) الدر المنثور ج 5 ص 267.

(4) مسند ابن حنبل ج 2 ص 258 رقم 7501.

1280. عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق، فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله باراً⁽¹⁾..
1281. قال الأوزاعي: بلغني أن من عاق والديه في حياتهما ثم قضى ديناً إن كان عليهما واستغفر لهما ولم يستسب لهما، كتب باراً. ومن بر والديه في حياتهما ثم لم يقض ديناً إذا كان عليهما ولم يستغفر لهما واستسب لهما كتب عاقاً⁽²⁾..
1282. عن أبي أمامة: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يقبل منهم يوم القيامة صرف ولا عدل: عاق ومنان ومكذب بقدر⁽³⁾..
1283. وقال ﷺ: لعن الله العاق والديه⁽⁴⁾..
- وعنه ﷺ قال: رأيت ليلة أسرى بى أقواماً فى النار معلقين فى جذوع من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا⁽⁵⁾..
- وروى أنه من شتم والديه، ينزل عليه فى قبره جهر من نار، بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض.
- وروى أنه: إذا دفن عاق والديه، عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه.
- وقيل: أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المشرك والزانى والعاق لوالديه.
- وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها، إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله، والنظر إليها أفضل من كل شىء..
1284. عن أبي هريرة: لا تقبل صلاة الساخط عليه أبواه غير ظالمين له⁽⁶⁾..

(1) شعب الإيمان ج 6 ص 2020 رقم 7902.

(2) شعب الإيمان ج 6 ص 204 رقم 7907.

(3) المعجم الكبير ج 8 ص 119 رقم 7547.

(4) الكبائر ج 1 ص 43.

(5) الكبائر ج 1 ص 43.

(6) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45525.

عن أنس رضي الله عنه: بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغى والعقوق ⁽¹⁾..
عن أبي هريرة رضي الله عنه [قال ﷺ]: لم يتل القرآن من لم يعمل به، ولم يبر والديه من أحدٍ النظر إليهما في حال العقوق، أولئك براء مني، وأنا منهم برىء ⁽²⁾..
عن أنس رضي الله عنه قال: إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عنه الرزق..
عن عائشة رضي الله عنها: ما بر أباه من شد إليه الطرف بالغضب..
عن أنس رضي الله عنه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: لولا من يشهد أن لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا.

يا موسى: لولا من يعبدني ما أمهلت لمن يعصيني طرفة عين.

يا موسى: إنه من آمن بى فهو أكرم الخلق علي.

يا موسى: إن كلمة من العاق تزن جميع رمال جبال الدنيا.

قال موسى: يا رب، من العاق؟

قال: إذا قال لوالديه: لا لبيك ⁽³⁾..
1285. وأخرج أحمد والترمذي وصححه وابن ماجه عن أبي الدرداء: أن رجلاً أتاه

فقال: إن امرأتى بنت عمى وإنى أحبها، وإن والدتى تأمرنى أن أطلقها. فقال: لا أمرك أن تطلقها ولا أمرك أن تعصى والدتك. ولكن أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. سمعته ﷺ يقول: إن الوالدة أوسط باب من أبواب الجنة، فإن شئت فأمسك، وإن شئت فدع ⁽⁴⁾..
(1) كنز العمال ج 16 ص 200 رقم 45550.
(2) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45529.
(3) كنز العمال ج 16 ص 200 رقم 45553.
(4) الدر المنثور ج 5 ص 270.

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن [البصري رحمته الله] قال: للأُم ثلثا البر، وللأب الثلث⁽¹⁾..

1286. حكى أنه كان في زمن النبي ﷺ: شاب يسمى علقمة، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ إن زوجي علقمة في النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله، فأرسل النبي ﷺ عمارا وصهيبا وبلالا وقال: امضوا إليه ولقنوه الشهادة، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله، ولسانه لا ينطق بها! فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة. فقال النبي ﷺ: هل من أبويه أحد حتى؟ قيل: يا رسول الله، أم كبيرة السن، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: قل لها: إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ، وإلا فقرى في المنزل حتى يأتيك، فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ.

فقالت: نفسي لنفسه فداء، أنا أحق بإتيانه، فتوكت وأقامت على عصا وأتت رسول الله ﷺ فسلمت، فرد عليها السلام وقال لها: يا أم علقمة، أصدقيني وإن كذبتني جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟

قالت: يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة.

قال رسول الله ﷺ: فما حالك؟

قالت: يا رسول الله، أنا عليه ساخطة.

قال: ولم؟

قالت: يا رسول، كان يؤثر على زوجته ويعصيني.

فقال رسول الله ﷺ: إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة، ثم قال:

يا بلال انطلق واجمع لي حطباً كثيراً! قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين

(1) الدر المشورج 5 ص 270.

يديك، قالت: يا رسول الله، ولدى لا يحمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدي. قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة. فقال رسول الله ﷺ: انطلق يا بلال إليه، وانظر هل يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله أم لا، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى، فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: لا إله إلا الله. فدخل بلال فقال: يا هؤلاء، إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه. ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه، ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره وقال: يا معشر المهاجرين والأنصار، من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها. فرضى الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها.. فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رؤوف رحيم⁽¹⁾..

1287. وقال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكرهما..

1288. وعن عمرو بن مرة الجهنى قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وأديت الزكاة، وحججت البيت، فماذا لي؟ فقال رسول الله ﷺ: من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه⁽²⁾..

(1) الكبائر ج 1 ص 45.

(2) الكبائر ج 1 ص 43.

1289. وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن رجلا هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن، فقال له رسول الله ﷺ: قد هاجرت من الشرك ولكنه الجهاد، هل لك أحد باليمن؟ قال: أبواى، قال: أذنا لك؟ قال: لا. قال: فارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما⁽¹⁾..

1290. وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن [البصرى رضي الله عنه]: قال رسول الله ﷺ: بر الوالدين يجزئ من الجهاد⁽²⁾..

وأخرج ابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنه قيل له: ما حق الوالد على الولد؟ قال: لو خرجت من أهلك ومالك ما أدبت حقهما..

1291. وروى عن جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ: ونحن مجتمعون فقال: يا معشر المسلمين، اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم، وإياكم والبغى فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى. وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ربح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام. والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين⁽³⁾..

1292. وقيل: ليس شيء أحط للذنوب من بر الوالدين..

1293. وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: من أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدا فواحدا، ومن أمسى عاصيا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدا فواحدا. فقال رجل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه⁽⁴⁾..

(1) الدر المشورج 5 ص 270.

(2) الدر المشورج 5 ص 270.

(3) الحديث رواه الطبراني في الأوسط.

(4) الدر المشورج 5 ص 268.

1294. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ لأبي: إذا أردت

أن تتصدق صدقة فاجعلها عن أبويك، فإنه يلحقها ولا ينتقص من أجرك شيئاً⁽¹⁾..

1295. وأخرج البيهقي عن المنكدر بن محمد قال: كان أبي يبيت على السطح يروح

على أمه، وعمى يصلى إلى الصباح، فقال له أبي: ما يسرنى أن ليلتى بليتك.

وعن عبد الله بن المبارك: قال محمد بن المنكدر: بات عمر أخى يصلى، وبت أغمز

رجل أمى، وما أحب أن ليلتى بليته. وأخرج ابن سعد عن محمد بن المنكدر: أنه كان

يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه: يا أمه قومى فضعى قدمك على خدى..

وأخرج عبد الرزاق فى المصنف والبيهقى عن طاوس قال: كان رجل له أربعة بنين

فمرض، فقال أحدهم: إما أن ترضوه وليس لكم من ميراثه شىء، وإما أن أمرضه وليس

لى من ميراثه شىء! قالوا: بل مرضه وليس لك من ميراثه شىء، فمرضه فمات ولم يأخذ

من ماله شيئاً. فأتى فى النوم، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار، فقال فى

نومه: أفيها بركة؟ قيل: لا. فأصبح فذكر ذلك لامرأته فقالت له: خذها فإن من بركتها أن

نكتسى منها ونعيش بها، فأبى. فلما أمسى أتى فى النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ

منه عشرة دنانير، فقال: فيها بركة؟ قيل: لا. فأصبح فذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل

ذلك فأبى أن يأخذها. فأتى فى النوم فى الليلة الثالثة أن ائت مكان كذا وكذا فخذ منه

دينارا، فقال: أفيها بركة؟ قيل: نعم. فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو

برجل يحمل حوتين، فقال: بكم هذان؟ فقال: بدينار، فأخذهما منه بالدينار ثم انطلق، فلما

دخل بيته شق الحوتين فوجد فى بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلهما، فبعث الملك

بدرة ليشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهباً. فلما رآها الملك قال: ما

تصلح هذه إلا بأخت، فاطلبوا مثلهما وإن أضعفتهم! فجاءوه فقالوا: عندك أختها ونعطيك

(1) شعب الإيمان ج 6 ص 204 رقم 7911.

ضعف ما أعطيناك؟ قال: أو تفعلون! قالوا: نعم. فأعطاهم أختها بضعف ما أخذوا الأولى.. [فانظر إلى ما أغدق عليه ربه من البركة والنعيم ببره لوالده]..

وأخرج عبد الرزاق في المصنف والبيهقي عن يحيى بن أبي كثير قال: لما قدم أبو موسى وأبو عامر على رسول الله ﷺ فبايعوه وأسلموا، قال: ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟ قالوا: تركناها في أهلها، قال: فإنها قد غفر لها.

قالوا: بم يا رسول الله؟

قال: ببرها والدتها، قال: كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءهم النذير أن العدو يريد أن يغير عليكم الليلة، فارتحلوا ليلحقوا بعظيم قومهم، ولم يكن معها ما تحتل عليه، فعمدت إلى أمها فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعت وضعتها ثم ألصقت بطنها بطن أمها وجعلت رجلها تحت رجل أمها من الرضاء حتى نجت⁽¹⁾..

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ: إذ طلع شاب فقلنا: لو كان هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله [أي كان مجاهداً] فسمع النبي ﷺ: مقاتلتنا فقال: وما في سبيل الله إلا من قتل؟! ومن سعى على والديه فهو في سبيل الله. ومن سعى على عياله فهو في سبيل الله. ومن سعى على نفسه يغنيها فهو في سبيل الله تعالى⁽²⁾..

وأخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها. قلت: فأى الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه⁽³⁾..

(1) الدر المشورج 5 ص 269.

(2) الدر المشورج 5 ص 268.

(3) الدر المشورج 5 ص 268.

وأخرج الحاكم وصححه وضعفه الذهبي عن أبي هريرة مرفوعاً: عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك منه، محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض⁽¹⁾..

1296. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان في بني إسرائيل شاب إذا قرأ التوراة خرج الرجال والنساء لحسن صوته، وكان يشرب الخمر، فقالت له أمه: لو علم بك عباد بني إسرائيل لأخرجوك من جوارهم. فدخل ليلة وهو سكران فقرأ التوراة فاجتمع الناس فقالت له أمه: قم فتوضأ، فضرب وجهها فقلع عينها وقلع سننها! فقالت: لا رضى الله عنك. فلما أصبح رآها قال: السلام عليك يا أماه، فلا أراك بعدها إلى يوم القيامة، فقالت: لا رضى الله عنك أينما توجهت. فذهب إلى جبل يعبد ربه فيه أربعين سنة. حتى لصق جلده على عظمه، ثم رفع رأسه وقال: يا رب، إن كنت غفرت لى فأعلمنى؟ فهتف به هاتف: رضائى من رضا أمك. فرجع إليها ونادى لها: يا مفتاح الجنة، إن كنت بالحياة واطرباه وإن كنت ميتة فواعذباه. فقالت: من هذا؟ فقال: ولدك. فقالت: لا رضى الله عنك. فتقدم إليها وقطع يده، وقال: هذه التى قلعت عينك لا تصحبني أبداً، ثم قال لأصحابه: اجمعوا لى حطباً وناراً ففعلوا، فوثب فيها وقال لجسمه: ذق نار الدنيا قبل نار الآخرة. فأخبروا أمه بذلك فنادته: يا قرة عيني أين أنت؟ قال: بين النيران، قالت: يا بنى رضى الله عنك. فأمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فمسح بريشة من جناحه على عينها وسنها فعادا كما كانا، ثم مسح يد ولدها فعادت كما كانت بإذن الله تعالى..

1297. وأخرج أحمد فى الزهد عن وهب بن منبه رضي الله عنه: أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل فقال: يا رب، بم تأمرنى؟ قال: بأن لا تشرك بى شيئاً.
قال: وبم؟ قال: وتبر والدتك.
قال: وبم؟ قال: وبوالدتك.

(1) الدر المشورج 5 ص 268.

قال: وبم؟ قال: وبوالدتك..

قال وهب بن منبه: إن البر بالوالدين يزيد في العمر، والبر بالوالدة ينبت الأصل.. وأخرج أحمد في الزهد عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال: رأى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغطه بمكانه، فسأل عنه فقالوا: نخبرك بعمله، [كان] لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يمشى بالنميمة ولا يعق والديه. قال: أى رب، ومن يعق والديه؟ قال: يستسب لهما حتى يسبا..

1298. قال عبدالرزاق عن معمر: قيل لابن طاوس في دين أبيه [عندما مات] لو استنظرت الغرماء؟ فقال: أستنظرهم [وأبى] عن منزله محبوس! فباع ما ثمنه ألف بخمسة..

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: من حج عن والديه بعد كتب له عتق من النار وكان للمحجوج عنهما أجر حجة تامة، من غير أن ينقص من أجورهما شيء⁽¹⁾.. عن عبد الله بن عباس قال النبي ﷺ: ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق، فإذا لحقته، كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها. وإن الله عز وجل ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال، وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم. قال أبو علي الحافظ: حديث غريب من عبد الله ابن المبارك. قال الإمام أحمد: قد رواه ببعض معناه محمد بن خزيمة البصرى أبو بكر عن محمد بن أبي عياش عن عبد الله بن المبارك وابن أبي عياش ينفرد به والله أعلم⁽²⁾..

حدثنا الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال: لما مات أبى جزعت جزعا شديدا فكنت أتى قبره في كل يوم، ثم إنى قصرت عن ذلك ما شاء الله، ثم إنى أتيت يومها، فبينما أنا جالس عند القبر غلبتنى عيناي فتمت، فرأيت كأن قبر أبى قد انفرج وكأنه قاعد

(1) شعب الإيمان ج 6 ص 205 رقم 7912.

(2) شعب الإيمان ج 7 ص 16.

في قبره متوشحاً أكفانه، عليه سحنة الموتى، كأنى بليت لما رأيته، فقال: يا بنى، ما بطأ بك عنى؟ قلت: وإنك لتعلم بمجيئى؟! قال: ما جئت من مرة إلا علمتها، وقد كنت تأتىنى فأسر بك ويسر من حولى بدعائك، قال: فكنت بعد آتية كثيراً..

1299. وأخرج البيهقي عن محمد بن النعمان، يرفع الحديث إلى النبی ﷺ قال: من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا⁽¹⁾..

1300. عن ابن عباس [قال ﷺ]: ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة، إلا كتب الله بكل نظرة حجة مبرورة.

قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة؟

قال: نعم، الله أكثر وأطيب⁽²⁾..

قالت عائشة: النظر في ثلاثة أشياء عبادة: النظر في وجه الأبوين وفي المصحف وفي البحر.

قيل: كان فيما أعطى الله تعالى موسى في الألواح: اشكر لى ولوالديك أقال المتالف وأفسح لك في عمرك وأحيك حياة طيبة وأفلتك إلى خير منها⁽³⁾..

وقال ﷺ: إذا نظر الوالد إلى ولده نظرة، كان للولد عدل عتق نسمة، قيل: يا رسول الله وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: الله أكبر⁽⁴⁾..

وقيل: من حق الوالد على ولده أن يخشع له عند الغضب، ويؤثره عند الشكاية والوصب..

وقيل: لا يبقى للولد من بر الوالد [بعد وفاته] إلا أربع: الصلاة عليه والدعاء له وإنفاذ عهده من بعده وصلة رحمه، وإكرام صديقه..

(1) الدر المنثور ج 5 ص 267.

(2) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45535.

(3) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45522.

(4) كنز العمال ج 16 ص 197 رقم 45507.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يقال للعاق، اعمل ما شئت من الطاعة فإنني لا أغفر لك، ويقال للبار: اعمل ما شئت فإنني أغفر لك⁽¹⁾..

عن معاذ ؓ: ليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة⁽²⁾..

عن ابن عمر ؓ: نومك على السرير برا بوالديك تضحكهما ويضحكانك، أفضل من جلادك بالسيف في سبيل الله عز وجل⁽³⁾..

عن جابر ؓ: يأكل الوالدان من مال ولدهما بالمعروف، وليس للولد أن يأكل من مال والديه إلا بإذنهما⁽⁴⁾..

1301- عن عائشة بنت طلحة: عن عائشة، عن رسول الله ﷺ قال: أسرع الخير ثوبا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم⁽⁵⁾..

• العشرون: الترف والتنعّم الزائد والغرور الكاذب ومجالسة أهل الأهواء والمترفين من أهل الدنيا:

قال هلال العيسى: قال الله تبارك وتعالى عن المترفين المنعمين في الدنيا المانعين لحقوق الله: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }⁽⁶⁾.. تلك الدار الآخرة "يعنى الجنة" نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض " أى رفعة وتكبرا على الإيثار والمؤمنين "ولا فسادا" عملا بالمعاصي. والمراد إنها ينتفع بتلك الدار من اتقى، ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له، لأنها تضره ولا تنفعه..

(1) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45527.

(2) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45528.

(3) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45524.

(4) الديلمى كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45526.

(5) مسند إسحاق بن راهويه ج 3 ص 1027.

(6) سورة القصص آية 83.

وقال تعالى { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا }⁽¹⁾.. أخبر الله تعالى أنه إذا أراد إهلاك قرية، أمر مترفيها بالطاعة إعدارا وإنذارا وتخويفا ووعيدا "فسقوا فيها" أى فخرجوا عن الطاعة عاصين. "فحق عليها القول" فوجب، عليها الوعيد. وعن ابن عباس: "أمرنا" جعلناهم أمراء؛ "فدمرناها" أى استأصلناها بالهلاك. "تدميرا" للمبالغة في العذاب الواقع بهم.

وفي الصحيح من حديث زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: خرج رسول الله ﷺ يوما فزعا محمرا وجهه يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والى تليها. فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث. وقد تقدم الكلام أن المعاصي إذا ظهرت ولم تغير، كانت سببا لهلاك الجميع والله أعلم⁽²⁾..

وقال تعالى { وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ }⁽³⁾.. أى: وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا.. وقال وقوله الحق { أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُمْ نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ }⁽⁴⁾.. أى أيحسبون أن الذى نعطيهم في الدنيا من المال والأولاد هو ثواب لهم، إنما هو استدراج وإملاء، ليس إسراعا في الخيرات بل إن ذلك فتنة لهم واستدراج.. وقال سبحانه { حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْهُ لَا تَنْصُرُونَ }⁽⁵⁾.. قال الضحاك: يعنى بالجوع حين قال النبي ﷺ: اللهم اشدد وطأتك على مضر الله اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف. فابتلاهم الله بالقحط والجوع

(1) سورة الإسراء آية 16.

(2) صحيح مسلم ج 4 ص 2208.

(3) سورة المؤمنون آية 33.

(4) سورة المؤمنون الآيات 55 / 56.

(5) سورة المؤمنون الآيات 64 / 65.

حتى أكلوا العظام والميتة والكلاب والجيف، وهلكت الأموال والأولاد⁽¹⁾. (إِذَا هُمْ
يَجْأَرُونَ) أى يضجون ويستغيثون. وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور.
وقال ابن جريج: (لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ) [فإنكم اليوم] من عذابنا (لا تُنْصَرُونَ) لا تمنعون
ولا ينفعكم جزعكم. قال قتادة: يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم..

{ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ }⁽²⁾.. أى فضلنا بالأموال
والأولاد، ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه لم يخولنا ذلك "وما نحن بمعذبين" لأن
من أحسن إليه فلا يعذبه. فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبه ﷺ:
"قل إن الله هو الذى يفاضل بين عباده فى الأرزاق امتحانا لهم، فسعة الرزق فى الدنيا لا
تدل على [رضى الله عليهم ولا هى دليل على] سعادة الآخرة، فلا تظنوا أموالكم وأولادكم
تغنى عنكم غدا شيئا..

{ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ }⁽³⁾.. أى إنما استحقوا العقوبة لأنهم كانوا فى الدنيا
متنعمين بالحرام. والمترف المنعم، قيمون على الشرك، وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم
الذى لا يتوبون منه..

قوله تبارك وتعالى { ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا }⁽⁴⁾.. أى
دعنى، وهى كلمة وعيد وتهديد. أى دعنى والذى خلقتة وحده لا مال له ولا ولد، ثم
أعطيته بعد ذلك ما أعطيته. وجعلت له مالا ممدودا أى بسطت له فى العيش بسطا، وإنما
خص بالذكر لا اختصاصه بكفر النعمة..

وقال سبحانه { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ }⁽⁵⁾..

(1) تفسير القرطبي ج 12 ص 135.

(2) سورة سبأ آية 35.

(3) سورة الواقعة آية 45.

(4) سورة المدثر الآيات 11 / 12.

(5) سورة التوبة آية 34.

1302. قال الطبري: الكنز كل شيء مجموع بعضه إلى بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها. وقيل: الكنز ما فضل عن الحاجة. قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له. وروى الترمذي وغيره عن ثوبان: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: قد ذم الله سبحانه الذهب والفضة، فلو علمنا أي المال خير حتى نكسبه. فقال عمر: أنا أسأل لكم رسول الله ﷺ فسأله فقال: لسان ذاك وقلب شاكر وزوجة تعين المرء على دينه. قال حديث حسن (1) ..

وقال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ } (2) ..

1303. أي إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام. والمترف المنعم، وكانوا يقيمون على الشرك لا يتوبون منه. قال الشعبي: هو اليمين الغموس وهي من الكبائر، يقال: حنث في يمينه أي لم يبرها ورجع فيها..

1304. قال أبو سعيد الخدري رحمه الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من غدا أو راح إلى أبناء الدنيا لطمع دنيا يصيبها فهو ممن اتخذ آيات الله هزوا (3) ..

1305. اعلم أن استيلاء الدنيا على الملوك [والمترفين من عليّة القوم أرباب المناصب والألقاب الرنانة] وإقبالها عليهم، شغلهم عن أمر الآخرة وأغفلهم عن مهمات الدين، فيجتاحون إلى اللذات ويهملون أمر الديانات، لأن النفوس مطبوعة على الميل إلى الترف وإيثار التمتع وكراهة التكليف، فلا ينبغي أن تخلو مجالسهم من علماء [صالحين ينجشون الله] لينهوهم عند الغفلة ويذكروهم، وقد كان ذلك شعار الملوك الغابرين والخلفاء الراشدين، في مجالسهم الحكماء واستماع مواعظ العلماء وكانوا في ذلك ثلاث طبقات. فمنهم طبقة: لما سمعوا الموعظة والتذكير، نبذوا ملك الدنيا الذي يفنى ليعتاضوا عنه

(1) تفسير الطبري.

(2) سورة الواقعة آية 45.

(3) مسند الشهاب ج 1 ص 272 رقم 443.

ملك الآخرة الذى يبقى، وأخرجوا ذلك من قلوبهم وأيديهم، واهتموا بأمر الآخرة والعمل لها، لينالوا الفوز الأكبر والنعيم الدائم. ومنهم طبقة: عند سماع الموعظة أخرجوا ملك الدنيا من قلوبهم ولم يخرجوه من أيديهم، واهتموا بأمر الآخرة مع بقائهم فى الملك، وهذه الطبقة مجاهدتهم عظيمة ومثلهم فى ذلك مثل من ألزم نفسه الظماً وبحضرته نهر بارد ينظر إليه ويقدر على تناول شربة، وهذا كان مقام الخلفاء الراشدين وأمرائهم وعمالهم ومن سلك سبيلهم. ومنهم طبقة: أصمهم حب الدنيا ونيل لذاتها عن استماع المواعظ وأعمى أبصارهم عن كل مذكر وواعظ! فآثروا اللذات على المهمات، وقطعتهم الشهوات عن أمور الديانات [{ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ }]⁽¹⁾..

1306. عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ: فذكر حديثاً طويلاً [وفيه] ومن عظم صاحب الدنيا ومدحه طمعا فى دنياه سخط الله عليه وكان فى درجة قارون فى أسفل جهنم⁽²⁾..

1307. قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون..

1308. قال بعض السلف: عن بعض أهل الترف [إنهم] يعصون الله فى أموالهم مرتين، يبخلون بها وهى فى أيديهم يعنى فى الحياة، ويسرفون فيها إذا خرجت عن أيديهم يعنى بعد الموت.. أخرجه الترمذى بإسناد حسن وصححه ابن حبان. عن أبى الدرداء مرفوعاً قال: مثل الذى يعتق ويتصدق عند موته، مثل الذى يهدى إذا شبع! وروى أبو داود وصححه ابن حبان من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً: لأن يتصدق الرجل فى حياته وصحته بدرهم، خير له من أن يتصدق عند موته بمائة..

(1) سورة الحشر آية 19.

(2) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ج 1 ص 310 رقم 205.

1309. وقيل: وجود الترف لا يدل على الشرف..

1310. قال الله تبارك وتعالى { تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }⁽¹⁾.. أى طلب مجالسة الأغنياء

والأشراف وصحبة أهل الدنيا..

1311. وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون مجالسة الأغنياء وأبناء الملوك. وقال:

مجالستهم فتنة إنما هم بمنزلة النساء [أى هناك خوف من الوقوع في فتنهم وذلك بالإعجاب بهم والرغبة بقربهم]⁽²⁾..

1312. وقيل: لا تطمع فى الأنس بالله مع الأنس بالمخلوقين..

1313. وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ: إذا رأيتم الله يعطى العبد ما يحب وهو

مقيم على معصيته، فإنما ذلك منه استدراج.. ثم تلا قوله تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ }⁽³⁾.. أى آيسون من النجاة وكل خير سديد ولهم الحسرة والحزن والخزي، لا غترارهم بترادف النعمة عليهم مع مقابلتهم لها بمزيد الإعراض والإدبار⁽⁴⁾..

ومن ثم قال الحسن [البصرى]: من وسع الله عليه فلم ير أنه مكر به فلا عقل له.

وقال فى قوم لم يشكروا: مكرهم ورب الكعبة، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا..

1314. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ: [عندما جلبت إليه أموال وذخائر

وتحف كسرى] اعتبروا بالدنيا وتقلباتها بأهلها، وما يرى من مصائبها وعطبها. هذا

كسرى ما زال يفتخر على ملوك الدنيا بكثرة أمواله وذخائره وجواهره وعزه وجنوده، ولم يقدم لنفسه شيئاً ينفعه عند الله. غرته الأمانى الكاذبة فأخذه الله من مأمنه، وبقي مرتهنا بما

(1) سورة الكهف آية 28.

(2) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية فى التفسير ج 15 ص 375.

(3) سورة الأنعام آية 44.

(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج 1 ص 166.

اكتسب في دينه ودنياه. أيها الناس: هذا ملك المدائن قد انتقل عن أصحابه وتوزع بين أربابه! أين تلك الحشمة والسلطان؟ أين الجنود والأعوان؟ أين الغلمان؟ أين المماليك والخدام؟ أين التاج والإكليل؟ أين الجيش والفيل؟ أين الصاحب والخليل؟ ثم قرأ قوله تعالى { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ }⁽¹⁾ ..

1315. وما أحسن قول الشاعر:

أَعْدُ عَلَى فِكْرِكَ أَسْلَافَ الْأُمَمِ وَقِفْ عَلَى مَا فِي الْقُبُورِ مِنْ رِمَمٍ
وَنَادِهِمْ أَيْنَ الْقَوَى مِنْكُمْ الْقَاهِرُ أَيْنَ الضَّعِيفِ الْمُهْتَزِّمِ
تَفَاصَلَتْ أَوْصَالُهُمْ فَوْقَ النَّوَى ثُمَّ نَسَاوَتْ تَحْتَهُ كُلُّ قَدَمٍ
قَبْرُ الْبَخِيلِ وَالْكَرِيمِ وَاحِدٌ مَا نَفَعَ الْبَخْلُ وَلَا ضَرَّ الْكَرَمُ

• الحادى والعشرون: الكبر والإعجاب بالنفس والزهو بالمناصب والألقاب.

والنظر للفقراء بعين الازدراء والاستهزاء:

نظرا ل فقرهم وضعفهم وعدم علو شأنهم في الدنيا، وقد قدر الله تعالى عليهم ذلك رحمة ومحبة بهم، لأن العلو قرن دائما بالفساد إلا من عصم ربي، قال تعالى { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }⁽²⁾ ..
{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ }⁽³⁾ ..

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ }⁽⁴⁾ ..

1316. قال سعيد بن المسيب: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني يا رسول

الله بجلساء الله يوم القيامة، قال: هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون لله كثيرا،

(1) سورة النساء آية 77.

(2) سورة القصص آية 83.

(3) سورة القصص آية 4.

(4) سورة الحجرات آية 11.

قال: يا رسول الله أهم أول الناس يدخلون الجنة؟ قال: لا، قال: فمن أول الناس يدخل الجنة؟ قال: الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون: ارجعوا إلى الحساب فيقولون على ما نحاسب؟ والله ما أفيضت علينا من الأموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسط، وما كنا أمراء نعدل ونجور. ولكننا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين⁽¹⁾..

1317- وقيل: إن الفقر أسلم للعباد، وأعلى الدرجات للعبد ما يكون أسلم له. وبيان ذلك أنه يسلم بالفقر من طغيان الغنى، قال الله تعالى {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفٍّ} ⁽²⁾.. وقال عز وجل {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ} ⁽³⁾.. قيل: إنما حملهم على ذلك طغيان الغنى، فإنه لم ينقل أن أحدا من الفقراء وقع في ذلك، فدل أن الفقر أسلم. ثم صفة الغنى مما تميل إليه النفس ويدعو إليه الطبع ويتوصل به إلى اقتضاء الشهوات، ولا يتوصل بالفقر إلى شيء من ذلك. وأعلى الدرجات ما يكون أبعد من اقتضاء الشهوات. قال الله تعالى {وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} ⁽⁴⁾.. وقال عز وجل {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ} ⁽⁵⁾.. والدليل عليه قوله ﷺ: حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات. وقال ﷺ: الفقر أزين على المؤمن من العذار الجيد على خد العروس. وقال ﷺ: إن فقراء أمتي يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام. وفي الآثار: إن آخر الأنبياء عليهم السلام دخولا الجنة سليمان عليه السلام للملكه⁽⁶⁾..

(1) الزهد لابن المبارك ج 2 ص 80 رقم 283.

(2) سورة العلق آية 6.

(3) سورة الفجر آية 11.

(4) سورة مريم آية 59.

(5) سورة آل عمران آية 14.

(6) الكسب ج 1 ص 51.

1318. قال ﷺ: اللهم من آمن بى وصدقنى وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك، فأقلل ماله وولده، وحبب إليه لقاءك، وعجل له القضاء. ومن لم يؤمن بى ولم يصدقنى ولم يعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك، فأكثر ماله وولده وأطل عمره. قال ابن حجر فى الفتاوى الحديثية: رواه ابن ماجه فى سننه والطبرانى بسند صحيح ومن شواهده ما أخرجه سعيد بن منصور بلفظ: اللهم من أغضبنى وعصانى فأكثر له من المال والولد، اللهم من أحبنى وأطاعنى فارزقه الكفاف⁽¹⁾..

1319. وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. رواه مسلم⁽²⁾..

وعن ابن مسعود: عن النبى ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر⁽³⁾. فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، فقال: إن الله جميل يحب الجمال⁽⁴⁾..

1320. وقال ﷺ: بينما رجل يتبختر فى بردين وقد أعجبته نفسه، خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة⁽⁵⁾..

1321. وعن واثلة بن الأسقع ؓ: قال رسول الله ﷺ: لا تظهر الشهادة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك⁽⁶⁾..

(1) [إلى آخر الحديث، كشف الخفاء ج 1 ص 218 رقم 568].

(2) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين رقم 1574.

(3) [الكبر: العظمة وكذا الكبرياء].

(4) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين رقم 1575.

(5) صحيفة همام بن منبه صحيفة همام ج 1 ص 45 رقم 64.

(6) رواه الترمذى وقال حديث حسن، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ج 1 ص 291 رقم

1577.

• الثاني والعشرون: حب الدنيا والحرص عليها من أى وجه كان وعدم الاعتبار

بحوادث الأيام:

1322. قال لقمان لابنه: يا بنى، من أردى الأخلاق للدين حب الدنيا والشرف، ومن يستحب الدنيا والشرف يستحل غضب الله، وغضب الله لا دواء له إلا رضوان الله تعالى، ومن أعون الأخلاق على الدين الزهادة فى الدنيا، ومن يزهد فى الدنيا يعمل لله تعالى، ومن يعمل لله تعالى يأجره الله عز وجل..

1323. عن أبى الدرداء رضي الله عنه: عن النبى ﷺ قال: حبك الشئ يُعْمِي وَيُصِمُّ ⁽¹⁾..

1324. وقيل: حب الدنيا رأس كل بلاء.

وقالوا: وأنفع ما عالج به المؤمن فى أمر دينه قطع حب الدنيا من قلبه، فإذا فعل ذلك هان عليه ترك الدنيا وسهل عليه طلب الآخرة..

ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

1325. وقيل: لا تطمع فى الخوف لله مع الرغبة فى الدنيا..

1326. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا معشر المهاجرين، لا تدخلوا على أهل الدنيا

فإنها مسخطة للرزق.

عن وهب بن منبه: مر رجل من العباد على رجل فوجده مهموما منكسا فقال: ما

شأنك أراك منكسا؟ فقال: [أتعجب من] أمر فلان، قد بلغ من العبادة ما قد علمت ثم

رجع إلى أهل الدنيا فقال: لا تعجب ممن يرجع، ولكن اعجب ممن يستقيم..

1327. وقال أحد الشعراء:

تُنَاجِيكَ أَحْدَاثٌ وَهْنٌ سُكُوتٌ وَسُكَاْنُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ

فِيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لَغَيْرِ بِلَاغَةٍ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 194 رقم 21740.

• الثالث والعشرون: طول الأمل ونسيان بغتة الموت:

قال تعالى تبارك وتعالى { ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (1) ..

وقال سبحانه { وَعَزَّتْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ } (2) ..

1328. عن الحسن [البصري] قال: اجتمع ثلاثة نفر فسأل بعضهم بعضا عن أمله، فقال أحدهم: لم يأت على شهر إلا ظننت أنى أموت فيه. فقال: إن هذا لأملا. وقال الآخر: يوم. فقال هذا أمل. فقليل للآخر: فقال: ما أمل من أجله بيد غيره؟

1329. وقالت أم المنذر: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال: أيها الناس أما تستحون من الله؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون (3) ..

1330. وقال أبو سعيد الخدري رحمه الله: اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر! إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسى بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى، ولا رفعت طرفى فظننت أنى واضعه حتى أفيض، ولا لقمتم لقمة إلا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت. ثم قال: يا بنى آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسى بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين (4) ..

1331. وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له: يا رسول الله إن الماء منك قريب، فيقول: ما يدرينى لعل لا أبلغه (5) ..

(1) سورة الحجر آية 3.

(2) سورة الحديد آية 14.

(3) أخرجه ابن أبى الدنيا. إحياء علوم الدين ج 4 ص 453.

(4) أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل. أنساب الأشراف ج 1 ص 209.

(5) أخرجه ابن المبارك فى الزهد ج 1 ص 99 وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والبزاز بسند ضعيف.

وروى أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد، فغرز عودا بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده! فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل.. أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا واللفظ له⁽¹⁾..

1332. وقال الشيخ: مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية، إن أخطأته المنيا وقع في الهرم⁽²⁾..

• الرابع والعشرون: حب المال وعدم المبالاة من أين يكتسبه:

1333. حدثنا زكريا عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب ويهوى بأصبعه إلى أذنيه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام⁽³⁾..

1334. عن الشعبي، قال: كانت بين رجل ممن يزعم أنه مسلم وبين رجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: أحاكمك إلى أهل دينك أو قال: إلى النبي ﷺ لأنه قد علم أن رسول الله ﷺ لا يأخذ الرشوة في الحكم. فاختلفا فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة! فنزلت { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا }⁽⁴⁾.. يعنى [الرجل] الذى من الأنصار (وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ) يعنى اليهودى. (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) إلى الكاهن (وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) أمر هذا فى

(1) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 86.

(2) أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن. إحياء علوم الدين ج 4 ص 453.

(3) إلى آخر الحديث مصنف ابن أبى شيبة ج 4 ص 448 رقم 22003.

(4) سورة النساء آية 60.

كتابه، وأمر هذا في كتابه. وتلا { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (1) ..

1335. سئل رسول الله ﷺ: عن أشراط الساعة فقال: إذا رأيت الناس قد ضيعوا الحق وأماتوا الصلاة، وأكثروا القذف، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشوة، وشيدوا البنيان، وأعظموا أرباب الأموال، واستعملوا السفهاء، واستحلوا الدماء، فصار الجاهل عندهم ظريفاً والعالم ضعيفاً، والظلم فخراً، والمساجد طرقاتاً، وتكثر الشرط، وحليت المصاحف، وطولت المسارات، وخربت القلوب من الدين، وشربت الخمر، وكثر الطلاق وموت الفجأة، وفشا الفجور وقول البهتان، وحلفوا بغير الله، واثمن الخائن وخان الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذياب، فعندها قيام الساعة. هذا حديث حسن (2) .. [أسألك بالله يا من اطلعت على هذا الحديث أن تتمعن في كل ما ذكره الرسول ﷺ بتدبر ثم تتفكر أبقى شيء مما قاله النبي ﷺ عن علامات قيام الساعة، غير الدجال والدابة ويأجوج وطلوع الشمس من المغرب ونزول عيسى ابن مريم ﷺ] ..

1336. وعن مسروق قال: سألت ابن مسعود عن السحت، أهو الرشوة في الحكم؟ قال: لا، وَمَنْ لَمْ يُحَكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. ولكن السحت: أن يستعينك رجل على مظلمة فيهدى لك، فتقبله، فذلك السحت ..

1337. عن جابر أن النبي ﷺ كان يبعث رجلاً من الأنصار من بنى بياضة يقال له فروة فيخرس تمر أهل المدينة. وقال الزهري: لما أتاهم بن رواحة جمعوا له حلياً من حلى نسائهم فأهدوها إليه، فقال: يا معشر يهود والله إنكم لأبغض خلق الله إلى وما ذاك بحاملي أن أحيف عليكم، وأما ما عرضتم على من هذه الرشوة فإنها سحت وإننا لا نأكلها ثم

(1) سورة النساء آية 65.

(2) الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية ج 4 ص 538.

خرص عليهم ثم خيرهم أن يأخذوها أو يأخذها هو فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض فأخذوها بذلك الخرص - الخُرَّاص: هو من يقدر مقدار كمية الثمار.

1338. أخبرنا رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف قال: كنت مع عمر بن أبي سلمة عند عبد العزيز بن مروان قال: فكأنه أبطأ في الدخول عليه، فذكرت ذلك له فقال: البواب سألتني شيئاً، قلت: فأعطه. قال: ولكنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله الراشئ والمرتشئ. فأنا أكره أن أعطيه شيئاً لذلك..

1339. قال ابن عباس: من جار في الحكم وهو يعلم، ومن حكم بغير علمه، ومن أخذ الرشوة في الحكم فهو من الكافرين..

1340. عن الحسن قال: إذا دخلت الرشوة من الباب خرجت الأمانة من الكوة..

1341. عن وهب بن منبه قال: إن الرشوة تغطي عين الحكيم، فأين موقعها من

الجاهل؟

1342. عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ:

لعن الله الآكل والمطعم الرشوة⁽¹⁾..

1343. عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ الراشئ والمرتشئ

والماشئ في الرشوة⁽²⁾..

1344. وحاصل المذهب أنه [من] كان أكثر ماله من الرشوة والحرام، لم يحل قبول

الجائزة منه..

1345. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد

إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره.. يعني والله أعلم أنه يدخل عليه، وإن لم يعمل

(1) أخبار القضاة ج 1 ص 48.

(2) الكامل في ضعفاء الرجال ج 5 ص 372.

به من غير قصد له ولا اكتساب، كما يدخل الغبار في المشام للمجتاز، لفشو الربا [في المعاملات] وانتشار مداخله مما لا يمكن التحرز منه⁽¹⁾..

وفي الخبر: درهم من ربا أعظم عند الله عز وجل من ثلاثين زنية في الإسلام، وما تواعد الله عز وجل ولا تهدد في معصية مثل ما تواعد في أكل الربا فإنه عز وجل أعظم شأنه بوصفين عظيمين إعظاماً له وترهيباً منه، فذكر في أوله المحاربة لله عز وجل ولرسوله ﷺ وفي آخره الخلود في النار. ينتظم ذلك في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁽²⁾..

ثم اشترط للإيمان ترك الربا بقوله تعالى { إن } وهي للشرط والجزاء ثم قال { فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }⁽³⁾..

ثم أوجب التوبة منه بعد إعلامه الظلم منه فقال تعالى { وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ }⁽⁴⁾..

ثم نص على تحريمه في قوله تعالى { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }⁽⁵⁾.. ثم تواعد بالخلود بعد ذلك كله فقال { وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }⁽⁶⁾.. وهذا من شديد الخطاب وعظيم العذاب.

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: طلب الحلال فريضة بعد الفريضة، فسوى بينه وبين العلم، في الفرض وأوجب الطلب لهما، والفرائض إذا شرعت ثبتت إلى يوم

(1) سنن أبي داود ج 3 ص 243.

(2) سورة البقرة آية 278.

(3) سورة البقرة آية 279.

(4) سورة البقرة آية 279.

(5) سورة البقرة آية 275.

(6) سورة البقرة آية 275.

القيامة، فإذا أمر بطلبها دَلَّ على وجودها لأنه لا يؤمر بطلب معدوم، فالحلال موجود من حيث افترض علينا وأمرنا بطلبه، ثم إنَّ الفرائض لها علوم وأحكام؛ فمن لم يعرف علومها ولم يقيم بأحكامها فكأنه لم يعلمها.

وكان عمر رضي الله عنه يضرب أهل السوق بالدرة ويقول: لا يتجر في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا. وفي الخبر: من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله عز وجل، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء. ويقال: إنَّ أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه.

وقد كان شعيب بن حرب وغيره يقول: لا تحقر دانقاً من حلال تكسبه تنفقه على نفسك وعيالك أو أخ من إخوانك، فلعله لا يصل إلى جوفك أو لا يصل إلى غيرك حتى يغفر لك.

وفي الخبر: من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه، وزهده في الدنيا. ويقال: من أكل حلالاً وعمل في سنة فهو من أبدال هذه الأمة. وكان سهل يقول: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يأكل الحلال بالورع. وقال يوسف بن أسباط لشعيب بن حرب: أشعرت أنَّ الصلاة جماعة سنة وأن كسب الحلال فريضة؟ قال: نعم.

وسأل رجل إبراهيم بن أدهم قال: أنا رجل أكتسب في السوق، فإذا عملت فاتتني الصلاة في جماعة، فأبى أحبَّ أصلي في جماعة أو أكتسب؟ فقال: اكتسب من حلال وأنت في جماعة.

وكان سهل يقول: لا يبلغ العبد حقيقة هذا الأمر حتى يؤدي هذه الأربع: أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الممات.

وقال: مَنْ لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه، ولم ترفع العقوبة عن قلبه، ولم يبال بصلاته وصيامه إلا أن يعفو الله عز وجل عنه.

وقال: من اختار أن يرى خوف الله في قلبه ويكشف بآيات الصديقين، لا يأكل إلاّ حلالاً ولا يعمل إلاّ في سنة أو ضرورة.
وكان يقول: إنما حرموا مشاهدة الملكوت، وحجبوا عن الوصول بشيئين: سوء الطعمة وأذى الخلق.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ: جسد غذى بحرام لا يدخل الجنة، النار أولى به⁽¹⁾..

وفي الخبر [عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه]: أنه أكل من كسب غلامه، ثم سأله عنه فقال: رقيت لقوم فأعطوني، وفي لفظ آخر: تكهنت لهم، فأدخل يده في فيه وجعل يقيء حتى استقأه عن آخر لقمة، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك ما حملت العروق وخالط الأمعاء! وقد روى أنّ رسول الله ﷺ أخبر بذلك فقال: أو ما علمتم أنّ الصديق لا يدخل جوفه إلاّ طيباً⁽²⁾..

وفي الخبر: أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ أن يجعله الله مستجاب الدعوة فقال: يا سعد، أطب طعمتك تستجب دعوتك.

وقال العلماء: الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة، ويقال: إن الله لا يستجيب دعاء عبد حتى يصلح طعمته ويرضى عمله.

وقال جماعة من السلف: الجهاد عشرة أجزاء؛ تسعة في طلب الحلال. وقال علي بن الفضيل لأبيه: يا أبت، إنّ الحلال عزيز، فقال: يا بني، إنه وإن عزّ فقليله عند الله كثير.

ويقال: إنّ مَنْ صَلَّى وفي جوفه طعام حرام، أو على ظهره سلك من حرام لم تقبل صلاته. وقال بعض السلف: يا مسكين إذا صمت فانظر عند من تفطر وطعام من تأكل، فإنّ العبد ليأكل الأكلة فيقلب قلبه وينغل كما نغل الأديم فلا يعود إلى حاله أبداً، وهذا

(1) الترغيب والترهيب ج 2 ص 349.

(2) الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسناداً ج 6 ص 313.

أحد التأويلين في قوله ﷺ: كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش. قيل: هو الذى يصوم ويفطر على الحرام.

وذكر النبى ﷺ الحريص على الدنيا فذمه ثم قال: رب أشعث أغبر مشرد فى الآفاق مطعمه حرام وملبسه حرام غذى بالحرام، يرفع يده فى صلاته فيقول: يا ربّ يا ربّ، فأنى يستجاب له ذلك؟!

وفى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ: أن الله عزّ وجلّ ملكاً على بيت المقدس ينادى فى كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل، قيل الصرف النافلة والعدل الفريضة.

وفى حديث عن النبى ﷺ: من اكتسب مالاً من حرام وإن تصدق به لم يقبل منه، وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار⁽¹⁾..

وقيل فى معنى قول الله عزّ وجلّ { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ }⁽²⁾..

قيل: من أكل حراماً فقد قتل نفسه، لأنه كان سبب هلاكها وتعذيبها.
وفى الأخبار المشهورة: إنّ الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب.
وقال يوسف بن أسباط وسفيان الثورى رحمهما الله: لا طاعة للوالدين فى الشبهة.
وقال الفضيل بن عياض: من قام فى موقف ذل فى طلب الحلال حشره الله مع الصديقين ورفعهم إلى الشهداء فى موقف القيامة.
وقال أبو سليمان وغيره من العلماء: لا يفلح من استحيا من طلب الحلال.

(1) موضح أوهام الجمع والتفريق ج 2 ص 181.

(2) سورة النساء آية 29.

وفي بعض التفسير [قوله تبارك وتعالى { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً }⁽¹⁾ .. قيل: أكل الحرام. كما قيل في قول تعالى { فَلْنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً }⁽²⁾ .. قيل: نرزقه حلالاً. وقد قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }⁽³⁾ .. قيل: من الحلال، كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً }⁽⁴⁾ .. أى من الحلال، فأمر بأكل الحلال قبل العمل الصالح وهكذا قال العلماء: زكاة الأعمال بأكل الحلال، فكلما كانت الطعمة أحل كان العمل أزكى وأنفع.

وقالوا: الحلال ما لم يعص الله عز وجل في أوله ولم ينس في آخره وذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه، ولم يؤخذ من أيدي الظالمين. وفي الخبر: من لم يبال من أين مطعمه، لم يبال الله تعالى من أى أبواب النار أدخله. وقيل: ذلك في التوراة مكتوب.

وقيل: الحلال هو ما أحله الكتاب والسنة، وهو بغية المؤمنين وطعمة المتقين ومقام الصالحين فطلبه جهاد وإطعامه برّ والمعاونة عليه تقوى وأكله عبادة والمدمن عليه مؤمن تقى..

1346. عن وهب بن منبه قال: ليست الرشوة التى يأثم فيها صاحبها، بأن يرشو فيدفع عن ماله ودمه [أو لاستعادة حقوق سلبت منه لضياع العدل وعلو الظلم]، إنما الرشوة التى يأثم فيها أن ترشو لتعطى ما ليس لك..

1347. وفي نوابغ الحكم: أن البراطيل تنصر الأباطيل.

(1) سورة طه آية 124.

(2) سورة النحل آية 97.

(3) سورة البقرة آية 172.

(4) سورة المؤمنون آية 51.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدى له فقبل فذلك السحت، فقبل له: ما كنا نرى السحت إلا الأخذ على الحكم! قال: الأخذ على الحكم كفر..

1348. قال بعض العلماء: الرشوة مأخوذة من الرشا، لأنه يتوصل بها إلى مطلوبه كالحبل ولهذا قيل: الرشوة رشا الحاجة، ثم الرشوة محرمة على القاضي وغيره من الولاة مطلقاً لأنها [لا] تدفع إليه ليحكم بحق أو ليمتنع من ظلم وكلاهما واجب عليه، فلا يجوز أخذ العوض عليه [تحت أى مسمى إكرامية أو هدية أو هبة أو مساعدة أو ترقية أو تعيين أو منحة] وأما دافع رشوة توصل بها إلى باطل، فحرام عليه. وهو المراد بالراشى الملعون. [أما] إن توصل بها إلى تحصيل حق [ضائع مفقود لا يتوصل إليه إلا بها، أو دفع ظلم، من ظالم قاهر متنفذ الكلمة] فليس بحرام. ويختلف الحال فى جوازه ووجوبه باختلاف المواضع..

1349. وأنشد رجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم قوله:

وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ خَصَمًا كَبَيْتُهُ عَلَى الْوَجْهِ حَتَّى خَاصَمْتَنِ الدَّرَاهِمُ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْخُصُومَةَ غُلِبْتُ عَلَى وَقَالُوا قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمٌ

• الخامس والعشرون: حب النفاق والمنافقين والاستماع لهم والإعجاب بهم وبأقوالهم والنظر بالتمنى إلى ما آلوا إليه من رفعة فى الدنيا:

النفاق بلاء قديم قدم الإنسانية، نهى الله عنه فى القرآن الكريم وكذلك نهى رسول الله ﷺ عنه لما فيه من تزييف وقلب للحقائق، والتقرب إلى البعض على حساب الآخرين. ومن الغريب أن الشخص المنافق يعلم تمام العلم بأن ما يقال عنه غير حقيقى وغير صحيح، ونراه مع ذلك يهش ويهش بما يمدح به! ويمنح الجوائز للمنافق ويقربه إليه ويتسم وينظر إلى الآخرين كأنه يقول لهم: انظروا فهذه بعض صفاتى. ونراه يشجع

الآخرين على اكتشاف ما خفى من مزاياه وفوائده التي لا توجد. وعلى مدحه بما يعلم هو تمام العلم، ويعلم المنافق⁽¹⁾ له بعدم توفره به. ومن العجب أن المنافقين يرتقون بنفاقهم ويصعدون في هذه الدنيا إلى الدرجات العلا بنفاقهم وفي الآخرة إذ هم في الدرك الأسفل من النار. ومصدق هذا ما أنزل الله فيهم في قرآنه الكريم، قال تعالى { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا }⁽²⁾ ..

{ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا }⁽³⁾ ..

{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }⁽⁴⁾ ..

{ لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ }⁽⁵⁾ .. بدأ سبحانه الوعيد للمنافقين والمنافقات ثم للكفار بنار جهنم يصلونها جميعا ولهم عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ماكثين فيه أبدا، لا يحيون فيه ولا يموتون عقابا لهم. [قد] أبعدهم الله من رحمته ..

1350. وقال مجبر الأموي:

يَا مَنْ عَصَى اللَّهَ مَغْرُورًا بِرَحْمَتِهِ اَعْمَلْ لِرَبِّكَ مَا يَرْضَى بِإِخْلَاصٍ
إِنَّ الَّذِي جَعَلَ الْفِرْدَوْسَ مَنْزِلَةً لِمَنْ أَطَاعَ أَعَدَّ النَّارَ لِلْعَاصِي

(1) وللتوسع في الاطلاع عنهم وعن أخبارهم وصفاتهم وما أعدده الله لهم، ينصح بالاطلاع على كتابنا (قصص النفاق وأخبار المنافقين في الدين والتاريخ والأدب العربي) فقد ذكرت من أخبارهم وقصصهم ما ليس بقليل وما جاء عنهم بتوسع.

(2) سورة النساء 145 .

(3) سورة النساء آية 140 .

(4) سورة التوبة آية 68 .

(5) سورة آل عمران آية 196 .

• السادس والعشرون: التسويف فى التوبة والكذب فى الوعد وعدم إنجاز العهد:

معنى التسويف فى اللغة:

1351. سَوْفَ كلمة تنفيس فيها لم يكن بعد، ألا ترى أنك تقول: سَوْفَهُ إِذَا قُلْتَ لَهُ

مرة بعد مرة: سوف أفعل. وقولهم: فلان يقتات السَّوْفَ⁽¹⁾. أى يعيش بالأمانى.

قال تعالى يحض على الوفاء بالوعد عند قطع العهد قال تعالى:

{ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ }⁽²⁾..

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ }⁽³⁾..

{ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ }⁽⁴⁾..

قال جل وعلا { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوَاءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ

قَرِيبٍ }⁽⁵⁾..

وقال تعالى { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ

قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ }⁽⁶⁾..

1352. ومعناه: عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة

يردفعها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال ﷺ: أتبع السيئة

الحسنة تمحها.

(1) التَّسْوِيفُ: أى المطل.

(2) سورة المائدة آية 1.

(3) سورة الصف الآيات 2 / 3.

(4) سورة الإسراء آية 34.

(5) سورة النساء آية 17.

(6) سورة النساء آية 18.

ولذلك قال لقمان لابنه: يا بني، لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطرين عظيمين: أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعاً فلا يقبل المحو. الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو، ولذلك ورد في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسوية. فما هلك من هلك إلا بالتسوية..

1353. عن عكرمة رضي الله عنه في قوله تعالى { وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ } ⁽¹⁾.. قال: التسوية { حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَكَمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } ⁽²⁾.. قال: الشيطان..

1354. وعن أبي الجوزاء: في قوله وتعالى { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً } ⁽³⁾.. قال: تسوية..

1355. قال [نبي الله] صالح عليه السلام لقومه: { تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } ⁽⁴⁾.. ولذلك سباه وعدا..

1356. عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أربعة من كن فيه كان منافقا أو كانت فيه خصلة من الأربع، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ⁽⁵⁾..

1357. وروى عن محمد المخرمي قال: سمعت الحسن [البصري] يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان ⁽⁶⁾..

(1) سورة الحديد آية 14.

(2) سورة الكهف آية 28.

(3) سورة هود آية 65.

(4) سورة التوبة الآيات 75 / 77.

(5) سنن النسائي ج 6 ص 329 رقم 11751.

(6) الكشف والبيان ج 5 ص 75.

1358. عن محمد بن كعب القرظي قال: سمعت بالثلاث التي يذكر المنافق إذا

اؤتمن خان وإذا وعد أخلف وإذا حدث كذب. فالتستها في الكتاب زمانا حتى سقطت عليها بعد حين وجدت الله يذكر فيه { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (1) .. ووجدت في [سورة] الأحزاب { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (2) ..

1359 - وفي الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لعن المسوِّفة من النساء: وهى التى تدافع زوجها

إذا دعاها إلى فراشه، ولا تقضى حاجته، [أى: بدون عذر شرعى بل غرضها إجباره على تنفيذ طلباتها وخضوعه وطاعته لها مقابل هذا الشيء] (3) ..

1360. قال سهل: التقوى ترك التسويف..

1361. عن قال السرى: من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة..

1362. عن أبى إسحاق قال: قيل لرجل من عبد القيس أوص؟ قال: احذروا

سوف. وعن الحسن [البصرى] قال: إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غد لك فكن فى غد كما كنت فى اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت فى اليوم..

(1) سورة التوبة آية 75.

(2) سورة الأحزاب الآيات 72 / 73.

(3) تهذيب اللغة ج 13 ص 63.

1363. عن أنس قال: التسويف جند من جنود إبليس عظيم، طالما خدع به..

1364. مدح رجل قوما فقال: أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغرهم السلامة المنظوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به آجالهم، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال..

1365. عن أبى سعيد الخدرى قال: خطبنا رسول الله ﷺ بعد العصر إلى مغرب الشمس فلم يبق شىء يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، علمه من علمه وجهله من جهله فقال: إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا وإن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدوته ولواء عند إسته⁽¹⁾..

• السابع والعشرون: الغيبة والنميمة واللعن والسب:

1366. حدثنا الأوزاعى، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: ذكرت الغيبة عند النبى ﷺ فقال: الغيبة أن يذكر الرجل بما فيه من خلقه أو خلقه. قالوا: يا رسول الله ما كنا نرى الغيبة إلا أن نذكر بما ليس فيه من خلقه؟ قال رسول الله ﷺ: ذلكم البهتان⁽²⁾..

1367. وعن أبى قلابة: قال رسول الله ﷺ: البر لا يبلى والإثم لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت، كما تدين تدان⁽³⁾..

وأخبرنا معمر عن الأعمش أن عمر بن الخطاب ؓ قال: ما شأنكم إذا سمعتم الرجل يمزق عرض أخيه لم تردوه؟! قالوا: نخاف لسانه، قال: ذلك أدنى ألا تكونوا شهداء..

(1) مسند الحميدى ج 2 ص 331 رقم 752.

(2) الزهد لوكيع ج 1 ص 181.

(3) الجامع ج 11 ص 178 رقم 20262.

1368. عن قتادة قال: سب رجل عند عمر بن عبدالعزيز الحجاج بن يوسف، فقال عمر عليه السلام: أظلمك [الحجاج] بشيء؟ قال: نعم ظلمني بكذا وكذا، قال عمر: فهلا تركت مظلمتك حتى تقدم عليها يوم القيامة وهى وافرة..

عن أبى قلابة أن أبا الدرداء عليه السلام مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونونه فقال: رأيتم لو وجدتموه فى قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذى عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخى.. وعن ابن مسعود قال: إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبا فلا تكونوا أعوانا للشيطان عليه تقولوا: اللهم اخزه اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإننا أصحاب محمد كنا لا نقول فى أحد شيئا حتى نعلم على ما يموت، فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرا، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله..

1369. عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا طويلا [فيه]: ومن اغتاب مسلما بطل صومه، ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك، مات كالمستحل ما حرم الله ومن مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله عليه فى قبره نارا تحرقه إلى يوم القيامة ثم يدخله النار⁽¹⁾..

1370. عن همام قال: ذكر لحذيفة رجل لا يزال يرفع الحديث إلى السلطان [أى يتجسس] فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة قتات⁽²⁾..

(1) مسند الحارث (زوائد الهيثمى) ج 1 ص 313 رقم 205.

(2) [القتات: النمام الذى يتسمع كلام الناس من حيث لا يعلمون ثم ينقل ما سمع ليتقرب للسلطان وأعوانه سواء كان تقربا إليهم، أو أن هذا طبيعة عمله الذى يتقاضى عليه راتباً. فى الماضى كان للدفاع عن الدولة الإسلامية ثم تغيرت الأمور بعد ذلك فأصبح للدفاع عن السلطان. فيا سبحان الله على من كان عمله الإيقاع بالآخرين وأعوذ بالله من طبيعة هذا العمل ولا أدرى كيف سيقابل الله صاحبه يوم القيامة]. الزهد لوكيع ج 2 ص 5.

عن عطاء بن السائب قال: قدمت من مكة فلقيني الشعبي فقال لي: يا أبا زيد أظرفنا ما سمعت قلت: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم ولا آكل الربا ولا مشاء بنميم. فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك⁽¹⁾ الدم وأكل الربا. فقال الشعبي: وما تعجب من ذلك؟ وهل تسفك الدماء وتستحل المحارم إلا بالنميمة؟ عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس: من هؤلاء الذين ندهم الله إلى الويل؟ فقال { ويل لكل همزة لمزة }⁽²⁾.. قال: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان الباغون البراء العنت⁽³⁾..

عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين؛ فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر⁽⁴⁾ من بوله وأما هذا فكان يمشى بالنميمة. ثم دعا بعسيب⁽⁵⁾ رطب فشقه باثنين، فغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا⁽⁶⁾..

عن الحسن [البصري] : قال رسول الله ﷺ: من الخيانة أن يحدث الرجل بسر أخيه⁽⁷⁾..

1371. عن كعب قال: اتقوا النميمة فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر، ومن كان ذا لسانين، جعل الله له لسانين من النار. والغيبة تحبط العمل..

(1) سفك الدم: [القتل بغير جرم].

(2) سورة الهمزة آية 1.

(3) الباغون: جمع باغ. العنت: المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا والحديث يحتملها كلها.

(4) لا يستتر: لا يوارى جسده ويبعده عن رذاذ البول ولا يستبرئ ولا يتحفظ منه.

(5) العسيب: جريدة من النخل. وهي السعفة مما لا يَنْبُتُ عليه الخوص.

(6) ييس: جف. الزهد لوكيع ج 2 ص 5.

(7) الزهد لوكيع ج 2 ص 8.

1372. عن عمرو بن ميمون قال: لما تعجل موسى إلى ربه، مر برجل غبطه بقربه من العرش فسأل عنه، فقال: يا رب من هذا؟ ف قيل له: لن نخبرك باسمه وسنخبرك بعمله، إنه كان لا يحسد الناس على ما آتاهم من فضله وكان لا يمشى بالنميمة، وكان لا يعق والديه. قال: يا رب وكيف يعق الرجل والديه؟

قال: يستسب لهما حتى يسبا⁽¹⁾..

1373. قيل: اللعن في اللغة البعد. واللعان: الذي يتكرر منه اللعن، كالمداح..

ورد في النهي عن اللعن أحاديث منها:

1374. روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لا يكون

اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة⁽²⁾..

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً.

وفي رواية الترمذى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ليس المؤمن بالطعان ولا

باللعان ولا الفاحش ولا البذيء.

وفي سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن العبد إذا لعن شيئاً

صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، فتهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها

دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان أهلاً

لذلك نزلت عليه وإلا رجعت إلى قائلها⁽³⁾..

1375. قال جابر بن عبد الله: سرنا مع رسول الله ﷺ وهو يطلب المجدي بن عمرو

الجهنى وكان الناضح يعتقبه منا الخمسة والستة والسبعة، فدنا عقبة رجل من الأنصار

على ناضح له فأناخه فركبه ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن فقال: شأ لعنك الله. فقال

(1) الزهد لوكيع ج 2 ص 6.

(2) أمالي ابن سمعون ج 2 ص 94.

(3) شعب البيهقي. أمالي ابن سمعون ج 2 ص 94.

رسول الله ﷺ: من هذا اللاعن بعيره؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: انزل عليه فلا تصاحبنا بملعون. لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الساعة فيستجيب لكم⁽¹⁾..

1376. عن زيد بن أسلم قال: كان عبد الملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء فتبيت عند نسائه ويسألها عن الشيء، فقام ليلة فدعا خادمة فأبطأت عليه فلعنها، فقالت: لا تلعن فإن أبا الدرداء حدثني أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن اللعائن لا يكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء⁽²⁾..

وعن حميد بن هلال رفع الحديث قال: لا تلعنوا بلعنة الله، ولا بغضب الله ولا بجهنم⁽³⁾..

وعن عمران بن حصين قال: لعنت امرأة ناقة لها، فقال النبي ﷺ: إنها ملعونة فخلوها عنها فلقد رأيتها تتبع المنازل ما يعرض لها أحد ناقة ورقاء⁽⁴⁾..

وأخبرنا سالم قال: ما لعن ابن عمر رضي الله عنهما خادما له قط إلا واحدا فأعتقه. وعن أبي ظبيان أن حذيفة قال: ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول..

1377. وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه لما لعن الواصلة والمستوصلة الحديث، أنكرت ذلك عليه امرأة! فقال ابن مسعود: ما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ومن لعنه في كتاب الله؟ وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله واليهود وغيرهم، ومحال أن تكون لعنته هؤلاء رحمة عليهم فمن لعن من يستحق أن يلعن فمباح. ومن لعن من لا

(1) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج 13 ص 51 رقم 5742.

(2) الجامع ج 10 ص 412 رقم 19530.

(3) الجامع ج 10 ص 412 رقم 19531.

(4) الجامع ج 10 ص 412 رقم 19532.

يستحق اللعن فقد أثم. ومن ترك اللعن عند الغضب ولم يلعن مسلماً ولم يسبه فذلك من عزم الأمور⁽¹⁾..

1378. [ومن حديث] عن سراقه بن مالك عن النبي ﷺ: اتقوا مجالس اللعن⁽²⁾..

1379. وقيل: لا تتخذن اللعن والشتيم على عدوك سلاحاً، فإنه لا يجرح في نفس،

ولا منزلة ولا مال ولا دين..

1380. قال ابن عباس: استب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فسب أحدهما

والآخر ساكت والنبي ﷺ جالس، ثم رد الآخر فنهض النبي ﷺ فقيل: نهضت؟ قال:

نهضت الملائكة فنهضت معهم، إن هذا ما كان ساكتاً ردت الملائكة على الذي سبه فلما رد

نهضت الملائكة⁽³⁾..

• الثامن والعشرون: الكذب والبهتان والافتراء:

ومن بعض ما أتى في القرآن الكريم ذاماً للكذب دالاً على عقوبة من يأتيه قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }⁽⁴⁾.. أى لا يصلح الكذب في

هزل ولا جد..

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }⁽⁵⁾..

{ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ }⁽⁶⁾.. أى لعن الكذابون الذين يخرصون الكذب..

(1) التمهيد لما في الموطأ من ج 17 ص 404.

(2) علل الحديث ج 1 ص 36.

(3) الأدب المفرد ج 1 ص 151 رقم 419.

(4) سورة التوبة آية 119.

(5) سورة الأنعام آية 21.

(6) سورة الذريات آية 10.

{ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ }⁽¹⁾ .. الاختلاق الكذب
{ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ }⁽²⁾ .. أى: تكذبون..
{ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }⁽³⁾ .. أى: قول الكذب..

1381. عن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: إياكم والكذب، فإن الكذب يهذى إلى
الفجور وإن الفجور يهذى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا،
وعليكم بالصدق فإن الصدق يهذى إلى البر، وإن البر يهذى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا⁽⁴⁾..

1382. عن الزبير أن النبي ﷺ قال: من ضمن لى ستا ضمننت له الجنة:
قالوا: ما هن يا رسول الله؟

قال: إذا حدث صدق وإذا وعد أنجز وإذا أؤتمن أدى ومن غص بصره وحفظ فرجه
وكف يده، أو قال لسانه⁽⁵⁾..

1383. عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم حتى
يترك المراء وإن كان محققاً، ويترك الكذب وإن كان لا عبا⁽⁶⁾..

1384. عن أنس بن مالك ؓ قال رسول الله ﷺ: من لم يدع الكذب والخنا فليس
حاجة لله فى أن يدع طعامه وشرابه - يعنى الصائم⁽⁷⁾..

(1) سورة ص آية 7.

(2) سورة يوسف آية 94.

(3) سورة الحج آية 30.

(4) الزهد لوكيع ج 1 ص 449.

(5) الجامع ج 11 ص 160 رقم 20200.

(6) الجامع فى الحديث ج 2 ص 539 رقم 434.

(7) مصنف عبد الرزاق ج 4 ص 193 رقم 7455.

1385. عن قتادة قال النبی ﷺ: خير أمتی القرن الذین بعثت فیهم، ثم الذین یلونهم ثم الذین یلونهم، ثم یتظهر الکذب. فیحلفون ولا یتحلفون، ویشهدون ولا یتشهدون، وینذرون ولا یفون⁽¹⁾..

1386. قال مالک ﷺ: فأما الذی یحلف علی الشیء وهو یعلم أنه آثم، ویحلف علی الکذب وهو یعلم لیرضی به أحداً أو ليعتذر به إلى معتذر إلیه أو لیقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فیہ کفارة⁽²⁾..

1387. عن موسى بن أبی شیبة أن رسول الله ﷺ أبطل شهادة رجل فی کذبة. ولا أدري ما كانت تلك الکذبة، أكذب علی الله أم کذب علی رسولہ ﷺ⁽³⁾..

1388. قال أبو بکر ﷺ: إياکم والکذب فإن الکذب بجانب الإیمان..
قال عبد الله: اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدث کذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر، ثم قرأ {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} ⁽⁴⁾..

1389. قال الزهري: لا یرخص فی شیء مما یقول الناس إنه کذب إلا فی ثلاث: الزوج لامراته والمرأة لزوجها، وفي المودة والإصلاح بین الناس، وفي الحرب فإن الحرب خدعة..

1390. قال رجل لأبى حنیفة: ما کذبت کذبة قط. قال: أما هذه فواحدة يشهد بها علیک.. وقال میمون بن میمون: من عرف بالصدق جاز کذبه، ومن عرف بالکذب لم یجز صدقه..

(1) مصنف عبد الرزاق ج 11 ص 87 رقم 19996.

(2) موطأ مالک ج 2 ص 477.

(3) الجامع ج 11 ص 159 رقم 20197.

(4) سورة التوبة آية 75.

1391. عن ابن مسعود قال: ألا وإن شر الروايا روايا الكذب، ألا وإن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل صبيه ثم لا ينجز له. وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر..

1392. وعن أم ولد محرز بن زهير، رجل من أسلم من أصحاب النبي ﷺ: أنها كانت تسمع محرزاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من زمان الكاذبين، فقالت له: وما زمان الكاذبين؟ قال: زمان يظهر فيه الكذب فيذهب الذي لا يريد أن يكذب فيتحدث بحديثهم، فإذا هو قد دخل معهم في كذبهم.

1393. قال يزيد بن ميسرة: إن الكذب يسقى باب كل شر كما يسقى الماء أصول الشجر..

1394. قال ثوبان رضي الله عنه: الكذب كله إثم، إلا ما نفع به مسلماً أو دفع عنه ضرراً..

1395. وقيل: كفاك موبخاً على الكذب، علمك بأنك كاذب..

• التاسع والعشرون: البخل والشح وقبض اليد خوف الفقر:

قال تعالى { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }⁽¹⁾..

1396. وفيه مسائل: المسألة الأولى: أن يحمل هذا على ظاهره، وهو أنه تعالى يطوقهم بطوق يكون سبباً لعذابهم. قيل: إنه تعالى يصير تلك الأموال في أعناقهم حية تكون لهم كالأطواق تلتوى في أعناقهم ويجوز في سائر أبدانهم، فأما ما يصير من ذلك في أعناقهم فعلى جهة أنهم كانوا التزموا أداء الزكاة ثم امتنعوا عنها، وأما ما يلتوى منها في سائر أبدانهم فعلى جهة أنهم كانوا يضمون تلك الأموال إلى أنفسهم فعوضوا منها بأن جعلت حبات التوت عليهم كأنهم قد التزموها وضموها إلى أنفسهم. ويمكن أن يكون الطوق

(1) سورة آل عمران آية 75.

طوقا من نار يجعل في أعناقهم، ونظيره قوله تعالى { يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ }⁽¹⁾.. وقال أيضا فيهم { الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ }⁽²⁾..

1397. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق⁽³⁾..

1398. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا⁽⁴⁾.

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: لا يجتمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم⁽⁵⁾..

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: شر ما في الرجل، شح هالع وجبن خالع⁽⁶⁾..

وعن ابن الأحمس قال: قلت لأبي ذر رضي الله عنه، حديث بلغني عنك تحدث عن النبي ﷺ: قال سمعته منه وقلته، فذكر ثلاثة يشنأهم الله: البخيل والمنان والمختال⁽⁷⁾....
عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من البخل⁽⁸⁾..

(1) سورة التوبة آية 35.

(2) سورة الحديد آية 24.

(3) الزهد لابن حنبل ج 1 ص 247.

(4) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 331 رقم 26607.

(5) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 331 رقم 26608.

(6) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 331 رقم 26609.

(7) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 331 رقم 26612.

(8) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 331 رقم 26613.

عن طلحة بن عبيد الله بن كرز رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها⁽¹⁾..

• الثلاثون: الحقد والحسد والبغضاء والتنافس على الدنيا وحطامها:

1399. قيل: من ألبسه الله نعمة فليكثر من الحمد لله، ومن كثرت همومه فليستغفر الله ومن أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ومن نزل مع قوم فلا يصم إلا بإذنهم، ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه، فإن القوم أعلم بعورة دارهم، وإن من الذنب المسخوط به على صاحبه، الحقد والحسد والكسل في العبادة والضنك في المعيشة..

1400. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق أو قال العشب. رواه أبو داود⁽²⁾..

1401. قال الإمام الغزالي: وحسبك أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد فقال تعالى { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }⁽³⁾.. إذ لا مستعان عليه إلا بالله رب العالمين..

1402. قيل: بُئِست الخصلتان: الحقد والحسد، أعاذنا الله منها..

1403. قال الشيخ عز الدين: الحسد بالقلب ذنب بين الحاسد وبين الرب تعالى، لا تقف صحة التوبة عنه على تحليل المحسود، بخلاف آثاره فإنها أذية للمحسود فلا تصح التوبة عنها إلا بالخروج عن عهدها، لأن الضرر ليس بمجرد الحسد وإنما هو بتعاطي آثاره..

1404. وقيل: من بات في نعمة رجل ثم بات حاسدا له، فهو أظلم الظالمين.

(1) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 331 رقم 26617.

(2) بدائع السلك ج 1 ص 528.

(3) سورة الفلق آية 5.

1405. وقيل: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، يعنى حسد إبليس آدم ﷺ.

وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعنى حسد ابن آدم أخاه حتى قتله..

1406. وقيل: حسد إبليس آدم أن يسجد له لأنه خير منه فحمله الحسد على

المعصية..

1407. وحكى أن عون بن عبد الله: دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على

واسط فقال: إني أريد أن أعظك بشيء، فقال: وما هو. قال: إياك والكبر: فإنه أول ذنب

عصى الله به. ثم قرأ { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }⁽¹⁾.. وإياك والحرص: فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله سبحانه

من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها، إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها، فأكل

منها، فأخرجه الله تعالى منها، ثم قال { اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا }⁽²⁾.. وإياك والحسد: فإنما قتل

ابن آدم أخاه حين حسده، ثم قرأ { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ

أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }⁽³⁾.. وإياك [وذكر

أصحاب رسول الله].

إذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك. وإذا ذكر القدر والنجوم فاسكت..

1408. يحكى أن رجلا كان يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك، ويقول: أحسن

إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيه مساويه، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام

فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذى يقوم [بجوارك] ويقول ما يقول يزعم أنك أبخر.

فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعو به إليك فإذا دنا منك ووضع يده

على أنفه لئلا يشم ريح البخر. فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك فدعا

(1) سورة البقرة آية 34.

(2) سورة البقرة آية 38.

(3) سورة المائدة آية 27.

الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، وقام بحذاء الملك، فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيه مساويه. فقال له الملك: ادن مني؟ فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلان إلا وقد صدق. وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة، فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله [به] إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلى!!

فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه لي؟ فقال هو لك. فأخذه ومضى إلى العامل، فقال العامل: في الكتاب أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أرجع إلى الملك؟ فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به. ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال: مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعلت بالكتاب؟!

فقال: لقيني فلان فاستوهبني إياه فوهبته، فقال الملك أنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر، قال: ما قلته قط. قال: فلم وضعت يدك على فيك لما أدنيتك وقربتك؟ قال: كان أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه. قال: صدقت، ارجع إلى مكانك فقد كفأك المسيء مساويه..

• الواحد والثلاثون: الغلظة والفظاظة في التعامل مع الآخرين:

الفظاظة: الإفراط في الشدة حتى يستعمل اللسان بالشتيم، واليد بالبطش في غير موضعه..

قال تعالى لرسوله ﷺ داعيا إلى الرحمة { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }⁽¹⁾..

(1) سورة ال عمران آية 159.

1409. وعن كعب قال: إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله لا فظاً، ولا

غليظ ولا صحّاب في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح..

1410. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ألا أنبئكم بأهل النار، كل فظ غليظ

مستكبر. ألا أنبئكم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره⁽¹⁾..

1411. وقيل: من كان قلبه محجوباً عن الله، وصدره مظلماً بغيوم الهوى ودخان

الشهوات ورين الذنوب من قلة الرحمة وقلة المبالاة وترك النصيحة، ظهرت [منه] الفظاظة واليبوسة والغلظة والقسوة ورذائل الأخلاق، وخرج إلى الفرعنة والتجبر كل على قدره، أشرا وبطراً في هيئة أهل الكفر بالله والجحود..

1412. وزير المأمون أحمد بن أبي خالد أبو العباس: كان ذا رأى وفطنة، إلا أنه

كانت له أخلاق وفظاظة، فقال له رجل: والله لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ!! فقال: والله لئن لم تخرج مما قلت لأعاقبك. فقال: قال الله تعالى لنبيه ﷺ: { وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }⁽²⁾.. وأنت فظ غليظ القلب، ولا ينفضون من حولك!!

• الثاني والثلاثون: الجزع والطيش والعجلة وهي من الشيطان، وترك الثبوت في الأمر:

1413. الله يحب من عنده العلم والأناة، فلا يعجل بل يثبت حتى يستيقن ما ورد

عليه، ولا يعجل بأمر من قبل استحكامه، فالعاجلة والطيش من الشيطان، فمن ثبت عند صدمة، استقبل أمره بعلم وجزم وحمد أمره، ومن لم يثبت لها استقبله بعجلة وطيش وعاقبته الندامة. ولهذا في الدعاء الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن النبي ﷺ: اللهم

(1) الدر المنثور ج 5 ص 124.

(2) سورة آل عمران آية 159.

انى أسالك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد⁽¹⁾.. وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح وما أتى العبد إلا من تضييعهما".

1414. وقيل: من أخلاق الشيطان العجلة والطيش، والإنسان بطبعه عجول ولكن الله تعالى خلق له العقل، وأرشده إلى الثبوت والتأنى، فمن استعمل عقله فى تحصيل هذين الخلقين فقد فارق الشيطان فى الطباع.

وعن أنس: قال ﷺ: التأنى من الله (أى الثبوت فى الأمور) والعجلة من الشيطان. قال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشيطان لأنها خفة وطيش وحدة فى العبد، تمنعه من الثبوت والوقار والحلم، وتوجب وضع الشئ بغير محله وتجلب الشرور.

وعن الغزالى قال: العجلة فعل الشئ قبل أوانه الأليق. فإن قيل: فإذا كانت العجلة من الشيطان فما الحكمة فى طبع الإنسان على العجلة؟ قلت: لتكون العجلة مطية فى طريق الآخرة فإذا جمحت به إلى غير ذلك، حبسها بزمام العقل. وعن حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا فى خمس فإنها من سنة الرسول ﷺ: إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب.

وقيل: العجلة إنما تكون مذمومة فى الأمور الدنيوية لاحتياجها إلى التأمل والتفكير لعدم العلم بعواقبها. وأما فى الأمور الآخروية فليست بمذمومة لقوله تبارك وتعالى { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ }⁽²⁾.. وقال تعالى { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ }⁽³⁾.. [وقوله تبارك وتعالى { وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى }⁽⁴⁾..

(1) مفتاح دار السعادة ج 1 ص 142.

(2) سورة الحديد آية 21.

(3) سورة البقرة آية 148.

(4) سورة طه آية 84.

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وما لم يستعجل. قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت فلم يستجب فيتحسر عند ذلك ويدع الدعاء⁽¹⁾.. فلا ينبغي أن يتعجل [المرء الله في شيء] ولا يمل من الدعاء لأنه عبادة، إن الله يحب الملحين في الدعاء..

قال أحد الشعراء:

لَا تَعْجَلَنَّ لِأَمْرٍ أَنْتَ طَالِبُهُ فَقَلَّمَا يُدْرِكُ الْمَطْلُوبَ دُو الْعَجَلِ
فَدُو الثَّانِي مُصِيبٌ فِي مَقَاصِدِهِ وَدُو التَّعَجُّلِ لَا يَخْلُو عَنْ الزَّلَلِ

حكى عن لقمان الحكيم أنه قال: إني تعلمت الحكمة من العميان! فإنهم لا يضعون أقدامهم قبل الفحص، فإن [كان] فيه تمكين يضعون ويمشون، وإلا فيتركون ويطلبون جهة أخرى فيها تمكين، فلذا لا أفعل شيئاً بلا تأمل ما فيه وفي عاقبته..

• الثالث والثلاثون: قطيعة الأرحام:

1315. اعلم أن قطع الرحم حرام كبير ووصلها واجب.

وفي الدرر: صلة الرحم واجبة ولو بسلام وهدية وتحية، وهي معاونة الأقارب والإحسان إليهم والتلطف بهم والمجالسة لهم والمكالمة معهم، ولا يرد بعضهم حاجة بعض، لأنه من القطيعة، وينزل العم والأخ والخال منزلة الوالد. وتنزل الخالة والعمة منزلة الأم في التوقير والطاعة وفي الخدمة. وفي شرح المشارق: اختلفوا في الرحم التي يجب صلتها، قال قوم: هي قرابة كل ذي محرم. وقال آخرون: هي قرابة كل قريب محرماً كان أو غيره..

1416. قال الله تعالى فيمن وصل الرحم { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ }⁽²⁾..

(1) بريقة محمودية ج 4 ص 142.

(2) سورة الرعد آية 21.

وقال تعالى فيمن قطع الرحم { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } (1) ..

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ من القطيعة؟ قال: نعم ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك (2) ..

1417. عن جبير بن مطعم: أن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة قاطع رحم (3) ..

1418. عن أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم (4) ..

وعن أبي أيوب الأنصاري: أن أعرابيا عرض لنبي الله ﷺ في مسير له، فأخذ بحكام الناقة أو زمامها فقال: يا رسول الله أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم (5) ..

• الرابع والثلاثون: طاعة النساء:

قال هلال العيسى: قال تعالى { الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ } (6). وسمى الله تعالى الزوج سيدا بنص القرآن الكريم لقوله تعالى في حكاية امرأة عزيز مصر { وَالْفَتَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ } (7). أى زوجها وله عليها العلو والسيادة. وهى لها التحية منه لقوله تعالى

(1) سورة محمد الآيات 22 / 23 .

(2) الآداب للبيهقى ج 1 ص 7.

(3) حلية الأولياء ج 7 ص 308.

(4) الآداب للبيهقى ج 1 ص 7.

(5) الآداب للبيهقى ج 1 ص 7.

(6) سورة النساء الآية رقم 34.

(7) سورة يوسف الآية رقم 25.

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةً نُوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا }⁽¹⁾.

فإذا انقلب السيد مُسخرًا فقد بدل نعمة الله كفرا. [وقس] نفس المرأة على مثال نفسك. إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخيت زمامها فترا جذبتك ذراعا! وإن كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها. لذا قيل: إن طاعة الزوجة لا تأتي بخير في الغالب. لأن النساء لا يتكلمن إلا بما فيه هوى هن، سواء أكان كلامهن نصحا أو زجرا أو ذما أو مدحا. لذلك جاءت أحاديث كثيرة في النهي عن طاعة الرجل امرأته وهو أمر معقول، فإن من النقص أن ينزل الرجل نفسه في غير منزلتها اللاتقة بها. فإن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء. ومن هو قائم على شيء فهو أفضل منه من كل جهة، ومن شأنه أن يكون مطاعا لا مطيعا ومتبوعا لا تابعا بسبب ما آتاه الله تعالى من كمال العقل والقوة والفكرة وحصافة الرأي وسلامته من الهوى، وله أن يستشير زوجته في المسائل التي يستأنس بها بآراء النساء. وله أن يداريها ويهاشيها على فكرها فيما تريده، مما ليس محرما ولا مكروها، كي لا يكون في عشرته معها جافيا..

1419. عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: إذا كان أمراؤكم أى ولاية أموركم خياركم أى اتقياؤكم وأغنياؤكم سمحاؤكم أى أسخياؤكم، وأموركم شورى بينكم أى متشاورون فيها ومنه قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم. فظهر الأرض خير لكم. يعنى الحياة خير لكم من الموت. وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نساءكم، أى مفوض إلى رأيهن والحال أنهن ناقصات، فبطن الأرض لكم خير من ظهرها⁽²⁾..

(1) سورة التحريم الآية رقم 10.

(2) سنن الترمذى ج 4 ص 529 رقم 2266.

1420. عن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: طاعة النساء ندامة⁽¹⁾..
1421. وفي صحيح البخارى عن أبى بكر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. وروى أيضا: هلك الرجل حين أطاعت النساء⁽²⁾..
1422. وعن النبي ﷺ أنه قال: أربعة من أطاع فيها امرأته أكبه الله على وجهه في النار: الثياب الرقاق والحمامات والمناحات والعرائس⁽³⁾..
1423. قول النبي ﷺ: تعس عبد الدينار والدرهم، تعس عبد الزوجة، تعس عبد الخميصة أى الذين يذلون لهذه الأشياء ويسعون لها⁽⁴⁾.. [وقال ﷺ: تعس عبد الزوجة. إنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها، فهو عبدها وقد تعس فإن الله سبحانه قد ملكه أمر المرأة، فملكها هو نفسه فعكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا]..
1424. وقيل: طاعة النساء ندامة. ومشاورتهن غرامة. اعص هواك والنساء. وأطع من تشاء. فطاعة النساء⁽⁵⁾ تردى العقلاء، وتذل الأعزاء!

(1) مسند الشهاب ج 1 ص 160 رقم 2263.

(2) اقتضاء الصراط ج 1 ص 224، كنز العمال 44504 ج 1 ص 3358.

(3) أدب النساء لابن حبيب ص 401 لم نقف على حديث بهذه الصيغة وإنما على معانيه متفرقة في أحاديث مختلفة: المعجم ج 4 ص 36.

(4) قوت القلوب ج 2 ص 51.

(5) [أكتفي بهذا القدر عن النساء ومن أراد التوسع فعليه بكتابي / كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء من له أذن فليسمع ومن له عين فليقرأ أقسى ما قالته العرب والعجم وفلاسفتهم على مر العصور في كيد وغدر وعدم وفاء النساء وأقسى ما قاله الرجال والنساء في النساء. والذي تقرب صفحاته من ألف ومئتي صفحة ففيه بإذن الله ما يغنى اللبيب عن الأزداد].

• الخامس والثلاثون : صحبة السوء :

اعلم أنه من جالس أهل الغفلة والجرأة على المعاصي سرى إلى نفسه هذا الداء، وسوف يقول { يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ }⁽¹⁾ .. والنبي ﷺ يقول: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال⁽²⁾ ..

1425. عن الحسن: قال رسول الله ﷺ: صاحب الصدق خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء⁽³⁾ ..

1426. عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة⁽⁴⁾ ..

1427. ويقال: صاحب السوء جذوة من النار..

1428. وقالوا: بئس الشيء القرين السوء. وقالوا: صاحب السوء قطعة من النار..

1429. عن سعيد بن أبي أيوب قال: لا تصاحب صاحب السوء، فإنه قطعة من النار لا يستقيم وده ولا يفى بعهده..

1430. عن الربيع بن أنس رحمه الله قال: مكتوب في الحكمة، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم..

1431. قال قتادة: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يصحب صاحب السوء لا يسلم..

1432. قال لقمان لابنه: يا بني، من لا يملك لسانه يندم، ومن يكثر المراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يصحب الصالح يغنم..

(1) سورة الفرقان آية 28.

(2) رواه أحمد 8212 والترمذي 2378 وأبو داود 4833 وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 927.

(3) الجامع في الحديث ج 2 ص 602.

(4) الدعاء للطبراني ج 1 ص 399 رقم 1338.

1433- عن عمران بن حطان قال أبو الدرداء: لصاحب صالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملئ الخير خير من الساكت، والساكت خير من مملئ الشر..

وقال أبو حاتم: العاقل لا يصاحب الأشرار، لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار لا يستقيم وده ولا يفى بعهده. وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم..

وقال هلال العيسى: ما خلق الله خلقا أضر من إبليس والنساء وصاحب السوء..

• السادس والثلاثون: سماع الغناء:

قال تبارك وتعالى { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ }⁽¹⁾..

1434- روى عن ابن مسعود وجماعة من أهل التأويل في قوله تعالى { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ }⁽²⁾.. أنه الغناء. وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات. وقال: الغناء ينبت النفاق في القلب⁽³⁾..

1435- وعن ابن عباس قال: (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ) هو الغناء ونحوه وشرى المغنية.

وعن مجاهد رحمته الله قال: هو الغناء والغناء منه والاستماع إليه.

وعن عكرمة رحمته الله قال: هو الغناء.

عن سفيان عن حبيب قال: هو الغناء..

(1) سورة لقمان آية 6.

(2) سورة لقمان آية 6.

(3) صحيح البخاري لابن بطال ج 9 ص 70.

1436. عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: إن الغناء ينبت النفاق في القلب⁽¹⁾..

1437. عن صفوان بن أمية، قال: كنا عند رسول الله ﷺ: فجاء عمرو بن مرة فقال: يا رسول الله، إن الله كتب على الشقوة فلا أرانى أرزق إلا من ضرب دفي بكفى، فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة.

فقال رسول الله ﷺ: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت أى عدو الله، فقد رزقك الله حلالا طيبا، فاخترت ما حرمه الله عليك من رزقه، مكان ما أحل الله لك من خلال. ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك، قم عنى وتب إلى الله. أما إنك إن فعلت بعد التقديم شيئا ضربتك ضربا وجيعا وجعلتك مثلة ونفيتك من أهلِكَ وأحللت سلبك نهبه لفتيان المدينة. فقام عمرو وبه من الشر والحزن ما لا يعلمه إلا الله، فقال ﷺ بعد ما تولى: هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة، حشره الله كما كان يوم القيامة، نحننا عربانا لا يستتر من الناس بهديه، كلما قام صرع⁽²⁾..

1438. وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن فضيل بن عياض قال: الغناء رقية الزنا. وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن أبى عثمان الليثى قال: قال يزيد بن الوليد الناقص: يا بنى إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا..

1439. عن الشعبى قال: إن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع، وإن الذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء الزرع. قال أبو عبد الله: فاحتجوا بهذه الأخبار وما أشبهها. وقالوا: كل من أتى كبيرة فهو منافق..

(1) العلل المتناهية ج 2 ص 785 رقم 1310.

(2) المنهيات ج 1 ص 36.

1440. عن أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: لا يحل بيع المغنيات ولا تعليمهن ولا تجارة فيهن. وقال: ثمنهن حرام⁽¹⁾..

1441. قال الشافعي في من يغنى ويتخذ الغناء صناعته، ويكون منسوباً إليه مشهوراً به معروفاً [وكذلك] المرأة. [قال]: لا تجوز شهادة واحد منهما وذلك أنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، وأن من صنع هذا كان منسوباً إلى السفه وسقطة المروءة، ومن رضى بهذا كان مستخفاً..

1442. عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا سمع صوتاً أو دفاً قال: ما هو؟ فإذا قالوا: عرس أو ختان صمت.. وعن سعيد بن المسيب قال: إني لأبغض الغناء.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: صوتان فاجران فاحشان ملعونان، صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة فأما الصوت عند المصيبة، فخمش الوجوه وشق الجيوب ونتف الأشعار ورن شيطان، وأما الصوت عند النعمة، فلهو باطل ومزمار شيطان..

1443. عن وهب بن منبه أنه قرأ فيما قرأ من الكتب: أن الله تعالى لما لعن إبليس وأخرجه من الجنة قال: يا رب لعنتني وجعلتني شيطاناً رجيماً، وأنزلت الكتاب وبعثت الرسل، فما رسل؟ قال: رسل الكهنة، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: فما حديثي؟ قال: حديثك الكذب، قال: فما قراءتي؟ قال: قراءتك الشعر، قال: فما مؤذني؟ قال: مؤذنك المزامير، قال: فما مسجدي؟ قال: مسجدك السوق، قال: فما بيتي؟ قال: بيتك الحمام، قال: فما طعامي؟ قال: طعامك كل ما لم يذكر اسمي عليه، قال: فما شرابي؟ قال: شرابك كل مسكر، قال: فما مصائدِي؟ قال: مصائدك النساء⁽²⁾..

(1) العلل المتناهية ج 2 ص 783 رقم 1306.

(2) كتاب الأشربة ج 1 ص 6.

1444. وأخبرني العباس بن محمد الدوري، قال: سمعت إبراهيم بن المنذر، وسئل، فقيل له: أنتم تترخصون في الغناء؟ فقال: معاذ الله، ما يفعل هذا عندنا إلا الفساق..
 1445. عن نافع قال: سمع ابن عمر رضي الله عنهما زمماراً، فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق وقال لي: يا نافع، هل تسمع شيئاً؟ فقلت: لا. فرفع إصبعيه عن أذنيه..
 1446. ومروا ابن عمر رضي الله عنهما يقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى قال: ألا لا سمع الله لكم. ومروا بجارية صغيرة تغنى، فقال: لو ترك الشيطان أحداً لترك هذه..
 1447. سئل القاسم بن محمد، عن سماع الغناء فقال: إذا ميز الله بين الحق والباطل يوم القيامة، أين يقع الغناء؟ قيل: في حوز الباطل. قال: فأفت نفسك..

• السابع والثلاثون: كثرة النوم والأكل والامتلاء شبعاً وإن كان من حلال:

1448. قال النبي ﷺ: ثلاثة تورث قسوة القلب: حب النوم وحب الراحة وحب الأكل⁽¹⁾..
 1449. عن جابر بن عبد الله: عن النبي ﷺ قال: قالت أم سليمان، لسليمان عليهما السلام: يا بني، لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل يدع الرجل فقيراً يوم القيامة⁽²⁾..

1450. عن جابر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: أينام أهل الجنة؟ قال: النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة⁽³⁾..
 1451. عن المقدام بن معدى كرب أن رسول الله ﷺ قال: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يضمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه⁽⁴⁾..

(1) تنقيح القول الحثيث ج 1 ص 65.

(2) ضعفاء العقيلي ج 4 ص 456.

(3) شعب الإيمان ج 4 ص 183 رقم 4745.

(4) نهاية الأرب في فنون الأدب ج 18 ص 164.

1452. وبالجمله: كثرة النوم ردى فى ذلك لأنه يثقل ويكسل..

1453. قال بشر: لم أر شيئاً أفصح للعبد من بطنه..

• الثامن والثلاثون: كثرة الضحك والمزاح واللهو واللعب:

قال تعالى { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }
* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا {⁽¹⁾..

1454. هذا نهى عن الخيلاء وأمر بالتواضع. والمرح: شدة الفرح. وقيل: التكبر فى

المشى وتجاوز الإنسان قدره. وقال قتادة: هو الخيلاء فى المشى وهو البطر والأشر.

وقيل: هو النشاط، وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين: أحدهما مذموم

والآخر محمود. فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الإنسان قدره مذموم، والفرح والنشاط

محمود. إنك لن تخرق الأرض يعنى لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها أى لن تخرق الأرض

بكبرك ومشيك عليها [فليس لك قدرة على ذلك فما أنت إلا إنسان ضعيف مغرور

بصحته فاعلم مقدار حجمك ولا تغتر بما تعتقده قوة لديك]. ولن تبلغ الجبال طولا أى

لن تساوى الجبال بطولك ولا تطاولك بعظمتك، أى بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ [لكى

يكون هناك مبرر على غرورك] بل أنت عبد ذليل محاط بك من تحتك ومن فوقك، محصور

ضعيف فلا يليق بك التكبر. فكل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها، إشارة إلى جملة ما

تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه. لا يرضاه الله عز وجل ولا يأمر به..

1455. وقيل: أصل الضحك ليس بمذموم، لأن المميت للقلب هو كثرة الضحك

لا مطلق مُطلقة..

1456. عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك

تميت القلب⁽²⁾.. أى تصيره مغمورا فى الظلمات بمنزلة الميت الذى لا يقدر على نفع نفسه

(1) سورة الإسراء الآيات 37 / 38.

(2) الترمذى 2305 ابن ماجه 4217 وصححه الألبانى فى صحيحه 506 و927 و2046.

ولا دفع الضر عنها وحياته أو إشراقه مادة كل الخير، وموته وظلمته مادة كل شر، وحياته تكون قوته وسمعه وبصره وتصوره المعلومات وحقائقها على ما هي عليه..
1457. قال الأحنف: كثرة الضحك تُذهب الهيبة، وكثرة المَرَح تُذهب المروءة، ومَن لَزِمَ شيئاً عُرِفَ به..

1458. عن يحيى بن أبي كثير: قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: يا بني، لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تستخف فؤاد الرجل الحكيم..
1459. وقيل: كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل..
1460. وقالوا: كثرة الضحك تورث قسوة القلب، وهي مفضية إلى الغفلة، وليس موت القلب إلا الغفلة..

1461. ويقال: الضحك من غير [سبب] نوع من الجنون.
وقيل: يكره الضحك في خمسة مواضع:
عند الجنازة وعند المقابر وعند المفجوع بالمصيبة وعند قراءة القرآن وعند ذكر الله.
ويقال: الضحك من غير [سبب] نوع من الجنون..

* * *

الفصل السادس

خلاصة علاج قسوة القلب

باتباع الآتى والله الهادى لسواء السبيل:

- ذكر الله تعالى ومراقبة الله تعالى فى السر والعلن.
- التحدث بنعم الله سبحانه وتعالى.
- حفظ الجوارح عما يغضب الله.
- اتباع سنة الرسول ﷺ والافتداء به.
- الولاء والبراء.
- تلاوة القرآن خاصة قرآن الفجر.
- المواظبة على الصلاة وقيام الليل وأداء النوافل والحرص على ذلك.
- تعلم العلم الشرعى ممن شهد لهم بالتقوى والصلاح، الزاهدين فى الدنيا ومناصبها وأهلها.
- تذكر الجنة والنار.
- بر الوالدين والإحسان لهما.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ترك النفاق.
- الكسب الحلال.
- الدعاء والإلحاح فيه.
- الحرص على التزود من الدنيا للآخرة وأخذ الكفاية من متاعها.
- الصدقة، وخاصة صدقة السر.
- العطف على الفقراء والمساكين والأرامل والمسح على رأس اليتيم.

- صلة الأرحام.
- زيارة المرضى بمواساتهم والدعاء لهم.
- حضور تغسيل الأموات وزيارة المقابر للاعتبار والتفكير ورؤية نهاية مصير الإنسان.
- التواضع وحسن الخلق.
- مجالسة الصالحين، وحب الخير للمسلمين.
- عدم الانتقام للنفس والعفو عن ظلمك.
- عدم التجسس على عورات المسلمين.
- أداء العمرة مع الاستطاعة.
- التسامح ممن لهم حقوق.
- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.
- سقى الماء.
- المساهمة في بناء المساجد والأعمال الخيرية..

* * *

الفصل السابع

أسباب وطرق تليين القلوب

باتباع الآتي والله الهادي لسواء السبيل:

- 1- الإيمان بالله ورسوله.
- 2- قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته والعمل به وبسنته ﷺ.
- 3- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وما أعدّه للمحسن والمسيء. فمن عرف الله خافه، ومن خافه رجاه ومن رجاه فرق قلبه ودمعت عيناه، ومن جهل به قسى قلبه وقحطت عينه.
- 4- كثرة ذكر الله عز وجل. والإكثار من العبادات والطاعات.
- 5- سماع المواعظ من مشايخ ثقات، وقد كانت خطب المصطفى المؤثرة ﷺ مما يوجل قلوب الصحابة ويذرف دموع أعينهم.
- 6- قراءة سير أهل السنة والجماعة من السلف الصالح ومعرفة أحوالهم في هذا الأمر.
- 7- تذكر القيامة وقلة الزاد مهما كثر والخوف من الله.
- 8- تذكر الموت ورؤية المحتضرين والأموات.
- 9- التفكير عند رؤية ما يُعتَبَرُ كرؤية النار في الدنيا.
- 10- الابتعاد عن المعاصي.
- 11- أكل الحلال.
- 12- زيارة القبور.
- 13- التباكي.
- 14- الدعاء.

جاء فى تاريخ جرجان قال أبو الحسن محرز بن جعفر: وجدت ببلد بالهند حجرا

منقوشا بالعبرانية ببلدة سرنديب، [التي] يقال: أهبط آدم [عليه السلام] بها من الجنة].

أنا الموجودُ فاطلبنى تجدنى فإن تطلبْ سوايَ فلا تجدنى
تجدنى أينَ تطلبُننى عَتيدا قريبا منك فاطلبُننى تجدنى
تجدنى فى سوادِ الليلِ عبدى قريبا منك فاطلبُننى تجدنى
تجدنى فى سُجودك لى قريبا قريبا منك فاطلبُننى تجدنى
تجدنى راحما برا رؤوفا أنا الرحمنُ فاطلبنى تجدنى
تجدنى ماجدا صمدا كريما كثيرَ البرِّ فاطلبنى تجدنى
تجدنى مُستغيثا بى مُغيثا أنا الجبارُ فاطلبنى تجدنى
إذا اللَهفانُ نادانى كظيما أقلُّ لبيك فاطلبنى تجدنى

* * *

إذا المضطُّرُّ قالَ ألا تَرانى نظرتُ إليه فاطلبنى تجدنى
أنا بالمرءِ أرحمُ من أخيه ومن أبويهِ فاطلبنى تجدنى
إذا عبدى عصانى لم يجدنى سريعَ الأخذِ فاطلبنى تجدنى
فإن هو تابَ تبتُ عليه إنى أنا التوابُ فاطلبنى تجدنى

* * *

فمنْ مثلى وأينَ يكونُ مثلى وليسَ يكونُ فاطلبنى تجدنى
أتذكرُ ليلةَ ناديتُ سراً ألمْ أسمعْكَ فاطلبنى تجدنى
أنا الحنانُ لا شىءَ كمثلى أنا القهارُ فاطلبنى تجدنى
أنا الربُّ الذى يخشونَ منى جميعُ الخلقِ فاطلبنى تجدنى

* * *

وَلَا يُنْجِيكَ يَا عَبْدِي سِوَايَ مَنْ النِّيرَانِ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي
وَلَيْسَ يُيَحُّكَ الْفَرْدُوسَ عِنْدِي أَنَا الرِّزَّاقُ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي
أَتَعْرِفُ غَافِرًا لِلذَّنْبِ غَيْرِي أَنَا الْغَفَّارُ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي
سَأَغْفِرُ لِلْعِبَادِ وَلَا أَبَالِي غَدَاةَ الْحَشْرِ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي

* * *

وَأَكْرَمُ مَنْ أُرِيدُ بِغَيْرِ بُخْلِ أَنَا الْوَهَّابُ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي
وَأَخْزَى مِنْ عِبَادِي مَنْ عَصَانِي بِجَهْلِ مَنْهُ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي
وَأَرْحَمُ مَنْ يَتُوبُ وَكَانَ عِنْدِي لَهُ الْإِكْرَامُ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي
فَمَنْ مِثْلِي وَلَنْ تَرْقُطُ مِثْلِي وَلَسْتَ تَرَاهُ فَاطِلْبِنِي تَجِدْنِي

* * *

خاتمة الكتاب:

تم الكتاب بحمد الله في يوم السبت الموافق الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام ألف وأربعمائة وواحد وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ. الموافق الثامن من شهر مايو لعام ألفين وعشرة ميلادية. ولا يخفى عليكم أن هذا العمل من صنع الإنسان. فمن وجد خطأ فليلتمس لنا العذر. وليقدم لنا النصح، مأجورا ومشكورا عليه، وليعلمنا عبر:

[e-mail: helalalessa@hotmail.com]

[<http://www.helalalessa.com>]

وأستغفر الله من كل ما كتبت رغم حرصى، إن كان فيه ما لا يرضى الله ورسوله، وأسأل الله جل وعلا أن يقينى الزلل، وأن يجعل عملى وسعياً خالصين لوجهه الكريم. فحسبى الله ونعم الوكيل وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. كتبه أضعف عباد الله / هَلَالُ مُحَمَّدَ عَبْدُ اللَّهِ الْعِيسَى .. غفر الله له ولوالديه وللمسلمين..

* * *

[كتب للمؤلف هلال مُحَمَّد عَبْدُ اللَّهِ الْعِيسَى]

عضو اتحاد كتاب مصر . عضو اتحاد المؤرخين العرب

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفريقيين والآسيويين

- 1- الأيام الخوالى فى أخبار النساء والإماء والجواري.
- 2- حدائق الأدب.
- 3- كشف الخفاء عما جاء فى ذم النساء، من له أذن فليسمع ومن له عين فليقرأ. أفسى ما قالته العرب والعجم وفلاسفتهم على مر العصور. فى كيد وغدر وعدم وفاء النساء وأفسى ما قاله الرجال والنساء فى النساء.
- 4- المدَّعون. ذكر نبأ من ادعى الألوهية والنبوة وقرآنهم المزعوم وخبر من تزندق.
- 5- العدل فى القرآن والسنة وأشهر قصص العدل فى الأدب والتاريخ.
- 6- قصص الجن وأخبارهم فى الدين والتاريخ والأدب العربى.
- 7- قصص النفاق وأخبار المنافقين فى الدين والتاريخ والأدب العربى.
- 8- روائع أبيات الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الشعر والأدب العربى.
- 9- سيرة لقمان الحكيم حكمه ونصائحه ووصاياه.
- 10- جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان.
- 11- سيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حكمه ونصائحه ووصاياه.
- 12- جامع الخشية والركة والبكاء.
- 13- العقوق والبر.
- 14- المضحكات والمبكيات.

- 15- حكم وأمثال ووصايا من التوراة والتلمود والزبور والأنجيل وأقوال أشهر
أحبارهم ورهبانهم.
- 16- قضاة على أبواب الجنة وآخرون على شفير جهنم.
- 17- الأحبار الثلاثة. إسلامهم - روائع حكمتهم - أشهر أقوالهم.
- 18- يا بنى آدم. أطيعونى بقدر حاجتكم إلى واعصونى بقدر صبركم على النار. عتاب
من الله لخلقه تحذير وتنبيه.
- 19- سيرة عابد الحرمين التقى النقى الزاهد الباكي الفضيل بن عياض رحمته الله.
- 20- علماء تضيء بهم الجنان وآخرون تسعّر بهم النيران.
- 21 - الشفرة السرية للزوجة النكديّة عندما يتلأأ البلاء في الحياة الزوجية.

* * *

فهرس المراجع

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير		دار الفكر بيروت
القواعد الحسان في تفسير القرآن	السعدي		دار البصيرة القاهرة
المحرر الوجيز	الأندلسي	عبد السلام عبد الشافي محمد	دار الكتب العلمية بيروت
تفسير القرطبي	القرطبي		دار الشعب القاهرة
تفسير السلمي وهو حقائق التفسير	السلمي	سيد عمران	دار الكتب العلمية لبنان
التفسير الكبير	فخر الدين الشافعي		دار الكتب العلمية بيروت
تفسير السعدي	السعدي		مؤسسة الرسالة بيروت
تفسير البجير المحيط	أبي حيان الأندلسي	الشيخ عادل أحمد عبدالموجود الشيخ علي محمد معوض د. زكريا عبد المجيد النوقي د. أحمد النجولي الجمل	دار الكتب العلمية بيروت
الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)	الثعلبي	أبي محمد عاشور الساعدي	دار إحياء التراث العربي بيروت
تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم	السمرقندي	د. محمود مطرجي	دار الفكر بيروت
تفسير الثعلبي	الثعلبي	أبي محمد بن عاشور نظير	دار إحياء التراث العربي بيروت
تفسير السلمي	السلمي	سيد عمران	دار الكتب العلمية بيروت
تفسير السمعاني	السمعاني	ياسر بن إبراهيم غنيم بن عباس بن غنيم	دار الوطن الرياض
تفسير ابن زنين	ابن أبي زنين	أبو عبدالله حسين عكاشة محمد بن مصطفى الكنز	الفاوق الحديثة القاهرة
تفسير سفيان الثوري	الثوري		دار الكتب العلمية بيروت
تفسير النسفي	النسفي		لا يوجد
تفسير الطبري	الطبري		دار الفكر بيروت
تفسير الصنعاني	الصنعاني	د. مصطفى مسلم محمد	مكتبة الرشد الرياض
تفسير البيهقي	البيهقي	خالد عبد الرحمن العك	دار المعرفة بيروت
تفسير مجاهد	مجاهد جبر المخزومي	عبد الرحمن الطاهر محمد	المنشورات العلمية بيروت
تفسير القشيري	النيسابوري	عبد اللطيف حسن	دار الكتب العلمية بيروت
تفسير الماوردي	الماوردي البصري	السيد ابن عبدالمقصود	دار الكتب العلمية بيروت
تفسير أبي السعود	العصادي		دار إحياء التراث العربي بيروت
التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب	الرازي		دار الكتب العلمية بيروت
تفسير ابن أبي حاتم	الرازي	أسعد محمد الطيب	المكتبة العصرية بيروت
تفسير البيضاوي	البيضاوي		دار الفكر بيروت
تفسير مقاتل بن سليمان	الأزدي	أحمد فريد	دار الكتب العلمية بيروت
الحاوي للفتاوى	السيوطي	عبد اللطيف حسن عبد الرحمن	دار الكتب العلمية بيروت
فتح القدير	الشوكاني		دار الفكر بيروت
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان	النيسابوري	الشيخ زكريا عميران	دار الكتب العلمية بيروت
زاد المسير في علم التفسير	ابن الجوزي		المكتبة الإسلامية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
صحيح ابن حبان	محمد بن حبان	شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت
صحيح البخاري	البخاري	د. مصطفى ديب البغا	دار ابن كثير، اليمامة بيروت
صحيح مسلم	النيسابوري	محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي بيروت
صحيح ابن خزيمة	ابن خزيمة	د. محمد مصطفى الأعظمي	المكتب الإسلامي بيروت
مسند الحميدي	الحميدي	حبيب الرحمن الأعظمي	دار الكتب العلمية بيروت مكتبة المتنبي القاهرة
مسند الشهاب	القضاعي	حمدي بن عبد المجيد	مؤسسة الرسالة بيروت
مسند أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل		مؤسسة قرطبة القاهرة
مسند إسحاق بن راهويه	بن راهويه الحنظلي	د. عبد الغفور بن عبد الحق	مكتبة الإيمان الرياض
مسند الشاميين	الطبراني	حمدي بن عبد المجيد	مؤسسة الرسالة بيروت
مسند الطيالسي	الطيالسي		دار المعرفة بيروت
المسند المستخرج على صحيح مسلم	أبي نعيم الأصبهاني	محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي	دار الكتب العلمية بيروت
مسند أبي يعلى	الموصلی	حسين سليم أسد	دار المأمون للتراث دمشق
بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (زوائد الهيثمي)	الهيثمي	د. حسين أحمد صالح البكري	مركز خدمة السنة والسيرة النبوية المدينة المنورة
تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب	الطبري	محمود محمد شاكر	مطبعة المدني القاهرة
تهذيب الآثار مسند ابن عباس	الطبري	محمود محمد شاكر	مطبعة المدني القاهرة
معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي	الإسماعيلي	د. زياد محمد منصور	مكتبة العلوم والحكم الرياض
معجم السفر	أبو طاهر الأصبهاني	عبد الله عمر البارودي	المكتبة التجارية الرياض
معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول	ابن الأثير		لا يوجد
معجم ابن الأعرابي	ابو سعيد البصري		لا يوجد
المعجم الكبير	الطبراني	حمدي بن عبد المجيد	مكتبة الزهراء بغداد
المعجم الأوسط	الطبراني	طارق بن عوض الله محمد عبد المحسن إبراهيم الحسيني	دار الحرمين القاهرة
معجم ابن المقرئ	ابن المقرئ		لا يوجد
المنتخب من مسند عبد بن حميد	عبد بن حميد الكسي	صحي البدرى السامرائي محمود محمد خليل الصعيدي	مكتبة السنة القاهرة
الجامع في الحديث	القرشي	د. مصطفى حسن وحسين أبو الخير	دار ابن الجوزي الرياض
الجامع	الأزدي	حبيب الأعظمي	المكتب الإسلامي بيروت
جامع العلوم والحكم	البغدادي	شعيب الأرنؤوط إبراهيم باجس	مؤسسة الرسالة بيروت
جامع الاحاديث	السيوطي		لا يوجد
جامع الأمهات	ابن الحاجب المالكي		لا يوجد
التيسير بشرح الجامع الصغير	المنائي		مكتبة الإمام الشافعي الرياض
تهذيب الأسماء واللغات	النووي	مكتب البحوث والدراسات	دار الفكر بيروت
تهذيب اللغة	الأزهري	محمد عوض مرعب	دار إحياء التراث العربي بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
سبل الهدى والرشاد	محمد يوسف الصالحي	عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
روح المعاني	الألوسي		دار إحياء التراث العربي بيروت
كتاب الشفا	القاضي عياض	لا يوجد	
الفصل في الملل والأهواء والنحل	ابن حزم		مكتبة الخانجي القاهرة
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال	علاء الدين الهندي	محمود عمر الدمياطي	دار الكتب العلمية بيروت
زهر الآداب	القيرواني	دزيوسف على الطويل	دار الكتب العلمية بيروت
قتلى القرآن للشعلبي	الشعلبي		عبدكان الرياض
كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية	أبن تيمية	عبد الرحمن محمد العاصمي	مكتبة ابن تيمية
الفتاوى الكبرى للفقهية	ابن حجر الهيتمي	لا يوجد	
إبراز المعاني من حرز الأمانى فى القراءات السبع	ابن إبراهيم	إبراهيم عطوة عوض	شركة مكتبة مصطفى البابى الحلبي القاهرة
لسان العرب	ابن منظور		دار صادر
تحفة الأخوذى بشرح جامع الترمذي	المباركفوري		دار الكتب العلمية بيروت
تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين	الشوكاني		دار القلم بيروت
أبجد العلوم	صديق بن حسن القنوجي	عبد الجبار زكار	دار الكتب العلمية
الدر المنثور	السيوطي		دار الفكر بيروت
نثر الدرر	الآبي	خالد عبد الغنى محفوظ	دار الكتب العلمية بيروت
التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد	ابن عبد البر	مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكر	وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب
تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل	الباقلائي	عماد الدين أحمد حيدر	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
قواعد التحديث	القاسمي		دار الكتب العلمية بيروت
شعب الإيمان	البيهقي	محمد السعيد بسيوني	دار الكتب العلمية بيروت
سنن الترمذي	الترمذي	أحمد محمد شاعر وآخرون	دار إحياء التراث العربي بيروت
سنن النسائي الكبرى	النسائي	د. عبد الغفار سليمان سيد كسروى حسن	دار الكتب العلمية بيروت
سنن سعيد بن منصور	الخراساني	حبيب الرحمن الأعظمي	الدار السلفية الهند
سنن أبي داود	السجستاني	محمد محيي الدين عبد الحميد	دار الفكر
سنن ابن ماجه	القزويني	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الفكر بيروت
سنن الدارمي	الدارمي	فواز أحمد زمرلي خالد السبع العلمي	دار الكتاب العربي بيروت
سنن البيهقي الكبرى	البيهقي	محمد عبد القادر عطا	مكتبة دار الباز الرياض
السنن الواردة فى الفتن	أبو عمرو عثمان المقرئ	د. ضاء الله محمد المباركفوري	دار العاصمة الرياض
الأوسط فى السنن والإجماع والاختلاف	النيسابوري	د. أبو حماد صغير أحمد	دار طبية الرياض
علل الحديث	الرازي	محب الدين الخطيب	دار المعرفة بيروت
حلية الأولياء	الأصبهاني		دار الكتاب العربي بيروت
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي	القرطبي		دار الشعب القاهرة
أحكام القرآن للجصاص	أحمد بن علي الرازي	: محمد الصادق قمحاوي	دار إحياء التراث العربي بيروت
أحكام القرآن لابن العربي	له ابن العربي	محمد عبد القادر عطا	دار الفكر بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
عمدة القاري	العيني		دار إحياء التراث العربي بيروت
المغنى عن حمل الأسفار	أبو الفضل العراقي	أشرف عبد المقصود	مكتبة طبرية الرياض
مختصر قيام الليل	المزوري		لا يوجد
مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية	بدر الدين الحنبلي	محمد حامد الفقي	دار ابن القيم الرياض
مختصر تاريخ دمشق	ابن منظور		لا يوجد
التاريخ الكبير	البخاري	السيد هاشم الندوي	دار الفكر
تاريخ البيهقي	البيهقي		دار صادر بيروت
المعرفة والتاريخ	الفسوي		لا يوجد
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	الذهبي	د. عمر عبد السلام تدمري	دار الكتاب العربي بيروت
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	أبن خلكان	احسان عباس	دار الثقافة بيروت
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	أبن الجوزي		دار صادر بيروت
الترغيب والترهيب	المنذري	إبراهيم شمس الدين	دار الكتب العلمية بيروت
شرح نهج البلاغة	المدائني	محمد عبد الكريم النمري	دار الكتب العلمية بيروت
شرح النووي على صحيح مسلم	النووي		دار إحياء التراث العربي بيروت
شرح سنن ابن ماجه	السيوطي وآخرون		لا يوجد
الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج	البضاوي	جماعة من العلماء	دار الكتب العلمية بيروت
تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث	النووي		مطبعة مصطفى البابي القاهرة
شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور	السيوطي	عبد المجيد طعمة حلبى	دار المعرفة بيروت
في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم	البغدادى	شعيب الأرنؤوط إبراهيم باجس	مؤسسة الرسالة بيروت
كتاب الأمالي المعروفة بالأمالي الخميسية	الجرجاني	محمد حسن اسماعيل	دار الكتب العلمية بيروت
أمالي ابن سمعون	البغدادى		لا يوجد
فيض القدير	عبد الرؤوف المناوي		المكتبة التجارية الكبرى القاهرة
جامع البيان عن تأويل آي القرآن	الطبري		دار الفكر بيروت
فضائل القرآن	النسائي	د فاروق حمادة	دار إحياء العلوم / دار الثقافة بيروت الدار البيضاء
فهم القرآن	المحاسبي	حسين القوتلي	دار الكندي، دار الفكر بيروت
البرهان في علوم القرآن	الزركشي	محمد أبو الفضل إبراهيم	دار المعرفة بيروت
الإتقان في علوم القرآن	السيوطي	سعيد المنذوب	دار الفكر بيروت
إتحاف فضلاء البشر	الدمياطي	أنس مهرة	دار الكتب العلمية بيروت
تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد	زين الدين العراقي	عبد القادر محمد علي	دار الكتب العلمية بيروت
المطالب العالية	العسقلاني	د. سعد بن ناصر الشثري	دار العاصمة / دار الغيث الرياض
مطالب أولى النهى	السيوطي الرحباني		المكتبة الإسلامية دمشق
زاد المعاد	الزرعي	شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية بيروت الكويت
إغائة اللفهان	الزرعي	محمد حامد الفقي	دار المعرفة بيروت
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس	العجلوني	أحمد القلاش	مؤسسة الرسالة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
كتاب كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء	هلال مجد العيسى		دار الكتاب الحديث القاهرة
محاضرات الأدباء	الأصفهاني	عمر الطباع	دار القلم بيروت
تبصرة الحكام	اليعمرى	الشيخ جمال مرعشلي	دار الكتب العلمية بيروت
صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان	مجد بن حبان	شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت
الأدب الشرعية	المقدسي	شعيب الأرنؤوط عمر القيام	مؤسسة الرسالة بيروت
الأدب للبيهقي	البيهقي		لا يوجد
أدب النفوس	المحاسبي	عبد القادر أحمد عطا	دار الجيل بيروت
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	مجد الأمين الشنقيطي	مكتب البحوث والدراسات	دار الفكر بيروت
ربيع الأبرار	الزمخشري		لا يوجد
التذكرة في الوعظ	ابن الجوزي	أحمد عبد الوهاب فتوح	دار المعرفة بيروت
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة	القرطبي		دار الديان للتراث القاهرة
التذكرة الحمدونية	ابن حمدون مجد	إحسان ويكرعباس	دار صادر بيروت
موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين	القاسمي		لا يوجد
المدخل ؟؟	ابن الحاج		دار الفكر بيروت
الفردوس بمأثور الخطاب	الهمذاني	السعيد بسيوني زغلول	دار الكتب العلمية بيروت
المستدرک على الصحيحين	النيسابوري	مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت
الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة	الدمشقي		دار الكتب العلمية بيروت
قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد	أبي طالب المكي	د.عاصم إبراهيم الكيالي	دار الكتب العلمية بيروت
التخويف من النار	الحنبلي		مكتبة دار البيان دمشق
الباعث على إنكار البدع	عبد الرحمن بن إسماعيل	عثمان أحمد عنبر	دار الهدى القاهرة
صفة الصفوة	عبد الرحمن على ابوالفرج	محمود فاخوري د.مجد رواس قلعه جي	دار المعرفة بيروت
الزواجر	ابن حجر الهيتمي	مركز الدراسات والبحوث مكتبة نزار مصطفى الباز	المكتبة العصرية بيروت
لطائف المعارف	الحافظ الدمشقي	مجد ابراهيم سليم	دار الطلائع القاهرة
البداية والنهاية	ابن كثير		مكتبة المعارف بيروت
الرقعة والبكاء للمقدسي	المقدسي	مجد خير يوسف	دار القلم بيروت
الرقعة والبكاء ابن أبي الدنيا	ابن أبي الدنيا		دار ابن حزم بيروت
الروض الفائق في المواعظ والرقائق	سعد الحريفيش	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
الوافى بالوفيات	الصفدي	أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى	دار إحياء التراث العربي بيروت
الف قصة وقصة	هاني الحاج		المكتبة التوفيقية
روضة العقلاء ونزهة الفضلاء	البستي	مجد محي الدين عبد الحميد	دار الكتب العلمية بيروت
روض الرياحين في حكايات الصالحين	عفيف الدين اليافعي	خليل عمران منصور	دار الكتب العلمية بيروت
البصائر والذخائر	التوحيدي	د.وداد القاضي	دار صادر بيروت
كتاب طريق الهجرتين	الزرعي	عمر بن محمود أبو عمر	دار ابن القيم الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
المواعظ والمجالس	ابن الجوزي	ابو حنيفة ابراهيم بن محمد	دار الصحابة للتراث القاهرة
الوابل الصيب	الدمشقي	محمد عبد الرحمن عوض	دار الكتاب العربي بيروت
المجالسة وجواهر العلم	الدينوري		دار ابن حزم بيروت
الطبقات الكبرى	الزهري		دار صادر بيروت
طبقات الحنابلة	محمد بن أبي يعلى	محمد حامد الفقي	دار المعرفة بيروت
طبقات الفقهاء	الشيرازي	خليل الميس	دار القلم بيروت
طبقات الحنفية	القرشي	مير محمد كتب خانة كراتشي	
طبقات الحفاظ	السيوطي		دار الكتب العلمية بيروت
الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار	الشعراني	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
طبقات صلحاء اليمن (تاريخ البريهي)	السكسكي اليمني	عبد الله محمد الحبشي	مكتبة الإرشاد صنعاء
كتاب الزهد الكبير	البیهقي	عامر أحمد حيدر	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
كتاب الزهد لابن المبارك	عبد الله بن المبارك	حبیب الرحمن الأعظمي	دار الكتب العلمية بيروت
الزهد لابن أبي عاصم	ابن أبي عاصم		دار الريان للتراث القاهرة
الزهد لابن حنبل	الشيباني		دار الريان للتراث القاهرة
الزهد لأبي داود	الأزدي	لا يوجد	
الزهد ابن أبي الدنيا	أبن أبي الدنيا	لا يوجد	
الزهد لأبي حاتم الرازي	الرازي	لا يوجد	
قصر الأمل	ابن أبي الدنيا	محمد خير رمضان يوسف	دار ابن حزم بيروت
المحتضرين	ابن أبي الدنيا	محمد خير رمضان يوسف	دار ابن حزم بيروت
تاريخ مدينة دمشق	أبي القاسم علي الشافعي	محب الدين العمري	دار الفكر بيروت
لباب التأويل في معاني التنزيل	الخازن		دار الفكر بيروت
الأوائل للعسكري	العسكري	لا يوجد	
إحياء علوم الدين	الغزالي		دار المعرفة بيروت
الإحكام في أصول الأحكام	أبن حزم		دار الحديث القاهرة
الكشاف	الزمخشري	عبد الرزاق المهدي	دار إحياء التراث العربي بيروت
نزهة المجالس ومنتخب النفائس	الصفوري	عبد الرحيم مارديني	دار المحبة دار آية بيروت دمشق
نزهة الأعين النواظر	ابن الجوزي	محمد عبد الكريم كاظم الراضي	مؤسسة الرسالة بيروت
معاني القرآن	النحاس	محمد علي الصابوني	جامعة أم القرى مكة
أسد الغابة	الجزري	عادل أحمد الرفاعي	دار إحياء التراث العربي بيروت
رياض الصالحين	النووي		دار الفكر بيروت
الأحاديث المختارة	المقدسي	عبد الملك بن عبد الله بن دهبش	مكتبة النهضة الحديثة مكة
بستان الواعظين ورياض السامعين	البغدادي	أيمن البحيري	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي		دار إحياء التراث العربي بيروت
فتح الباري	العسقلاني	محب الدين الخطيب	دار المعرفة بيروت
هدى الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري	العسقلاني	محمد فؤاد عبد الباقي محب الدين الخطيب	دار المعرفة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
تاريخ بغداد	البغدادي		دار الكتب العلمية بيروت
بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام	للحافظ ابن القطان	د. الحسين آيت سعيد	دار طبية الرياض
منهاج السنة النبوية	ابن تيمية	د. محمد رشاد سالم	مؤسسة قرطبة القاهرة
طبقات الصوفية	الأزدي	مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت
شرح صحيح البخاري	ابن بطلال	أبو تميم ياسر بن إبراهيم	مكتبة الرشد الرياض
التسهيل لعلوم التنزيل	الغرناطي		دار الكتاب العربي بيروت
بدائع الفوائد	الزرعي	هشام عبد العزيز عطا عادل عبد الحميد العدوي أشرف أحمد الحج	مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة
الفوائد والزهد والرقائق والمرامي	جعفر الخلدي		لا يوجد
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	الهيتمي		دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي القاهرة بيروت
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	الشوكاني	عبد الرحمن يحيى المعلمي	المكتب الإسلامي بيروت
البرهان المؤيد	أحمد الرفاعي الحسيني	عبد الغني نكه مي	دار الكتاب النفيس بيروت
الرسالة القشيرية	القشيري	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
رسالة المسترشدين	البصري	عبد الفتاح أبو غدة	المطبوعات الإسلامية دمشق
رسالة في التوبة ابن تيمية	ابن تيمية		لا يوجد
التوبة بن أبي الدنيا	بن أبي الدنيا		لا يوجد
قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد	أبي طالب المكي	د.عاصم إبراهيم الكيالتي	دار الكتب العلمية بيروت
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	رهان الدين البقاعي		دار الكتب العلمية بيروت
البكاء من خشية الله أسبابه وموانعه وطرق تحصيله	أبوطارق إحسان بن محمد العتيبي		لا يوجد
كشف المشكل من حديث الصحيحين	ابن الجوزي	على حسين البواب	دار الوطن الرياض
نواذر الأصول في أحاديث الرسول	الترمذي	عبد الرحمن عميرة	دار الجبل بيروت
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	القاري	جمال عيتاني	دار الكتب العلمية بيروت
موارد الظمان	الهيثمي	محمد عبد الرزاق حمزة	دار الكتب العلمية بيروت
التوبيخ والتنبيه	ابن حيان	مجدي السيد إبراهيم	مكتبة الفرقان القاهرة
العمر والشيب	ابن أبي الدنيا	د. نجم عبد الله خلف	مكتبة الرشد الرياض
المحلى	ابن حزم	لجنة إحياء التراث العربي	دار الأفاق الجديدة بيروت
مدارج السالكين	الزرعي	محمد حامد الفقي	دار الكتاب العربي بيروت
شرح السنة	البغوي	شعيب الأرنؤوط محمد زهير الشاويش	المكتب الإسلامي دمشق بيروت
الفخرى في الآداب السلطانية	ابن طباطبا		لا يوجد
إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان	الزرعي	محمد حامد الفقي	دار المعرفة بيروت
العيال	البغدادي	د. نجم عبد الرحمن خلف	دار ابن القيم الرياض
بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار	الكلاباذي	محمد حسن إسماعيل أحمد فريد المزيدي	دار الكتب العلمية بيروت
الحبائك في أخبار الملائكة	السيوطي	أبو هاجر محمد سعيد	دار الكتب العلمية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
صفة النار	ابن أبي الدنيا	محمد خير رمضان يوسف	دار ابن حزم بيروت
النهاية في الملاحم والفتن	ابن كثير	عبد الشافعي	دار الكتب العلمية بيروت
أخبار مكة	محمد بن إسحاق الفاكهي	د عبد الملك عبد الله دهيش	دار خضر بيروت
عيون الأخبار	الدينوري		لا يوجد
أخبار القضاة	ابن حيان		عالم الكتب بيروت
أخبار أصبهان	الأصبهاني		لا يوجد
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة	القاري	محمد الصباغ	دار الأمانة ومؤسسة الرسالة بيروت
التوايين	المقدسي	عبد القادر الأرناؤوط	دار الكتب العلمية بيروت
العظمة	الأصبهاني	رضاء الله محمد إدريس	دار العاصمة الرياض
نهاية الأرب في فنون الأدب	التويري	مفيد قمحية وجماعة	دار الكتب العلمية بيروت
الأدب الكبير	ابن المقفع	أحمد زكي باشا	دار ابن حزم بيروت
سمط النجوم العوالي	العاصمي	عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
قصص الأنبياء	الثعلبي		دار احياء الكتب العربية القاهرة
الزهر الفاتح	ابن الجزري		لا يوجد
الإستعداد للموت وسؤال القبر	المليباري		لا يوجد
الهم والحزن	البغدادى	مجدي فتحى السي	دار السلام القاهرة
الفتح السماوى	المنافى	أحمد مجتبى	دار العاصمة الرياض
سراج الملوك	الطرطوشي		لا يوجد
الغلل المتناهية فى الأحاديث الواهية	ابن الجوزي	خليل الميس	دار الكتب العلمية بيروت
الفرج بعد الشدة	ابن أبي الدنيا		لا يوجد
أنساب الأشراف	البلاذري		لا يوجد
الدعاء	الطبرانى	مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت
الزواجر عن اقتراف الكبائر	ابن حجر الهيتمي	مركز الدراسات والبحوث مكتبة نزار مصطفى الباز	المكتبة العصرية بيروت
السيرة الحلبية	على برهان الدين الحلبي		دار المعرفة بيروت
عيون الأخبار	الدينوري		لا يوجد
الدرة الغراء	محمود إسماعيل الجنبتى		مكتبة نزار الباز الرياض
الاحتراز من مكائد النسوان	ابن البتوني	د. محمد التونجي	دار امواج بيروت
الكشكول	العالمى	محمد عبد الكريم النمري	دار الكتب العلمية بيروت
النكت والعيون	الماوردي	السيد ابن عبد المقصود	دار الكتب العلمية بيروت
الكامل فى ضعفاء الرجال	الجرجاني	يحيى مختار غزاوي	دار الفكر بيروت
الكامل فى التاريخ	الشيباني	عبد الله القاضي	دار الكتب العلمية بيروت
ذم الهوى	ابن الجوزي	مصطفى عبد الواحد	لا يوجد
تعظيم قدر الصلاة	المروزي	د. عبد الرحمن الفريواتي	مكتبة الدار المدينة المنورة
تهذيب التهذيب	العسقلاني		دار الفكر بيروت
تهذيب الكمال	المري	د. بشار عواد معروف	مؤسسة الرسالة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية	محمد بن عيسى	سيد عباس الجليمي	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
غذاء الألباب شرح منظومة الآداب	الحنبلي	محمد عبدالعزيز الخالدي	دار الكتب العلمية بيروت
بغية الطلب في تاريخ حلب	ابن أبي جرادة	د. سهيل زكار	دار الفكر
الحاوي الكبير	الماوردي	على محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت
الحاوي في الطب	الرازي	هيثم خليفة طعيمة	دار إحياء التراث العربي بيروت
الآلئ المصنوعة	السيوطي	أبو عبد الرحمن صلاح محمد	دار الكتب العلمية بيروت
شذرات الذهب	عبد الحى بن أحمد محمد العكري	عبد القادر الأرناؤوط محمود الأرناؤوط	دار بن كثير دمشق
العاقبة في ذكر الموت	عبد الحق الإشبيلي	خضر محمد خضر	مكتبة دار الأقصى الكويت
الإيمان لابن منده	ابن منده	د. على بن محمد الفقيهي	محمّسة الرسالة بيروت
الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر لأبي حنيفة الفقه الأكبر	محمد عبد الرحمن الخميس		مكتبة الفرقان الإمارات العربية
عقلاء المجانين	النيسابوري		لا يوجد
محاسبة النفس	بن أبي الدنيا		لا يوجد
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم الأصبهاني		دار الكتاب العربي بيروت
مصنف عبد الرزاق	الصنعاني	حبيب الرحمن الأعظمي	المكتبة الإسلامية بيروت
مصنف ابن أبي شيبة	أبن أبي شيبة	كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد الرياض
تخريج الأحاديث والآثار	الزيلي	عبد الله بن عبد الرحمن السعد	دار ابن خزيمة الرياض
ترتيب المدارك وتقريب المسالك	أبو الفضل الأندلسي	محمد سالم هاشم	دار الكتب العلمية بيروت
الأنساب	أبو سعيد السمعاني	عبد الله عمر البارودي	دار الفكر بيروت
البر والصلة	المروزي	د. محمد سعيد بخاري	دار الوطن الرياض
الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية	محيى الدين على الطائي		دار إحياء التراث العربي بيروت
معارج القبول بشرح سلم الوصول	حافظ بن أحمد حكيم	عمر بن محمود أبو عمر	دار ابن القيم الرياض
الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة	ابن حجر الهيتمي	عبد الرحمن بن عبد الله التركي كامل محمد الخراط	مؤسسة الرسالة بيروت
التهجد وقيام الليل	ابن أبي الدنيا	مصلح بن جزاء الحارثي	مكتبة الرشد الرياض
الاعتصام	أبو إسحاق الشاطبي		المكتبة التجارية الكبرى القاهرة
شرح كتاب السير الكبير	محمد بن الحسن الشيباني	د. صلاح الدين المنجد	معهد المخطوطات القاهرة
سيرة ابن إسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي	محمد إسحاق بن يسار	محمد حميد الله	معهد الدراسات والأبحاث
سير أعلام النبلاء	الذهبي	شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي	مؤسسة الرسالة بيروت
تسلياة أهل المصائب للمننجي	أبي عبد الله المننجي		دار الكتب العلمية بيروت
حاشية إعانة الطالبين	أبي بكر السيد محمد شطا		دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت
حاشية العدوى	على الصعدي العدوي	يوسف الشيخ محمد البقاعي	دار الفكر بيروت
حاشية الجمل على شرح المنهج	سليمان الجمل		دار الفكر بيروت
كتاب البكاؤون	خالد الراشد		لا يوجد
التدوين في أخبار قزوين	القزويني	عزيز الله العطاري	دار الكتب العلمية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
إثبات عذاب القبر	البیهقي	د. شرف محمود القضاة	دار الفرقان عمان الأردن
المدھش	أبو الفرج الجوزی	د. مروان قباني	دار الكتب العلمية بيروت
آثار البلاد وأخبار العباد	القزويني		لا يوجد
الكنى والأسماء	مسلم بن الحجاج لقشيري	عبد الرحيم محمد القشيري	الجامعة الإسلامية بالمدينة
المرض والكفارات	ابن أبي الدنيا	عبد الوكيل الندوي	الدار السلفية بومباي
أمراض القلوب	أحمد بن تيمية		المطبعة السلفية القاهرة
الجواب الكافي	الزرعي		دار الكتب العلمية بيروت
التبصرة	الفيروزآبادي	د. محمد حسن هيتو	دار الفكر دمشق
الطيوريات	أبو الحسين الطيوري	دسمان يحيى معالى عباس صخر الحسن	أضواء السلف الرياض
الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة	على الأشعري	د. فوقيه حسين محمود	دار الأنصار القاهرة
اعتلال القلوب	الخرائطي		لا يوجد
المحن	أبو العرب التميمي	د. عمر سليمان العقيلي	دار العلوم الرياض
تنوير الغيش في فضل السودان والحش	ابن الجوزي	مرزوق على إبراهيم	دار الشريف الرياض
المقصد الارشد	برهان الدين إبراهيم مفلح	د. عبد الرحمن سليمان العثيمين	مكتبة الرشد الرياض
مرآة الجنان	أبو محمد اليافعي		الكتاب الإسلامي القاهرة
الديباج المذهب	إبراهيم بن علي اليعمرى		دار الكتب العلمية بيروت
مروج الذهب	المسعودي		لا يوجد
القوانين الفقهية	الفرناطي		لا يوجد
حادي الأرواح	الزرعي		دار الكتب العلمية بيروت
الورع لابن حنبل	احمد بن حنبل	د. زينب إبراهيم القاروط	دار الكتب العلمية بيروت
اللباب في علوم الكتاب	أبو حفص عمر الدمشقي	عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
الحيوان	الجاحظ	عبد السلام محمد هارون	دار الجيل بيروت
غريب الحديث لابن قتيبة	الدينوري	د. عبد الله الجبوري	مطبعة العاني بغداد
غريب القرآن	السجستاني	محمد أديب عبد الواحد جمران	دار قتيبة
شعار اصحاب الحديث	ابن أحمد الحاكم	صبحي السامرائي	دار الخلفاء الكويت
المعمرون والوصايا	بو حاتم السجستاني		
متن الحكم العطائية لابن عطاء الله	بن عطاء الله السكندري	محمد عبد الرحيم	دار الإيمان دمشق
الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية	لمناوي	محمد عفيف الزعبي	مؤسسة الرسالة بيروت
يوميات شامية	محمد بن عيسى بن كنان		لا يوجد
التبيان في أقسام القرآن	الزرعي		دار الفكر
حجة الله البالغة	شاه ولي الله	سيد سابق	مكتبة المثنى القاهرة بغداد
الحجة في القراءات السبع	أبن خالويه	د. عبد العال سالم مكرم	دار الشروق بيروت
كتاب الكليات	أبو البقاء أيوب الكفومي	عدنان درويش محمد المصري	مؤسسة الرسالة بيروت
العياب الزاخر	الصغاني		لا يوجد
الإشارات في علم العبارات	خليل بن شاهين الظاهري		دار الفكر بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
أدب الدنيا والدين	الماوردي		لا يوجد
إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد	ابن الوزير		دار الكتب العلمية بيروت
مكفرات الذنوب وموجبات الجنة	ابن الديبع الشيباني		لا يوجد
الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام	أبو غنيد البغدادي		لا يوجد
أعلام السنة المنشورة	حافظ بن أحمد الحكفي		لا يوجد
تلبيس إبليس	عبد الرحمن على أبو الفرج	د. السيد الجميلي	دار الكتاب العربي بيروت
اعتقاد أهل السنة	اللالكاني	د. أحمد سعد حمدان	دار طيبة الرياض
الأمثال من الكتاب والسنة	الترمذي	د. السيد الجميلي	دار ابن زيدون / دار أسامة بيروت دمشق
الجرح والتعديل	عبد الرحمن الرازي		دار إحياء التراث العربي بيروت
طوق الحمامة في الألفه والألاف	ابن حزم الأندلسي	د. إحسان عباس	المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت
الديات	حمد بن عمرو الشيباني		إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي
الموضوعات	أبو الفرج القرشي	توفيق حمدان	دار الكتب العلمية بيروت
الأدب المفرد	محمد إسماعيل الجعفي	محمد فؤاد عبد الباقي	دار البشائر الإسلامية بيروت
مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه	أحمد بن أبي بكر الكناني	محمد المنتقى الكشناوي	دار العربية بيروت
فتوح الشام ألوأقدي	الواقدي		دار الجيل بيروت
المنهج المسلوك في سياسة الملوك	عبد الرحمن عبد الله نصر	على عبد الله موسى	مكتبة المنار عمان
رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين	النووي		دار الفكر بيروت
المستطرف في كل فن مستظرف	الأبشيبي	مفيد محمد قميحة	دار الكتب العلمية بيروت
البيان والتبيين	الجاحظ	فوزي عطوي	دار صعب بيروت
صحيفة همام بن منبه	همام بن منبه الصنعاني	على حسن على عبد الحميد	المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت عمان
موطأ مالك	مالك بن أنس	محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي بيروت
المحاسن والأضداد	الجاحظ		مكتبة الخانجي القاهرة
بدائع السلك	إبن الأزرقي	د. على سامي النشار	وزارة الإعلام بغداد
ديوان المتنبي	أبو البقاء العكبري	مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي	دار المعرفة بيروت
مفتاح دار السعادة	الزرعي		دار الكتب العلمية بيروت
اقتضاء الصراط	ابن تيمية	محمد حامد الفقي	مطبعة السنة المحمدية القاهرة
اقتضاء العلم العمل	أحمد بن علي البغدادي	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي بيروت
كتاب أدب النساء	ابن حبيب	عبد المجيد تركي	دار الغرب الإسلامي بيروت
الصمت وآداب اللسان	البغدادي	أبو إسحاق الحويني	دار الكتاب العربي بيروت
المنهيات	الترمذي		لا يوجد
الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها	ابن قتيبة الدينوري		لا يوجد
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	أبو بكر البغدادي		لا يوجد
بريقة محمودية	أبو سعيد محمد الخادمي		لا يوجد

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
إعراب القرآن	أبو جعفر أحمد النحاس	: د. زهير غازي زاهد	عالم الكتب بيروت
ضعفاء العقيلي	أبو جعفر محمد العقيلي	عبد المعطي أمين قلعجي	دار المكتبة العلمية بيروت
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى	الزرعي		الجامعة الإسلامية بلمدينة
فوات الأعمال أشد على الصالحين	محمد شاكر أحمد الكتبي	على محمد بن يعوض الله عادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت
العين	الفراهيدي	د مهدي المخزومي د إبراهيم السامرائي	دار ومكتبة الهلال
الحوار العين	نشوان بن سعيد الحميري	لا يوجد	
الكسب	محمد بن الحسن الشيباني	د. سهيل زكار	عبد الهادي حرصوني دمشق
رجال مسلم	احمد بن علي الأصبهاني	عبد الله الليثي	دار المعرفة بيروت
المجالس الخميسية	أبو طاهر أحمد الأصبهاني	أبو عبيدة مشهور آل سلمان	دار الصميعي الرياض
الشرعية	بي بكر محمد الآجري	د. عبد الله بن عمر الدميحي	دار الوطن الرياض
الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله	أبو الربيع سليمان الكلاعي	د. محمد كمال الدين عز الدين	عالم الكتب بيروت
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة	البغدادي	مهدي النجم	دار الكتب العلمية بيروت
موضح أوامير الجمع والتفريق	البغدادي	د. عبد المعطي أمين قلعجي	دار المعرفة بيروت
الترغيب والترهيب من الحديث الشريف	المنذري	إبراهيم شمس الدين	دار الكتب العلمية بيروت
الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسنادا	تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي	د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلوف فارق	هجر للطباعة والنشر والتوزيع



الفهرس

5	التمهيد
9	المقدمة

البابُ الأولُ

15	في بعض ما جاء عن عظمة القرآن الكريم وفضائله
17	الفصل الأول: ما جاء في تنزيل وإعجاز القرآن الكريم، واعتراف المشركين على مر العصور بإعجازه
26	الفصل الثاني: بعض ما جاء في عظمة القرآن الكريم
31	الفصل الثالث: بعض ما جاء في فضائل القرآن الكريم
33	الفصل الرابع: ما جاء في فضل تفسير القرآن الكريم وأهله
45	الفصل الخامس: ما جاء في ما يلزم قارئه من تعظيمه وحرمته
50	الفصل السادس: ما جاء في آداب تلاوة القرآن الكريم
61	الفصل السابع: ما جاء في فضائل تلاوة القرآن الكريم وحامله
79	الفصل الثامن: ما جاء في من تعلم القرآن الكريم
81	الفصل التاسع: ما جاء في فضل إعراب القرآن الكريم وثواب من قرأه معرباً
83	الفصل العاشر: ما جاء في القرآن الكريم من المرض والشفاء
90	الفصل الحادى عشر: بعض ما جاء في جزاء من استخف بالقرآن الكريم أو كفر به أو بإحدى آياته أو جحد أو زاد حرفاً فيه متعمداً
104	الفصل الثانى عشر: ما جاء في من يلعنه القرآن

البابُ الثاني

107	ما جاء في الخشوع لله
109	الفصل الأول: تعريف الخشوع لله

111 الفصل الثاني: خشوع الإيمان وخشوع النفاق والفرق بينهما

113 الفصل الثالث: خشوع النفاق وما جاء به من أقوال

118 الفصل الرابع: ما جاء في الخوف والخشوع والبكاء من أقوال

الباب الثالث

141

ما جاء من الآيات التي ذكرت بها الخشية والخشوع والبكاء والوجل

143 الفصل الأول: آيات الخشوع وما جاء بها تحت مسميات: خَشَعْتُ، تَخَشَعُ، خُشِعَ، خُشِعُوا،

خَاشِعًا خَاشِعُونَ، خَاشِعِينَ، خُشِعًا، خَاشِعَةً

الفصل الثاني: الآيات التي ذكرت بها كلمة الخشية تحت مسميات: خَشِيَ، تَخَشَّاهُ

151 فَتَخَشَّاهُ، تَخَشَّاهُ، يَخْشَى، يَخْشَاهَا، يَخْشَوْنَ، يَخْشَوْنَهُ، وَخَشَوْا وَخَشَوْنِي، خَشِيَّةً،

خَشِيَّتِهِ

163 الفصل الثالث: الآيات التي ذكرت بها كلمة البكاء والفيض والدمع في القرآن

الكريم: آيات البكاء: بَكَتْ، تَبْكُونَ، لَيَبْكُوا، يَبْكُونَ، أَبْكَى، بُكِيًا

166 الفصل الرابع: آيات وأحاديث الفيض والدمع: فاضت، تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ

168 الفصل الخامس: الآيات التي ذكرت بها كلمة: أَخْبَتُوا، فَتَخَبَّتْ، الْمُخْبِتِينَ

170 الفصل السادس: الآيات التي ذكرت بها كلمة: وَاجِفَةٌ

171 الفصل السابع: الآيات التي ذكرت بها كلمة: وَجَلَتْ، وَجَلَّةٌ

173 الفصل الثامن: الآيات التي ذكرت بها كلمة: خَرُّوا، تَخَرُّوا، يَخْرُونَ

176 الفصل التاسع: الآيات التي ذكرت بها كلمة: تَقَشَّعَرُ

177 الفصل العاشر: الآيات التي ذكرت بها كلمة: مُشْفِقُونَ، وَمُشْفِقِينَ

181 الفصل الحادي عشر: الآيات التي ذكرت بها كلمة: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ

الباب الرابع

219

ما جاء من الأحاديث القدسية والنبوية في البكاء والخشية ورقه القلب

الباب الخامس

231

ما جاء في الخوف من الله سبحانه وتعالى

الباب السادس

251

ما جاء في بكاء الملائكة والانبياء والرسل عليهم السلام

253

الفصل الأول : بكاء الملائكة عليهم السلام

261

الفصل الثاني: بكاء الانبياء والرسل عليهم السلام

261

بكاء آدم عليه السلام

265

بكاء نبي الله ورسوله نوح عليه السلام

267

بكاء نبي الله إبراهيم عليه السلام

270

بكاء ذى القرنين عليه السلام

274

بكاء نبي الله يعقوب عليه السلام

277

بكاء نبي الله يوسف عليه السلام

280

بكاء نبي الله ورسوله شعيب عليه السلام

282

بكاء نبي الله ورسوله يونس عليه السلام

287

بكاء نبي الله ورسوله موسى عليه السلام

291

بكاء نبي الله داود عليه السلام

296

بكاء نبي الله ورسوله سليمان عليه السلام

301

بكاء نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام

304

بكاء نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام

311

بكاء نبي الله ورسوله محمد عليه السلام

الباب السابع

319

ما جاء في من قرأ أو تذكر أو استمع للقرآن الكريم أو وعظ ففاضت عيناه

321

الفصل الأول: معنى البكاء والدموع والفيض

324	الفصل الثاني : تعدد أنواع البكاء
340	الفصل الثالث: قصص البكاء وأخبار البكائين
	الباب الثامن
413	ما جاء في قتلى القرآن الكريم
415	الفصل الأول: من قرأ أو استمع للقرآن أو لموعظة أو تذكروا اعتبر أو رأى البيت فمات
442	الفصل الثاني: من جُنَّ أو هام على وجهه من خوف الله سبحانه
445	الفصل الثالث: من قُتِلَ أو قُطِعَ أو سُجِنَ أو عُدِّبَ أو جُلِدَ أو هرب بسبب القرآن
	الباب التاسع
475	ما جاء عن القلب القاسى والرحيم والسقيم
477	الفصل الأول: ما جاء عن القلب عموماً وما قيل فيه
508	الفصل الثاني: علامات مرض القلب وصحته وانقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت
513	الفصل الثالث: ما جاء في رقة القلب ورحمته
517	الفصل الرابع: ما جاء في قسوة القلب وغلظته
527	الفصل الخامس: خلاصة أسباب قسوة القلب
641	الفصل السادس: خلاصة علاج قسوة القلب
643	الفصل السابع: أسباب وطرق تليين القلوب
647	خاتمة الكتاب
649	كتب للمؤلف
651	فهرس المراجع

* * *